

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه  
ومن والاه ، أما بعد :

فهذه نقول منتقاة يسر الله جمعها وانتقاءها من كتب كثيرة ، وفي موضوعات  
متنوعة ، ولمؤلفين مختلفين ، وفي عصور متباينة؛ حيث كنت أدون بعض ما يربي  
أثناء القراءة ، سواء في أوراق خاصة ، أو على أغلفة الكتب المقروءة؛ فأدون ما  
أستحسنه من حكمة بالغة ، أو موعظة حسنة ، أو نظرة ثاقبة ، أو فكرة سامية ،  
أو تجربة ناضجة ، أو عبارة رائعة راثقة ، أو تحرير عالٍ ، أو أسلوب بارع ، أو  
معنى لطيف ، أو بيت شارد ، أو مثل سائر ، أو قصة نادرة مؤثرة ، أو تعريف  
جامع مانع ، أو نحو ذلك مما يفيد الإنسان في معاشه ومعاده.  
ويُهدف من وراء ذلك إلى أمور كثيرة منها :

١- التعريف ببعض الكتب ، وبيان ما تضمنته من علوم خصوصاً إذا كانت  
نادرة ، أو قليلة الانتشار.

٢- الوقوف على مناهج بعض المؤلفين ، وطرائقهم في الكتابة والتأليف.

٣- الرغبة في إنهاء همهم ، وتوسيع المدارك ، وزيادة الإيمان ، وترسيخ

الفضيلة ، وإبهاج النفوس ، والرقى بالأخلاق.

٤- التيسير على القراء والباحثين؛ بحيث يُجمعُ لهم ما تناثر في كثير من الكتب التي قد يعسر على بعض القراء والباحثين قراءتها ، أو الوقوف عليها. وهذه النقول تركتها على سجيته؛ حيث لم أحرص على ملئها بالحواشي والزيادات ، ولم أترجم لجميع المؤلفين ، كما أن بعض النقول لم تذكر فيها أرقام الصفحات؛ لأنه لم يخطر في البال أثناء تدوينها أنها ستشتر خصوصاً المجموعة الأولى.

هذا وقد جاء ذلك الكتاب حاملاً المسمى التالي :

### (المنتقى من بطون الكتب)

وقد خرج من ذلك المنتقى أربع مجموعات في فترات مختلفة. وقد رأيت إعادة طباعة المجموعات الثلاث الأولى ، وتدارك ما وقع فيها من خلل وخطأ ، وجعلها في كتاب واحد؛ لأجل تقريبها ، وتسهيل تداولها. أما المجموعة الرابعة فقد جاءت في مجلد من ٤٣٠ صفحة ، فلو ضُمَّتْ إلى المجموعات الثلاث لصار الكتاب كبيراً؛ بحيث يصعب حمله ، وقراءته؛ لذا آثرت إبقاءه على حاله.

وقبل الدخول في محتويات هذا الكتاب يحسن التنبيه إلى أنه سيوضع قبل كل مجموعة ما تحتويه من الكتب المختارة التي تم الانتقاء منها.

ثم إن الانتقاء ليس على وتيرة واحدة، فقد يكون سطراً، أو أقل، أو أكثر من ذلك بحسب ما يقتضيه النقل.

فأسأل الله -بأسمائه الحسنى وصفاته العلى- أن يجعل هذا العمل مباركاً نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي خير الجزاء من أعان على إخراج هذا الكتاب؛ إنه سميع قريب.

وإلى تلك النقول، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

**د. محمد بن إبراهيم الحمد**

الزلفي : ص.ب: ٤٦٠

١٤٣١/١/٢٠ هـ

جامعة القصيم -كلية الشريعة وأصول الدين

قسم العقيدة

[www.toislam.net](http://www.toislam.net)

[alhamad@toislam.net](mailto:alhamad@toislam.net)



## المجموعة الأولى

### نقول منتقاة من الكتب التالية:

- ١- الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع.
- ٢- صيد الخاطر لابن الجوزي.
- ٣- الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم.
- ٤- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٥- الاستقامة لابن تيمية.
- ٦- جامع الرسائل لابن تيمية.
- ٧- الفوائد لابن القيم.
- ٨- إغاثة اللهفان لابن القيم.
- ٩- الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين.
- ١٠- نقض كتاب في الشعر الجاهلي لمحمد الخضر حسين.
- ١١- هدى ونور لمحمد الخضر حسين.
- ١٢- أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
- ١٣- وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي.
- ١٤- آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.
- ١٥- مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز.
- ١٦- مواعظ الإمام مالك بن دينار.
- ١٧- مواعظ الإمام أبي حازم سلمة بن دينار.
- ١٨- مواعظ الإمام سفيان الثوري.
- ١٩- مواعظ الإمام إبراهيم بن أدهم.
- ٢٠- مواعظ الإمام عبد الله بن المبارك.
- ٢١- مواعظ الإمام الفضيل بن عياض.
- وهذه الكتب السبع الأخيرة للشيخ صالح الشامي.
- ٢٢- طاقتك الكامنة لسمير شيخاني.
- ٢٣- قوة الاعتزاز بالنفس سامويل أ. سيرت.



## أولاً: المنتقى من كتاب

## الأدب الصغير والأدب الكبير لعبدالله بن المقفع ١٠٦-١٤٢هـ

شرح ودراسة د. مفيد قميحة

## تعريف موجز بالكتاب:

الأدب الصغير والأدب الكبير رسالتان غايتاهما الإصلاح النفسي، والسياسي، والأخلاقي، والاجتماعي؛ فالأدب الكبير تركز حول نقطتين رئيسيتين هما: السلطان، وما يتبعه من شؤون تتعلق به، والصدقة وما يتعلق بها من روابط ومعاملات.

وأما الأدب الصغير فهو عبارة عن شذرات متفرقة، وخواطر متعددة، مستوحاة من تجارب ماضية، مختزلة في ألفاظ موجزة، منتقاة من حكم الأسلاف ومواعظهم وآرائهم في الحياة.

والتأمل لها يفيد منها خبرة، ونضجاً، ودربة، وحسن تعامل مع الأحداث.

## أ: نقولات من كتاب الأدب الصغير:

١- غاية الناس، وحاجتهم صلاح المعاش والمعاد، والسبيل إلى دركها العقل الصحيح، وأمانة صحة العقل اختيار الأمور بالبصر، وتنفيذ البصر بالعزم.  
ص ٤٣

٢- للعقول سجيات وغرائز، بها تقبل الأدب، وبالأدب تنمي العقول، وتزكو.

ص ٤٣

٣- الواصفون أكثر من العارفين ، والعارفون أكثر من الفاعلين؛ فليُنظر امرؤ أين يضع نفسه. ص ٤٨

٤- على العاقل أن يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً، ذكراً يباشر به القلوب، ويقدع الطماح؛ فإن في كثرة ذكر الموت عصمةً من الأشر، وأماناً -ياذن الله- من الهلع. ٥٣-٥٤

٥- على العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الأخلاق وفي الآداب؛ فيجمع ذلك كله في صدره، أوفي كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلّة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر.

فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب. ٥٤

٦- على العاقل أن يؤنس ذوي الألباب بنفسه، ويجرّتهم عليها؛ حتى يصيروا حرصاً على سمعه وبصره، ورأيه؛ فيستنم إلى ذلك، ويريح له قلبه، ويعلم أنهم لا يغفلون عنه إذا هو غفل عن نفسه. ٥٥

٧- على العاقل -ما لم يكن مغلوباً على نفسه- أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عند عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عونٌ على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها، وفضل بلغة. ص ٥٦



- ٨- على العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة في غير محرم. ص ٥٦
- ٩- على العاقل أن يجنب عن المضي على الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين. ص ٥٧
- ١٠- الدنيا دول فما كان لك منها أتك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك. ص ٦٠
- ١١- أشد الفاقة عدم العقل، وأشد الوحدة وحدة اللجوج، ولا مال أفضل من العقل، ولا أنيس آنس من الاستشارة. ص ٦١
- ١٢- كان يقال: إن الله - تعالى - قد يأمر بالشيء ويبتلي به بثقله، وينهى عن الشيء، ويبتلي به بشهوته؛ فإذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيته، ولا تترك من الشر إلا ما كرهته- فقد أطلعت الشيطان على عورتك، وأمكنته من رُمّتك<sup>(١)</sup>؛ فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير؛ فيكرّهُ إليك، وفيما تكره من الشر فيحببه إليك.
- ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من الخير التحامل على ما يستثقل منه، وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب لما يحب منه. ص ٦٤
- ١٣- إذا هممت بخير فبادر هواك لا يغلبك، وإذا هممت بشر فسوف هواك؛ لعلك تظفر؛ فإن ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنم. ص ٦٩
- ١٤- العلم زين لصاحبه في الرخاء، ومنجاة له في الشدة، بالأدب تعمر

١ - الرمة: الحبل الذي يمكن أن يقودك به .

القلوب، وبالعلم تستحكم الأحلام. ٦٩

١٥- حياة الشيطان ترك العلم، وروحه وجسده الجهل، ومعدنه في أهل الحقد والقساوة، ومثواه في أهل الغضب، وعيشه في المصارمة<sup>(١)</sup> ورجاؤه في الإصرار على الذنوب. ص ٧٣

١٦- لا ينبغي للمرء أن يعتقد بعلمه ورأيه ما لم يذكره ذوو الألباب، ولم يجامعوه عليه؛ فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد. ص ٧٣

١٧- أعدل السير أن تقيس الناس بنفسك؛ فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك. ص ٧٣

١٨- أنفع العقل أن تحسن المعيشة فيما أوتيت من خير، وألا تكثرث من الشر بما لم يصبك. ص ٧٣

١٩- حق على العاقل أن يتخذ مرآتين، فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها.

وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيحليهم بها، ويأخذ ما استطاع منها.

ص ٧٦

٢٠- لا يوقعنك بلاء خلصت منه في آخر لعلك لا تخلص منه. ص ٧٦

٢١- الورع لا يخدع، والأريب لا يخدع. ص ٧٦

٢٢- المروءات تبع للعقل، والرأي تبع للتجربة، والغبطة تبع لحسن الثناء، والسرور تبع للأمن، والقراة تبع للمودة، والعمل تبع للقدر، والجدة تبع

١- المصارمة: المنازعة والخصام اللذان يؤديان إلى الشر.

للإنفاق. ص ٧٨

- ٢٣- أصول العقل الثابت، وثمرته السلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الظفر، وأصل التوفيق العمل، وثمرته النُّجح. ص ٧٨
- ٢٤- لا يُذكرُ الفاجر في العقلاء، ولا الكذوب في الأعفَاء، ولا الخذول في الكرماء، ولا الكفور بشيء من الخير. ص ٧٨
- ٢٥- لا تؤاخين خُبًّا -خداعاً- ولا تستنصرن عاجزاً، ولا تستعينن كسلاً. ص ٧٨
- ٢٦- من أعظم ما يروح به المرء نفسه أن لا يجري لما يهوى وليس كائناً، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن. ص ٧٨
- ٢٧- اغتنم من الخير ما تعجلت، ومن الأهواء ما سوفت، ومن النَّصب ما عاد عليك، ولا تفرح بالبطالة، ولا تجبن عن العمل. ص ٧٩
- ٢٨- ذو العقل لا يستخف بأحد؛ فإنه من استخف بالأتقياء أهلك دينه، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته. ص ٧٩
- ٢٩- يسلم العاقل من عظام الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس. ص ٨٠
- ٣٠- لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعدُّ بما لا يجد إنجازَه، ولا يرجو ما يُعَنَّف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه. ص ٨٠
- ٣١- لا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه، وليس من العقل أن يجرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها. ص ٨٠
- ٣٢- أغنى الناس أكثرهم إحساناً. ص ٨٢

- ٣٣- من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه؛ فإن من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره، ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره فلن يقلع عن عيبه الذي لا يعرف، ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصر أبداً. ص ٨٢
- ٣٤- خمول الذكر أفضل من الذكر الذميم. ص ٨٢
- ٣٥- خصال يُسرُّ بها الجاهل كلها كائن وبالاً عليه، منها أن يفخر من العلم والمروءة بما ليس عنده، ومنها أن يرى بالأخيار من الاستهانة والجفوة ما يُشمتُّ بهم. ص ٨٢
- ٣٦- لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف. ص ٨٤
- ٣٧- كان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك، ولا تقاربك كل المقاربة؛ فيجتري عليك عدوك، وتذل نفسك، ويرغب عنك ناصرك. ص ٨٤
- ٣٨- الحازم لا يأمن عدوه على حال. ص ٨٥
- ٣٩- الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصيل الأسرار. ص ٨٥
- ٤٠- المستشار- وإن كان أفضل من المستشار رأياً- فهو يزداد برأيه رأياً، كما تزداد النار بالودك ضوءاً. ص ٨٥
- ٤١- لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء، ولا الخب في كثرة الصديق، ولا السيئ الأدب في الشرف، ولا الشحيح في المحمدة، ولا الحريص في الإخوان، ولا الملك المعجب بثبات الملك. ص ٨٥-٨٦
- ٤٢- صرعة اللين أشد استئصالاً من صرعة المكابرة. ص ٨٦
- ٤٣- أربعة أشياء لا يستقلُّ منها قليل: النار، والمرض، والعدو، والدين. ص ٨٦
- ٤٤- المودة بين الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومثل ذلك مثل

كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار، هيّن الإصلاح، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها كالكوز الفخار يكسره أدنى عبث، ثم لا وصل له أبداً. ص ٨٧

٤٥- الكريم يمنح الرجل مودته عن لّقية واحدة، أو معرفة يوم، واللّثيم لا يصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة. ص ٨٧

٤٦- لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل، كالمريض الذي علم دواء نفسه؛ فإذا هو لم يتداو به لم يغنه علمه. ص ٨٩

٤٧- الرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال، كالأسد الذي يهاب وإن كان عقيراً، والرجل الذي لا مروءة له يهان وإن كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وإن طوّق وخلخل. ص ٨٩-٩٠

٤٨- إن أولى الناس بفضل السرور وكرم العيش، وحسن الثناء- من لا يبرح رَحْلُهُ من إخوانه وأصدقائه من الصالحين مَوْطُوءاً، ولا يزال عنده منهم زحام، ويسرهم ويسرونه، ويكون من وراء حاجاتهم وأمورهم؛ فإن الكريم إذا عثر لم يستقل- أي لم يستطع النهوض- إلا بالكرام، كالفيل إذا وحل لم يستخرجه إلا الفيلة. ص ٩٠-٩١

٤٩- من المعونة على تسليّة الهموم، وسكون النفس- لقاء الأخ أخاه، وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه بيته.

وإذا فرق بين الأليف وأليفه فقد سلب قراره، وحرّم سروره. ص ٩١

٥٠- قلّ ما ترانا نُخَلِّفُ عقبَةً من البلاء إلا صرنا في أخرى. ص ٩٢

### ب: نقولات من كتاب الأدب الكبير لابن المقفع:

- ١- لا تترك مباشرة جسيم أمرك فيعود شأنك صغيراً، ولا تُلزِمَنَّ نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعاً. ص ١٠٤
- ٢- ابذل لصديقك دمك، ومالك، ولمعرفتك رفقك -عطاءك- ومحضرك -مشهدك-.
- وللعامة بِشْرَكَ، وتحننك، ولعدوك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك على كل أحد. ص ١٣١
- ٣- إذا سمعت من صاحبك كلاماً، أو رأيت منه رأياً يعجبك - فلا يعجبك أن تنتحله تزينةً به عند الناس، واكتفِ من التزين بأن تجتني الصواب إذا سمعته، وتنسبه إلى صاحبه.
- واعلم أن انتحالكَ ذلك مسخطة لصاحبك، وأن فيه مع ذلك عاراً وسخفاً.
- فإن بلغ بك ذلك أن تشير برأي الرجل، وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء.
- وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس.
- ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك، وتنسب إليه رأيه وكلامه، وتزينه مع ذلك ما استطعت.
- ص ١٣٢
- ٤- لا يكوننَّ من خلقك أن تبتدئ حديثاً ثم تقطعه وتقول: «سوف» كأنك

روأت<sup>(١)</sup> فيه بعد ابتدائك إياه.

وليكن ترويك فيه قبل التفوه به؛ فإن احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف  
وغم. ص ١٣٢

٥- اخزن عقلك وكلامك إلا عند إصابة الموضع؛ فإنه ليس في كل حين يحسن  
كل صواب، وإنما تمام إصابة الرأي والقول بإصابة الموضع. ص ١٣٢

٦- ليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن  
تقول. ص ١٣٢

٧- لا تخلطن بالجد هزلاً، ولا بالهزل جدّاً؛ فإنك إن خلطت بالجد هزلاً  
هجتته، وإن خلطت بالهزل جدّاً كدّرتة.

غير أنني قد علمت موطناً واحداً إن قدرت أن تستقبل فيه الجد بالهزل أصبت  
الرأي، وظهرت على الأقران.

وذلك أن يتوردك متورد<sup>(٢)</sup> بالسفه والغضب وسوء اللفظ تجيبه إجابة الهازل  
المداعب برحب من الدُّرْع، وطلاقة من الوجه، وثبات من المنطق. ص ١٣٣

٨- إذا رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنيك ذلك؛ فإنما هو أحد رجلين:  
إن كان رجلاً من إخوان الثقة فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه  
عنك، أو لعورة يسترها منك، أو غائبة يطلع عليها لك، فأما صديقك فما أغناك  
أن يحضره ذو ثقتك.

١- أي أطلت النظر وتمهلت الجواب .

٢- يتوردك متورد: يحملك على أن تغتاظ .

وإن كان رجلاً من غير خاصة إخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس ، وتكلفه ألا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى. ص ١٣٣

٩- تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب ، وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي؛ مداراةً ؛ لئلا يظن أصحابك أن دأبك التطاول عليهم. ص ١٣٣-١٣٤

١٠- إذا أقبل عليك مقبل بودّه فسرك ألا يدبر عنك- فلا تنعم الإقبال عليه ، والتفتح له؛ فإن الإنسان طبع على ضرائب لؤم؛ فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به ، ويلصق بمن رحل عنه إلا من حفظ بالأدب نفسه ، وكابر طبعه؛ فتحفظ من هذا فيك وفي غيرك. ص ١٣٤.

١١- وإن آنست من نفسك فضلاً فتحرّج أن تذكره ، أو تبديه ، واعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب أكثر مما يقرر لك من الفضل.

واعلم أنك إن صبرت ، ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف عند الناس.

ولا يخفّن عليك أن حرص الرجل على إظهار ما عنده ، وقلة وقاره في ذلك - باب من أبواب البخل واللؤم ، وأن خير الأعوان على ذلك - السخاء والتكرم. ص ١٣٥

١٢- إذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته ، أو يخبر خبراً قد سمعته - فلا تشاركه فيه ، ولا تتعقبه عليه؛ حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته؛ فإن في



ذلك خفةً، وشحاً، وسوء أدب، وسخفاً. ص ١٣٦

١٣- احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك

العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء. ص ١٣٦

١٤- لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذراً، ولا تستعينن إلا بمن يحب

أن يُظفرك بحاجتك، ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنماً، ما لم يغلبك

اضطرار. ص ١٤٠

١٥- إذا اعتذر إليك معتذر فتلقه بوجه مشرق، وبشرٍ ولسانٍ طلق إلا أن

يكون ممن قطيعته غنيمة. ص ١٤٠

١٦- إذا غرست من المعروف غرساً، وأنفقت عليه نفقة فلا تضنن في تربية ما

غرست واستنمائه، فتذهب النفقة الأولى ضياعاً. ص ١٤٠

١٧- إذا كانت لك عند أحد صنعة، أو كان لك عليه طول - فالتمس إحياء

ذلك بإماتته، وتعظيمه بالتصغير له.

ولا تقتصرن في قلبه المن به على أن تقول: لا أذكره، ولا أصغي بسمعي إلى

من يذكره؛ فإن هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بفعل ولا كرم.

ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه، وما تكلمه به، أو تستعينه عليه، أو

تجاريه فيه شيء من الاستطالة؛ فإن الاستطالة تهدم الصنعة، وتكدر المعروف.

ص ١٤١ - ١٤٢

١٨- احترس من سورة الغضب، وسورة الحمية، وسورة الحقد، وسورة الجهل.

وأعد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر، والروية،

وذكر العاقبة ، وطلب الفضيلة. ص ١٤٢

١٩- ذلل نفسك بالصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء؛

فإن ذلك مما لا يكاد يخطئك. ص ١٤٣

٢٠- اللئام أصبر أجساداً ، والكرام أصبر نفوساً. ص ١٤٣

٢١- الصبر الممدوح أن يكون للنفس غلباً ، وللأمر محتملاً ، وفي الضراء متجبلاً ، ولنفسه عند الرأي والحفاظ<sup>(١)</sup> مرتبطاً ، وللحزم مؤثراً ، وللهوى تاركاً ، وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفاً ، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً ، ولبصيرته بعزيمته منفذاً. ص ١٤٣

٢٢- عود نفسك السخاء ، واعلم أنه سخاءان: سخاوة نفس الرجل بما في يديه ، وسخاوته عما في أيدي الناس.

وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة ، وتركه ما في أيدي الناس أحض في التكرم ، وأبرأ من الدنس؛ فإن هو جمعهما فبذل ، وعف فقد استكمل الجود والكرم. ص ١٤٤

٢٣- ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً؛ فإن الحسد خلق لئيم ، ومن لؤمه أنه موكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب ، والأكفاء والمعارف والخلطاء والإخوان. ص ١٤٤

٢٤- لا تتخذن اللعن والشتم على عدوك سلاحاً؛ فإنه لا يجرح في نفس ، ولا منزلة ، ولا مال ، ولا دين. ص ١٤٦

٢٥- إذا أردت أن تكون داهياً فلا تُحِبَّ أن تسمى داهياً؛ فإن من عرف بالدهاء

خاتل علانية، وحذرته الناس، حتى يمتنع منه الضعيف، ويتعرض له القوي.  
ص ١٤٦

٢٦- إن من إرب الأريب دفن إربه ما استطاع؛ حتى يعرف بالمساحة في  
الخليقة، والاستقامة في الطريقة. ص ١٤٧

٢٧- إذا أردت السلامة فأشعر قلبك الهيبة للأمور من غير أن تظهر منك  
الهيبة، فتفطن الناس بنفسك، وتجرئهم عليك، وتدعو إليك منهم كل الذي  
تهاب.

فأشعب<sup>(١)</sup> لمدارة ذلك من كتمان الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون - طائفة من  
رأيك. ص ١٤٧

٢٨- اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال،  
وأقتلها للعقل، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار - الغرام  
بالنساء.

ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم<sup>(٢)</sup> ما عنده، وتطمح عيناه إلى ما  
ما ليس عنده منهن، وإنما النساء أشباه. ص ١٤٩

٢٩- ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس بلبه ورأيه يرى المرأة من بعيد  
متللفة في ثيابها؛ فيصوّر لها في قلبه الحسن والجمال، حتى تعلقها نفسه من غير  
رؤية ولا خبر مخبر، ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح، وأدّم الدمامة؛ فلا

١- أشعب: اجعل.

٢- يأجم: يمل.

يعظه ذلك، ولا يقطعه عن أمثالها، ولا يزال مشغولاً بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن أن لها شأنًا غير شأن ما ذاق.

وهذا هو الحمق، والشقاء، والسفه. ص ١٥٠

٣٠- إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك في كل مجلس، ومقام، ومقال، ورأي، وفعل - فافعل؛ فإن رفع الناس إياك فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك، وتقريبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه، وتعظيمهم من أمرك ما لم تُعظم، وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تزيّن - هو الجمال. ص ١٥١

٣١- احذر المراء، وأغربه<sup>(١)</sup>، ولا يمنعك حذر المراء من حسن المناظرة والمجادلة. ص ١٥١

٣٢- اعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه، وأن سفه السفه سيطلع له منك حقداً؛ فإن عارضته، أو كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما أتى به؛ فأحببت أن تحتذي على مثاله؛ فإن كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك إياه بترك معارضته.

فأما أن تذمه، وتمثله فليس في ذلك لك سداد. ص ١٥٥

٣٣- لا تلتمس غلبةً صاحبك، والظفر عليه عند كل كلمة ورأي، ولا تجترئن على تقريعه بظفرك إذا استبان، وحجتك عليه إذا وضحت. ص ١٥٦

٣٤- إذا أُكْرِمت على دين أو مروءة فذلك فليعجبك؛ فإن المروءة لا ترايلك في الدنيا، وإن الدين لا يزايلك في الآخرة. ص ١٥٦

٣٥- اعلم أن الجبن مقتلة، وأن الحرص محرمة. ص ١٥٦

١- أغربه: أبعد.

- ٣٦- إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالقه؛ فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى. ص ١٥٨
- ٣٧- لطفك بصاحب صديقك أحسن عنده موقعاً من لطفك به في نفسه. ص ١٥٩
- ٣٨- اتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق، ويشكر للمكتئب. ص ١٥٩
- ٣٩- البُغْضَةُ خوف، والمودة أمن. ص ١٥٩
- ٤٠- اعلم أن المستشار ليس بكفيل، وأن الرأي ليس بمضمون. ص ١٦٠
- ٤١- إذا أشار عليك صاحبك برأي ثم لم تجد عاقبته على ما كنت تأمل - فلا تجعل ذلك عليه ذنباً، ولا تلزمه لوماً وعدلاً. ص ١٦٠
- ٤٢- إذا كنت أنت المشير فعمل برأيك أو تركه فبدا صوابك - فلا تمنن به، ولا تكثرن ذكره إن كان فيه نجاح، ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضرر بأن تقول: ألم أقل لك: افعل هذا؛ فإن هذا بجانب لأدب الحكماء. ص ١٦٠
- ٤٣- تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول. ص ١٦٠
- ٤٤- إذا كنت في جماعة قوم أبداً فلا تعمّن جيلاً من الناس، أو أمة من الأمم بشتهم ولا ذم؛ فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك مخطئاً؛ فلا تأمن مكافئتهم، أو متعمداً؛ فتنسب إلى السفه.
- ولا تذمن - مع ذلك - اسماً من أسماء الرجال أو النساء بأن تقول: إن هذا

لقبيح من الأسماء؛ فإنك لا تدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك، ولعله يكون بعض أسماء الأهلين والحُرَم.

ولا تستصغرن من هذا شيئاً؛ فكل ذلك يجرح القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد. ص ١٦٢

٤٥- اعلم أن بعض شدة الحذر عونٌ عليك في ما تحذر، وأن بعض شدة الالتقاء مما يدعو إليك ما تتقي. ص ١٦٣

٤٦- واعلم أن الناس يخدعون أنفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالهم ومساوئهم ونقيصتهم.

وكل ذلك أبين عند سامعيه من وضح الصبح؛ فلا تكونن من ذلك في غرور، ولا تجعلن نفسك من أهله. ص ١٦٣

٤٧- اعلم أن من تنكَّب<sup>(١)</sup> الأمور ما يسمى حذراً ومنه ما يسمى خوراً؛ فإن استطعت أن يكون جنبك في الأمر قبل مواقعتك إياه فافعل؛ فإن هذا الحذر.

ولا تنغمس فيه ثم تتهيبه؛ فإن هذا هو الخور؛ فإن الحكيم لا يخوض نهراً حتى يعلم مقدار غوره. ص ١٦٣

## ثانياً: المنتقى من كتاب

## صيد الخاطر لابن الجوزي ت: ٥٩٧

تحقيق عامر بن علي ياسين دار ابن خزيمة

## تعريف موجز بالكتاب:

صيد الخاطر من أشهر كتب ابن الجوزي المولود رحمه الله سنة ٥٠٨ أو ٥٠٩ ، أو ٥١٠.

وهذا الكتاب روضة غناء ، وارفة الظلال ، دانية القطوف ، متنوعة الثمار.  
وهذا الكتاب لا يختص بموضوع أو فن معين ، بل هو متنوع الموضوعات ،  
متعدد الفنون؛ ففيه تذكير ، وتحذير ، ونصح وإرشاد ، وتوجيه لأهل العلم  
والعبادة ، وكلام على الزواج ، وأسراره ، وعلاقة الرجل بالمرأة.  
وفيه تحذير من الفتن ، والذنوب ، والمعاصي.  
وفيه وعظ يلين القلوب ، ويدنيهها من علام الغيوب.  
وفيه حث على إصلاح السرائر ، ومراقبة الخلوات ، وتجنب الريب ، والموبقات.  
وفيه حديث عن الحكم والمصالح ، والحذر من الغفلة ، إلى غير ذلك مما فيه  
صلاح المعاش والمعاد.  
كل ذلك بعبارة مشرقة ، وبيان خلاب.

## نقولات مختارة من كتاب صيد الخاطر:

١- من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة ، ومن ادعى الصبر وكل إلى نفسه ،

ورب نظرة لم تناظر<sup>(١)</sup>.

وأحق الأشياء بالضبط والقهر: اللسان، والعين؛ فإياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة؛ فإن الهوى مُكَايد، وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب، ممن يأنف النظر إليه. ص ٤١

٢- ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقل أن يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ص ٣٥٠

فتبصرو ولا تشم كل برق	رب برق فيه صواعق حَيْن <sup>(٢)</sup>
واغضض الطرف تسترح من غرام	تكتسي فيه ثوب ذلّ وشين
فبلاء الفتى موافقة النفس	وبداء الهوى طموح العين

٣- فكل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل، وكذلك كل مذنب ذنباً، وهو معنى قوله -تعالى-: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ النساء ١٢٣. وربما رأى العاصي سلامة بدنه؛ فظن ألا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة.

وقد قال الحكماء: المعصية بعد المعصية عقاب المعصية، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.

وربما كان العقاب العاجل معنوياً، كما قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا رب! كم أعصيك، ولا تعاقبني؟ فقليل له: كم أعاقبك، وأنت لا تدري؟ أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟ ص ١٠٣ - ١٠٤.

١- أي لم تمهل؛ فأصابته بسهم، أو أوقعته في فتنة.

٢- الحَيْن: الهلاك.



- ٤- الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي؛ فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبة، وربما جاءت مستعجلة. ص ٣٣٩
- ٥- قد تَبَغَّتْ العقوبات، وقد يؤخرها الحلم، والعاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة؛ فكم مغرور بامهال العصاة لم يمهل. وأسرع المعاصي عقوبةً ما خلا عن لذة تنسي النُهي، فتكون كالمعاندة، والمبارزة، فإن كانت اعتراضاً على الخالق، أو منازعة له في عظمته، فتلك التي لا تُتلافى، خصوصاً إذا وقعت من عارف بالله؛ فإنه يندر إهماله. ص ٥٠٠
- ٦- أعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة، و تأميله الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل منتهى ولا للاغترار حد؛ فكلما أصبح وأمسى معافى زاد الاغترار، وطال الأمل. ص ٥٣٢
- ٧- نظرت في الأدلة على الحق -سبحانه وتعالى- فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان يخفي مالا ير ضاه الله -عز وجل- فيظهره الله -سبحانه- عليه، ولو بعد حين، ويُنطق به الألسنة وإن لم يشاهده الناس، وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب؛ وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب، ولا استتار، ولا يضاع لديه عمل.
- وكذلك يخفي الإنسان الطاعة، فتظهر عليه، ويتحدث الناس بها، وبأكثر منها، حتى إنهم لا يعرفون له ذنباً، ولا يذكرونه إلا بالمحسن؛ ليعلم أن هنالك رباً لا يُضَيِّعَ عَمَلَ عاملٍ.

وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص، وتجه، أو تأباه، وتذمه، أو تمدحه  
وَفَقَّ ما يتحقق بينه وبين الله - تعالى - فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر.  
وما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر إلى الحق إلا انعكس مقصوده  
وعاد حامده ذاماً. ص ١٠٨ - ١٠٩

٨- إن للخلوة تأثيرات تَبَيَّنُ في الخلوة؛ كم من مؤمن بالله - عز وجل - يحترمه  
عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذراً من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالاً له؛  
فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على مجمر، فيفوح طيبه، فيستشقه  
الخلائق، ولا يدرون أين هو.

وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع  
ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود.  
فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص، وألستهم تمدحه، ولا يعرفون ولا  
يقدرّون على وصفه؛ لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأرايح<sup>(١)</sup> بعد الموت على قدرها؛ فمنهم من يذكر بالخير مدة  
مديدة، ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره، وقبره<sup>(٢)</sup>، ومنهم  
أعلام يبقى ذكرهم أبداً.

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق؛ فإنه على قدر  
مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب يفوح منه ريح الكراهة؛ فتممته

١- الأرايح: يعني الروائح الزكية.

٢- لا يضره إن خفي قبره.

القلوب؛ فإن قل مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه، لا يمدحونه ولا يذمونه.  
ص ٣٠١ - ٣٠٢

٩- إنه بقدر إجلالكم لله - عز وجل - يجلكم بمقدار تعظيم قدره واحترامه يُعظم أقداركم، وحرمتكم.  
ولقد رأيت - والله - من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنه، ثم تعدى الحدود؛ فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه، وقوة مجاهدته.  
ولقد رأيت من يراقب الله - عز وجل - في صبوته مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم؛ فعظم الله قدره في القلوب، حتى عَلَّقَتْهُ<sup>(١)</sup> ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

ورأيت من كان يرى الاستقامة إذا استقام، وإذا زاغ مال عنه اللطف.  
ولولا عموم الستر، وشمول رحمة الكريم - لافتضح هؤلاء المذكورون، غير أنه في الأغلب تأديب، أو تلطف في العقاب. ص ٣٣٦ - ٣٣٧  
١٠- في قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة؛ ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً؛ لأنه قُهرَ، بخلاف غالب الهوى؛ فإنه يكون قوي القلب عزيزاً؛ لأنه قُهرَ. ص ١١٥

١١- بالله عليك! يا مرفوع القدر بالتقوى، لا تبع عزها بذل المعاصي، وصابر

١ - يعني أحبته، وتعلقت به.

عطش الهوى في هجير المشتهى ، وإن أمضٍ وأرمض<sup>(١)</sup>. ص ٢٥٢

١٢- بالله عليك! تذوق حلاوة الكف عن المنهي؛ فإنها شجرة تثمر عز الدنيا وشرف الآخرة، ومتى اشتد عطشك إلى ما تهوى فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرِّيُّ الكامل، وقل:

«قَدْ عِيلَ صَبْرُ الطَّبْعِ فِي سَنِيهِ الْعَجَافِ؛ فَعَجَلَ لِي الْعَامَ الَّذِي فِيهِ أُغَاثُ وَأَعْصِرُ». ص ٢٥٣

١٣- إخواني! احذروا لجة هذا البحر، ولا تغتروا بسكونه، وعليكم بالساحل، ولازموا حصن التقوى؛ فالعقوبة مرة واعلموا أن في ملازمة التقوى مرارات من فقد الأغراض، والمشتهيات غير أنها في ضرب المثل كالحَمِيَّةِ تُعْقِبُ صحة، والتخليط ربما جلب موت الفجأة. ص ٣١٥

١٤- ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافي التقوى - وإن قل - إلا وجد عقوبته عاجلة، أو آجلة.

ومن الاغترار أن تسيء؛ فترى إحساناً؛ فتظن أنك قد سوحت، وتنسى:

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ النساء: ١٢٣ ص ٣١٣

١٥- واعلم أن من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب؛ فإن العقوبة تتأخر، ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها، وأن تكون في سلب الدين وطمس القلوب، وسوء الاختيار للنفس؛ فيكون من آثارها سلامة البدن، وبلوغ الأغراض. ص ٣١٤ - ٣١٥

١- أمض: ألم، وأرمض: أحرق.

- ١٦- فالحذر الحذر من عواقب الخطايا، والبدارَ البدارَ إلى محوها بالإنبابة؛ فلها تأثيرات قبيحة إن أسرع، وإلا اجتمعت، وجاءت. ص ٥٠٢
- ١٧- لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة، وانقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر - لما قرب منه، ولو أعطي الدنيا، غير أن سكرة الهوى تحول بين الفكر وبين ذلك. ص ٣٢١
- ١٨- فأجود الأشياء قطع أسباب الفتن، وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملاً ومؤدياً إلى مالا يجوز. ص ٣٥١
- ١٩- فياك أن تنظر إلى صورة نعيمهم يعني -أرباب الدنيا- فإنك تستطيع لبعده عنك، ولو قد بلغته كرهته، ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة مالا يوصف؛ فعليك بالقناعة مهما أمكن؛ ففيها سلامة الدنيا والدين.
- وقد قيل لبعض الزهاد -وعنده خبز يابس-: كيف تشتهي هذا؟ فقال: أتركه حتى أشتهيه. ص ٣٧٢
- ٢٠- إخواني! لنفسي أقول؛ فمن له شربٌ معي فليرد: أيتها النفس! لقد أعطاك الله مالم تؤلمي، وبلغك مالم تطلبي، وستر عليك من قبيحك ما لو فاح ضجت المشام،<sup>(١)</sup> فما هذا الضجيج من فوات كمال الأغراض أملوكة أنت أم حرة؟! أما علمت أنك في دار التكليف؟! وهذا الخطاب ينبغي أن يكون للجهال؛ فأين دعواك المعرفة؟! أترأه لو هبت نفحة فأخذت البصر، كيف كانت تطيب لك الدنيا؟!

وا أسفًا عليك! لقد عشتِ البصيرة التي هي أشرف، وما علمت كم أقول :  
 عسى ، ولعل ، وأنت في الخطأ إلى قدام.  
 قرُبْتُ سفينة العمر من ساحل القبر، ومالك في المركب بضاعة تريح، تلاعبت  
 في بحر العمر ريح الضعف؛ فغرقتُ تلفيق القوى، وكأن قد فصلت المركب، بلغت  
 نهاية الأجل، وعينُ هواك تتلفتُ إلى الصبا!  
 بالله عليك، لا تُشمتي بكِ الأعداء!  
 هذا أقل الأقسام، وأوفى منها أن أقول: بالله عليك لا يفوتتكِ قَدَمُ سابقٍ مع  
 قدرتك على قطع المضمار.  
 الخلوة الخلوة، واستحضري قرين العقل، وجولي في حيرة الفكر، واستدركي  
 صُباة الأجل قبل أن تميل بكِ الصُّباة<sup>(١)</sup> عن الصواب.  
 واعجباً! كلما صعد العُمُرُ نزلت! وكلما جدَّ الموتُ هزلت!  
 أتراك ممن خُتم له بفتنة، وقضيت عليه عند آخر عمره المحنة؟!  
 كان أولُ عُمُرِكَ خيراً من الأخير، كنتِ في زمن الشباب أصلح في زمن أيام  
 المشيب... ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣  
 نسأل الله -عز وجل- ما لا يحصل إلا به، وهو توفيقه؛ إنه سميع مجيب.  
 ص ٣٤٠ - ٣٤٢.

٢١- ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على  
 يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متكبر بوعظي لم تكن تسيل، ويحق

١ - صُباة الأجل: بقية العمر، والصُّباة: الهوى.

لمن تَلَمَّحَ هذا أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي.

ولقد جلستُ يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَنْ رَقَّ قلبه ، أو دمعت عينه فقلت لنفسي : كيف بك إن نجوا وهلكتِ؟! فصحت بلسان وَجْدِي : إلهي وسيدي! إن قضيت عليّ بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي؛ صيانة لكرمك ، لا لأجلي؛ لأن لا يقولوا عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عليه.

إلهي قد قيل لنبيك ﷺ اقتل ابن أبي المنافق فقال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ».

إلهي! فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تُعلمهم بعذاب الدليل عليك<sup>(١)</sup>،

حاشاك -والله يارب- من تكدير الصافي. ص ٣٤٠-٣٤٢

٢٢- بلغني عن بعض فساق القدماء أنه كان يقول : ما أرى العيش غير أن تتبع النفس هواها ، فمخطئاً ، أو مصيباً.

فتدبرت حال هذا وإذا به ميت النفس ، ليس له أنفة على عرضه ، ولا خوف

عار ، ومثل هذا ليس في مسلاخ<sup>(٢)</sup> الأدميين. ص ٤٩٩

٢٣- قد جاء في الأثر: اللهم أرنا الأشياء كما هي.

وهذا كلام حسن غايةً ، وأكثر الناس لا يرون الأشياء بعينها؛ فإنهم يرون

الفاني كأنه باقٍ ، ولا يكادون يتخيلون زوال ما هم فيه - وإن علموا ذلك - إلا أن

١ - يعني ابن الجوزي نفسه.

٢ - مسلاخ : جلد

عين الحس مشغولة بالنظر إلى الحاضر، ألا ترى زوال اللذة، وبقاء إثمها. ص ٦٦٨

٢٤- تذكرت في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي، فنظرت في المعاصي فإذا هي حاصلة في طلب اللذات، فنظرت في اللذات فإذا هي خدعٌ ليست بشيء، وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصاً، فتخرج عن كونها لذاتٍ؛ فكيف يتبع العاقل نفسه، ويرضى بجهنم؛ لأجل هذه الأكدار؟ ص ٦٨٤

٢٥- إنما فضل العقل بتأمل العواقب، فأما القليل العقل فإنه يرى الحال الحاضرة، ولا ينظر إلى عاقبتها؛ فإن اللص يرى أخذ المال، وينسى قطع اليد، والبطال يرى لذة الراحة، وينسى ما تجني من فوات العلم، وكسب المال؛ فإذا كبر، فسئل عن علم لم يدر، وإذا احتاج سأل، فذل؛ فقد أربى ما حصل له من التأسف على لذة البطالة، ثم يفوته ثواب الآخرة بترك العمل في الدنيا.

وكذلك شارب الخمر يلتذُّ تلك الساعة، وينسى ما يجني من الآفات في الدنيا، والآخرة.

وكذلك الزنا فإن الإنسان يرى قضاء الشهوة، وينسى ما يجني من فضيحة الدنيا والحد، وربما كان للمرأة زوج، فألحقت الحمل من هذا به، وتسلسل الأمر.

فقس على هذه النبذة، وانتبه للعواقب، ولا تؤثر لذة تُفوت خيراً كثيراً، وصابر المشقة تُحصِّلُ رجاً وافراً. ص ٧٥٤ - ٧٥٥

٢٦- من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر. ص ٤٠

٢٧- رأيت كثيراً من الناس يتحرزون من رَشاسِ نجاسةٍ، أولاً يتحاشون من



غيبية، ويكثرُونَ من الصَّدَقَةِ ولا يُبَالُونَ بمعاملاتِ الرِّبَا، ويتهجَّدون بالليل ويؤخِّرون الفريضةَ عن الوقتِ في أشياء يطول عدُّها من حفظِ فروعٍ وتضييعِ أصولٍ؛ فبحثت عن سبب ذلك، فوجدته من شيئين: أحدهما: العادة.

والثاني: غلبةُ الهوى في تحصيل المطلوب؛ فإنه قد يغلبُ فلا يتركُ سَمْعاً ولا بَصراً. ص ٢٩٠

٢٨- مَنْ رُزِقَ قَلْباً طَيِّباً، وَلَدَّةً مَنَاجاةً فَليراعِ حاله، وَلْيَتَحَرَّزْ مِنَ التَّغْيِيرِ، وَإِنَّمَا تدوم حاله بدوام التَّقْوَى. ص ٦٤٣

٢٩- مِنَ المَخَاطِرِ العَظِيمَةِ تحديثُ العوامِّ بما لا تَحْتَمِلُهُ قُلُوبُهُمْ، أَوْ بِمَا قد رَسَخَ فِي نَفُوسِهِمْ ضُدُّهُ. ص ٦٧٤

٣٠- قَالَ اللهُ اللهُ أَنْ تَحَدِّثَ مَخْلُوقاً مِنَ العوامِّ بما لا يَتَحَمَلُهُ دُونَ احتيالٍ وتلطفٍ؛ فإنه لا يزول ما في نفسه، أَوْ يَخَاطِرُ المَحْدَثِ لَهُ بِنَفْسِهِ. ص ٦٧٥

٣١- مِنَ اِقْتَصَرِ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ، فَظَنَّهُ كَافِياً اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ، وَصَارَ تَعْظِيمُهُ لِنَفْسِهِ مَانِعاً لَهُ مِنَ اِلسْتِفَادَةِ، وَالمَذَاكِرَةُ تُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ، وَرَبَّمَا كَانَ مَعْظَمُ النَفُوسِ فَلَمْ يُتَجَاسَرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّهُ أَظْهَرَ اِلسْتِفَادَةَ لِأَهْدِيَتْ إِلَيْهِ مَسَاوِيهِ؛ فَعَادَ عَنْهَا. ص ٢٠٦ - ٢٠٧

٣٢- غَيْرَ أَنْ اِقْتَصَارَ الرَّجُلِ عَلَى عِلْمِهِ إِذَا مَازَجَهُ نَوْعُ رُؤْيَا لِنَفْسٍ حَبَسَ عَنْ إدْرَاكِ الصَّوَابِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. ص ٢٠٨

٣٣- يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي الْخُلُوةِ عَنْ أَحَدٍ بِشَيْءٍ حَتَّى يَمِثَّلَ ذَلِكَ

- الشيء ظاهرًا مُعلنًا به ثم ينظر فيما يجني. ص ٤٥٣
- ٣٤- مما أفادتني تجاربُ الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع؛ لأنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.
- ولقد احتجتُ في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوعُ الحاجة إلى التلطف بهم. ص ٣٦٩
- ٣٥- اعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذىً من حيث لا يعلم، لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضرباً، وقد يلوح منه مضربٌ خفيٌّ إن اجتهد المتدرب في ستر نفسه، فيغتنمه ذلك العدو.
- فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في أن لا يظاهر بالعداوة أحدًا؛ لما بيّنتُ من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض، وإقدار بعضهم على ضرر بعض.
- وهذا فصل مفيد، تبيينُ فائدته للإنسان مع تقلب الزمان. ص ٣٦٩ - ٣٧٠
- ٣٦- رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأنني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد.
- ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدون من مشايخهم. ص ٣٨٦
- ٣٧- فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد؛ فإنه ليس كل من صَنَّفَ صَنَّفَ، وليس المقصود جمع شيء كيف كان، وإنما هي أسرار يطلع الله - عز وجل - عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها؛ فيجمع ما

فُرقَّ، أو يرتب ماشئتَ، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد. ص ٣٨٦  
 ٣٨- ومتى رزق العالمُ الغنى عن الناس والخلو؛ فإن كان له فهم يجلب  
 التصانيف؛ فقد تكاملت لذته، وإن رزق فهماً يرتقي إلى معاملة الحق ومناجاته  
 فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات. ص ٣٩٤

٣٩- فإياك أن تساكُن من آذيته، بل إن كان ولا بد فمن خارج، فما تؤمن  
 الأحقاد. ص ٤٣٢

٤٠- ومن الخور إظهار العداوة للعدو. ص ٤٣٢  
 ٤١- ومن أحسن التدبير التلطف بالأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم، ولو لم  
 يمكن ذلك كان اللطف سبباً في كفِّ أكفهم عن الأذى، وفيهم من يستحي لحسن  
 فعلك؛ فيتغير قلبه لك. ص ٤٣٢

٤٢- رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم؛ فإذا ظهر؛ عاتبوا من  
 أخبروا به.

فوا عجباً! كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً، ثم لاموا من أفشاه؟! ص ٤٣٣  
 ٤٣- ستر المصائب من جملة السر، لأن إظهارها يسر الشامت، ويؤلم المحب.  
 ص ٤٣٤

٤٤- الحازم من عامل الناس بالظاهر، فلا يضيق صدره بسره؛ فإن فارقت  
 امرأة أو صديق أو خادم - لم يقدر أحدٌ منهم أن يقول فيه ما يكره. ص ٤٣٥  
 ٤٥- من خلق له عقل ثاقب دلَّه على الصواب قبل الوصايا. ص ٤٣٥  
 ٤٦- ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت؛ وهو لا يستعد للقاءه! ص ٤٣٨

٤٧- لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، وما اللذة فيها إلا شرف العلم، وزهرة العفة، وأنفة الحمية، وعز القناعة، وحلاوة الإفضال على الخلق. ص ٤٤٢

٤٨- متى رأيت صاحبك قد غضب، وأخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي أن تعقد على ما يقول خنصراً - أي لا تأخذ ما يقول بعين الاعتبار - ولا أن تؤاخذ به؛ فإن حاله حال السكران، لا يدري ما يجري، بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها؛ فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر.

ومتى أخذت في نفسك عليه، وأجبتَه بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه مجنوناً، أو كمففق عاتب مغمى عليه، فالذنب لك.

بل انظر بعين الرحمة، وتلمح تصريف القدر له، وتفرّج في لعب الطبع به، واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر.

وأقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبه إلى ما يستريح به.

وهذه الحالة ينبغي أن يتعلمها الولد عند غضب الوالد، والزوجة عند غضب الزوج؛ فتركه يشتفي بما يقول، ولا تعول على ذلك؛ فسيعود نادماً معتذراً.

ومتى قوبل على حالته، ومقالته، صارت العداوة متمكنة، وجازى في الإفاقة على ما فعل في حقه وقت السكر.

وأكثر الناس على غير هذا الطريق؛ متى رأوا غضباناً قابله بما يقول ويعمل، وهذا على غير مقتضى الحكمة، بل الحكمة ما ذكرته ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

ص ٤٦٨ - ٤٦٩

٤٩- كل من لا يتلمح العواقب، ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل ص ٤٧٠

- ٥٠- فالعاقِل من أخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه، وعمل بمقتضى ذلك؛ فإن امتد به الأجل لم يضره، وإن وقع المخوف كان محتزراً. ص ٤٧١
- ٥١- بقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل رتبته في الآخرة. ص ٤٧١
- ٥٢- الكمال عزيز، والكمال قليل الوجود.
- فأول أسباب الكمال: تناسب الأعضاء، وحسن صورة الباطن؛ فصورة البدن تسمى خُلُقاً، وصورة الباطن تسمى خُلُقاً.
- ودليل كمال صورة البدن: حسن الصمت، واستعمال الأدب.
- ودليل صورة الباطن: حسن الطباع، والأخلاق؛ فالطباع: العفة، والنزاهة، والأنفة من الجهل، ومباعدة الشر.
- والأخلاق: الكرم، والإيثار، وستر العيوب، وابتداء المعروف، والحلم عن الجاهل.
- فمن رزق هذه الأشياء: رَفَّه إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة أوجب نقص. ص ٤٧٧
- ٥٣- من الابتلاء العظيم إقامة الرجل في غير مقامه. ص ٤٧٩
- ٥٤- وليس في الابتلاء بقوة الأشياء إلا التسليم واللجأ إلى المقدّر في الفرج، فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظائم، ولا يتغير قلبه، ولا ينطق بالشكوى لسانه. ص ٤٧٩
- ٥٥- سبحانه من شغل كل شخص بفنٍّ؛ لتنام العيون. ص ٤٩٣
- ٥٦- ويندر من الخلق من يُلهمه الكمال وطلب الأفضل، والجمع بين العلوم

والأعمال، ومعاملات القلوب، وتتفاوت أرباب هذه الحال؛ فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار. ص ٤٩٣-٤٩٤

٥٧- قد تتأخر العقوبة وتأتي في آخر العمر؛ فيا طول التعثير مع كبر السن لذنوب كانت في الشباب! ص ٥٠١

٥٨- قد رُكِبَ في الطباع حب التفضيل على الجنس؛ فما أحدٌ إلا وهو يحب أن يكون أعلى درجة من غيره.

فإذا وقعت نكبة أوجبت نزوله عن مرتبة سواء؛ فينبغي له أن يتجلد بسّر تلك النكبة؛ لئلا يُرى بعين نقص، وليتجمل المتعفف حتى لا يُرى بعين الرحمة، وليتحامل المريض لئلا يَشْمَتَ به ذو العافية. ص ٥٠٤ - ٥٠٥

٥٩- وإنما العبد حقاً من يرضى ما يفعله الخالق؛ فإن سأل فأجيب رأى ذلك فضلاً، وإن منع رأى تصرف مالكٍ في مملوك؛ فلم يَجُلْ في قلبه اعتراض بحال. ص ٥١٨

٦٠- رأيت سبب الهموم والغموم: الإعراض عن الله - عز وجل -، والإقبال على الدنيا، وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته. ص ٥٤٢

٦١- من البله أن تبادر عدواً أو حاسداً بالمخاصمة.

وإنما ينبغي إن عرفت حاله أن تظهر مما يوجب السلامة بينكما، إن اعتذر قبلت وإن أخذ في الخُصومة صفحت، وأريته أن الأمر قريب، ثم تبطن الحذر منه؛ فلا تثق به في حال، وتتجافاه باطناً مع إظهار المخالطة في الظاهر.

فإن أردت أن تؤذيه فأول ما تؤذيه به إصلاحك واجتهادك فيما يرفعك.

ومن أعظم العقوبة له الصفح عنه لله.  
وإن بالغ في السب فبالغ في الصفح تَنَبُّ عنك العوامُّ في شتمه، ويحمدك  
العلماء على حلمك.

وما تؤذيه به من ذلك، وتورثه به من الكمد ظاهراً وغيره في الباطن أضعافٌ  
وخيرٌ مما تؤذيه به من كلمة إذا قلتها سمعت أضعافها.

ثم بالخصومة تُعَلِّمُهُ أنك عدوه، فيأخذ الحذر، ويبسط اللسان.

وبالصفح يجهل ما في باطنك، فيمكنك حينئذ أن تشتفي منه.

أما أن تلقاه بما يؤذي دينك فيكون هو الذي قد اشتفى منك.

وما ظفر قط من ظفر به الإثم، بل الصفح الجميل.

وإنما يقع هذا ممن يرى أن تسليطه عليه: إما عقوبة لذنوب، أو لرفع درجة، أو

للابتلاء؛ فهو لا يرى الخصم، وإنما يرى القدر. ص ٥٥٥ - ٥٥٦

٦٢- العجب من الذي أنف الذل كيف لا يصبر على جاف الخبز، ولا يتعرض

لمَن الأنذال؟! ص ٥٦٦

٦٣- وأعجب من هذا من يقدر أن يستعبد الأحرار بقليل العطاء الفاني ولا

يفعل؛ فإن الحرُّ لا يُشترى إلا بالإحسان، قال الشاعر:

تفضل على من شئت واعنْ بأمره      فأنت ولو كان الأميرَ أميره

وكن ذا غنى عمن تشاء من الورى      ولو كان سلطاناً فأنت نظيره

ومن كنت محتاجاً إليه وواقفاً      على طمع منه فأنت أسيره

ص ٥٦٧

٦٤- تفكرتُ في سبب هداية من يهتدي، وانتباه من يتيقظ من رقاد غفلته،

فوجدت السبب الأكبر اختيار الحق عز وجل لذلك الشخص؛ كما قيل: إذا أَرَادَكَ  
لأمرهياًك له. ص ٥٧٧

٦٥- عجبت لمن يعجب بصورته، ويختال في مشيته، وينسى مبدأ أمره! ص ٥٧٩  
٦٦- وعلامة إثبات الكمال في العلم والعمل: الإقبال بالكلية على معاملة  
الحق ومحبته، واستيعاب الفضائل كلها، وسناء الهمة في نشران الكمال الممكن.  
ص ٥٨٤

٦٧- عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد، يرجو بذلك قربه من قلوبهم، وينسى  
أن قلوبهم بيد من يعمل له؛ فإن رضي عمله ورآه خالصاً لفت القلوب إليه،  
وإن لم يره خالصاً أعرض بها عنه. ص ٥٨٨

٦٨- من ضرورة الإخلاص ألا يقصد التفات القلوب إليه؛ فذاك يحصل لا  
بقصده، بل بكراهته. ص ٥٨٨

٦٩- وليعلم الإنسان أن أعماله كلها يعلمها الخلق جملةً، وإن لم يطلعوا  
عليها للصالح بالصالح وإن لم يُشاهد منه ذلك. ص ٥٨٩  
٧٠- فليثق الله العبد، ويقصد مَنْ ينفعه قصده، ولا يتشاغل بمدح عَنْ قليل  
يبلى هُوَ وَهُمْ. ص ٥٨٩

٧١- إياك والتأويلاتِ الفاسدة، والأهواء الغالبة؛ فإنك إن ترخصت بالدخول  
في بعضها جرّك الأمر إلى الباقي، ولم تقدر على الخروج؛ لموضع إلف الهوى.  
ص ٥٩١

٧٢- ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه؛ فإذا جرى القدرُ مع احترازه لم يُلم.



ص ٦٠١

٧٣- ما اعتمد أحدُ أمراً إذا هم بشيء مثل التثبت؛ فإنه متى عمل بواقعةٍ من غير تأمل للعواقب - كان الغالب عليه الندم، ولهذا أُمرَ بالمشاورة؛ لأن الإنسان بالتثبت يفتكر، فتعرض على نفسه الأحوال، وكأنه شاور، وقد قيل: خمير الرأي خير من فطيره.

وأشد الناس تفريطاً من عمل مبادرة في واقعة من غير تثبت واستشارة، خصوصاً فيما يوجبه الغضب؛ فإنه طلب الهلاك أو الندم العظيم. ص ٦٠٥

٧٤- فالله الله! التثبت التثبت في كل الأمور! والنظر في عواقبها! خصوصاً الغضب المثير للخصومة، وتعجيل الطلاق. ص ٦٢٥

٧٥- لو علم المرائي أن قلوب الذين يرئهم بيد من يعصيه - لما فعل. ص ٦٢٥

٧٦- ينبغي للإنسان أن يجتهد في جمع همه؛ لينفرد قلبه بذكر الله - سبحانه وتعالى - وإنفاذ أمره والتهيؤ للقائه، وذلك إنما يحصل بقطع القواطع والامتناع عن الشواغل، وما يمكن قطع القواطع جملة؛ فينبغي أن يقطع ما يمكن منها. ص ٦٣٧

٧٧- دليل صحة نبينا محمد ﷺ أجلى من الشمس. ص ٦٥٦

٧٨- إني أعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على أقاربه وجيرانه؛ كيف يطيب عيشه؟! خصوصاً إذا علت سنه. ص ٦٦١

٧٩- إذا رأيت قليل العقل في أصل الوضع؛ فلا ترجُ خيره.

فأما إن كان وافر العقل، لكنه يغلب عليه الهوى؛ فارجه. ص ٦٨١

٨٠- لا ينبغي للإنسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق؛ فإن البدن كالراحلة إن

لم يرفق بها لم تصل بالراكب. ص ٧١٣

٨١- المصيبة العظمى رضا الإنسان عن نفسه، واقتناعه بعلمه، وهذه محنة قد

عمت أكثر الخلق. ص ٧٢٩ - ٧٣٠

٨٢- تفكرت في نفسي يوماً تفكراً مُحَقَّقٍ فحاسبته قبل أن تحاسب، ووزنتها

قبل أن توزن؛ فرأيت اللطف الرباني.

فمنذ الطفولة وإلى الآن أرى لطفاً بعد لطف، وستراً على قبيح، وعفواً عما

يوجب عقوبة، وما أرى لذلك إلا شكراً باللسان.

ولقد تفكرت في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعاً، ولو كُشِفَ للناس

بعضها لاستحييت.

ولا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنوب حتى يظن في ما يظن في

الفساق، بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي وقعت بتأويلات فاسدة؛ فصرت إذا

دعوتُ أقول: اللهم بحمدك وسترك عليّ اغفرلي.

ثم طالبت نفسي بالشكر على ذلك فما وجدته كما ينبغي.

ثم أنا أتقاضى القدرَ مراداتي، ولا أتقاضى بصبر على مكروه، ولا بشكر على

نعمة؛ فأخذت أنوح على تقصيري في شكر المنعم، وكوني أتلذذ بإيراد العلم من

غير تحقيق عمل به، وقد كنت أرجو مقامات الكبار فذهب العمر وما حصل

المقصود؛ فوجدت أبا الوفاء ابن عقيل قد ناح نحو ما نحت؛ فأعجبني نيachtته<sup>(١)</sup>

فكتبته ههنا.

قال لنفسه: يا رعاء! تقومين الألفاظ؛ ليقال: مناظرٌ، وثمره هذا أن يقال: يا

١ - يعني بكاءه على نفسه، ولومها لتقصيرها في جنب الله.

مناظر، كما يقال للمصارع: الفاره.

ضيعت أعز الأشياء وأنفسها عند العقلاء - وهي آخر أيام العمر - حتى شاع لك بين من يموت غداً اسم مناظر، ثم يُنسى الذكر والمذكور إذا درست القلوب، هذا إن تأخر الأمر إلى موتك، بل ربما نشأ شابٌ أفره منك، فموهوا له، وصار الاسم له، والعقلاء<sup>(١)</sup> عن الله تشاغلوا بما إذا انطوا ونشروهم<sup>(٢)</sup> وهو العمل بالعلم، والنظر الخالص لنفوسهم.

أفٌ لنفسي! وقد سطرت عدة مجلدات في فنون<sup>(٣)</sup> العلم، وما عبق بها فضيلة<sup>(٤)</sup>.  
 إن نوظرتُ شَمَخْتُ، وإن نوصِحتُ تَعَجَّرْتُ<sup>(٥)</sup> وإن لاحت الدنيا طارتُ إليها  
 طيرانَ الرَّحْمِ، وسقطتُ عليها سقوطُ الغراب على الجيف؛ فليتها أَخَذْتُ أَخَذَ  
 المضطر من الميتة، توفر في المخالطة عيوباً تُبلى، ولا تحتشمُ نظرَ الحقِّ إليها، وإن  
 انكسر لها غَرَضٌ تضجرت<sup>(٦)</sup> فإن أمدَّتْ بالنعيم اشتغلت عن النعم.  
 أف والله مني، اليوم على وجه الأرض، وغداً تحتها.  
 والله إن نَتَنَ جسدي بعد ثلاث تحت التراب أقل من نتن خلائقي وأنا بين  
 الأصحاب.

١ - يعني بهم: الذين يعقلون عنه أمره ونهيه.

٢ - يعني إذا ماتوا أحياهم، وجعل الناس يذكرونهم.

٣ - لعله يشير إلى كتابه (الفنون) الذي بلغ ثمانمائة مجلد كما ذكر ذلك ابن رجب الحنبلي في كتابه  
 ذيل طبقات الحنابلة ١/١٥٦.

٤ - يعني أنه ما استفاد مما علم، ولم يعلق به شئ من ذلك، وهذا من تواضعه.

٥ - يعني تكبرت واستنكفت عن قبول الحق.

٦ - يعني أن نفسه تضجر وتسخط إذا لم تأت بها الأمور كما تريد.

والله إنني قد بهرني حلمُ هذا الكريم عني؛ كيف يستُرني وأنا أتهتك،  
ويجمعني وأنا أتشتت؟! وغداً يقال: مات الحبر العالم الصالح، ولو عرفوني حق  
معرفتي بنفسي ما دفنوني.

والله لأنادينَّ على نفسي نداء المُكشِّفين معائب الأعداء، ولأنوحنَّ نوح  
الساكنين للأبناء؛ إذ لا نائح لي ينوح علي هذه المصائب المكتومة، والخلال المغطاة  
التي قد سترها مَنْ خَبَرها، وغطَّها من علمها.  
والله ما أجد لنفسي خَلَّةً أستحسن أن أقول متوسلاً بها: اللهم اغفر لي كذا  
بكذا.

والله ما التفتُّ قط إلا وجدت منه -سبحانه- برّاً يكفيني، ووقاية تحميني مع  
تسلط الأعداء، ولا عَرَضَتْ حاجةٌ فمددت يدي إلا قضاها.  
هذا فعله معي وهوربٌ غني عني، وهذا فعلي وأنا عبد فقير إليه!!  
ولا عذر لي فأقول: ما دريتُ، أوسهوتُ، والله لقد خلقتني خلقاً صحيحاً  
سليماً، ونور قلبي بالفطنة، حتى إن الغائباتِ والمكنوناتِ تنكشف لفهمي.  
فواحسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضا، واحرماني لمقامات الرجال  
الفطناء، ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله، وا شماتة العدو بي، وا خيبة من  
أحسن الظن بي إذا شهدت الجوارحُ عليّ، وا خذلاني عند إقامة الحجة.  
سخر -والله- مني الشيطان وأنا الفطِن.

اللهم توبةً خالصةً من هذه الأقدار، ونهضةً صادقةً لتصفية ما بقي من  
الأكدار، وقد جئتكَ بعد الخمسين وأنا من خَلْقِ المتاع، وأبى العلم إلا أن يأخذ

بي إلى معدن الكرم، وليس لي وسيلةٌ إلا التأسف والندم؛ فوالله ما عصيتك جاهلاً بمقدار نعمك، ولا ناسياً لما أسلفت من كرمك؛ فاغفرلي سالف فعلي». ص ٧٣٦-٧٣٩.

٨٣- قلّ أن يجري لأحد آفة إلا ويستحقها؛ غير أن تلك الآفات المجازى بها غائبة عنا، ورأينا الجزاء وحده؛ فسَلِّمْ تَسَلِّمْ، واحذر كلمة اعتراض، أو إضمار؛ فربما أخرجتك من دائرة الإسلام. ص ٧٤٤ - ٧٤٥



## ثالثاً: المنتقى من كتاب

## الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ

ط. دار الكتب العلمية

## تعريف بالكتاب:

هذه رسالة تمثل عصارة تجارب ابن حزم في الحياة، وفي شؤون الناس، وهي -كما يقول د. إحسان عباس-: نوع من المذكرات، والخواطر التي دونت على مر الزمن، وكانت حصيلة التجربة المتدرجة. ولعل أكثرها إنماداً في سن كبيرة؛ لأنها تشير إلى الهدوء، والنضج في محاكمة الناس، والأشياء.

## مختارات من الكتاب:

قال ﷺ:

١- لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله - عز وجل - في دعاء إلى حق، وفي حماية للحريم، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك - تعالى - وفي نصر مظلوم.

وباذل نفسه في عرض دنيا كبائع الياقوت بالحصى. ص ١٦

٢- العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة. ص ١٦

٣- لإبليس في ذم الرياء حباله؛ وذلك أنه رب ممتنع من فعل خير؛ خوف أن

يظن به الرياء. ص ١٦

٤- العقل والراحة هو اطراح المبالاة بكلام الناس، واستعمال المبالاة بكلام

الخالق - عز وجل - بل هذا باب العقل والراحة كلها. ص ١٧

٥- من قدر أن يسلم من طعن الناس وعيبتهم فهو مجنون. ص ١٧

٦- ليس بين الفضائل والرذائل ، ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأنسها فقط؛ فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ، ونفرت نفسه من الرذائل والمعاصي.

والشقي بالعكس من ذلك ، وليس هاهنا إلا صنع الله - تعالى - وحفظه. ص ١٨

٧- إذا نام المرء خرج عن الدنيا ، ونسي كل سرور وكل حزن؛ فلو رتب نفسه في يقظته على ذلك - أيضاً - لسعد السعادة التامة. ص ٢٠

٨- لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلونك ، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً في وجوب طلبه؛ فكيف بسائر فضله في الدنيا والآخرة؟

ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ، ويغبط نظراءه من الجهال - لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه؛ فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة؟ ص ٢١

٩- الباخل بالعلم ألام من الباخل بالمال؛ لأن الباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده ، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة ، ولا يفارقه مع البذل. ص ٢٢

١٠- أجل العلوم ما قربك من خالقك - تعالى - وما أعانك على الوصول إلى رضاه. ص ٢٢

١١- انظر في المال ، والحال ، والصحة إلى من دونك ، وانظر في الدين ، والعلم



والفضائل إلى من فوقك. ص ٢٣

١٢- وقف العقل عند أنه لا ينفع إن لم يؤيد بتوفيق في الدنيا ، أو بسعد في

الدنيا. ص ٢٣

١٣- العلوم الغامضة كالدواء القوي ، يصلح الأجساد القوية ، ويهلك الأجساد الضعيفة ، وكذلك العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودةً ، وتصفيه من كل آفة ، وتهلك ذا العقل الضعيف.

١٤- احرص على أن توصف بسلامة الجانب ، وتَحَفَّظْ من أن توصف بالدهاء؛ فيكثر المتحفظون منك ، حتى ربما أضرك ذلك بك ، وربما قتلك. ص ٢٦

١٥- إذا تكاثرت الهموم سقطت كلها. ص ٢٦

١٦- وطن نفسك على ما تكره - يَقِلَّ همك إذا أتاكَ ، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاكَ ما تحب مما لم تكن قدَّرتَه. ص ٢٦

١٧- طوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها. ص ٢٦

١٨- لا تحقر شيئاً من عمل غدٍ أن تحققه بأن تُعَجِّلَه اليوم وإن قلَّ؛ فإن قليل

الأعمال يجتمع كثيرها ، وربما أعجز أمرها عند ذلك؛ فيبطل الكل. ص ٢٧ - ٢٨

١٩- لا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أن تعجله الآن وإن

قلَّ؛ فإنه يحط عنك كثيراً ، ولو اجتمع لقذف بك في النار. ص ٢٨

٢٠- إنما تأنس النَّفسُ بالنفس؛ فأما الجسد فمستثقل مهرومٌ به ، ودليل ذلك

استعجال المرء بدفن جسد حبيبه بعد أن فارقتَه نفسه ، وأسفه لذهاب النفس ،

وإن كانت الجثة حاضرة بين يديه. ص ٣٠

- ٢١- من استخف بجرمات الله فلا تأمنه على شيء مما تشفق عليه. ص ٢٩
- ٢٢- لم أر لإبليس أصيد ولا أقبح من كلمتين ألقاهما على السنة دعائه :  
إحدهما : اعتذار من أساء بأن فلاناً أساء قبله.
- والثانية : استسهال الإنسان أن يسيء اليوم؛ لأنه قد أساء أمس ، أو أن يسيء في وجه ما؛ لأنه قد أساء في غيره؛ فقد صارت هاتان الكلمتان عذراً مسهلتين للشّر ، ومدخلتين في حد ما يعرف ، ويجمل ، ولا ينكر.
- ٢٣- حد العفة أن تغض بصرك وجميع جوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك؛ فما عدا ذلك فهو عهر ، وما نقص حتى يُمسك عما أحل الله - تعالى - فهو ضعف وعجز. ص ٣٢
- ٢٤- حد العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه ، وحد الجور أن تأخذه ولا تعطيه. ص ٣٢
- ٢٥- حد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعاً ، وتتجافى عن حقك لغيرك قادراً ، وهو فضل - أيضاً -. ص ٣٢
- ٢٦- إهمال ساعة يفسد رياضة سنة. ص ٣٣
- ٢٧- لو علم الناقص نقصه لكان كاملاً. ص ٣٨
- ٢٨- لا يخلو مخلوق من عيب؛ فالسعيد من قلت عيوبه ودقت. ص ٣٨
- ٢٩- استبقاك من عاتبك. ص ٣٩
- ٣٠- لا ترغب فيمن يزهد فيك؛ فتحصل على الخيبة والخزي. ص ٣٩
- ٣١- لا تزهد فيمن يرغب فيك؛ فإنه باب من أبواب الظلم ، وترك مقارضة

الإحسان، وهذا قبيح. ص ٣٩

٣٢- لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، ولكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف. ص ٤١

٣٣- أصول الفضائل كلها أربعة عنها تتركب كل فضيلة، وهي العدل، والفهم، والنجدة، والجود. ص ٥٩

٣٤- أصول الرذائل كلها أربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي الجور، والجهل، والجبن، والشح. ص ٥٩

٣٥- وبالجمللة فكلما نقص العقل توهم صاحبه أنه أوفر الناس عقلاً، وأكمل تمييزاً ص ٧٦

٣٦- العاقل هو من لا يفارق ما أوجبه تمييزه. ص ٧٧

٣٧- من العجائب أن الفضائل مستحسنة ومستثقلة، والرذائل مستقبحة ومستخفة. ص ٨٠

٣٨- من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه؛ فإنه يلوح له وجهه تعسفه. ص ٨٠

٣٩- من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد إذا سمع إنساناً يُغرب في علم ما: هذا شيء بارد لم يُتقدّم إليه، ولا قاله قبله أحد.

فإن سمع من يبين ما قد قاله غيره قال: هذا بارد وقد قيل قبله.

وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها للقعود على طريق العلم، يصدون الناس

عنها؛ ليكثر نظراؤهم من الجهال. ص ٧٧ - ٧٨

٤٠- لا عيب على من مال بطبعه إلى بعض القبائح، ولو أنه أشد العيوب وأعظم الرذائل ما لم يظهره بقول أو فعل، بل يكاد يكون أحمد ممن أعانه طبعه على الفضائل.

ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد إلا عن قوة عقل فاضل. ص ٧٨ - ٧٩

٤١- الثبات الذي هو صحة العقد، والثبات الذي هو اللجاج مشتهان اشتباهاً لا يفرق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق.

والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل، أو ما فعله الفاعل نصراً لما نشب فيه، وقد لاح له فساد، أو لم يلح له صوابه ولا فساد، وهذا مذموم، وضده الإنصاف.

وأما الثبات الذي هو صحة العقد فإنما يكون على الحق، أو على ما اعتقد المرء حقاً ما لم يلح له باطله، وهذا محمود، وضده الاضطراب.

وإنما يلام بعض هذين لأنه ضيع تدبر ما ثبت عليه، وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل. ص ٥٧

٤٢- لا تكلف صديقك إلا مثل ما تبذله له من نفسك؛ فإن طلبت أكثر فأنت ظالم، ولا تكسب إلا على شرط الفقد، ولا تتول إلا على شرط العزل، وإلا فأنت مضرٌ بنفسك خبيث السيرة. ص ٤٤

٤٣- إذا نصحت ففي الخلاء، وبكلام لين، ولا تسند سب من تحدثه إلى غيرك؛ فتكون تماماً؛ فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير، وقد

قال الله - تعالى -: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾ وقال رسول الله ﷺ : «ولا تُنفرا» .

وإذا نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم ، ولعلك مخطئ في وجه نصحك؛ فتكون مطالباً بقبول خطئك ، وبترك الصواب. ص ٤٨

٤٤- لكل شيء فائدة؛ ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل فائدة عظيمة ، وهي أنه توقد طبعي ، واحتدم خاطري ، وحمي فكري وتهيج نشاطي ، فكان ذلك سبباً إلى تواليف عظيمة المنفعة ، ولولا استثارتهم ساكني ، واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف ص ٤٨

٤٥- لا تصاهر إلى صديق ، ولا تبايعه؛ فما رأينا هذين العاملين إلا سبباً للقطيعة - وإن ظن أهل الجهل أن فيهما تأكيداً للصلة- فليس كذلك؛ لأن هذين العقدين داعيان كل واحدٍ منهما إلى طلب حظ نفسه ، والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً؛ فإذا اجتمع طلب كل امرئ حظ نفسه وقعت المنازعة ، ومع وقوعها فساد المروءة ص ٤٨ - ٤٩

٤٦- الطمع أصل لكل ذل ، ولكل هم ، وهو خلق سوء ذميم ، وضده نزاهة النفس. ص ٥٢

٤٧- من امتحن بقرب من يكره كمن امتحن ببعد من يحب ، ولا فرق. ص ٥٣

٤٨- إذا دعا المحبُّ في السلوِّ فإجابته مضمونة ، ودعوته مجابة. ص ٥٣

٤٩- اقتنع بمن عندك يقنع بك من عندك ص ٥٣

٥٠- السعيد في المحبة هو من ابتلى بمن يقدر أن يلقي عليه قفله ، ولا تلحقه في

مواصلته تبعة في الله - عز وجل- ولا ملامة الناس. ص ٥٣

- ٥١- اثنان عظمت راحتهم: أحدهما في غاية المدح ، والآخر في غاية الذم ، وهما مطرّح الدنيا ، ومطرّح الحياء. ص ٦٠
- ٥٢- من عجيب تدبير الله -عز وجل- للعالم أن كل شيء اشتدت الحاجة إليه كان ذلك أهون له ، وتأمل ذلك في الماء فما فوقه .
- وكل ما شيء اشتد الغنى عنه كان ذلك أعزّ له ، وتأمل في الياقوت الأحمر فما دونه. ص ٦١
- ٥٣- الخيانة في الحرّم أشد من الخيانة في الدماء. ص ٧٩
- ٥٤- غاية الخير أن يسلم عدوك من ظلمك ، ومن تركك إياه للظلم. ص ٨٠
- ٥٥- قلما رأيت أمراً أمكن فضيّع إلا فات؛ فلم يمكن بعد. ص ٨١
- ٥٦- كل من غلبت عليه طبيعة فإنه -وإن بلغ الغاية من الحزم والحذر- مصروع إذا كويد من قبلها. ص ٨١
- ٥٧- كثرة الريب تعلمها صاحبها الكذب ، لكثرة ضرورته إلى الاعتذار بالكذب؛ فيضري عليه ، ويستسهله. ص ٨٢
- ٥٨- أعدل الشهود على المطبوع على الصدق: وجهه؛ لظهور الاسترابة عليه إن وقع في كذبة ، أو هم بها.
- وأعدل الشهود على الكذاب لسانه؛ لاضطرابه ، ونقض بعض كلامه بعضاً.
- ص ٨٢
- ٥٩- اللقاء يذهب بالسخائم؛ فكأن نظر العين للعين يصلح القلوب؛ فلا يسؤك لقاء صديقك بعدوك؛ فإن ذلك يفتّر أمره عنده. ص ٨٢

## العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦٦١-٧٨٢

ط. المكتب الإسلامي

- ١- وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته، ودفع ضرورته - قويت عبوديته له، وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه. ص ٥٩
- ٢- فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن؛ فإن من استعبد بدنه، واسترق، وأسر - لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك، مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص.
- وأما إذا كان القلب الذي هو ملك البدن رقيقاً، مستعبداً، مُتيمماً لغير الله - فهذا هو الذل، والأسر المحض، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب. ص ٩٦
- ٣- فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس.
- قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس» رواه الشيخان.

- وهذا - لعمر الله - إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة، أو صبي - فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب. ص ٩٧
- ٤- وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً، وأقلهم ثواباً؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها، مستعبداً لها - اجتمع له من أنواع الشر والفساد

ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى؛ فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب، ويزول أثره من قلبه. وهؤلاء يشبهون بالسكارى، والمجانين كما قيل:

سُكْران: سُكْرُ هَوًى وَسُكْرُ مَدَامَةٍ وَمَتَى إِفَاقَةٌ مِنْ بِهِ سُكْران  
وقيل:

قالوا جنت بمن تهوى فقلت لهم: العشق أعظم مما بالمجانين  
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في حين  
ص ٩٨

٥- ومن أعظم أسباب هذا البلاء - يعني العشق - إغراض القلب عن الله؛ فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قطُّ أحلى من ذلك، ولا ألدُّ، ولا أمتع، ولا أطيب.

والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحسوب آخر يكون أحبَّ إليه منه، أو خوفاً من مكروه؛ فالحب الفاسد إنما ينصرف عن القلب بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر. قال الله - تعالى - في حق يوسف: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤.

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور، والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله.

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله، والإخلاص له بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها؛ فإذا ذاق طعم الإخلاص، وقوي في قلبه انقهر بلا علاج. ص ٩٩

٦- قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾



العنكبوت ٤٥.

فإن الصلاة فيها دفع مكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب، وهو ذكر الله.

وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه؛ فإن ذكر الله عبادة، وعبادة القلب مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر فهو مقصود لغيره على سبيل التبعية. ص ٩٩ - ١٠٠

٧- فجعل - سبحانه - غض البصر، وحفظ الفرج هو أقوى تزكية للنفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش، والظلم، والشرك، والكذب، وغير ذلك. ص ١٠٠ - ١٠١

٨- فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يسر، ولا يلتذ، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه.

ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده، ومحبوه، ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح، والسرور، واللذة، والمتعة، والسكون، والطمأنينة.

وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له؛ فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله؛ فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه، ويطلبه، ويشتهيه، ويريده، ولم يحصل له عبادة ربه - فلن يحصل إلا على الألم، والحسرة، والعذاب، ولن يخلص من آلام الدنيا، ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب له؛ بحيث يكون الله غاية مراده، ونهاية مقصوده. ص ١٣٨

- ٩- وبذلك يصرف الله عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال -تعالى-: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤؛ فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه من محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب السليم أحلى، ولا ألدُّ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله، وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيباً إلى الله، خائفاً منه، راغباً، راغباً. ص ١٣٩ - ١٤٠
- ١٠- وإذا كان العبد مخلصاً له اجتباؤه ربه، فأحيا قلبه، واجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف ضد ذلك.
- بخلاف القلب الذي لم يخلص لله؛ فإنه فيه طلباً، وإرادة، وحباً مطلقاً، فيهوى كل ما يسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مر به عطفه، وأماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة، وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذته هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذمماً.
- وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة، فترضيه الكلمة، وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.
- وتارة يستعبده الدرهم والدينار، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع بغير هدى من الله.
- ومن لم يكن خالصاً لله، عبداً له، قد صار قلبه مُعَبِّداً لربه وحده، لا شريك له بحيث يكون الله أحب إليه مما سواه، ويكون ذليلاً له خاضعاً، وإلا استعبده الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه. ص ١٤٠ - ١٤٢

## خامساً: المنتقى من كتاب

الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

وهو من مجلدين ، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله

١- فإن الله أمر بالعدل في الحكم ، والعدل قد يعرف بالرأي ، وقد يعرف بالنص. ٨/١

٢- النصوص دالة على عامة الفروع الواقعة ، كما يعرفه من يتحرى ذلك ويقصد الإفتاء بموجب الكتاب والسنة ودلالاتها ، وهذا يعرفه من يتأمل ، كمن يفتي في اليوم بمائة فتيا ، أو مائتين ، أو ثلاثمائة ، أو أكثر ، أو أقل ، وأنا قد جربت ذلك. ومن تدبر ذلك رأى أهل النصوص دائماً أقدر على الإفتاء ، وأنفع للمسلمين في ذلك من أهل الرأي المحدث ؛ فإن الذي رأيناه دائماً أن أهل رأي الكوفة من أقل الناس علماً بالفتيا ، وأقلهم منفعة للمسلمين مع كثرة عددهم ، وما لهم من سلطان وكثرة بما يتناولونه من الأموال الوقفية والسلطانية وغير ذلك.

ثم إنهم في الفتوى من أقل الناس منفعة ، قل أن يجيبوا فيها ، وإن أجابوا فقل أن يجيبوا بجواب شافٍ ، وأما كونهم يجيبون بحجة فهم من أبعد الناس عن ذلك. ١٢/١

٣- جميع الرسل أخبرت بيوم القيامة ، خلاف ما تزعم طوائف من الفلاسفة وأهل الكلام : أن المعاد الجسماني لم يخبر به إلا محمد وعيسى ، ونحو ذلك. ١٧/١

٤- كل علم دين لا يطلب من القرآن فهو ضلال ، كفساد كلام الفلاسفة

والتكلمة والمتصوفة والمتفقهة.

وكل عاقل يترك كتاب الله مريداً للعلو في الأرض والفساد فإن الله يقصمه؛ فالضال لم يحصل له المطلوب بل يعذب بالعمل الذي لا فائدة فيه، والجبار حصل لذة فقصمه الله عليها؛ فهذا عذب بإزاء لذاته التي طلبها بالباطل، وذلك يعذب بسعيه الباطل الذي لم يفده. ٢١ / ١

٥- والوسعُ: هو ما تسعه النفس، فلا تضيق عنه، ولا تعجز عنه؛ فالوسع فعل بمعنى مفعول، كالجهد. ٢٧ / ١

٦- وإذا كان كذلك فما عجز الإنسان عن عمله واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأ أو نسياناً - فذلك مغفور له. ٢٨ / ١

٧- والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة؛ فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة، وقد بسطنا هذا كله في غير هذا الموضع. ٤٢ / ١

٨- الفقه: هو معرفة أحكام أفعال العباد سواء كانت تلك المعرفة علماً أو ظناً، أو نحو ذلك. ٥٥ / ١

٩- علم الفرائض من علم الخاصة، حتى إن كثيراً من الفقهاء لا يعرفه. ٥٨ / ١

١٠- والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة. ١٠٠ / ١

١١- وأما حديث السبعين ألفاً، فلم يَصِفْهُمْ بترك سائر التطيب، وإنما وصفهم بترك الاكتواء والاسترقاء، والاكتواء مكروه، وقد نهى عنه في غير هذا الحديث لما

قال: «وأنا أنهى أمتي عن الكي».

والمسترقى لم يفعل شيئاً إلا اعتماداً على الراقي؛ فتوكله على الله - سبحانه وحده لا شريك له - أنفع له من ذلك.

وهذا الجواب الآخر، وهو أن المسترقى يضعف توكله على الله؛ فإنه إنما طلب دعاء الغير ورقيته؛ فاعتماد قلبه على الله وحده، وتوكله عليه أكمل لإيمانه، وأنفع له. ١٥٦/١ - ١٥٧

١٢- أهل السنة في كل مقام أصح نقلاً وعقلاً من غيرهم. ٢٠٥/١

١٣- قال عبدالله بن المبارك: رب رجل في الإسلام له قدم حسن، وآثار صالحة، كانت منه الهفوة والزلة، لا يقتدى به في هفوته وزلته. ٢١٩/١

١٤- قال الشافعي: الشعر كلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيحه. ٢٤٣/١

١٥- ولهذا لما سئل القاسم بن محمد عن الغناء، فقال للسائل: يا ابن أخي أرأيت إذا ميز الله يوم القيامة بين الحق والباطل؛ ففي أيهما يجعل الغناء؟ فقال: في الباطل، قال: فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ٢٧٨/١

١٦- الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. ٣٠٨/١

١٧- فإن الصلاة - كما ذكر الله - تنهى عن الفحشاء والمنكر. وهذا مجرب محسوس يجد الإنسان من نفسه أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويجد أهل هذا السماع - يعني الغناء - أن نفوسهم تميل إلى الفحشاء والمنكر. ٣١٨/١ - ٣١٩

١٨- فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزماً من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعاً. ٣٣٠/١

١٩- بخلاف من أحب المحرمات مؤمناً بأنها من المحرمات؛ فإن من أحب الخمر، والغناء، والبغْي، والمخنث مؤمناً بأن الله يكره ذلك ويبغضه، فإنه لا يحبه محبة محضة، بل عقله وإيمانه يبغض هذا الفعل ويكرهه، ولكن قد غلبه هواه - فهذا قد يرحمه الله: إما بتوبة إذا قوي ما في إيمانه من بغض ذلك وكراهته حتى دفع حب الهوى، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك. ٣٤٨/١

٢٠- فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والحطب. ٣٦١/١

٢١- وهذا الحسن والجمال الذي يكون عن الأعمال الصالحة في القلب يسري إلى الوجه.

والقبح والشين الذي يكون عن الأعمال الفاسدة في القلب يسري إلى الوجه كما تقدم.

ثم إن ذلك يقوى بقوة الأعمال الصالحة والأعمال الفاسدة؛ فكلما كثر البر والتقوى قوي الحسن والجمال، وكلما قوي الإثم والعدوان قوي القبح والشين، حتى ينسخ ذلك ما كان للصورة من حسن وقبح؛ فكم ممن لم تكن صورته حسنة، ولكن من الأعمال الصالحة ما عظم به جماله وبهاؤه حتى ظهر ذلك على صورته؛ ولهذا يظهر ذلك ظهوراً بيّناً عند الإصرار على القبائح في آخر العمر عند قرب الموت؛ فنرى وجوه أهل السنة والطاعة كلما كبروا ازداد حسنهم وبهاؤها، حتى يكون أحدهم في كبره أحسن وأجمل منه في صغره.

ونجد وجوه أهل البدعة والمعصية كلما كبروا عظم قبحها وشينها، حتى لا يستطيع النظر إليها من كان منبهرًا بها في حال الصغر، لجمال صورتها. ٣٦٥/١

٢٢- وشهوات الغي مُسْتَكَنَّةٌ في النفوس، فإذا حصلت القدرة قامت المحنة، فإما شقي وإما سعيد، ويتوب الله على من تاب؛ فأهل الامتحان إما أن يرتفعوا، وإما أن ينخفضوا. ٣٧٣/١

٢٣- وأما الجمال الخاص فهو -سبحانه- جميل يحب الجمال، والجمال الذي لِلْخُلُقِ من العلم، والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي لِلْخُلُقِ وهو الصورة الظاهرة.

وكذلك الجميل من اللباس الظاهر؛ فلباس التقوى أعظم وأكمل، وهو يحب الجمال الذي للباس التقوى أعظم مما يحب الجمال الذي للباس الرياش، ويحب الجمال الذي لِلْخُلُقِ أعظم مما يحب الجمال الذي لِلْخُلُقِ. ٤٤١/١ - ٤٤٢

٢٤- وكذلك الصور الجميلة من الرجال أو النساء؛ فإن أحدهم إذا كان خلقه سيئاً بأن يكون فاجراً، أو كافراً معلناً، أو منافقاً - كان البغض، والمقت لِلْخُلُقِ، ودينه مستعلياً على ما فيه من الجمال، كما قال -تعالى- عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ المنافقون ٤.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ البقرة ٢٠٤.

فهؤلاء إنما أعجبه صورهم الظاهرة للبصر، وأقوالهم الظاهرة للسمع؛ لما فيه من الأمر المعجب.

لكن لما كانت حقائق أخلاقهم التي هي أَمَلُكُ بهم مشتملة على ما هو من

- أبغض الأشياء ، وأمقتها إليه - لم ينفعهم حسن الصورة والكلام. ٤٤٥/١
- ٢٥- فالذي يورثه العشق من نقص العقل ، والعلم ، وفساد الدين والخلق ، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا - أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود. وأصدق شاهد على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم ، وسماع أخبار الناس في ذلك؛ فهو يغني عن معاينة ذلك وتجربته.
- ومن جرب ذلك ، أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية؛ فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته. ٤٥٩/١
- ٢٦- التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات ، ولهذا لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة.
- والردة هي جماع الرجوع من الحسنات إلى السيئات ، ولهذا لا يحبط جميع الحسنات إلا الردة عن الإيمان. ٤٦٣/١
- ٢٧- فأعظم المراتب ذكر الله بالقلب واللسان ، ثم ذكر الله بالقلب ، ثم ذكر الله باللسان. ١٧/٢
- ٢٨- فبعض الواجب خير من تركه كله. ٢٧/٢
- ٢٩- وكم ممن يتشوف إلى الدرجات العالية التي لا يقدر أن يقوم بحقوقها؛ فيكون وصوله إليها وبالاً في حقه.
- وهذا في أمر الدنيا ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ التوبة ٥٥/٢
- ٣٠- وغالب من يتعرض للمحن والابتلاء ليرتفع بها ينخفض بها؛ لعدم ثباته



في المحن ، بخلاف من ابتلاه الحق ابتداءً ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ آل عمران : ١٤٣ .  
وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف .

وقال النبي ﷺ : « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » .  
وقال : « إذا سمعتم بالطاعون ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منها » . ٥٦/٢

٣١- والغلط مع حسن القصد وسلامته ، وصلاح الرجل وفضله ودينه ، وزهده وورعه وكراماته - كثير جداً؛ فليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً من الخطأ والغلط ، بل ولا من الذنوب . ٩٣/٢

٣٢- النفس لها أهواء وشهوات تلتذ بنيلها وإدراكها ، والعقل والعلم بما في تلك الأفعال من المضرة في الدنيا والآخرة يمنعها عن ذلك ، فإذا زال العقل الحافظ انبسطت النفس في أهوائها . ١٤٤/٢

٣٣- فاعلم أن اللذة ، والسرور أمر مطلوب ، بل هو مقصود كل حي . ١٤٨/٢  
٣٤- وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي إنما تذم إذا أعقبت ألماً أعظم منها ، أو منعت لذة خيراً منها ، وتحمد إذا أعانت على اللذة المستقرة ، وهو نعيم الآخرة ، التي هي دائمة عظيمة . ١٥١/٢

٣٥- ليس كل الخلق مأمورين بالكمال ، ولا يمكن ذلك فيهم ، فإذا فعلوا ما به

- يدخلون الجنة لم يحرم عليهم مالا يمنعهم من دخولها.
- وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع».
- هذا مع العلم بأن الجنة يدخلها كثير من النساء والرجال أكثر من الذين كملوا من الطائفتين. ١٥٦/٢ - ١٥٧
- ٣٦- ومن العلم ما يضر بعض النفوس؛ لاستعانتها به على أغراضها الفاسدة، فيكون بمنزلة السلاح للمحارب، والمال للفاجر. ١٦٠/٢
- ٣٧- من الناس من لو جنَّ لكان خيراً له، فإنه يرتفع عنه التكليف، وبالعقل يقع في الكفر والفسوق والعصيان. ١٦١/٢
- ٣٨- وأما الكفار فزوال عقل الكافر خير له وللمسلمين، أما له فلا لأنه لا يصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة، بل يصدّه عن الكفر والفسق، وأما للمسلمين فلا أن السكر يوقع بينهم العداوة والبغضاء؛ فيكون ذلك خيراً للمؤمنين.
- وليس هذا إباحة للخمر والسكر، ولكنه دفع لشر الشرين بأدناهما؛ ولهذا كنت أمر أصحابنا ألا يمتنعوا الخمر عن أعداء المسلمين من التتار والكرج ونحوهم، وأقول: إذا شربوا لم يصدّهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة، بل عن الكفر والفساد في الأرض، ثم إنه يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وذلك مصلحة للمسلمين، فصَحُّوْهُمْ شرٌّ من سكرهم، فلا خير في إعانتهم على الصحو، بل قد يستحب -أو يجب- دفع شر هؤلاء بما يمكن من سكر وغيره. ١٦٥/٢ - ١٦٦
- ٣٩- فإن الذنوب التي يتلى بها العباد يسقط عنهم عذابها إما بتوبة تجب ما قبلها، وإما باستغفار، وإما بحسنات يذهبن السيئات، وإما بدعاء المسلمين

وشفاعتهم، أو بما يفعلونه له من البر، وإما بشفاعته النبي ﷺ وغيره فيه يوم القيامة، وإما أن يكفر الله خطاياهم بما يصيبه من المصائب، فقد تواتر عن النبي ﷺ أن ما يصيب المسلم من أذى شوكة فما فوقها، إلا حط الله بها خطاياهم كما تحط الشجرة اليابسة ورقها. ١٨٤/٢ - ١٨٥

٤٠- وأصناف الحسنات التي تُكفّر بها السيئات كثيرة أكثر من السيئات، من أنواع البر جميعها، كما جاء ذلك في الأحاديث النبوية المطابقة لكتاب الله - تعالى - ١٨٥/٢.

٤١- فإن الفقيه كل الفقيه لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجزؤهم على معاصي الله، واستحلال المحرمات كفر، واليأس من رحمة الله كفر. ١٩٠/٢

٤٢- ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات، كما يقابل الطبيب المرض بضده، فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه، وذلك بشيئين: بفعل الحسنات، وبترك السيئات، مع وجود ما ينفي الحسنات، ويقتضي السيئات وهذه أربعة أنواع.

ويؤمر أيضاً بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه، قال - تعالى -: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ العصر: ١-٣ ٢٥٩/٢

٤٣- وإذا عظمت المحنة كان ذلك للمؤمن الصالح سبباً لعلو الدرجة، وعظيم الأجر. ٢٦٠/٢

٤٤- فلا بد من الصبر على فعل الحسن المأمور، وترك السيئ المحذور،

ويدخل في ذلك الصبر على الأذى وعلى ما يقال، والصبر على ما يصيبه من المكاره، والصبر على البطر عند النعم، وغير ذلك من أنواع الصبر. ٢٦١/٢

٤٥- ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن له ويتنعم به، ويغتذي به، وهو اليقين. ٢٦١/٢

٤٦- ولهذا يقرن الله -تعالى- بين الصلاة والزكاة تارة، وهي الإحسان إلى الخلق، وبينها وبين الصبر تارة.

ولا بد من الثلاثة الصلاة، والزكاة، والصبر؛ لاتقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم، لاسيما كلما قويت الفتنة والمحنة؛ فإن الحاجة إلى ذلك تكون أشد، فالحاجة إلى السماحة والصبر عامة لجميع بني آدم، لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا بهما. ٢٦٢/٢ - ٢٦٣

٤٧- ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم بين الله -سبحانه- أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإفناق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) التوبة. ٢٦٩/٢

٤٨- وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضل الله السابقين فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴿الحديد: ١٠. ٢٧٠/٢

٤٩- وملاك الشجاعة الصبر الذي يتضمن قوة القلب وثباته ولهذا قال - تعالى -: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ٢٤٩. وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾ الأنفال.

والشجاعة ليست هي قوة البدن؛ فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن، وصنعتة للقتال، وعلى قوة القلب، وخبرته به.

والحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين الحمود والمذموم؛ ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح.

فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد. ٢٧٠/٢ - ٢٧١  
٥٠- ولهذا كان الناس أربعة أصناف: من يعمل لله بشجاعة وبسماحة، فهؤلاء هم المؤمنون المستحقون للجنة.

ومن يعمل لغير الله بشجاعة وسماحة، فهذا ينتفع بذلك في الدنيا، وليس له في الآخرة من خلاق.

ومن يعمل لله لكن بلا شجاعة ولا سماحة، فهذا فيه من النفاق ونقص الإيمان بقدر ذلك.

ومن لا يعمل لله ولا فيه شجاعة ولا سماحة فهذا ليس له دنيا ولا آخرة.



جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله

تحقيق د. محمد رشاد سالم ويتكون من مجلدين

١- ثم أخبر عنهم -أي عن الأبرار في سورة الإنسان- بإطعام الطعام على محبتهم له ، وذلك يدل على نفاسته عندهم ، وحاجتهم إليه .  
وما كان كذلك فالنفوس به أشح ، والقلوب به أعلق ، واليد له أمسك؛ فإذا بذلوه في هذه الحال فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل. ٧٢/١

٢- ولما كان لا سبيل إلى الصبر إلا بتعويض القلب بشيء هو أحب إليه من فوات ما يصبر على فوته - أمره بأن يذكر ربه - سبحانه - بكرة وأصيلاً؛ فإن ذكره أعظم العون على تحمل مشاق الصبر، وأن يصبر لربه بالليل؛ فيكون قيامه بالليل عوناً على ما هو بصده بالنهار، ومادة لقوته ظاهراً وباطناً، ولنعيمه عاجلاً وآجلاً. ٧٥/١

٣- والعبد هو فقير دائماً إلى الله من كل وجه؛ من جهة أنه معبوده، وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته.  
وهو مذنب -أيضاً- لا بد له من الذنوب؛ فهو دائماً فقير مذنب؛ فيحتاج دائماً إلى الغفور الرحيم؛ الغفور الذي يغفر ذنوبه، والرحيم الذي يرحمه، فينعم عليه، ويحسن إليه؛ فهو دائماً بين إنعام الرب، وذنوب نفسه. ١١٦/١

٤- والمحبة المحموده هي النافعة، وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة.

- والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره ، وهو الشقاء. ٢٠٢/٢
- ٥- ففي قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه ، ويعبدونه ، وذلك هو قوام قلوبهم ، وصلاح نفوسهم ، كما أن فيهم محبة لما يطعمونه ، وينكحونه ، وبذلك تصلح حياتهم ، ويدوم شملهم.
- وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فُقد يفسد الجسم ، ويفقد التأله تفسد النفس. ٢٤٢/٢
- ٦- قيل : إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القدر الواجب؛ فإذا أفرط كان مذموماً فاسداً مفسداً للقلب والجسم كما قال -تعالى-: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ الأحزاب ٣٢.
- فمن صار مُفْرِطاً صار مريضاً كالإفراط في الغضب ، والإفراط في الفرح ، وفي الحزن. ٢٤٠/٢
- ٧- وقيل : إن العشق هو فساد الإدراك ، والتخيل ، والمعرفة؛ فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق ، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق وإن حصل له محبة وعلاقة. ٢٤٣/٢
- ٨- ولهذا لا يتلى بالعشق إلا من فيه نوع شرك في الدين ، وضعف إخلاص لله. ٢٦٦/٢
- ٩- ولهذا تجد القوم الظالمين من أعظم الناس فجوراً ، وفساداً ، وطلباً لما يُروِّحون به أنفسهم من مسموع ، ومنظور ، ومشموم ، ومأكول ، ومشروب.
- ومع هذا فلا تطمئن قلوبهم بشيء من ذلك.



هذا فيما ينالونه من اللذة، وأما ما يخافونه من الأعداء فهم أعظم الناس خوفاً، ولا عيشة لخائف.

وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم، لا يزال في أسف على ما فاتته، وعلى ما أصابه.

وأما المؤمن فهو -مع قدرته- له من الإرادة الصالحة، والعلوم النافعة ما يوجب طمأنينة قلبه، وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة، وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه.

وهو مع عجزه -أيضاً- له من أنواع الإرادات الصالحة، والعلوم النافعة التي يتنعم بها -ما لا يمكن وصفه. ٣٦٢/٢ - ٣٦٣

١٠- وكل هذا محسوس مجرب، وإنما يقع غلط أكثر الناس أنه قد أحس بظاهر من لذات أهل الفجور، وذاقها، ولم يذق لذات أهل البر، ولم يخبرها. ٢٦٣/٢

١١- فالذين يقتصدون في المأكّل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها؛ فإن أولئك إذا أدموها وألفوها لا يبقى لهذا عندهم كبير لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر أمراضهم بسببها. ٢٤٠/٢



الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله ٦٩١-٧٥١

ط. دار الكتاب العربي، تحقيق محمد عثمان الخشت

- ١- للبعد ستر بينه وبين الله ، وستر بينه وبين الناس ؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس .
- ٢- للبعد ربُّ هو ملاقيه ، ويبت هو ساكنه ؛ فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه .
- ٣- إضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يُقطعك عن الدنيا وأهلها .
- ٤- الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة ؛ فكيف بغم العمر ؟!
- ٥- محبوب اليوم يعقب المكروه غداً ، ومكروه اليوم يعقب الراحة غداً .
- ٦- أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها ، وأنفع لها في معادها .
- ٧- كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بشهوة ساعة ؟
- ٨- يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين : بكائه على نفسه ، وثنائه على ربه .
- ٩- المخلوق إذا خفته استوحشت منه ، وهربت منه ، والرب - تعالى - إذا خفته أنست به ، وقربت إليه .
- ١٠- لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله - سبحانه - أحبار أهل الكتاب ، ولو نفع

العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

- ١١- دافع الخطرة؛ فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة؛ فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة؛ فيصعب عليك الانتقال عنها.
- ١٢- مَنْ عَظُمَ وقار الله في قلبه أن يعصيه - وقره الله في قلوب الخلق أن يذلوله.
- ١٣- مثال تولد الطاعة، ونموها، وتزايدها - كمثال نواة غرسها، فصارت شجرة، ثم أثرت، فأكلت ثمرها، وغرست نواها؛ فكلما أثمر منها شيء جنيت ثمره، وغرست نواه.
- وكذلك تداعي المعاصي؛ فليتدبر اللبيب هذا المثل؛ فمن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها.
- ١٤- ليس العجب من مملوك يتذلل لله، ولا يمل خدمته مع حاجته وفقره؛ فذلك هو الأصل.
- إنما العجب من مالك يتحجب إلى مملوكه بصنوف إنعامه، ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه.
- ١٥- إياك والمعاصي؛ فإنها أذلت عزَّ ﴿ اسجدوا ﴾ وأخرجت إقطاع ﴿ اسكن ﴾.
- ١٦- الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل.
- ١٧- لو خرج عقلك من سلطان هواك عادت الدولة له.
- ١٨- إذا عرضت نظرة لا تحل فاعلم أنها مسعر حرب؛ فاستتر منها بحجاب ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقد سلمت من الأثر، وكفى الله المؤمنين القتال.
- ١٩- اشتر نفسك؛ فالسوق قائمة، والثلث موجود.

- ٢٠- لا بد من سِنَّةِ الغفلة ، ورُقَادِ الهوى ، ولكن كن خفيفَ النوم .
- ٢١- اخرج بالعزم من هذا الفناء الضيق ، المحشوّ بالآفات إلى الفناء الرحب ، الذي فيه ما لا عين رأت ؛ فهناك لا يتعذر مطلوب ، ولا يفقد محبوب .
- ٢٢- قيل لبعض العباد : إلى كم تتعب نفسك ؟ قال : راحتها أريد .
- ٢٣- القواطع محنٌ يتبين بها الصادق من الكاذب ؛ فإذا خضتها انقلبت أعواناً لك ، توصلك إلى المقصود .
- ٢٤- الدنيا كامرأةٌ بغيةٌ لا تثبت مع زوج ، وإنما تخطب الأزواج ؛ ليستحسنوا عليها ؛ فلا ترضَ بالديانة .
- ٢٥- من أعجب الأشياء أن تعرفه ، ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيةً ثم تتأخر عن الإجابة ، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له ، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشاق إلى انشراح الصدر بذكره و مناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ، ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه ، والإنابة إليه .
- ٢٦- و أعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه ، وأنتك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض ، وفيما يبعدك عنه راغب .
- ٢٧- لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه ، وتملك الشيطان ، وقياده النفوس ، ورأوا الدولة للنفس الأمارّة - لجئوا إلى حصن التعرض ، والالتجاء كما يلتجأ

العبد المذعور إلى حرم سيده.

٢٨- اشتر نفسك اليوم؛ فإن السوق قائمة، والثلث موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيه إلى قليل، ولا كثير ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾.

٢٩- العمل بغير إخلاص، ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله، ولا ينفعه.

٣٠- إذا حملت على القلب هموم الدنيا وأثقالها، وتهاونت بأوراده التي هي قوته وحياته كنت كالمسافر الذي يحمل دابته فوق طاقتها، ولا يوفيهها علفها؛ فما أسرع ما تقف به.

٣١- من تلمح حلاوة العافية هانت عليه مرارة الصبر.

٣٢- ألفت عجز العادة؛ فلو علت بك همتك ربا المعالي لاحت لك أنوار العزائم.

٣٣- في الطبع شرٌّ، والحمية أوفق.

٣٤- البخيل فقير لا يؤجر على فقره.

٣٥- الصبر على عطش الضر، ولا الشرب من شرعة من.

٣٦- لا تسأل سوى مولاك؛ فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه.

٣٧- غرس الخلوة يثمر الأنس.

٣٨- استوحش ممالا يدوم معك، واستأنس بمن لا يفارقك.

٣٩- إذا خرجت من عدوك لفظة سفه فلا تلحقها بمثلها تلحقها، ونسل

الخصام مذموم.

- ٤٠- أوثق غضبك بسلسلة الحلم؛ فإنه كلب إن أفلت أتلّف.
- ٤١- يا مستفتحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى! كيف توسع طريق الخطايا، وتشكو ضيق الرزق؟
- ٤٢- لو وقفت عند مراد التقوى لم يفتك مراد.
- ٤٣- المعاصي سد في باب الكسب ، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه.
- ٤٤- من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل ، وبأي شغل يشغله.
- ٤٥- الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها؛ فكيف تعدو خلفها.
- ٤٦- الدنيا جيفة ، والأسد لا يقف على الجيف.
- ٤٧- ودع ابن عون رجلاً فقال : عليك بتقوى الله؛ فإن المتقي ليس عليه وحشه.
- ٤٨- قال زيد بن أسلم: كان يقال : من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا.
- ٤٩- قال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفأك الناس ، وإن اتقيت الناس فلن يغنوا عنك من الله شيئاً.
- ٥٠- قال سليمان بن داود: أوتينا مما أوتي الناس ، ومما لم يؤتوا ، وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا؛ فلم نجد شيئاً أفضل من تقوى الله في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى.
- ٥١- جمع النبي ﷺ بين تقوى الله ، وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه ، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجب له محبة الله ، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

- ٥٢- من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس.
- ٥٣- من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه.
- ٥٤- أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه ، بل أخسر منه من اشتغل بالناس عن نفسه.
- ٥٥- ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، والبعد عن الله.
- ٥٦- خلقت النار؛ لإذابة القلوب القاسية.
- ٥٧- أبعد القلوب عن الله القلب القاسي.
- ٥٨- إذا قسا القلب قحطت العين.
- ٥٩- قسوة القلب من أربعة أشياء ، إذا تجاوزت قد الحاجة: الأكل ، والنوم ، والكلام ، والمخالطة.
- ٦٠- كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب - فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ.
- ٦١- من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.
- ٦٢- القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها.
- ٦٣- القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبه إليه أرقها ، وأصلبها ، وأصفها.
- ٦٤- خرابُ القلب من الأمن والغفلة ، وعمارته من الخشية والذكر.
- ٦٥- من وطن قلبه عند ربه سكن واستراح ، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق.
- ٦٦- القلب يمرض كما يمرض البدن ، وشفاءه في التوبة والحمية ، ويصداً كما تصدأ المرأة ، وجلأؤه بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسم ، وزينته التقوى ، ويجوع



ويظماً كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة، والتوكل، والمحبة، والإنابة.  
 ٦٧- للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية؛  
 فالسافلة دنيا تتزين له، ونفس تحدته، وعدوٌ يوسوس له؛ فهذه مواطن الأرواح  
 السافلة التي لا تزال تجول فيها.  
 والثلاثة العالية علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبد، والقلوب جواله في  
 هذه المواطن.

٦٨- إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح  
 أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله.  
 ٦٩- الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة؛ فإنها إما أن  
 توجب ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما تضيع وقتاً إضاعته  
 حسرةٌ وندامة، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب  
 مالاً بقاءه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه،  
 وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألد وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تطرق لوضع  
 إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب همماً، وغماً، وحرزاً،  
 وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسي علماً ذكره ألد من نيل الشهوة، وإما  
 أن تشمت عدواً، أو تحزن ولياً، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن  
 تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول؛ فإن الأعمال تورث الصفات، والأخلاق.

٧٠- للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين  
 يديه يوم لقائه؛ فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن  
 استهان بهذا الموقف، ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف، قال -تعالى-:  
 ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ  
 وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾.



## ثامناً: المنتقى من كتاب

إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان للإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله

تحقيق وتعليق مجدي فتحي السيد

١- وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره. ص ١١

٢- فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل لقد خلصت عبوديته لله - تعالى - ص ١١

٣- القلب الميت: هو الذي لا حياة فيه، بل هو لا يعرف ربه، ولا يعبد به بأمره وما يحبه ويرضاه.

بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه؛ فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضي ربه أم سخط. ص ١٢

٤- القلب المريض: قلب له حياة، وبه علة؛ فله مادتان: تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما. ص ١٣

٥- فالقلب الأول حيٌّ محبٌّ لئِنَّ واعٍ، والثاني يابس ميت، والثالث مريض؛ فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى. ص ١٣

٦- الفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات؛ فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل؛ فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. ص ١٥

- ٧- فأهل الإيمان لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه ، وأهل الضلال لهم ضيق الصدر والحرج. ص ٢٧
- ٨- حياة القلب وإضاءته مادةٌ كل خير فيه ، وموته وظلمته مادة كل شر فيه. ص ٢٧
- ٩- فليس في الكائنات شيء غير الله - عز وجل - يسكن القلب إليه ، ويطمئن به ، ويأنس به ، ويتنعم بالتوجه إليه. ص ٣٥
- ١٠- فقر العبد إلى أن يعبد الله - سبحانه - وحده لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به ، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الغذاء والشراب والنفس؛ فيقاس بها ، لكن بينهما فروق كثيرة. ص ٣٥
- ١١- وليس المقصودُ بالعبادات والأوامر المشقة والكلفة بالقصد الأول ، وإن وقع ذلك ضمناً وتبعاً في بعضها؛ لأسباب اقتضته لا بد منها ، وهي لوازم هذه النشأة.
- فأوامره - سبحانه - وحقه الذي أوجبه على عباده ، وشرائعه التي شرعها لهم - هي قرة العيون ، ولذة القلوب ، ونعيم الأرواح ، وسرورها ، وبها شفاؤها ، وسعادتها ، وفلاحها ، وكمالها في معاشها ، ومعادها.
- بل لا سرور لها ، ولا لذة ، ولا نعيم في الحقيقة إلا بذلك كما قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . ص ٣٦

١٢- فالمخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول، بل إنما يقصد انتفاعه بك. والرب - تعالى - إنما يريد نفعك لا انتفاعه بك، وذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة.

بخلاف إرادة المخلوق نفعك؛ فإنه يكون فيه مضرة عليك، ولو بتحمل منته. فتدبر هذا؛ فإن ملاحظته تمنعك من أن ترجو المخلوق، أو تعامله دون الله - عز وجل - أو تطلب منه نفعاً، أو دفعاً، أو تعلق قلبك به. ص ٤٧

١٣- فالقلب الطاهر؛ لكمال حياته ونوره، وتخلصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله - تعالى - فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة؛ فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح. ص ٦٣

١٤- وسألت شيخ الإسلام - يعني ابن تيمية - عن معنى دعاء النبي ﷺ : « اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ».

كيف يطهر الخطايا بذلك؟ وما فائدة التخصيص بذلك؟ وقوله في لفظ آخر «والماء البارد» والحر أبلغ في الإنقاء؟

فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة، ونجاسة، وضعفاً؛ فيرتخي القلب، وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه؛ فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها؛ ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث، ويطفىئ النار، فإن كان بارداً أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه

ثلج وبرد كان أقوى في التبريد، وصلابة الجسم وشدته؛ فكان أذهب لأثر الخطايا.

هذا معنى كلامه، وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح. ص ٦٤

١٥- وقريب من هذا أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك».

وفي هذا من السر- والله أعلم - أن النجوة يثقل البدن، ويؤذيه باحتباسه، والذنوب تثقل القلب، وتؤذيه باحتباسها فيه؛ فهما مؤذيان مضران بالبدن والقلب؛ فحمد الله عند خروجه على خلاصه من هذا المؤذي لبدنه، وخفة البدن وراحته، وسأل أن يخلصه من المؤذي الآخر، ويريح قلبه منه ويخففه.

وأسرار كلماته، وأدعيته ﷺ فوق ما يخطر بالبال. ص ٦٦

١٦- فالأعيان النجسة إما أن تؤذي البدن أو القلب، أو تؤذيهما معاً.

والنجس قد يؤذي برائحته، وقد يؤذي بملاسته، وإن لم تكن له رائحة كريهة. والمقصود أن النجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، وتارة تكون معنوية باطنة، فيغلب على الروح والقلب الخبث والنجاسة، حتى إن صاحب القلب الحي ليشم من تلك الروح والقلب رائحة خبيثة يتأذى بها، كما يتأذى من شم رائحة النتن، ويظهر ذلك كثيراً في عرقه، حتى ليوجد لرائحة عرقه نتناً؛ فإن نتن الروح والقلب يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره.

والعرق يفيض من الباطن؛ ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق، وكان رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - أطيب الناس عرقاً.

قالت أم سليم وقد سألتها رسول الله - عليه الصلاة والسلام - عنه وهي تلتقطه: «هو من أطيب الطيب».

فالنفس النجسة الخبيثة يقوى خبثها ونجاستها حتى يبدو على الجسد.  
والنفس الطيبة بضدها؛ فإذا تجردت، وخرجت من البدن وجد لهذه كأطيب  
نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، وتلك كأنتن ريح جيفة وجدت على  
وجه الأرض. ص ٦٧

١٧- فلا تجد مشركاً قط إلا وهو متنقص لله - سبحانه - وإن زعم أنه يعظمه  
بذلك.

كما أنك لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول - صلى الله تعالى عليه وآله  
وسلم - وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة؛ فإنه يزعم أنها خير من السنة،  
وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان  
مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله. ص ٦٩

١٨- فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقدته إذا استشعر  
قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء  
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فتفرّد العبد في طريق طلبه دليل على صدق  
الطلب. ص ٧٦

١٩- فالنفس إذا سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتأقت إلى  
لقاءه، وأنست بقربه؛ فهي مطمئنة، وهي التي يقال لها عند الوفاة: ﴿يَا أَيَّتُهَا  
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. ص ٨٤  
٢٠- والنفس قد تكون تارة أمارة، وتارة لوامة، وتارة مطمئنة.

بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل منها هذا وهذا، والحكم للغالب

عليها من أحوالها؛ فكونها مطمئنةً وصفٌ مدح لها، وكونها أمارَةً بالسوء وصفٌ ذمٌ لها، وكونها لوامةً ينقسم إلى المدح والذم بحسب ما تلوم عليه. ص ٨٦

٢١- ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة معرفة أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليها الحساب غداً. ص ٨٩

٢٢- فكل نفسٍ من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد؛ فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه - خسران مبین، لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس، وأحمقهم وأقلهم عقلاً. ص ٨٩

٢٣- وذكر ابن أبي الدنيا عن الخلد بن أيوب قال: «كان راهب في بني إسرائيل في صومعة منذ ستين سنة؛ فأتى في منامه، فقيل له: إن فلاناً الإسكافي خير منك - ليلة بعد ليلة - فأتى الإسكافي، فسأله عن عمله فقال: إني رجل لا يكاد يمر بي أحد إلا ظننت أنه في الجنة وأنا في النار؛ ففضل على الراهب بإزارته على نفسه». ص ٩٥

٢٤- فالنفس داعية إلى المهالك، معينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء، فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة. ص ٩٥

٢٥- ومن كيده - أي الشيطان - للإنسان: أنه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعة، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل، ويدل عليه، ويفضحه. ص ١١٧



٢٦- ومن كيده العجيب: أنه يُشَامُّ النَّفْسَ، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟ فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تشييطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهوّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه، ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام، وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول، ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: «ما أمر الله - تعالى - بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر». ص ١٢٤

٢٧- فالفتنة قسمت الناس، إلى صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيب وخبيث؛ فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها. ص ٥٣٢

٢٨- فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه وما يراه، ويشاهده، مما يعجز صبره عنه.

ويتفق مع ذلك ضعفُ الإيمان واليقين، وضعفُ القلب، ومرارةُ الصبر، وذوقُ حلاوةِ العاجل، وميلُ النفسِ إلى زهرة الحياة الدنيا، وكونُ العوضِ مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ؛ فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طُلب منه الإيمانُ به:

فوالله لو لا الله يسعد عبده	بتوفيقيه والله بالعبد أرحم
لما ثبت الإيمان يوماً بقلبه	على هذه العلات والأمر أعظم

ولا طاوعته النفس في ترك شهوة      مخافة نار جمرها يتضرم  
ولا خاف يوماً من مقام إلهه      عليه بحكم القسط إذ ليس يظلم

ص ٥٣٣-٥٣٤

٢٩- وقد جاء في حديث مرسل: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات». فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة، والله المستعان. ص ٥٣٧

٣٠- إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين مطلوبتين، بهما سعادته وفلاحه وكمالهما، وهما الهدى، والرحمة. ص ٥٣٧

٣١- وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وسع ربنا كل شيء رحمةً وعلماً؛ فوسعت رحمته كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً؛ فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه.

والعبد لجهله بمصالح نفسه وظلمه لها يسعى فيما يضرها ويؤلمها، وينقص حظها من كرامته وثوابه، ويبعدها من قربها، وهو يظن أنه ينفعها ويكرمها، وهذا غاية الجهل والظلم، والإنسان ظلوم جهول. ص ٥٤٣

٣٢- وكان سقراط يقول: إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات.

وقال: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم؛ فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

## الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين

طبعة دار الاعتصام وهو محاضرة ألقاها المؤلف مساء يوم السبت ١٣٢٤/٤/١٧ هـ  
وهو يومئذ القاضي بمدينة بنزرت بتونس.

### نبذة في سيرة المؤلف:

ولد رحمته الله في بلدة نفطة بتونس عام ١٢٩٣ هـ من أسرة علم وصلاح، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتقل مع والده إلى العاصمة تونس، والتحق بطلاب العلم بجامعة الزيتونة؛ وحصل على الشهادة العالية في العلوم الدينية والعربية. أوتي بياناً ساحراً، وقلماً سيالاً، قلما يوجد له نظير في العصور المتأخرة، بل إنه يضارع أرباب البيان الأوائل. وكان هادئ الطبع، حسن المعشر، لين العريكة، جم التواضع، وكان متفنناً في علوم الشريعة واللغة. أصدر مجلة السعادة العظمى عام ١٣٢١، وتولى القضاء في مدينة بنزرت، ولم يرفقه ميدان القضاء، فتركه إلى التدريس في جامعة الزيتونة. حكم عليه الاستعمار الفرنسي بالإعدام، فهاجر إلى دمشق، ثم إلى مصر، وانضم إلى علماء الأزهر، وأخيراً عام ١٩٥٢ عيّن إماماً لمشيخة الأزهر، فقام به خير قيام، وهو آخر عالم تولى الأزهر بترشيح العلماء. توفي عام ١٣٧٧ هـ ودفن بالمقبرة التيمورية.

خلف آثاراً كثيرة منها: رسائل الإصلاح، ومحاضرات إسلامية، ونقض كتاب الشعر الجاهلي، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم وغير ذلك.

وله ديوان شعر اسمه (خواطر الحياة) وله كتاب (الحرية في الإسلام) وهو الكتاب الذي بين أيدينا نقول منه.

وقد كتبه مبيناً مفهوم الحرية الحق، موضحاً قسوة الاستبداد خصوصاً في وقته حيث كان الاستعمار محكماً قبضته على كثير من البلدان العربية الإسلامية.

ولا تكاد تظفر بكتاب مثله في هذا الباب من جهة قوة التحرير، وشدة الأسر، وجزالة الأسلوب.

هذه نبذة عن سيرته، وتفصيل سيرته موجود في الكتب التي ترجمت له، ومنها كتاب:

#### (الصدقة بين العلماء) لكاتب هذه الأوراق

#### نقولات من كتاب الحرية في الإسلام:

- ١- وإذا علمت نفس طاب عنصرها، وشرف وجدانها أن مطمح الهمم إنما هي غاية، وحياة وراء حياتها الطبيعية - لم تقف بسعيها عند حد غذاء يقوتها، وكساء يسترها، ومسكن تأوي إليه.
- بل لا تستفيق جهدها، ويطمئن بها قرارها إلا إذا بلغت مجداً شامخاً يصعد بها إلى أن تختلط بكواكب الجوزاء. ص ١٠
- ٢- يقوم فسطاط الحرية على قاعدتين عظيمتين هما: المشورة، والمساواة؛ فبالمشورة تتميز الحقوق، وبالمساواة ينتظم إجراؤها، ويترد نفاذها.

- وكل واحدة من هاتين القاعدتين رفع الإسلام سمكها، وسواها. ص ١٨
- ٣- وهكذا ما ساد الأدب، وانتشرت الفضيلة بين أمة إلا اتبعوا شرعة الإنصاف من عند أنفسهم، والتحفوا برداء الصدق والأمانة بمجرد بث النصيحة، والموعظة الحسنة، فيخفت ضجيج الضارعين، وصخب المبطلين، ولا تكاد تسمع لهما في أجواف المحاكم حسيماً. ص ٢٠
- ٤- أذن الله له ﷺ بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء؛ تطيباً لنفوس أصحابه، وتقريراً لسنة المشاورة للأمة من بعده. ص ٢١
- ٥- وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة، والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء. <sup>(١)</sup>
- ومع هذا لا يبرم حكماً في حادثة إلا بعد أن تتداولها آراء جماعة من الصحابة. وإذا نُقل له أحدهم نصاً صريحاً ينطبق على الحادثة قال: «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا». ص ٢١
- ٦- لا تكون قاعدة الشورى من نواصر الحرية وأعوانها إلا إذا وضع حجرها الأول على قصد الحنان والرأفة بالرعية.
- وأما المشاركة في الرأي وحدها - ولا سيما رأي من لا يطاع - فلا تكفي في قطع دابر الاستبداد. ص ٢٥

---

١- هذا تضمين لبنت البوصيري:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

والشيخ محمد الخضر رحمه الله من أرباب البيان، خصوصاً في باب الاقتباس والتضمين؛ فهو فارس لا يشق له غبار في هذا الميدان، وسترى نماذج لذلك فيما سيأتي.

٧- وأهم فوائد المشورة تخلص الحق من احتمالات الآراء.  
 وذهب الحكماء من الأدباء في تصوير هذا المغزى وتمثيله في النفوس إلى  
 مذاهب شتى ، قال بعضهم :

إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً      وإن كنت ذا رأي تشير على الصاحب  
 فإني رأيت العين تجهل نفسها      وتدرى ما قد حلّ في موضع الشهب  
 وقال آخر :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر      فالحق لا يخفى على الآتين  
 والمرءُ مرآةٌ تريه وجهه      ويرى قفاه بجمع مرآتين  
 وقال آخر :

الرأي كالليل مسوداً جوانبه      والليل لا ينجلي إلا بمصباح  
 فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى      مصباح رأيك تزدّد ضوء مصباح

ص ٢٥

٨- ومن فوائد الشورى استطلاع أفكار الرجال ، ومعرفة مقاديرها؛ فإن الرأي  
 يمثّل لك عقل صاحبه كما تمثّل لك المرأة صورة شخصه إذا استقبلها. ص ٢٦

٩- الحرية في الأموال هي إطلاق التصرف لأصحابها يذهبون في اكتسابها،  
 والتمتع بها على الطريق الوسط دون أن تلم بها فاجعة الاغتصاب ، أو تخطفها  
 خائنة كيد واحتيال. ص ٣١

١٠- فلا حرج في جمع الدنيا من الوجوه المباحة ما لم يكن صاحبها عن  
 الواجبات في شغل شاغل.

وقد ذكر الله - تعالى - التجارة في معرض الخط من شأنها حيث شغلت عن طاعة

في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾. الجمعة: ١١

ولما رجعوا عن صنيعهم ، وأخذوا بأدب الشريعة في إثارة الواجبات الدينية ، وعدم الانقطاع عنها إلى الاشتغال بالتجارة ونحوها - ذكرها ، ولم يهضم من حقها شيئاً ، فقال -تعالى-: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾. النور: ٣٧

فأثبت لهؤلاء الكُمَّل أنهم تجار وباعة ، ولكنهم لم يشتغلوا بضروب منافع التجارة عن فرائض الله ، وهذا قول المحققين في الآية. ص ٣٢

١١- بيد أن الشريعة أمرت العامل بأن يكون قلبه حال عمله مطوياً على سراج من التوكل والتفويض؛ فإن اعتماد القلب على قدرة الله وكرمه يستأصل جراثيم اليأس ، ومنابت الكسل ، ويشد ظهر الأمل الذي يلج به الساعي أغوار البحار العميقة ، ويقارع به السباع الضارية في فلواتها. ص ٣٣

١٢- لم تغادر الشريعة صغيرة ولا كبيرة من وجوه التصرفات في الأموال إلا أحصتها ، وعلقت عليها حكماً عادلاً. ٣٤

١٣- كما أذن الإسلام في اكتساب الأموال ، واستثمار أرباحها من وجوها المعتدلة أذن في الاستمتاع بها ، وترويح خاطر بنعيمها؛ شريطة الاقتصاد. ٣٧

١٤- وأما الآيات الواردة في سياق التزهيد ، والخط من متاع الحياة الدنيا فلا يقصد منها ترغيب الإنسان؛ ليعيش مجانباً للزينة ، ميت الإرادة عن التعلق بشهواته على الإطلاق.

وإنما يقصد منها - فيما نفهمه - حكم أخرى كتسليية الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض، وَمَنْ قَصُرَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْ تَنَاوُلِهَا؛ لئلا تضيق صدورهم على آثارها أسفاً.

ومنها تعديل الأنفس الشاردة، وانتزاع ما في طبيعتها من الشرِّ، والطمع؛ لئلا يخرجها بها عن قصد السبيل، وَيَتَطَوَّحَ بِهَا فِي الْاِكْتِسَابِ إِلَى طَرَقٍ غَيْرِ لائِقَةٍ. فاستصغارُ متاع الدنيا، وتحقيرُ لذائذها في نفوس الناس يرفعهم عن الاستغراق فيها، وَيُكَبِّرُ بِهِمَمَهُمْ عَنْ جَعْلِهَا قِبْلَةً يُولُونَ وُجُوهَهُمْ شَطْرَهَا حَيْثَمَا كَانُوا. وقد بين لنا العيان أن الإنسان متى عكف على ملاذِّ الحياة، ولم يَصْحُ فُؤَادُهُ عَنْ اللّهُو بِزَخَارِفِهَا مَاتَتْ عَوَاطِفُهُ، ونسي، أوتناسى من أين تؤتى المكارم، والمروءة، ودخل مع الأنعام في حياتهم السافلة. ٣٨

١٥- وأما ما ثبت عن بعض السلف من نبذ الزينة، والإعراض عن العيش الناعم عند القدرة عليه، أو في حال وجوده - فلا يريدونه قرينة بنفسه، ولكن يبتغون به الوسيلة إلى رياضة النفس، وتدريبها على مخالفة الشهوات؛ لتستقر تحت طوع العقل بسهولة، وتتمكن من طرح أهوائها الزائغة بدون كلفة؛ فلو وثق الإنسان من نفسه بحسن الطاعة لم تكن في مجانبته للطيبات مزية ولا مؤاخذة. ص ٣٩

١٦- ولا ننسى أن كثيراً من الشعراء قد طغى بهم الإبداع في المقال إلى أن نسقوا في مديح الخمر صفات الجمال، وضربوا للتنويه بشأنها الأمثال؛ فاستهوا لمعاقرتها عبيد الخيال، والشعراء يتبعهم الغاؤون. ص ٤١

١٧- فالإسلام - وإن عني بتزكية الأرواح، وترقيتها في مراقي الفلاح - لم



يبخس الحواس حقها ، وقضى لبانتها من الزينة ، واللذة بالقسطاس المستقيم. ص ٤١  
 ١٨- وروي أن عبد الله بن أبي السمط أنشد بين يدي المأمون أبياتاً يمدحه بها ، فلما انتهى عند قوله :

أضحى إمام الهدى المأمون مشغولاً بالدين والناس بالدنيا مشاغيل  
 قال له المأمون : ما زدت على أن جعلتني عجوزاً في محراب ، ويدها سبحة! !  
 أعجزت أن تقول كما قال جرير في عمر بن عبد العزيز :  
 فلا هو في الدنيا مُضِيعٌ نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ص ٤١

١٩- هذا الباعث -حب المال- يقذفه الله في نفوس قوم ، فيدعوهم إلى تسوية طرائق العمران ، وتشديد أركانه ، ويسلكه في قلوب آخرين فيترامى بهم إلى بث الفساد على وجه البسيطة ، وإثارة غبار التوحش في أرجائها. ص ٤٣  
 ٢٠- حب المال هو الذي ينزع من فؤاد الرجل الرأفة ويجعل مكانها القسوة والفظاظة ، حتى إذا أظلم الأفق ، واسودّ جناح الليل<sup>(١)</sup> تأبط خنجراً ، أو تقلد سيفاً ، وذهب يخطو خطأ خفافاً؛ ليأتي البيوت من ظهورها ، ويمد بسبب إلى أمتعتها ، فإذا دافعه صاحبها أذاقه طعم المنون ، وانصرف ثملاً بلذة الانتصار. ص ٤٣-٤٤  
 ٢١- ولهذا افتقرت داعية حب المال إلى وازع يسد طيشها ، ويكسر من كعوبها إلى أن تستقيم قناتها.<sup>(٢)</sup>

١- هذا تضمين من المؤلف ﷺ لقول عمر بن أبي ربيعة :

إذا اسود جناح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً إن حراسنا أسدا

٢- هذا تضمين للشاهد النحوي في باب نصب المضارع :

وكنـت إذا غـمـزت قنـاة قوم كسرت كعوبها أو تستقيما

والوازع ما ورد في مجمل الشريعة ومُفَصَّلُها من الأصول القابضة على أيدي الهداجين حول اختلاسها، والعاملين على اغتصابها، أو التصرف فيها بغير ما يأذن به صاحبها. ص ٤٤

٢٢- الرشوة أخت السرقة، وابنة عم الاغتصاب، وإن شئت فقل: تزوج الاغتصاب بالسرقة، فتولدت بينهما الرشوة؛ لأنها عبارة عن أخذ مال معصوم خفية، ولكنه بسلطة على حين علم من صاحبه. ص ٤٥

٢٣- ولما كانت الرشوة عقبة كؤوداً في سبيل الحرية - أخذت الشريعة في تحريمها بالتي هي أحوط؛ فلا يسوغ للقاضي قبول الهدية إلا من خواص قرابته؛ لئلا تنزل به مدرجاتها إلى أكل الرشوة، أو يتخذ اسم الهدية غطاءً للرشوة يسترها به عن أعين المراقبين لأحواله السرية. ص ٤٥

٢٤- فمن تحيز عن أمته، وطفق يرمي في وجوههم بعبارات الازدراء، وينفث في كأس حياتهم سُمّاً ناقعاً - لا نصِفُه بصفة الغيرة، والوطنية، وإن شُغِفَ بحب ديارهم، وقبَلها جداراً بعد جدار. <sup>(١)</sup> ص ٤٩

٢٥- يريد كل امرئ أومضت فيه بارقة من العقل أن يكون عِرْضُه محلّ التمجيد والثناء، وحرماً مصوناً لا يرتع حوله اللامزون.

وهاته الإرادة هي التي تبعثه على أن يبدد فريقاً من ماله في حل عقال السنة؛

١- هذا تضمن لقول الشاعر:

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا	أمر على الديار ديار ليلى
ولكن حب من سكن الديارا	وما حب الديار شغفن قلبي

ولو تتبع أحد هذا الفن - أعني الاقتباس والتضمن - في مؤلفات الشيخ رحمه الله لخرج بمادة علمية كبيرة.

لتكسوه من نسج آدابها حلة المديح ، أو يسد بها أفواهاً يخشى أن تصب عليه  
مرائر أهدوثها علقماً ، قال أحدهم :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض بالمال

وقد تتقوى هذه الداعية فتبلغ به أن يخاطر بحياته ، وينصب جنبه لسهام الرزايا  
عندما يرجم بشتيمة تلوث وجه كرامته ، ويتجهم بها منظر حياته ، يقول أبو  
الطيب المتنبي :

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول

ولا يتفاضل الناس في مراقبي الشرف والمجادة ، أو تتسفل همهم إلى هاوية  
الرزالة إلا بمقدار ما تجد بينهم من التفاوت في عقد هذه الإرادة قوة وانحلالاً ؛  
فبقوة هذه الإرادة يتجلى لنا في مظاهر الإنسانية مطبوعاً على أجمل صورة من  
الكمال ، وبسبب ضعفها تنزل به شهواته من سماء الإنسانية إلى أن يكون حيواناً  
مهملاً. ص ٥٣

٢٦- لا يحق للطاعن أن يتخطى المصائب التي يجهر بها صاحبها إلى النقائص  
التي يحرزها بغطاء الستر والكتمان. ص ٥٤

٢٧- في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ  
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ الحجرات ١٢ .

وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه ، وهو من باب  
القياس الظاهر؛ لأن عرض المرء أشرف من بدنه؛ فإذا قبح من العاقل أكل لحوم  
الناس لم يحسن منه قرض أعراضهم بالطريق الأولى؛ فاللذام التي تلتصق  
بالشخص خفية لا يسوغ لآخر تكشف عليها أن يحرك بها لسانه ، ويتمضمض

بإذاعتها في المجمع إلا في مواضع يدور حكم الاستباحة فيها على درء مفسدة تنشأ عن عدم التعريف بها. ص ٥٤

٢٨- ولما تجاسر كثير من أهل الأهواء على اختلاق أحاديث يفترونها كذباً، ويسندونها إلى رسول الله ﷺ ليؤيدوا بها مزاعمهم، أو يقضوا بها حاجة في نفوسهم - قام العلماء بحق الوراثة المنوطة بعهدتهم من قبل صاحب الشريعة، وأخذوا في نقد ما يروى من الأحاديث؛ حتى يتميز الخبيث من الطيب، والصحيح من غير الصحيح؛ فاحتاجوا إلى التعرض لحالة الرواة، وإذا علموا من أحد سوءاً بادروا إلى الجهر به، وتعيين اسمه؛ ليحذروا الناس، ولا يتلقون روايته بالقبول. ص ٥٥

٢٩- وقد دارت هذه الكلمة - كلمة الحرية - على أفواه الخطباء، ولهجت بها أقلام الكاتبين ينشدون ضالتها عند أبواب الحكومات، ويقفون عند مكانها، وتمكين الراحة من مصافحتها - وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه. <sup>(١)</sup> ص ١٦

٣٠- ينصرف هذا اللقب الشريف - الحرية - في مجاري خطابنا اليوم إلى معنى يقارب معنى استقلال الإرادة، ويشابه معنى العتق الذي هو فك الرقبة من الاسترقاق.

وهو أن تعيش الأمة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الأمن، على قرار مكين من الاطمئنان.

ومن لوازم ذلك أن يعين لكل واحد من أفرادها حدٌ لا يتجاوزه، وتقرر له

١ - هذا تضمين لقول أبي الطيب المنبجي:

بَلَيْتُ بِلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

حقوق لا تعوقه عن استيفائها يدُّ غالبية؛ فإن في تعدي الإنسان الحدَّ الذي قضت عليه أصولُ الاجتماع بالوقوف عنه - ضرباً من الإفراط.

ويقابله في الطرف الآخر حرمانه من التمتع بحقوقه؛ ليستأثر غيره بمنفعتها، وكلا الطرفين شعبة من شعب الرذائل، والحرية وسطٌ بينهما على ما هي العادة في سائر الفضائل. ص ١٦

٣١- ومن كشف عن حقيقتها -يعني الحرية- المفصلة ستارَ الإجمالِ أشرفَ على أربع خصال مندجة في ضمنها:

**أحدها:** معرفة الإنسان ماله وما عليه؛ فإن الشخص الذي يجهل حقوق الهيئة الاجتماعية، ونواميسها لا يبرح في مضيق الحجر مقيد السواعد عن التصرف حسب إرادته واختياره، حتى يستضيء بها خبرة، ويقتلها علماً؛ إذ لا يأمن أن تطيش أفعاله عن رسوم الحكمة والسداد، فيقع في خطيئة تحدث في نظام تلك الهيئة علة وفساداً.

ولا يخالط الضمائر من هذا أن الحرية مقصورة على علماء الأمة العارفين بواجباتها؛ إذ للأمين منها مخلصٌ فسيحٌ، وهو باب الاستفتاء، والاسترشاد، قال - تعالى -: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٢.

**ثانيها:** شرفُ نفس يزكي طوبيتها، ويظهر نواياها من قصد الاعتداء على ما ليس بحق لها؛ فلا ترمي بهمتها إلا في مواضع تشير إليه العفة بينانها.

**ثالثها:** إذعانٌ يدخل به تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الإنصاف، ويستنزله ريثما تحررَ ذمته من المطالب التي توجه إليها باستحقاق.

**رابعها:** عزة جانب ، وشهامة خاطر يشق بها عصا الطاعة للباطل ، ويدفع بها في قوة من يسوم عنقه بسوء الضيم والاضطهاد.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد

نستنتج من هذا البيان أن الأساس الذي ترفع عليه الحرية قواعدها ليس سوى التربية والتعليم؛ فيتأكد على الحكومة التي تنظر إلى فضيلة الحرية بعين الاحترام أن تسعى جهدها في تهذيب أخلاق الأمة، وتنوير عقولها بالتعليمات الصحيحة قبل كل حساب. ص ١٧

٣٢- قال - تعالى - : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ البقرة ١٧٩ .

لأن القصاص يكف يد العالم به عن إراقة الدماء ، ونهب الأعمار؛ موافقة لداعية الهوى والضغائن الواغرة في الصدور؛ فيكون سبباً لحياة نفسين في هذه الناشئة ، ولأن العرب كانوا يقتلون غير القاتل أحياناً؛ فإذا قتل عبد أو امرأة من قبيلة ، وكانت القبيلة ذات شوكة وحمية لا ترضى إلا أن تقتل في مقابل العبد حراً ، والمرأة رجلاً ، وربما قتلوا جماعة بواحد ، فتتهيج الفتنة ، وتشتعل بينهم حرب البسوس؛ فإذا كان القصاص مقصوراً على القاتل فاز الباقون بالحرية في حياتهم ، واطمأنوا بها. ص ٥٩

٣٣- وشرع الإسلام الدية على القاتل؛ تخفيفاً ورحمة ، وأقامها مقام القصاص إذا رضي بها أولياء القتيل ، وآثروها على الأخذ بالثأر؛ فقد تكون الدية أصلح لهم من القصاص ، وأجدى نفعاً ، زيادة عما فيها من بقاء نفس مسلمة تتناسل ذريتها في الإسلام. ص ٦٠

٣٤- لا يحل دم امرئ إلا لأسباب تكون الفتنة فيها أشد من القتل مثل الزنا من المحصن؛ فإن الزاني يبذر نطفته على وجه تجعل النسمة المخلقة منها مقطوعةً عن النسب إلى الآباء، والنسب معدودٌ من الروابط الداعية إلى التعاون والتعاقد؛ فكان السّفاح سبباً لوجود الولد عارياً من العواطف التي تربطه بأولى قربي يأخذون بساعده إذا زلت به نعلُهُ، ويتقوى به اعتصابهم عند الحاجة إليه. وفيه جناية عليه، وتعرض به لأن يعيش وضعياً بين الأمة، مدحوراً من كل جانب؛ فإن الناس يستخفون بولد الزنا، وتنكره طبائعهم، ولا يرون له في الهيئة الاجتماعية اعتباراً.

ثم إن الغيرة التي طبعت في الإنسان على محارمه، والحرص الذي يملأ صدره عند مزاحمته على موطوءته مظنةً لوقوع المقاتلات، وانتشار المحاربات؛ لما يجلبه هتك الحرمة للزوج، وذوي القرابة من العار الفظيع، والفضيحة الكبرى؛ فاقتضى هذا الفاسد الناقض للعمران أن يُفرضَ له حدٌّ وجيعٌ وهو الرجم إن كان ثيباً، وهذا من الحدود المتوارثة في الشرائع السماوية كالقصاص والقطع في السرقة، وأما إن كان بكرًا فيجلد مائة جلدة. ص ٦١ - ٦٢

٣٥- وشدد الإسلام العقوبة على من ارتد عن الدين بعد أن لبس هديه القويم؛ فأمر بدعوته إلى الإنابة والتوبة، فإن رجع وإلا ضرب بالسيف على عنقه. ص ٦٥

٣٦- وإنما جُبرَ المرتدُّ على البقاء في الإسلام؛ حذراً من تفرق الوحدة، واختلال النظام؛ فلو خُلِّي السبيل للذين ينبذون الدين جهرة - ونحن لا نعلم

مقدار من يريد الله أن يضلّه - نخشى من انحلال الجامعة، وضعف الحامية.  
وأهل الردة - وإن أصبحوا كاليد الشلاء لا تعمل في الجامعة خيراً - لا يخلوا  
بقاؤهم في شمل المسلمين - وهم في صورة أعضاء صحيحة - من إرهاب يلقيه  
كثرة السواد في قلوب المحاربين. ص ٦٥

٣٧- ثم إن لكل أمة سرائر من حيث الدولة لا ينبغي لها أن تطلع عليها غير  
أوليائها.

ومن كان متلبساً بصفة الإسلام شأنه الخبرة بأحوال المسلمين، والمعرفة  
بدواخلهم؛ فإذا خلع ربة الدين - وقد كان بطانة لأهله يلقون إليه سرائرهم -  
اتخذ المحاربون أكبر مساعد، وأطول يد يمدونها لنيل أغراضهم من المؤمنين.

هذا تأثير أهل الردة على الإسلام من جهة الدولة والسياسة.  
وأما تأثيرهم عليه من جهة كونه ديناً قيماً فإن المرتد يحمله المقلدون من  
المخالفين على معرفته بحال الدين، والخبرة بحقيقته تفصيلاً، فيتلقون منه كل ما  
ينسبه إليه من خرافات وضيعة، أو عقائد سخيفة يختلقها عليه؛ بقصد إطفاء  
نوره، وتنفير القلوب منه.

ولما كان عثرة في سبيل انتشار الدين وجبت إماطته كما يماط الأذى عن  
الطريق. ص ٦٥

٣٨- وفي جعل عقوبة المرتد إباحة دمه زاجراً للأمم الأخرى عن الدخول في  
الدين؛ مشايعة للدولة، ونفاقاً لأهله، وباعث لهم على التثبت في أمرهم؛ فلا  
يتقلدونه إلا على بصيرة، وسلطان مبين؛ إذ الداخل في الدين مداجاةً، ومشايعةً



يتعسر عليه الاستمرار على الإسلام، وإقامة شعائره. ص ٦٦  
 ٣٩- وأنت إذا جئت تبحث عن حال من ارتد بعد الإسلام لا تجد سوى طائفتين:

منهم من عانق الدين منافقاً؛ فإذا قضى وطره، أو انقطع أمله انقلب على وجهه خاسراً.

وبعضهم ربي في حجور المسلمين، ولكنه لم يدرس حقائق الدين، ولم يتلق عقائده ببراهين تربط على قلبه؛ ليكون من الموقنين؛ فمتى سنحت له شبهة من الباطل - تزلزلت عقيدته، وأصبح في ريبه متردداً.

وارجع بصرک إلى التاريخ كرتين؛ فإنك لا تعثر على خبر ارتداد مسلم نبت في بلد طيب نباتاً حسناً. ٦٦

٤٠- لا يخفى على متشرع بصير أن الملك والدين إخوان يشد كل منهما بعضد الآخر.

بل الدين رائد للملك، والملك تابع للدين خادم له، وإن شئت فقل: هما كمثل إنسان: الدين عقله المدبر، والملك جسمه المسخر له، وذلك الإنسان هو ما نسميه الآن بالإسلام.

فبمقدار ما ترتبط الإدارة السياسية بالإدارة الدينية يكمل شبابه، وتجري روح الاستقامة في أعضائه، فتصدر أعماله قرينة الحكمة، سالمة من العيوب.

ومتى انفكت أولاهما عن أخراهما انحلت جُبُوتُه، وتناثرت أجزاؤه تناثر خَرَزٍ مَكُورَةٍ على سطح محدب. ص ٦٧

٤١- فمن صَعَدَ نظره في عصر الخلفاء الراشدين يجد السبب الذي ارتقى بالإسلام، وانسجم به في سبيل المدنية - هو ما انعقد بين الدين والخلافة من الاتحاد والوفاق.

ومن ضرب بنظره فيما يشاء من الدول التي حمي فيها وطيس الاستبداد يجد المحرك لتلك الريح السموم، والعُثُر المشوم - ما اعترض بين هاتين السلطتين من الاختلاف. ص ٦٧

٤٢- كان موضع العناية، ومحل القصد من الإمارة في نظر أولئك الخلفاء، ومن حذا حذوهم كعمر بن عبد العزيز - هو خدمة الدين، الذي هو خادم للعدالة، التي هي خادمة للصلاح، قال الشيخ قبادو التونسي:

وما الجاه إلا خادم الملك لأئذاً وما الملك إلا خادم الشرع حزمه  
وما الشرع إلا خادم الحق مرشداً وبالحق قام الكون وانزاح ظلمه  
ص ٦٧

٤٣- ولما انطوت أحشاؤهم على هذا المقصد الجميل أطلقوا سراح الرعية في أمرهم بالمعروف، وإحضارهم النصيحة، مثل ما سبق في خطبة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وكقول عمر بن الخطاب: «أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف، وإحضاري النصيحة، وأعينوني على أنفسكم بالطاعة».

وكانوا يوسعون صدورهم للمقالات التي توجه إليهم على وجه النصيحة، والتعريض بخطأ الاجتهاد وإن كانت حادة اللهجة، قارصة العبارة. ص ٦٨

٤٤- ثم خلف من بعد أولئك خَلَف عرفوا أن فطرة الدين وطبيعته لا تتحمل شهواتهم العريضة، وألفوا بلاط الملك فسيح الأرجاء، بعيداً ما بين المناكب.

ولكنه لا يسعفهم على أغراضهم ، وتتبع خطواتهم مادامت أوصاله ملتحمة بالإدارة الدينية ، ولم يهتدوا حيلة إلى فارق بينهما سوى أن يسدوا منافس الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر دون دعاة الإصلاح ، وابتكروا ضروباً من الخسف ، وأفانين من الإرهاق كانوا يهجمون بها على الناس هجوم الليل إذا يغشى ، وإذا سمعوا منادياً ينادي؛ ليحق الحق ، ويبطل الباطل كلموه باللسنة السيوف. ص ٦٩

٤٥- ولما أبق الملك من حضانة الدين ، وخفقت عليه راية الاستبداد خالط الأفئدة رعباً و أوجال كأنما مُزجت بطيئتها؛ فبعد أن كان راعي الغنم يفد من البادية ، وعصاه على عاتقه ، فيخاطب أمير المؤمنين بـ: يا أبا بكر ، ويا عمر ، ويا عثمان ، ويتصرف معه في أساليب الخطاب بقرارة جأش ، وطلاقة لسان ، وسكينة في الأعضاء - أصبح سيد قومه يقف بين يدي أحد الكبراء في دولة الحجاج فينتفض فؤاده رعباً ، ويتلجلج لسانه رهبة ، وترتعد فريصته وجلاً؛ يخشى أن يكون فريسة لبوادر الاستبداد. ص ٦٩

٤٦- إذا أنشبت الدولة برعاياها مخالب الاستبداد نزلت عن شامخ عزها لا محالة ، وأشرفت على حضيض التلاشي والفناء؛ إذ لا غنى للحكومة عن رجال تستضيء بأرائهم في مشكلاتها ، وآخرين تثق بكفاءتهم وعدالتهم إذا فوضت إلى عهدتهم بعض مهماتها. ص ٧١

٤٧- والأرض التي اندرست فيها أطلال الحرية إنما تؤوي الضعفاء والسفلة ، ولا تنبت العظماء من الرجال إلا في القليل ، قال صاحب لامية العرب :  
ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الذل إلا ريثما أتحوّل  
فلا جرم أن تتألف أعضاء الحكومة وأعوانها من أناس يخادعونها ، ولا يبذلون

لها النصيحة في أعمالهم، وآخرين مقرنين في أصفاد الجهالة يدبرون أمورها على حد ما تدركه أبصارهم.

وهذا هو السبب الوحيد لسقوط الأمة؛ فلا تلبث أن تلتهمها دولة أخرى، وتجعلها في قبضة قهرها، وذلك جزاء الظالمين. ص ٧١

٤٨- ثم إن الاستبداد مما يطبع نفوس الرعية على الرهبة والجبن، ويميت ما في قوتها من البأس والبسالة.

فمن في كفه منهم قناةً كمن في كفه منهم خضابُ  
فإذا اتخذت الدولة منهم حامية، أو ألّفت منهم كتيبةً عجزوا عن سد ثغورها،  
وشلّت أيديهم من قبل أن يشدوا بعضدها. ص ٧١

٤٩- وإذا أردت مثلاً يثبت فؤادك، ويؤيد شهادة العيان فاعتبر بما قصه الله -تعالى- عن قوم موسى -عليه السلام- لما أمرهم بالدخول للأرض المقدسة، وملِكها كيف قعد بهم الخوف عن الطاعة، والامتثال، وقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ المائدة ٢٢.

فمتى جئت تسأل عن الأمر الذي طبع في قلوبهم الجبن، وتطوَّح بهم في العصيان، والمنازعة إلى قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة ٢٤.

وجدته خلف الانقياد المتمكن في نفوسهم من يوم كانت الأقباط ماسكة بنواصيهم، وتذيقهم من سوء الاستعباد عذاباً أليماً. ٧٢

٥٠- والأمة مفتقرة إلى الكاتب، والشاعر، والخطيب.

والاستبداد يعقد ألسنتهم على ما في طيِّها من الفصاحة، وينفث فيها لُكنةً،

- وعياً، فلتتحق لغتهم بأصوات الحيوانات ولا يكادون يفقهون قولاً. ٧٢
- ٥١- وإذا أضاءت على الأمة شمس الحرية، وضربت بأشعتها في كل وادٍ - اتسعت آمالهم وكبرت هممهم، وتربت في نفوسهم ملكة الاقتدار على الأعمال الجليلة.
- ومن لوازمها اتساع دائرة المعارف بينهم، فتفتق القرائح فهماً، وترتوي العقول علماً، وتأخذ الأنظار فسحة ترمي فيها إلى غايات بعيدة، فتصير دوائر الحكومة مشحونة برجال يعرفون وجوه مصالحها الحقيقية، ولا يتحرفون عن طرق سياستها العادلة. ٧٢
- ٥٢- والحرية تؤسس في النفوس مبادئ العزة والشهامة، فإذا نظمت الحكومة منهم جنداً استماتوا تحت رايتها مدافعة لا يرون القتل سبباً إذا ما رآه الناكسو رؤوسهم تحت راية الاستبداد. ٧٢ - ٧٣
- ٥٣- ثم إن الحرية تعلم اللسان بياناً، وتمد اليراعة بالبراعة، فتزدهم الناس على طريق الأدب الرفيع، وتتنور المجامع بفنون الفصاحة، وآيات البلاغة؛ هذا خطيب يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك شاعر يستعين بأفكاره الخيالية في نصرة الحقيقة، ويحرك العواطف، ويستنهض الهمم لنشر الفضيلة، وآخر كاتب، وعلى صناعة الكتابة مدار سياسة الدولة. ٧٣
- ٥٤- ولم تكن ينابيع الشعر في عهد الخلفاء الراشدين فاغرة أفواهها بفن المديح والإطراء، وإنما ترشح به رشحاً؛ وتمسح به مسحاً لا يضطهد من فضيلة الحرية فتيلاً.

وما أنفلتُ وكأؤها، وتدفت بالمدائح المتغالية إلا في الأعصر العريقة في الاستبداد. ٧٣

٥٥- ولما قر في صدر عمر بن عبد العزيز من تنظيم أمر الخلافة على هيئته الأولى لم يواجه الشعراء بحفاوة وترحاب، وقال: مالي وللشعر، وقال مرة: إني عن الشعر لفي شغل.

انتجعه جرير بأبيات، فأذن له بإنشادها، وقال له: اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقاً.

وعندما استوفاهما واصله بشيء من حرّ ماله، فخرج جرير وهو يقول: خرجت من عند أمير يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه لراضٍ، ثم أنشد يقول: رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقياً

ص ٧٣

٥٦- ومن مآثر الاستعباد ما تتجشأ به ألها، وتسيل به الأقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك من طلاوتها أنها صدرت من دواخل قلب استشعر ذلة، وتدثر صغاراً نحو «مُقبَّل أعتابكم» «المشرف بخدمتكم» «عبد نعمتكم» ولا إخال أحداً يصغي إلى قول أحد كبراء الشعراء:

وما أنا إلا عبد نعمتك التي نسبت إليها دون أهلي ومعشري  
إلا ويمثّل في مرآة فكره شخصاً ضئيلاً يحمل في صدره قلباً يوشك أن ينوء بحمله بما فيه من الطمع والمسكنة. ص ٧٤

٥٧- ومن سوء عاقبة الخضوع في المقال أن يوسم الرجل بلقب وضيع ينحته الناس من بعض أقوال له أفرغ فيها كثبةً من التذلل، وبذل الهمة، كما سموا

رجلاً باسم «عائد الكلب» لقوله :

إني مرضت فلم يعدني واحد منكم ويمرض كلبكم فأعود

ص ٧٤

٥٨- ولا نجهل أن بعض من سلك هذا المسلك من التملق والمديح اتخذه سلماً؛ ليظفر بحق ثابت، ولكنه لا ينافي الغرض الذي نرمي إليه من أن الحقوق في دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق، وفي دولة الاستبداد لا تطالب إلا بصفة الاستعطاف؛ وذلك الوزر الذي يحبط بفضل العزة التي نبهنا الله عليها، وأرشد من يريد بها إلى أنها تطلب بالطاعة من الكلم الطيب، والعمل الصالح فقال - تعالى - :  
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر ١٠. ص ٧٤





## عاشراً: المنتقى من كتاب

## نقض كتاب: في الشعر الجاهلي للشيخ محمد الخضر حسين

وهذا الكتاب رد على كتاب: في الشعر الجاهلي لطفه حسين، وهذه نبذة مختارة من بعض ما جاء فيه:

١- نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام، واستوثقت حين سارت هدايته سيرها الحثيث، وفتحت عيون هذه الأمم في طريقة الحياة المثلى. ص هـ

٢- تمتع الشرف بنهضته الاجتماعية والأدبية حقاً، ثم وقف التعليم عند غاية، وأخذ شأناً غير الشأن الذي تسمو به المدارك، وتنمو به نتائج العقول، فإذا غفوة تدب إلى جفون هذه الأمم، ولم تكد تستفيق منها إلا ويدٌ أجنبية تقبض على زمامها. ص هـ

٣- هبَّ بعضُ أولي الحكمة منا يقلبون وجوههم في العلل التي مسّت أمم الشرق فقعدت بهم سنين عدداً، وبعثوا أعلامهم من مراقدها تصف هذه العلل، وتنذر الناس موتة اليأس، والجبن، والخمول، وتلقي عليهم دروساً في أسباب الحياة، ووسائل الخلاص. ص هـ - و

٤- التفت الشرق إلى ما كان في يده من حكمة، وإلى ما شاده من مجد، وإلى ما شاب في مهده من أعظم الرجال، أخذ ينظر إلى ماضيه؛ ليميز أبنائه بين ما هو تراث آبائهم، وبين ما يقتبسونه من الغرب، وليشعروا بما كان لهم من مجد

شامخ؛ فتأخذهم العزة إلى أن يضموا إلى التالد طريفاً، وليذكروا أنهم ذرية أولئك السَّراة، فلا يرضوا أن يكونوا للمستبدين عبيداً. ص و

٥- أنشأ أولو الأحلام الراجحة من الزعماء والكتاب يأخذون بما يظهر من جديد صالح، ولا ينكثون أيديهم من قديم نافع؛ فاستطاعوا بهذه الحكمة والروية أن يسلكوا قلوب الأمة في وَحْدَةٍ، ويخطوا بها إلى حياة العلم، والحرية، والاستقلال. ص و

٦- نظر إلى هذه النهضة الزاكية مَنْ لا يرغبون في تقدم هذه الأمم إلى خلاصها ولو خطوة، وعرفوا أن بأيدي هذه الأمم كتاباً فيه نظم الاجتماعية، وآيات تأخذ في شرط إيمانهم به- ألا يلينوا لسلطة شأنها أن تسوسهم على غير أصوله؛ فما كان من هؤلاء القوم الذين يستحلون إرهاب الأمم إلا أن يبتغوا الوسيلة إلى فتنة القلوب، وصرفها عن احترام ذلك الكتاب.

والغاية تقويضُ بناء هذه الوحدة السائرة بنا إلى حياة سامية، وعز لا يبلى.

ص و

٧- فسقت طائفة عن أدب الإسلام، أو أرهفت أقلامها؛ لتعمل على هذه الخطة الخاذلة غير مبالية بسخط الأمة، ولا متحرجة بما سينطق به التاريخ من وضع يدها في يد خفية لا شأن لها إلا نصب المكاييد لأمة كان لها العزم النافذ، والكلمة العليا. ص ز

٨- تلهج هذه الطائفة باسم حرية الفكر، وهي لا تقصد إلا هذا الفن الذي أكبَّت عليه صباحها، ومساءها وهو النيل من هداية الإسلام، والغض من رجال

جاهدوا في سبيله بحجة وعزم وإقدام.

ويكفي شاهداً على رياء هؤلاء الرهط أنهم يقيمون مآثم يندبون فيها حرية الفكر، ثم ينصرفون ويقولون فيما يكتبون: للحكومة أن ترهق الشعب، وترغمه على ما تراه أمراً لاثقاً.

ولو سبق إلى ظنك أن مؤلف كتاب «في الشعر الجاهلي» هو عينهم الناضرة، وسهمهم الذي يرمون به في مقاتل أمتهم الغافلة خلّيت بينك وبين هذا الظن؛ إذ ليس لي على هذه الظنون الغالبة من سبيل. ص ذ

٩- فالقلم الذي يناقش كتاب «في الشعر الجاهلي» إنما يطاءً موطئاً يغيب طائفة احتفلت بهذا الكتاب، وحسبته الطعنة القاضية على الإسلام وفضل العرب ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾. ص ز

١٠- وقع نظري تحت هذا الكتاب، وكنت على خبرة من حذق مؤلفه في فن التهكم ولو بالقمر إذا اتسق، والتشكيك ولو في مطلع الشمس الضاربة بأشعتها في كل واد؛ فأخذت أقرأه بنظر يزبح القشر عن لبابه، وينفذ من صريح اللفظ إلى لحن خطابه.

وما نفضت يدي عن مطالعة فصوله، حتى رأيتها شديدة الحاجة إلى قلم ينبّه على علائها، ويردّ كل بضاعة على مستحقها.

وما هو إلا أن ندبت القلم لقضاء هذه المآرب، وسداد هذا العوز فلم يتعاص عليّ. ص ١

١١- و إنا لا نغمض لذلك الكتاب في مقال ينهيه، أو غمز في الإسلام

يستعذبه؛ فإننا وجدّنا نحاورة في نهب أو غمز فإننا لم نخرج عن دائرة نقده، ولم نتجاوز حد الباحث في مقتضيات لفظه؛ فإن كان في فمك ملامٌ فمُجَّهٌ في سمعه؛ فهو الذي ألقى على سمعك نحواً من حديث قوم لا يتدبرون. ص ٢

١٢- جدّة البحث لا تكفي لإعلاء شأن التأليف، وإحرازه في نفوس القراء موقع القبول.

وإنما يرجح وزن الكتاب بمقدار ما يتجلى فيه من حكمة النظر، وصدق المقدمات، ووضوح النتيجة. ص ٣

١٣- كنا نتمنى أن يهتدي المؤلف إلى نحو من البحث «لم يألّفه الناس عندنا من قبل» وقد أبت الليالي أن تسمح بهذه الأمنيّة، فلم يكن منه إلا أن أغار على كتب عربية، وأخرى غربية، فالتقط منها آراءً، وأقوالاً نظمها في خيوط من الشك والتخيل، وقال: «هذا نحو من البحث في تاريخ الشعر العربي جديد». ص ٣ - ٤

١٤- فإعجاب الرجل ببحثه، وإيمانه به إيماناً لا يعرف أنه شعر بمثله - لا يكسبان البحث ذرة من قوة، ولا يدنيانه من الحقيقة فتيلاً. ص ٤

١٥- كم كتاب صُنِعَ ليطعن حقاً، وكم كتاب صنع ليمحو أدباً، ولا يعجز أحد من صانعي هذه الكتب أن يقول: وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسخط قوماً فسيرضي هذه الطائفة المستنيرة، ويأتي في وصف هذه الطائفة على كل ما تحمله اللغة من ألقاب المديح والإطراء.

ولكن الذي يعجز عنه، ولا يهتدي إليه طريقاً أن يصدق اطمئنانه، ويأخذ كتابه في نفوس الطائفة المستنيرة مأخذ الرضا؛ فإن هذه الطائفة إنما تقاد بزمام

الحجة، وصدق اللهجة، لا بكلمات تُحرّف عن مواضعها، وشُبّه من الباطل تخرج في غير براقعها. ص ٤ - ٥

١٦- وما على العلماء النقاد إلا أن يكونوا لهؤلاء الكتاب بالمرصاد، ويعرضوا أقوالهم على قانون العلم الصحيح؛ فإما أن يرجح وزنها؛ فيرفعوا لها ذكراً، وإما أن يطيش وزنها، فينسفوها بالحجج الرائعة نسفاً. ص ٦

١٧- وأبى قلمه أن يسلو حرفة الغمز، فسلك في كثير من المواضع طرق المهرة من الكتاب في صوغ عباراتٍ ظاهرها البحث في الشعر الجاهلي، وباطنها الدعاية إلى غير سبيل المؤمنين.

ولو صح أن تعصر هذه العبارات لتقاطر من خلالها قذفٌ فاحش، وفسوق كثير. ص ١٦ - ١٧

١٨- ألم يكن من أدب الأستاذ أن يربي نفوس التلاميذ على عزة ونخوة. ومن أسباب عظمة النفس ومقامرتها في الشرف شعورها بأنها غصن من شجرة نبتت نباتاً حسناً، وآتت أكلها ضعفين. ص ١٣٤

١٩- إن شعور نشأنا بما كان للشرق من حلوم راجحة، وحياة علمية زاهرة ليجعلهم من سمو الهمة، وقوة العزم بمكان لا تحظى به نفوس يقال لها: انسلخي من شريقتك؛ إنها مردولة، اخرجي في صبغة غربية؛ إنها أخذت الكمال من جميع أطرافه. ص ١٣٥

٢٠- تدرس الأمم الراقية تاريخها؛ لأنه علم، وتعنى بدرسها؛ لأنه يفضي إلى أبنائها بما كان لسلفهم من مآثر فاخرة؛ فيدخلون معترك هذه الحياة بشعور سام، وهم يصغر لديها كل خطر.

أما المؤلف فإنه يدس في محاضراته فقراتٍ شأنها الإزراء بأي قومية شرقية، وقد

نفذت هذه الدسياسة في نفر حتى تيسر لها أن تجمع في نفوسهم بين المهانة والغرور.  
ص ١٣٥

٢١- فالتاريخ يشهد بأن في العرب رجالاً أنفقوا في سبيل الإسلام كل ما استطاعوا من قوة، وسيرتهم تنطق بأنهم أقاموا الدعوة إليه بعقيدة أنه هداية، ومنبع سعادة.

وسواء عليهم بعد ذلك الجهاد الحق أن يعيشوا به أعزة سعداء، أو يموتوا شهداء. ص ١٤٠

٢٢- فإن في الإسلام حجةً وحكمة تأخذان ذوي الفطر السليمة، والعقول السامية إلى أن يتصلوا به، ويرضوه، ولو نسلت عليهم الخطوب من كل حذب.  
ص ١٤١

٢٣- أما الضغائن التي ظهرت، والفتن التي استيقظت فلم يكن منشؤها نقصاً في التشريع كما يزعم المؤلف، بل سببها قلة العلم بالتشريع، وعدم القدرة على التطبيق، أو تغلب الأهواء؛ إذ لا عصمة إلا لأنبياء الله المصطفين. ص ١٥٠

٢٤- يسهل على المؤلف أن يضع إصبعه في سيرة يزيد بن معاوية، أو حماد الراوية؛ لأنه يجد في التاريخ الصحيح، أو الباطل ما يعبر به إلى الحديث عنهما بغلو أو إغراق، ثم لا يعدم أذنًا تصغي إليه، أو قلباً يتلهى به.

أما عمر بن الخطاب فإن سيرته متجلية تحت نبراس من التاريخ الصحيح لا يستطيع القلم أن يغير منها لوناً، أو يسومها كيداً، وإن ركب منهج ديكارت، وتناول زاده من حقبة مرجليوث. ص ١٥٦

٢٥- ومن لا يدري ما الإيمان ولا الإخلاص قد يجيء على باله أن يشتري

سكوت المؤمنين المخلصين بكلمة مديح أو إطراء. ص ٢٤٧

٢٦- إننا أمة بحث ونظر نذهب مع العلم كل مذهب، ولا نقف لحرية الفكر في طريق، وإنما نحن بشر، والبشر تأبى قلوبهم إلا أن تزدري أقلاماً تشب في غير علم، وتحاور في غير صدق.

وإنما نحن بشر، والبشر تأبى لهم أقلامهم إلا أن تطمس على أعين الكلمات الغامزة في شريعة محكمة، أو عقيدة قيمة. ص ٣٦٢





## الحادي عشر: المنتقى من كتاب

## هدى ونور للشيخ محمد الأخضر حسين

## تعريف مختصر بالكتاب:

هذا كتاب للمؤلف رحمته الله أعده وضبطه ابن أخيه الأستاذ علي الرضا الحسيني، والفقرات الآتية مقال كتبه المؤلف بعنوان (خواطر) وقد نشرت هذه الخواطر على حلقتين في مجلة «البدر» الصادرة باسم (العرب) الجزء الرابع من المجلد الثالث في شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٢، والجزء السابع من المجلد الثالث الصادر في شهر رجب ١٣٤٣هـ.

يقول رحمته الله :

١- إن كبر عقلك، فأصبح يعلمك ما لم تعلم، واتسع خيالك، فبات يلقي عليك من الصور البديعة ما يلذه ذوقك - فأنت ما بين أستاذ يحض نصيحته، ونديم لا تمل صحبته.

٢- يعلمك الأستاذ كيف تغوص في عميق البحار، ويريك نموذجاً من الدر يتميز بينه وبين الأحجار، وهمتك تخلد بك إلى الإملاق، أو تجعلك المجلي في حلبة السباق.

٣- سميت الاستخفاف بالشرع حرية، فقلت: برع في فن المجاز، وتهكم بمن أصبح عبداً للهوى، وسميت النفاق كياسة، فقلت: خان الفضيلة في اسمها، أو خانه النظر في فهمها.

٤- تنظر النفس في سيرة الرجل العظيم كما تنظر العين في الزجاجاة النقية،

فتدرك مساويها؛ أفلا تصنع بمأثرك الحميدة مرآة يبصر بها الناشئ بعدك صورته الروحية فيصلحها.

٥- سرت والنور أمامك، فانطلق ظلك على أثرك، ثم وليته قفاك، فكان الظل يسعى وأنت على أثره، وهكذا العقل، يتقبل فيتبعه الخيال، فإذا أدبر عنها انقلب الخيال إلى الأمام، وقاده في شعب الباطل بغير لجام.

٦- تبسط لسانك بالنكير على من يقلد في الدين، ولولا أنك تتلقى قول الفيلسوف على غير هدى، لقلت: باكورة الاجتهاد قد أینعت.

٧- هذه الدنيا كالعنسة الزجاجية في الآلة المصورة، تضع الرأس بموطئ القدم، وترفع القدم إلى مكان الرأس؛ فزنوا الرجل بمآثره لا بما يبدو لكم من مظاهره.

٨- ييسط الشجر ظله للمقبل، ويقف بعد موته بقناديل الكهرباء على سواء السبيل؛ أفانت تجير البؤس وهو أحر من الرمضاء، وتوقد سراج حكمة يهدي بعد موتك إلى المحجة البيضاء.

٩- يصنع الصانع الحلي، وتضع ما تتجمل به النفوس في محافل العلى، فإن ظلت تتهافت على صانع الخواتم والسلاسل فاعلم أنها ما برحت لاهية عن هذه المحافل.

١٠- حسبت العلم ضلالاً فنادت إلى الجهل، وآخر يزعم التقوى بلهاً فكان داعية الفجور، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الأرجاس، لكنا خير أمة أخرجت للناس.

- ١١- ربما كان صانعُ الأُسَّة أرقَّ عاطفةً من الطبيب، والسفينة أحفظ للحكم البالغه من الأديب، ولكنني أطلب نفس الرجل حثيثاً، وأناجيها فلا تكتمني حديثاً.
- ١٢- كان هذا الغصن رطيباً، وعيش البلبل به خصيباً ولكنه سحب عليه ذيل الخيلاء، فأصبح يتقلب في ذلك البلاء، ويرتجف كما ترتجف اليد الشَّلَاء.
- ١٣- كل جوهرة من عقد حياة محمد -عليه السلام- معجزة؛ فإن أساليب دعوته ومظاهر حكمته لا يربطها بحال الأمية إلا قدرة تتصرف في الكائنات بحكمة أبلغ مما تستدعيه طبائعها.
- ١٤- العفاف نور تستمدّه النفس من مطلع العقل، فإن ضرب عليها الهوى بجيمته السوداء، خسفت كما يخسف القمر إذا حجزت الأرض بينه وبين الشمس.
- ١٥- ينزوي البحر؛ فتضع السفينة صدرها على التراب، وينبسط؛ فتمر على الماء مرَّ السحاب.
- والعقل يظل في موقعه من النفس طريحاً، فإن فاضت عليه الحكمة سار في سبيل النظر عَنَقاً فسيحاً.
- ١٦- إن تخبطك السفه أهانوك، وإن قعد بك البله أعانوك؛ لأنك تستطيع أن تكون تقياً، وليس في يدك أن تكون ألمعياً.
- ١٧- تتجلى فضيلتك؛ فتنسج في هذه النفس عاطفة أرق من النسيم، وتوقد في أخرى حسداً أحر من الجحيم، وكذلك المزن ينسكب على أرض؛ فتبتسم بثغر الأقحوان، وينزل على أخرى؛ فتقطّب بجبهة من حَسَكِ السعدان.
- ١٨- جنيتُ وردةً لأُخلِّصها من الشوك الذي يساورها من كل جانب، فما

لبث أن طفئت بهجتها، وسكنت أنفاسها؛ فعلمت أن النفوس الزاكية لا تتخلص من النوائب إلا يوم تموت.

١٩- الشر نار كامنة في قلوب تحملها صدور المستبدين، فإن قدحَها بنقد سياستهم كنتَ لها قوتاً، إلا أن تكون بإخلاصك وحكمتك البالغة ياقوتاً.

٢٠- إذا قلت في السياسة ما لا تفعل، أوهمتَ في واد لا تعرج فيه على حقيقة- فانفض ثوبك من غبارها؛ فإنه ليس من الغبار الذي يصيبك في سبيل الله.

٢١- إنما يقطف الفيلسوف من المنافع ما تتفتق عنه أكمام الحقيقة، ولا يعرج السياسي بنظره على الحقائق إلا إذا أطلت عليه المنفعة من ورائها.

٢٢- لا تجادل المعاند قبل أن يأخذ الاستهزاء به في نفسك مكان الغضب عليه؛ فالغضب دخان يتجهم به وجه الحجة المستنيرة، وابتسام التهكم برقه يخطف البصر قبل أن تقع صاعقة البرهان على البصيرة.

٢٣- لا يمنعك من وضع المقال على محك النظر أن تتلقاه ممن هو أصفى منك ذهنًا أو أرجح وزنًا؛ فإن الورق لا يقبل ما يرسم في الزجاجاة من الصور إلا بعد إصلاح خطئها، وإعادة الألوان إلى مبدئها.

٢٤- أرى موقع الليل من هذه البسيطة لا يفوت مقدار نهارها، فرجوت أن لا يكون الباطل أوسع مجالاً من الحقيقة، ولكن الشمس ترمز بكسوفها إلى أن أخطأت في القياس، وبنيت رجائي على غير أساس.

٢٥- العالم بستان، تجوّل فيه الفيلسوف فقال: كيف نشأت هذه الأزهار والثمار؟ ولماذا اختلفت في النعوت والآثار؟ وطاف فيه السياسي فقال: متى

يقطف هذا الثمر؟ وتؤتي تلك الشجرة أكلها؟

٢٦- سكبت ماءً حاراً في زجاجة؛ فتأثر أحد شطريها بالحرارة، واستمر الآخر على طبيعة البرودة؛ فتصدع جدارها.

وكذلك النفوس الناشئة على طبائع مختلفة لا يمكن التثامها.

٢٧- كان لسان الدين بن الخطيب جنة أدب تجري تحتها أنهار المعارف فأتت أكلها ضعفين، ولكن تنفست عليه السياسة ببخار سام؛ فخنقته، وشب نار الحسد في القلوب القاسية؛ فأحرقتة.

٢٨- تلهج بأن الشيخ لا يسوس المصلحة بحزم، فإن بليَ برُدُ شبابك ولم تُلقِ زمامها من تلقاء نفسك، فقد فندت رأيك، أو أضمرت العبث في السياسة.

٢٩- في الناس من لا يلاقيك بثغر باسم إلا أن تدخل عليه من باب البله، أو تلطخ لسانك بحمأة التملق؛ فاحتفظ بالمعيتك وطهارة منطقتك، فإنما يأسف على طلاقة وجهه قوم لا يعقلون.

٣٠- بين جناحك قوة تجذب إلى جوارك العمل وهي الإرادة؛ فاستعد بالله أن تكون كالجاذبية الأرضية تستهوي الصخرة الصماء إلى النفس المطمئنة؛ فتمحقها.

٣١- شددتَ وصلك إلى سوق العرفان؛ ليقتنى ما يلدُ ذوقك من درر حسان؛ فإذا اغبرت لؤلؤة إيمانك بوسواس المفتون فقد خسرت تجارتك ولو أصبحت تهكم على آراء أفلاطون، وكشف لك من الكيمياء والزراعة عن كنوز قارون.

٣٢- لا ترسل فكرك وراء البحث عن حقيقة قبل أن ينفخ فيه روح الاستقلال؛ فإن التقليد موت، وما كان لجثث الموتى أن تغوص الأبحر العميقة.

٣٣- لا عجب أن يتفجر بين أيديهم ينبوع الآداب صافياً، وتهوى أنفسهم أن تغترف غُرْفَةً من مستنقعها الأقصى؛ فإن من الأبصار المعتلة ما لا يقع نظره إلا على شبح بعيد.

٣٤- النفس راحلةٌ تحمل أثقالك إلى بلد السعادة؛ فإن لم تسر بها إثرَ الشريعة القيمة، أولجت بك في مهامه مُغَبَّرَةً، وإن بلغت في الفلسفة ما بلغ شاعر المعرة.

٣٥- سيروا في تهذيب الفتاة على صراط الله المستقيم؛ فإن منزلتها من الفتى منزلةٌ عَجَزَ البيت من صدره، ولا يحسن في البيت أن يكون أحدُ شطريه محكماً والآخر متخاذلاً.

٣٦- لا يدرك أعشى البصيرة من الحقائق المتناسقة غير أشجار ذات أفنان، وثمار ذات ألوان، وإنما ينقب عن منابتها وأطوار نشأتها ذو فكرة متيقظة.

٣٧- لا تدهنوا المولعَ بقتل حريتكُم؛ فأجنس الناس قيمة من تصرعه الخمر، كالذي يتخبطه الشيطان من المس، ثم لا يلبث أن يلبسها من تسبيح مدحه حللاً ضافية.

٣٨- إن من الجهال من يرمي به الزمن على مقام وجيه؛ فعَلَّمَهُ بسير تلك القيمة أن الجهالة لا ترجح على العلم وزناً وإن وضع بإزائها السلطة الغالبة، أو الثروة الطائلة.

٣٩- بذرت أيام الشباب آمالاً لم تقطف ثمرها إلا حين أقبل المشيب، وهل يتمنى الحاصد للثمار يعود إلى أيام الحراثة والزراعة والانتظار؟!

٤٠- يكفي الذي يسير في سبيل مصلحة الأمة، وهو يرقب من ورائها منفعة لنفسه أن يكون في حل من وخزات أقلامها، وإنما يحمد الذي يجاهد لسعادتها،

وهو لا يرجو نعماء ينفرد بها في هذه الحياة.

٤١- لا تنقل حديث الذي يفضي به إليك عن ثقة بأمانتك، ويمكنك - متى كان يرمي إلى غاية سيئة - أن تجعل مساعيك عرضة في سبيله؛ فتحفظ للمروءة عهداً، وتقضي للمصلحة العامة حقها.

٤٢- لو فكرت في لسانك حين يتعرض لإطراء نفسك لم تميزه عن السنة تقع في ذمها إلا بأنة يلصق بك نقيصه، لا يحتاج في إثباتها إلى بينة.

٤٣- ألا ترى الماء الذي تقع في مجارية الأقدار، كيف يتهجم منظره، ويخبث طعمه؛ فاطرد عن قلبك خواطر السوء؛ فإنه المنبع الذي يصدر عنه عملك المشهود.

٤٥- قد يقف لك الأجنبي على طرف المساواة، حتى إذا حل ووطنك متغلباً طرحك في وهدة الاستبعاد، واتخذ من عنقك الحر موطئاً.

٤٦- لا يحق للرجل أن يكاثر بمن يتقلد رأيه على غير بينة، إلا إذا وازنه وقارنه بالصحف المطوية على آثارهم في نسخ متعددة.

٤٧- إن هذا الزجاج يصنع كأساً ليصير الحليم فينا سفيها  
ويصوغ الدواة تلقاء هذا ليُرى خامل الشعور نبيها  
مثلُ الفيلسوفِ ينفث غياً ثم يأتي لما يروق الفقيهها

٤٨- جرس يصيح كحاجب طلق اللسان معريداً  
حيناً ينوح كموجع من لطممة المتعمد  
والآن زن كمزهر جسته أنمل معبد  
زار الصديق فهرة من بعد ضغطة جامد  
فحدا كما يحدو الهزا رعلى الغصون الميّد  
والود يسكن في الحشا لكن يحس من اليد





## الثاني عشر: المنتقى من كتاب

## أليس الصبح بقريب للشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور

## نبذة عن المؤلف:

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد في ضاحية المرسى في تونس سنة ١٢٩٦ هـ بقصر جده للأمر الصدر الوزير محمد العزيز بو عتور. وقد شب في أحضان أسرة علمية، ونشأ بين أحضان والد يأمل أن يكون على مثال جده في العلم والنبوغ والعبرية، وفي رعاية جده لأمر الوزير الذي يحرص على أن يكون خليفة في العلم والسلطان والجاه.

تلقى العلم كأبناء جيله؛ حيث حفظ القرآن، واتجه إلى حفظ المتون السائدة في وقته، ولما بلغ الرابعة عشرة التحق بجامعة الزيتونة سنة ١٣١٠، وشرع ينهل من معينه في تعطش وحب للمعرفة، ثم برز ونبغ في شتى العلوم سواء في علوم الشريعة، أو اللغة، أو الآداب أو غيرها.

وله مؤلفات عديدة في شتى الفنون، منها تفسيره المسمى بالتحريير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وكشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ورد على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق، وأصول التقدم في الإسلام، وأصول الإنشاء والخطابة، وغيرها كثير.

توفي رحمته الله يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٣ هـ.

وإذا أردت التوسع في ترجمته فارجع إلى كتاب شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، تأليف د. بلقاسم الغالي.

### تعريف بالكتاب:

- هذا الكتاب الذي بين أيدينا سماه مؤلفه: (أليس الصبح بقريب). وقد كتبه رحمته الله عام ١٣٢١هـ وعمره أربع وعشرون سنة. وقد قصد من كتابه إصلاح التعليم العربي والإسلامي، وتكلم من خلاله على أحوال العلوم الإسلامية، وطرائق تعليمها، وأسباب النهوض والانحطاط العارضين لها.
- ويمكن إجمال ما تكلم عليه في ذلك الكتاب الماتع بما يلي:
- ١- أطوار التعليم في الأمة العربية قبل الإسلام، وفي أشهر الأمم المعاصرة للعرب.
  - ٢- أطوار التعليم العربي عند ظهور الإسلام وبعد ظهوره.
  - ٣- نقل العلوم الفارسية والهندية واليونانية.
  - ٤- وصف التعليم الإسلامي وأساليه، ومناهجه.
  - ٥- الطريقة في معرفة أهلية المتصدي للعلم.
  - ٦- صفة الدروس، ومواضع التعليم.
  - ٧- الكتابات، وأوليتها في الإسلام.
  - ٨- معاهد تعليم المرأة.
  - ٩- تعليم المرأة.
  - ١٠- انبثات العلوم الإسلامية في الأقطار: في مصر وأفريقية، والأندلس، وبلاد الفرس، والمغرب الأقصى.

- ١١- مواضع التعليم فيها ، وأسلوب التعليم.
  - ١٢- طور التفكير العلمي ، والمشاركة في العلوم.
  - ١٣- الكتب التي كانت تزاوّل.
  - ١٤- تفصيل لمواضع التعليم في تونس ، وأسماء علماء تونس.
  - ١٥- حديث التأليف ، وتاريخ أطوارها ووجوه إصلاحها.
  - ١٦- حديث عن العلوم ، وتفصيل في تقسيمها.
  - ١٧- تفصيل عن علوم الشريعة وعلوم اللغة ، والمنطق والتاريخ ، والفلسفة والرياضيات.
  - ١٨- حديث عن المعلمين ومراتبهم.
  - ١٩- حديث عن الامتحانات.
  - ٢٠- تطرّق الانتقاد للنظام التدريسي.
- إلى غير ذلك من المباحث الرصينة ، والتحريرات العالية ، والتحقيقات الرائعة الماتعة التي قل أن توجد في غير هذا الكتاب.
- ولقد أودع المؤلف رحمه الله هذا الكتاب نظراته الفاحصة ، وانتقاداته الموفقة ، وآراءه السديدة ، ومقترحاته الدقيقة ، وملاحظاته القيمة التي كانت سبباً للنهوض بالتعليم في بلاده وغيرها.
- كل ذلك بأسلوب أخّاذ ، ولغة عالية ، ونفس مستريضة.
- وما أجدر دعاة إصلاح التعليم أن يدرسوا هذا الكتاب ، ويفيدوا مما فيه من العلم ، والتجارب.
- والكتاب يقع في ٢٧٦ صفحة ، توزيع الشركة التونسية للتوزيع.

### نقول من كتاب أليس الصبح بقريب:

١- قد كان حدا بي حادي الآمال ، وأملَى عليّ ضميري ، من عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف ، للتفكر في طرق إصلاح تعليمنا العربي الإسلامي الذي أشعرتني مدة مزاولته متعلماً ومعلماً بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النطاق؛ فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك وبيان أسبابه ، ولم أنشَبْ أن أزجيت بقلمي في ابتداء التحرير فإذا هو يسابقي كأنه من مطايا أبى العلاء القائل :

ولو أن المطي لها عقول      وجدك لم نشد لها رحالا

ص ٥

٢- وصادفتُ أيام عطلة التدريس الصيفية في ذلك العام ، فقضيتُ هواجرها الطويلة ، وبُكرها الجميلة ، في هذا العمل ، مشغلاً به عن محادثة الأحباب ، وعن دعة التنعم بمغتسلٍ بارد وشراب ، حتى وقف بي القلم عند انتهاء الاستراحة في مدة شهرين إلى تحرير جملة كانت مشجّعتي على مراجعة عملي هذا في ثلاثة أصياف وعنوانته « أليس الصبح بقريب » .

وكان من العزم تهذيبه وإصداره ، فحالت دون ذلك موانع جمّة ، لم تزل تطفو وتركد ، وتغفو وتسهد ، غير أنني لم أدع فرصة إلا سعت إلى إصلاح التعليم فيها بما ينطبق على كثير بحسب ما سمحت به الظروف ، وما تيسر من مقاومة صانع منكر ومانع معروف ، ما حرك سواكني إلى إبراز هاته الآراء التي كنت أملتيتها ، ونشر الأوراق التي خشيت عليها عواصف الأهواء؛ فطوبتها. ص ٥

٣- وهأنذا متقدم إلى خوض بحر أرى هول أمواجه قد حاد بعقول كثير من ذوي الألباب، فولوا عنه مدبرين، وتكلموا في إصلاحات نافعة من مصالح المسلمين، لكنها كلها كانت متوقفة على هذا المقصد الجليل المغفول عنه «مبدأ إصلاح التعليم».

ولطالما كنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، وأعلم أن نور عقلي هو دون إضاءة هاته المجاهل التي صفدت عليها منافذ الأنوار والأهوية الخالصة، فامتألت بالحوامض الرديئة منذ أزمان.

وإذ قد كان من المعلومات المسلمة أن الله -تعالى- استخلفنا في الأرض ومنّ علينا بنور العقول ونبهنا باختلاف النظام في الدنيا إلى أحوال الرقي والانحطاط، وقال: ﴿انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فما طَمَعَيْنَا من هذا السكوت الطويل، وما إغراقنا في هذا السبات العميق؟ ص٦

٤- إذاً قد كان واجباً علينا؛ خدمةً للملة، وتهيئةً للنشأة العلمية التي تزيّن مستقبلنا وتمجّد ماضينا أن ندخل تلك المجاهل نرفع بإحدى يدينا مشاعل النور، ونقطع بالأخرى ما يمانع من حجرات العثور، فإن لم نصل بعدُ إلى غاياتها فعسى أن لا نبعد، وإن سلمنا من أن نشقى باللئام فما ضرنا أن لا نسعد، ولنا في ذلك كله معذرة العارفين، وشهادة أو تزكية المنصفين. ص٦

٥- نحن نشغل في هذا العالم؛ لنحصل السعادة حيثما توجهنا وذلك يجلب

المنافع واتقاء المضار.

فنحن - إذا - في أشد الاحتياج إلى العلم بوجوه استقامة الأشغال وهي المراد من التعليم؛ ليكون المتعلم بذلك راضياً عن نفسه، واثقاً بمحصول مبتغاه من عمله، ترى ذلك في كل العلوم؛ فكما ترى الرضا عن نفسك في معاشرتك بما اكتسبته من علم تهذيب الأخلاق ترى الرضا عنها في صنائعك إن كنت تصنع وفي سائر أكوانك التي تدخل تحت سلطان إرادتك؛ فلا يسوء ظنك بشيء ما، ولا تكون مكدوداً من القصور عندما ترى نفوساً يسمو بها الارتقاء في أوج المعالي، بل إما أن تسابق معها بجناح، أو تعلّم - بالأقل - أن للطيران فرصاً استكمال قوة أو مساعدة رياح، كما قال الزمخشري:

يا من يحاول بالأمانى رتبتي      كم بين منخفضٍ وآخر راقبي  
أبیت ليلي ساهراً وتضييعه      نوماً وتأمل بعد ذاك لحاقي

ناهيك بما يجده المتعلم إن بلغ حدّاً أن يكون معلماً من الابتهاج بما يبيّن للمتعلّمين من الحقائق، وما يعالجه من إنشاء أمة مستقلة.

هاته منافع العلوم الحاجية التي تدعو إلى معرفتها حاجة الحياة الاجتماعية، وهي تختلف أعدادها باختلاف الحاجات الداعية ولا يقدر أن يحدد عددها أحد، لكن لا شك أن تقدم الحضارة يوفر كثرتها.

لأجل هذا كان من واجب كل داعٍ إلى التعليم أن يوضح لطالبيه الغايات التي يحصلونها من مزاولته ذلك التعليم سواء كانت غاية دنيوية أو أخروية؛ لأن لكلتا الغائتين طُلُوباً، فتلك الغاية هي التي يجتني منها المحصل على نهاية ذلك التعليم نفعاً لنفسه دنيوياً وأخروياً، ووراء هاتين غاية هي أسمى وأعظم مما يبدو منها وهي إنتاج قادة للأمة في دينها ودنياها، وهداة هم مصابيح إرشادها، ومحاصد

- قتادها، ومهدئوا نفوسها إذا أقلقها اضطراب مهأها. ص ٧ - ٨
- ٦- فالتعليم الصحيح - إذا - يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل من تدرس بالأشغال والأعمال، أو رُزِقَ المواهب الحسنة، ورَغِبَ في سلوك خير السبل، وشغف بالمعرفة، وامتاز بحب الواجب والتعقل. ص ٩
- ٧- إني على يقين أنني لو أُتيح لي في فجر الشباب التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيراً من مواهبي ولاكتسبت جمّاً، من المعرفة ولسلمت من التَّطَوُّح في طرائق تبين لي بعد حين الارتداد عنها، مع أنني أشكر ما منحت به من إرشاد قيم من الوالد والجد ومن نصحاء الأساتذة، ولا غنى عن الاستزادة من الخير. ص ٩
- ٨- نبحث عن تعليم يفيد ترقية المدارك البشرية، وصقل الفطر الطيبة؛ لإضاءة الإنسانية، وإظهارها في أجمل مظاهرها فيخرج صاحبها عن وصف الحيوانية البسيط وهو الشعور بحاجة نفسه خاصة، إلى ما يفكر به في جلب مصلحته ومصلحة غيره بالتحرز من الخلل والخطأ بقدر الطاقة، وبحسب منتهى المدنية في وقته. ص ١٢
- ٩- كان العرب في الجاهلية يلقنون أبناءهم وبناتهم ما هم في احتياج إليه من المعارف يُعدُّونهم بها إلى الكمال المعروف عندهم. ص ١٧
- ١٠- وسبب اشتهاار الشعراء هو أن الشعر ضرب مستحدث من الكلام وأسلوب من المعنى غريب، وهو بجودة وزنه، والتزام قوافيه ينتزل منزلة التوقيعات الموسيقية، فكان يستفز الحليم، ويجرئ الجبان. ص ٢١

١١- حفظ العرب لغتهم من التغيير؛ فعدُّوا الخطأ فيها عيباً يُتَعَيَّر به، وشهروا بأصحاب الفهاهة واللثغة، وأعلنوا بدائع شعرهم وخطبهم في أسواقهم المشهورة أيام مواسم الحج، فكان عِلْمُهُمُ الحقُّ هو أدبُ لغتهم، وهو علمهم العقلي الوحيد.

ولهم معارف وتقاليد حافظوا عليها كانوا يعدون العلم بها من صفات الكمال، أهمها معرفة أنسابهم واتصال قبائلهم بعضها ببعض. ص ٢١

١٢- وكان لنسائهم عناية بتعليم البنات تدير البيت، وحسن التبعل للأزواج، والشفقة في تربية صغار إخوتهن. ص ٢١

١٣- وأما علم البلاغة، فلم يدوّن ويُفرد بالتسمية والتأليف إلا في القرن الخامس؛ لأنه كان مندرجاً في جملة علم الأدب.

ويقول بعض الناس إن الجاحظ أول من ألف فيه، لكنني أرى ما ألفه الجاحظ كان غير مصنف وإنما كانت مسائل البلاغة شعبةً من شعب النحو والأدب. ص ٣٢

١٤- ولكن الذي خص علم البلاغة بالتدوين هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت سنة ٤٧١هـ) في كتابيه: كتاب دلائل الإعجاز، وكتاب أسرار البلاغة؛ فهو أعطى ألقاباً للمسائل، وأخرج الكلام في الإعجاز عن الصفة الجزئية إلى قواعد كلية مسهبة مبرهنة.

على أن علم البلاغة لم يصِرَ فنّاً مهذباً إلا منذ صنف فيه الإمام يوسف السَّكَّاكي (ت سنة ٦٢٦هـ) القسم الثالث من كتابه مفتاح علوم العربية. ص ٣٣



١٥- وكان معاذ هذا - يعني الهرأء - يدّعي أنه يرى الجن، ووَضَعَ في أخبارهم كتباً أدبية أثبت فيها شعرهم ومُلَحَّهم يريد بذلك الطريقة الروائية والمقامات غير أنه يظهره في صورة جد، فقال له الرشيد: «إن كنت رأيت ما ذكرت لقد رأيت عجباً، وإن كنت ما رأيت لقد وضعت أدباً». ص ٣٣

١٦- ومما تقدم إلى هنا: تعلم أن العلوم التي كانت تدرس، وتدون يومئذ تنتهي إلى اثنين وثلاثين علماً هي: التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العروض، الفقه، أصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحرك، وتتبعها علوم تتفرع عن بعضها مثل مصطلح الحديث، والجدل، وآداب البحث، ونقد الشعر. ص ٣٩

١٧- تثبت أهلية القارئ لأن يؤخذ عنه القرآن، والعالم لبث العلوم الإسلامية - بالاشتهار بين أهل ذلك العلم بأن فلاناً عالم ضابط حافظ. ص ٥٢

١٨- وكان من الآداب أن تكون بين الحلقة القريبة من الأستاذ وبين أستاذهم مسافة قوس، ويعدون القرب من الأستاذ أكثر من ذلك من سوء التربية. ص ٥٤

١٩- كان العلم الإسلامي في مصر قد استقر منذ الفتح الإسلامي سنة ١٦ إذ سكن في مصر كثير من الصحابة مثل عمرو بن العاص، وابنه عبد الله بن عمرو، وقيس بن عباد، وعبيد الله بن محمد المعافري - وهو أول من قرأ القرآن

بمصر - ص ٦٢

٢٠- السبب الرابع من أسباب تأخر التعليم: عُرُوُ التعليم عن مادة الآداب وتهذيب الأخلاق، وشرح العوائد النافعة، وغيرها.

وهو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد. وقد اعتنى المسلمون في صدر الإسلام بذلك فتلقوا آداب القرآن، وهدى الرسول، ثم عززوه في عصور نهضتهم بعلوم آداب الشريعة والمواعظ. أما إهماله بعد ذلك فسببه تأخر المسلمين وقصور أنظارهم واعتقادهم أن العلم منحصر فيما تتضمنه القواعد العلمية كالنحو، والفقه وبعبارة أخرى ميل طائفة العلماء إلى الحفظ والاستكثار من فروع المسائل ومن عدد العلوم. ومن العار الكبير أن ترى كثيراً ممن ينتصب لتعليم النشأة تعجبك أجسامهم، وتبهجك بزئهم، وتعظم صورهم.

ولكن ما بينك وبين أن ترمقهم بضد ذلك إلا أن تُحَاكِّمهم وتعاشرهم أو تجادلهم؛ فترى تلك الهياكل العظيمة فارغة من الفضيلة ومكارم الأخلاق والمروءة، وبذلك رزئت الأمة أنفع عنصر في حياة الأمم وكمالها وهو الأخلاق. وإذا كانت تلك حالة خاصة الناس فما ظنك بعامتهم؟ وإذا ذهب وقت التعليم عن الطلبة ولم يتلقوا فيه فضائل الأخلاق فمن العسير أو المتعذر تلقينها لهم من بعد؛ لأن فيما يدخل فيه المحصل على الشهادة أو نحوه من معترك الحياة شغلاً شاغلاً عن ذلك. ص ١٢٤

٢١- والواجب من حيث خطتنا التي نريد أن تسير فيها أبنائنا وتلامذتنا هو

التدريب على ضروب الحكمة، ونقد مقتضيات الزمان، وعلو الهمة، والغيرة للحق، والترفع عن سخائف المطامع، وعن ضيق الصدر الذي ينشأ عنه الحسد، والظلم، والخصام، والتلطي من كل ما يخالف المقصد، والإقدام، والحزم وأصالة الرأي، وحب النظام في جميع أحوال الحياة، والعمل، وحب التناسب في المظاهر كلها، وإدراك الأشياء على ما هي عليه، والتباعد عن الخفة والطيش، وعن الجمود والكسل، وسوء الاعتقاد، والأمور الوهمية بحيث يكون العدل في جميع الأشياء صفة ذاتية لهم. ص ١٢٥

٢٢- نعم نحن نرى أن لا يقع النقد إلا في الدروس العالية، أما التلامذة المبتدئون والمتوسطون في أول الرتبة فإننا نلقي إليهم القواعد، وما كان من رأي فيه نظر ننقحه ونلقيه لهم من غير إشعار بما كان فيه من الخلل وكيف وقع تنقيحه، حتى إني كنت أصرفهم عن سرد الشرح مثلاً متى علمت أن في ذلك الموضوع ما لا يصلح تلقّيه. ص ١٢٧

٢٣- والمشائخ المدرسون - وإن بلغوا ما بلغوا من الاجتهاد في التعليم - فإن ثمة اجتهادهم لا تظهر إلا بمقدار نجابة تلامذتهم. ص ١٤١

٢٤- ونسبة النباهة والتحصيل في التلامذة قليل؛ بسبب إهمال التمرين وترك مراجعة ما يقرؤونه قبل الدرس وبعده، وترك مطالبتهم باستذكار ما تعلموه، وترك تكليفهم بحفظ المتون حفظاً جيداً، وترك تعويدهم على فهم معنى المتن الذي يحفظونه؛ فإنك لتسأل التلميذ عن المسألة فيعجز عن الجواب، ويتذكر عبارة المتن، ولكنه يبقى يلوكها ولا يكاد يبين عن المراد منها. ص ١٥٨

٢٥- يؤلف في علم مَنْ كان قويَّ الساعد فيه؛ ليتمكنه أن يأتي في تأليفه بغرض من أغراض التأليف السبعة التي جمعت في أبيات:

ألا فاعلمن أن التآليف سبعة	لكل لبیب في النصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ	وإبداعُ حبرٍ مقدّم غير ناكص
وترتيبٌ منشورٌ وجمعٌ مفرق	وتقصيرٌ تطويلٌ وتتميمٌ ناقص

ص ١٧٠

٢٦- التفسير شرح مراد الله - تعالى - من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية، وليعتاد بممارسة ذلك فهم كلام العرب، وأساليبيهم من تلقاء نفسه. ص ١٨٤

٢٧- يُقصد من علم الأصول ضبط القواعد التي يستطيع العالم بها فهم أدلة الشريعة؛ ليأخذ منها الأحكام التفريعية.

أرادوا أن يجمعوا فيه ما تتفق فيه الآراء؛ ليرتفع الخلاف في الفقه بعد أن كانت هاته القواعد متفرقة وموكولة لنباهة المجتهدين. ص ٢٠٣

٢٨- في طبع الإنسان كراهية الرجوع إلى من يجترئ عليه، والخلاف بين العقلاء نادر لورامو التقارب. ص ٢١٠

٢٩- وللغة المضرية شبهٌ بالعبرانية والبابلية وسائر اللغات السامية. ص ٢١٢

٣٠- هل نرجو من تلامذتنا اليوم أن يكونوا فصحاء بلغاء وهم لا يقرع سمعهم إلا سقط الكلام، ورعونة التعبير، ولا يعرفون معنى الإنشاء والفصاحة؟ ص ٢١٥

٣١- لا عُدّة لنا اليوم في الفصاحة إلا القرآن، وناهيك به عُدّة، ولكن قراءة

الناس إياه في الصغر، وإهمال التذكير بمعانيه في المكاتب، والشغل عن درسه في الكبر - أرزا الناس فائدة عظيمة يبلغون بها رتبة مكينة من علم اللسان. ص ٢١٥

٣٢- فإن كتاب سيبويه اشتمل على مسائل من التقديم، والتأخير، ومعاني الحروف، ومحاسن العطف، ونحوها؛ فكان عمدة علماء البلاغة من بعده وقد قال فيه الزمخشري:

أَلَا صَلَّى إِلَهِ صَلَاةَ صَدَقَ      عَلَى عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قُبَيْرٍ  
فَإِنْ كِتَابَهُ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ      بَنُو قَلَمٍ وَلَا أَعْوَادُ مِنْبَرٍ

٣٣- علم البلاغة المعاني والبيان والبديع: تكاثرت الأسماء له؛ فمن الناس من سماه علم البديع لأنه مبدع، ومنهم من سماه البيان لأنه يبين عن المراد، والمتأخرون هم الذين قسموه إلى ثلاثة أقسام:

المعاني: وهو ما يبحث فيه عن مطابقة الكلام لمقتضى حال التعبير.  
والبيان: وهو كاسمه يعرف به إيراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من حقيقة أو مجاز.

والبديع: وهو تحسين المعاني أو الألفاظ بما يجعلها مستظرفة للسامع.

ص ٢٢٢ - ٢٣٢

٣٤- يريدون من المنطق علماً يعصم الأفكار عن الخطأ في المطلوب التصوري الذي تتعرف منه حقيقة شيء، وفي المطلوب التصديقي الذي يتعرف منه العلم مع دليل ما، وهو من جملة العلوم التي نقلها العرب من اليونانية في عصر النهضة العلمية، وختمه بالصناعات الخمس: «البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر، والسفسطة». ص ٢٢٥

٣٥- من أخص واجبات الأساتذة أن يكونوا قدوة لتلاميذهم؛ فمن الواجب أن يعرفوهم حب العمل، والسعي لإصلاح أنفسهم وأمتهم، وأن ينشئوهم على خلال المصابرة والشجاعة، والحرية والمروءة، واحترام الحق والعدالة، والعفاف وكرم الأخلاق؛ حتى يكونوا كلهم أعضاء نافعة عاملة سواء منهم من بقي في صناعة العلم، أو من انصرف إلى الأشغال الأخرى وعساهم أن لا يكونوا بعداء

عن هذا في مقبل الزمان؛ فإن علماء الأمة زينتها في كل أوان. ص ٢٣٥

٣٦- ليس العلم رموزاً تُحل، ولا كلمات تُحفظ، ولا انقباضاً وتكلفاً، ولكنه نور العقل، واعتداله، وصلاحيته لاستعمال الأشياء فيما يحتاج إليه منها؛ فهو استكمال النفس، والتطهر من الغفلة، والتأهل للاستفادة والإفادة.

وما كانت العلوم المتداولة بين الناس إلا خادمة لهذين الغرضين وهما ارتقاء العقل لإدراك الحقائق، واقتدار صاحبه على إفادة غيره بما أدركه هو. ص ٢٣٩

٣٧- هذا ما عن إثباته من أحوال العلوم الإسلامية، وطرائق تعليمها، وأسباب النهوض والانحطاط العارضين لها في عديد الأعصر، وقد مضى بعد تقييده زمنٌ غير قصيرٍ تطورت فيه الأحوال إلى أحسن تارة وإلى أسوأ أخرى، وفي العيان غنية عن الإبانة لمن كانت له زكاة.

وقد تحقق العمل بكثير من الملاحظات والمقترحات التي اشتمل عليها هذا الكتاب، فأسفر بها وجه الصبح الذي رجوت له قرباً، ولم أفتيء كلما وجدت فجوةً أن أرتقي بالتعليم مرتقى وإن كان صعباً، حتى قلت إن الصبح أعقب

بضحاه، ورأيت كثيراً من الناصحين توخى سبيلنا وانتحاه، واللبيب لا يعوزه  
تنظير الأحوال، وفي الخبر أن ابن آدم لا ينتهي ما له من آمال، ونسأل الله عون  
المسلمين على إصلاح الأحوال. ص ٢٦٠





## الثالث عشر: المنتقى من كتاب

## وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ١٢٩٨-١٣٥٦

## نبذة في سيرة المؤلف:

هو الأديب الكبير مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي ولد سنة ١٢٩٨ هـ ببلدة بهتيم بمحافظة القليوبية بمصر، وقضى شطراً من صباه فيها والتحق بمدرستها الابتدائية.

ثم انتقل أبوه إلى المنصورة فانتقل معه والتحق بالابتدائية هناك، وتخرج فيها سنة ١٣١٥ هـ، ثم أصيب بالمرض الذي أضعف صوته، وأفضى بسمعه إلى الصم؛ فانقطع عن الدراسة، وأقبل على مكتبة أبيه الزاخرة بصنوف الكتب، وكان أبوه من علماء الأزهر لذا كان مجلسه عامراً بالعلماء والأدباء، ومكتبته زاخرة بنفائس الكتب.

ومن هذه المصادر الثلاثة -والده، مكتبة والده، مرتادو مجلس والده- استقى الرافعي علمه وتحصيله، ثم نقل والده الشيخ عبد الرزاق إلى طنطا قاضياً بمحكمتها، فانتقل معه ابنه مصطفى، وعُيِّن كاتباً في المحكمة، وكان مثال النشاط والإخلاص في عمله الذي لم يصرفه عن الإقبال على القراءة والكتابة.

انتخب الرافعي للمجمع العلمي بدمشق، وكان منزله ومكتبه ومقهى لمنوس أماكن يرتادها تلامذة الرافعي ومحبه، يتلقى أسئلتهم، ويجيب عليها بصدر رحب.

ويعد الرافعي في زمانه حامل أدب الأصالة، ورافع راية البلاغة؛ فهو الرجل

الذي وقف قلمه وبيانه في سبيل الدفاع عن القرآن ولغة القرآن .  
وقد بدأ حياته شاعراً، إلا أنه أقبل على الكتابة في أواخر عمره، وكانت صلته  
بالصحف مبكرة؛ حيث أقبل عليها يودعها مقالاته وبحوثه التي كان يطرق بها كل  
ميدان؛ فكان يعالج قضايا المجتمع كالفقر، والجهل، و السفور، والرد على مطاعن  
أعداء الإسلام.

وله أسلوب مميز في الكتابة، وإن كان ذلك الأسلوب لا يناسب كل أحد؛ إذ قد  
يلائم الخاصة أكثر من ملاءمته للعامة؛ فهو ذو أسلوب قوي أخاذ، ولكنه يحتاج إلى  
إحضار ذهن، وكثرة تكرار؛ لأن الفكرة أحياناً لا تصل إلى القارئ إلا بعد جهد.  
له مؤلفات عديدة، ومنها: تاريخ آداب العرب، وحديث القمر، ورسائل  
الأحزان، والسحاب الأحمر، وأوراق الورد، وتحت راية القرآن.  
وخير كتبه كتاب وحي القلم، ويقع في ثلاثة مجلدات، وكان حصيلة ما كتب في  
مجلة الرسالة، وله مؤلفات عديدة غيرها، وقد ضاع كثير مما كتب بسبب رداءة  
خطه، توفي رحمته الله عام ١٣٥٦هـ.

### تعريف بالكتاب:

ولعل أبرز كتب الرافعي -عامة- كتاب (وحي القلم) فهذا الكتاب آخر كتاب  
أنشأه، ولكنه - كما يقول الأديب محمد سعيد العريان ضابط الكتاب ومصمم  
حواشيه - أول ما ينبغي أن يُقرأ له، فهو كتاب يجمع كل خصائص الرافعي:  
الأدبية، والعقلية، والنفسية متميزة بوضوح في أسلوبه ومواضيعه؛ ففيه دينه  
وخلقه، وفيه شبابه وعاطفته، وفيه سمته ووقاره، وفيه غضبه وسخطه، وفيه  
فكاهته ومرحه في مجموعة فصول، ومقالات، وقصص من وحي قلمه، وفيض

خاطره، فيها روعة الأدب، وسمو الفكر، وجمال البيان؛ كما أن فيه نظراتٍ في النفس، والكون، والحياة.

كما أن فيه جوانبَ عديدةً عن المرأة، وما يُكاد لها، وما يثار حولها، وما ينبغي أن تكون عليه من العفة والشرف، والحجاب، والديانة، والصيانة، وحسن التبعل للزوج، وما جرى مجرى ذلك من الأخلاق الفاضلة. كما أن فيه تحذيراً للمرأة من الرذيلة، والتبرج، والسفور، وأمثال هذه الأخلاق المردولة، وما تجرُّه من ويلات.

كما أن فيه مناقشاتٍ لكثير من الشبهات التي يوردها دعاة الرذيلة، كدعوى الحرية، وتحرير المرأة، ونبد التقاليد، والسير في ركاب الغرب، ونحو ذلك. فكان ﷺ يرد تلك الدعاوى بأساليب شتى؛ فتارة يسوق الحديث في قالب التهكم، وتارة يصبه في قالب النصيح للمرأة، وتارة بمناقشة تلك الدعاوى مناقشة عقلية مقنعة، وتارة يدير الحديث على ذكر العواقب المترتبة على تلك الدعاوى، وهكذا...

### النقول المنتقاة:

قال ﷺ:

١- من سقوط النفس أن يغتر الشاب فتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها، وتركها بعد أن يلبسها عارها الأبدي. ٢١٢/١

٢- الذي يجد طهارة قلبه يجد سرور قلبه، وتكون نفسه دائماً جديدة على الدنيا. ٢٣٢/١

٣- الإيمان وحده هو أكبر علوم الحياة يبصرك إذا عميت في الحادثة، ويهديك

إذا ضللت عن السكينة ، ويجعلك صديق نفسك تكون وإياها على المصيبة ، لا عدوها تكون المصيبة وإياها عليك. ٢٣٣ / ١

٤- إن الشقاء في هذه الدنيا إنما يجره على الإنسان أن يعمل في دفع الأحزان عن نفسه بمقارفة الشهوات ، وبإحساسه غرور القلب؛ وبهذا يبعد الأحزان عن نفسه؛ ليجلبها على نفسه بصورة أخرى. ٢٣٩ / ١

٥- فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق - فلا تعدته من فرط الجمال ، بل من قلة الحياء. ٣٠٢ / ١

٦- ويقول ﷺ متحدثاً عن اللقطاء: «ههنا باعث الشهوة قد عجز أن يسمو سموه - وما سموه إلا الزواج - فتسفل وانخط ، ورجع فسقاً ، وعاد أوله على آخره ، كان أوله جرماً ، فلا يزال إلى آخره جرماً ، ولا يزال أبداً يعود أوله على آخره؛ فلما حملت المرأة ، وفاءت إلى أمرها ، وذهب عنها جنون الرجل والرجل معاً - انطوت على الثأر ، والحقد ، والضعينة؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الشرور أيضاً.

والأمهات يعدون لأجنتهن الثياب والأكسية قبل أن يولدوا ويهيئن لهم بالفكر آمالاً وأحلاماً في الحياة؛ فيكسبنهم في بطونهن شعور الفرح ، والابتهاج ، وارتقاب الحياة الهنيئة ، والرغبة في السموبها.

ولكن أمهات هؤلاء يعدون لهم الشوارع ، والأزقة منذ البدء ، ولا ترتقب إحداهن طول حملها أن يحيثها الوليد ، بل أن يتركها حياً ، أو مقتولاً ، فيورثنهم بذلك - وهم أجنة - شعور اللهفة ، والحسرة ، والبغض ، والمقت ، ويطبعنهم على

فكرة الخطيئة، والرغبة في القتل؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الرذائل.  
وتظل الفاسقة مدة حملها تسعة أشهر في إحساس خائف مترقب منفرد منعزل  
عن الإنسانية ناغم متبرم متستر منافق.  
ومتى أَلقت الفاسقة ذا بطنها قطعت له لتوه من روابط أهله وزمنه، وتاريخه،  
ورمت به؛ ليموت، فإن هلك فقد هلك، وإن عاش لمثل هذه الحياة فهو موت  
آخر شر من ذلك.  
ومهما يتوله الناس، والمحسنون، فلا يزال أوله يعود على آخره؛ مما في دمه،  
وطباعه الموروثة، ولا يبرح جريمة ممتدة، متطاولة، ولا ينفك قصة فيها زانٍ  
وزانية، وفيها خطيئة ولعنة.  
فهؤلاء كما رأيت أولاد الجرأة على الله، والتعدي على الناس، والاستخفاف  
بالشرائع، والاستهزاء بالفضائل.  
وهم البغض الخارج من الحب، والوقاحة الآتية من الخجل، والاستهتار  
المنبعث من الندامة.  
وكل منهم مسألة شر تطلب حلها، وتعقيدها من الدنيا، وفيهم دماء فوارة  
تجمع سمومها شيئاً فشيئاً كلما كبروا سنةً فسنة. ٣٠٩/١ - ٣١٠  
٧- ويا حسرتاً على هؤلاء الصغار المساكين؛ إن حياة الأطفال فيما فوق مادة  
الحياة - أي في سرورهم وأفراحهم - وحياة هؤلاء البائسين فيما هو دون مادة  
الحياة، أي في وجودهم فقط.  
وكبرُ الأطفال يكون منه إدخالهم في نظام الحياة، وكبرُ هؤلاء إخراجهم من

الملجأ، وهو كل النظام في دنياهم ليس بعده إلا التشريد، والفقر، وابتداء القصة المحزنة. ٣١١/١

٨- وهؤلاء اللقطاء في حياة العامة قد نزعَت منها الأم والأب؛ فليس لهم ماض كالأطفال، وكأنهم يبدؤون من أنفسهم لا من الأباء والأمهات. ٣١٢/١

٩- عجباً! إن سيئات اللصوص والقتلة كلها يُنسى، ويتلاشى، وسيئات العشاق والمحبين تكبر. ٣١٢/١

١٠- ولكن المرأة هي التي خلقت؛ لتكون للرجل مادة الفضيلة، والصبر، والإيمان، فتكون له وحياً، وإلهاماً، وعزاً، وقوة، أي زيادة في سروره، ونقصاً في آلامه.

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد، هو صفاتها التي تجعل رجلها أعظم منها. ١٥١/٢

١١ - فمهما تكن الزوجة شقية بزوجها فإن زوجها قد أولدها سعادتها، وهذه وحدها مزية ونعمة. ٢٩٢/١

١٢- أما الفتاة فكانت في الأكثر للزواج، فعادت في الأقل للزواج، وفي الأكثر للهو والغزل.

وكان لها في النفوس وقار الأم، وحرمة الزوجة، فاجترأ عليها الشبان اجترأهم على الخليعة الساقطة.

وكانت مقصورة لا تنال بعب، ولا يتوجه عليها ذم، فمشت إلى عيوبها بقدميها، ومشت إليها العيوب بأقدام كثيرة.

وكانت بجملتها امرأة واحدة، فعادت مما ترى، وتعرف، وتكابد كأن جسمها امرأة، وقلبها امرأة أخرى، وأعصابها امرأة ثالثة. ١٦٢/١ - ١٦٣

١٣- انظر ما فعلت كلمة الحرية بكلمة التقاليد، وكيف أصبحت هذه الكلمة السامية من مبدوء الكلام، ومكروهه، حتى صارت غير طبيعية في هذه الحضارة، ثم كيف أحالتها، فجعلتها في هذا العصر أشهر كلمة يتهمكم بها على الدين، والشرف، وقانون العرف الاجتماعي في خوف المعرة والدينية، والتصاون من الرذائل، والمبالاة بالفضائل؛ فكل ذلك «تقاليد».

وقد أخذت الفتيات المتعلمات هذه الكلمة بمعانيها تلك، وأجرينها في اعتبارهن مكروهة وحشية، وأضفن إليها من المعاني حواشي أخرى، حتى ليكاد الأب والأم يكونان عند أكثر المتعلمات من «التقاليد».

أهي كلمة أبدعتها الحرية؟ أم أبدعها جهل العصر وحماقته، وفجوره، وإلحاده؟

أهي كلمة تعلقها الفتيات المتعلمات لأنها لغة من اللغة؟ أم لأنها لغة ما يحبين؟ «تقاليد»؟ فما هي المرأة بدون هذه التقاليد؟ إنها البلاد الجميلة بغير جيش، إنها الكنز المخبوء مُعَرَّضاً لأعين اللصوص تحوطه الغفلة لا المراقبة.

هب الناس كلهم شرفاء متعفين متصاونين - فإن معنى كلمة «كنز» متى تركت له الحرية، وأغفل من تقاليد الحراسة أوجدت حريته هذه بنفسها معنى كلمة «لص». ١٦٣/١ - ١٦٤

١٤- العلم للمرأة، لكن بشرط، أن يكون الأب وهيبة الأب أمراً مقررّاً في العلم، والأخ وطاعة الأخ من حقائق العلم، والزواج وسيادة الزوج شيئاً ثابتاً

في العلم، والاجتماع وزواجه الدينية والاجتماعية قضايا لا ينسخها العلم.  
بهذا وحده يكون النساء في كل أمة مصانع عملية للفضيلة، والكمال،  
والإنسانية، ويبدأ تاريخ الطفل بأسباب الرجولة التامة؛ لأنه يبدأ من المرأة التامة.  
بغير هذا الشرط فالمرأة الفلاحة في حجرها طفل قدر هي خير للأمة من أكبر  
أديبة تخرج ذرية من الكتب. ١ / ١٦٩

١٥- شرف المرأة رأس مال للمرأة. ١ / ١٧١

١٦- يجاهدن مجاهدة كل شريف عظيم النفس، همه أن يكون الشرف أو لا  
يكون شيء، ويرى الغافل أن مثلهن هالكات في تعب الجهاد، ويعلمن من  
أنفسهن غير ما يرى ذلك المسكين، يعلمن أن ذلك التعب هو لذة النصر بعينها.  
كانت أنوثتهن أبداً صاعدة متسامية فوق موضعها بهذه القناعة، وبهذه  
التقوى، ولا تزال متسامية صاعدة على حين تنزل المطامع بأنوثة المرأة دون  
موضعها، ولا تزال أنوثتها تنحدر ما بقيت المرأة تطمع، ورب ملكة جعلتها  
مطامع الحياة في الدرك الأسفل، وهي باسمها في الوهم الأعلى. ١ / ١٣١

١٧- احذري تهوس الأوربية في طلب المساواة بالرجل، لقد ساوته في  
الذهاب إلى الحلاق، ولكن الحلاق لم يجد اللحية. ١ / ٢٦٤

١٨- احذري أن تخسري الطباع التي هي الأليق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق،  
أم عليها طابع النفس الجميلة، تنشر في كل موضع جوّ نفسها العالية؛ فلو صارت  
الحياة غيماً، ورعداً، وبرقاً لكانت الشمس الطالعة.

ولو صارت قيظاً، وحروراً، واختناقاً - لكانت هي النسيم يتخطر.



أم لا تبالي إلا أخلاق البطولة، وعزائمها؛ لأن جداتها ولدن الأبطال. ١/

٢٦٤ - ٢٦٥

١٩- يظنون أننا في زمن إزاحة العقبات النسائية واحدة واحدة من حرية المرأة وعلمها.

أما أنا فأرى حرية المرأة وعلمها لا يوجدان إلا في العقبات النسائية عقبة بعد عقبة. ١٦٢/١

٢١- إن نفس الأنثى لرجل واحد؛ لزوجها وحده. ١٣١ / ١

٢٢- وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة، وإغلاء سعرها في الاجتماع، وصونها من التبذل الممقوت؛ لضبطها في حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم: قانون العرض والطلب، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها في مدراج الطرق والأسواق. ١٩٠ / ١

٢٣- ولقد جاءت إلى مصر كاتبة إنجليزية، وأقامت أشهراً تخلط النساء المتحجبات، وتدرس معاني الحجاب، فلما رجعت إلى بلادها كتبت مقالاً عنوانه: «سؤال أحمله من الشرق إلى المرأة الغربية» قالت في آخره: إذا كانت هذه الحرية التي كسبناها أخيراً، وهذا التنافس الجنسي، وتجريد الجنسين من الحجب المشوقة الباعثة التي أقامت الطبيعة بينهما - إذا كان هذا سيصبح أثره أن يتولى الرجال عن النساء، وأن يزول من القلوب كل ما يحرك أوتار الحب الزوجي - فما الذي نكون قد ربخناه؟! لقد - والله - تضطرننا هذه الحال إلى تغيير خططنا، بل تستقر طوعاً وراء الحجاب الشرقي؛ لتعلم من جديد فن الحب

الحقيقي. ٢٠٥ / ١

٢٤- ليس لامرأة فاضلة إلا رجلها الواحد؛ فالرجال جميعاً مصائبها إلا واحداً. ٢٦٥ / ١

٢٥- احذري أن تخدعي عن نفسك؛ إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة.

إن الكلمة الخادعة إذ تقال لك هي أخت الكلمة التي تقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق؛ يغترونك بكلمات: الحب، والزواج، والمال كما يقال للصاعد إلى الشنقة ماذا تشتهي؟ ماذا تريد؟.

الحب؟ الزواج؟ المال؟ هذه صلاة الثعلب حين يتظاهر بالتقوى أمام الدجاجة.

الحب؟ الزواج؟ المال؟ يا لحم الدجاجة! بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب.

أيتها الشرقية! احذري، احذري. ٢٦٦ / ١

٢٦- لو كان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان مئذنة ووقف عليها يؤذن.

يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة كما يفرح أب غني بمولود جديد في بيته.

واللص، والقاتل، والسكير، والفاسق كل هؤلاء على ظهر الإنسانية كالحر والبرد.

أما المرأة حين تسقط فهذه من تحت الإنسانية؛ هي الزلزلة، ليس أفطع من الزلزلة المرتجّة تشق الأرض إلا عار المرأة حين يشق الأسرة.

أيتها الشرقية! احذري، احذري. ٢٦٧ / ١

٢٧- إن الساقطة لا تنظر في المرأة أكثر ما تنظر إلا ابتغاء أن تتعهد من جمالها،

وجسمها مواقع نظرات الفجور، وأسباب الفتنة، وما يستهوي الرجل، وما يفسد العفة عليه؛ فكأن الساقطة، وخيالها في المرأة رجل فاسق، ينظر إلى امرأة فاسقة لا امرأة تنظر إلى نفسها. ٧٧ / ١

٢٨- احذري السقوط؛ إن سقوط المرأة؛ لهوله، وشدته ثلاث مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدها، وسقوط من توجدهم.

نواب الأسرة قد يسترها البيت إلا عار المرأة. ٢٦٦ / ١ - ٢٦٧

٢٩- والمرأة التي لا يحميها الشرف لا يحميها شيء، وكل شريفة تعلم أن لها حياتين: إحداهما العفة.

وكما تدافع عن حياتها الهلاك تدافع السقوط عن عفتها؛ إذ هو هلاك حقيقتها الاجتماعية.

وكل عاقلة تعلم أن لها عقليين: تحتمي بأحدهما من نزوات الآخر، وما عقلها الثاني إلا شرف عرضها. ٩٣ / ١

٣٠- وأساس الفضيلة في الأنوثة الحياء؛ فيجب أن تعلم الفتاة أن الأنثى متى خرجت من حياتها، وتهجمت - أي توقحت أي تبذلت - استوى عندها أن تذهب يميناً أو شمالاً، وتهيات لكل منهما، ولأي اتفق.

وصاحبات اليمين في كنف الزوج وظل الأسرة، وشرف الحياة...

وصاحبات الشمال ما صاحبات الشمال... ٣٠٢ / ١

٣١- إن السعادة الإنسانية الصحيحة هي العطاء دون الأخذ، وإن الزائفة هي

الأخذ دون العطاء، وذلك آخر ما انتهت إليه فلسفة الأخلاق. ص ١٣ / ٣

٣٢- متى ما وقع الخلاف بين اثنين وكانت النية صادقة مخلصه - لم يكن اختلافهما إلا من تنوع الرأي، وانتهيا إلى الاتفاق بغلبة أقوى الرأيين، ما من ذلك من بد. ٣١٥ / ٢

٣٣- وأما ضعف الهمة، فمنزلة الحيوان الذي لا هم له إلا أن يوجد كيفما وجد، وحيشما جاء موضعه من الوجود؛ إذ هو يولد ويكده، ويكد؛ ليكون لحماً، وعظماً، وصوفاً، ووبراً، وشعراً أثاثاً، ومتاعاً، وكأنه ضرب من النبات إلا أنه نوع آخر من المنفعة. ٣٧٩ / ٣

٣٤- الأشياء الكثيرة لا تكثر في النفس المطمئنة، وبذلك تعيش النفس هادئة مستريحة، كأن ليس في الدنيا إلا أشياءؤها الميسرة.  
أما النفوس المضطربة بأطماعها، وشهواتها فهي التي تبتلئ بكثرة الهموم الخيالية. ٣١ / ١

٣٥- في جمال النفس ترى الجمال ضرورة من ضرورات الحياة؛ وي كأن الله أمر العالم ألا يعبس للقلب المبتسم. ٤٨ / ١

٣٦- ليس اللذة في الراحة، ولا الفراغ، ولكنها في التعب، والكدح، والمشقة؛ حين تتحول أياماً إلى راحة وفراغ. ٤٨ / ١

٣٧- إذا استقبلت العالم بالنفس الواسعة رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع، وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إذا ضاقت فأنت الضيق لا هي. ٥٠ / ١

٣٨- من مصائبنا - نحن الشرقيين - أننا لا نأخذ الرذائل كما هي، بل نزيد

عليها ضعفنا فإذا هي رذائل مضاعفة. ٢٠٤ / ١

٣٩- إن سمو الرجل بنفسه عن الزوجة والولد طيران إلى الأعلى ، ولكنه طيران على أجنحة الشياطين ، طيران بالرجل إلى فوهة البركان الذي في الأعلى.

٢٨٨ / ١

٤٠- إن الذي تكتنفه رحمة الله يملك بها دنيا نفسه؛ فما عليه بعد ذلك أن تفوته دنيا غيره، وإن الذي يجد طهارة قلبه يجد سرور قلبه، وتكون نفسه دائماً جديدة على الدنيا، وإن الذي يحيا بالثقة تحييه الثقة، وإن الذي لا يبالي بالهم لا يبالي الهم به، وأن زينة الدنيا ومتاعها وغرورها، وما تجلب من الهم - كل

ذلك من صغر العقل في الإيمان حين يكبر العقل في العلم. ٢٣٢ / ١

٤١- بعض الشياطين يخدع الناس عن جهنم بتبريد معانيها. ٢٥٦ / ١

٤٢- القلب المسالم يخلع الدنيا، ويسمو بكل مضمون فيها، فيعف عن كثير، ويعرف الإنسانية، ويطمع في غاياتها العليا فيعفو عن كثير، ويدرك أن الحلال - وإن حل - فوراءه حسابه، وإن الحرام - وإن غرَّ - ليس إلا تَعَلُّلُ ساعةٍ ذاهبة، ثم وراءه عقاب الأبد. ٧ / ٢

٤٣- ولا يضطرب من شيء؛ وكيف يضطرب ومعه الاستقرار؟ لا يخاف من شيء؛ وكيف يخاف ومعه الطمأنينة؟ لا يخشى مخلوقاً؛ وكيف يخشى ومعه الله؟.

١٧١ / ٢

٤٤- فمن ألزم نفسه الجود، والإنفاق راضها رياضة عملية كرياضة العضل بأثقال الحديد، ومعاناة القوة في الصراع ونحوه.

أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة، ولكنها يدعها جامدة مستعصية، لا تلين، ولا تستجيب، ولا تتيسر. ١٤٥ / ٣

٤٥- إن يوماً باقياً من العمر هو للمؤمن عُمرٌ ما ينبغي أن يستهان به. ٢٣٥ / ١

٤٦- بكلمة يكون الإحساس فاسداً، وبكلمة يكون شريفاً. ٢٦٦ / ١

٤٧- وما هو الحجاب الشرعي إلا أن يكون تربية عملية على طريقة استحكام العادة لأسمى طباع المرأة وأخصبها الرحمة، هذه الصفة النادرة التي يقوم الاجتماع الإنساني على نزعها، والمنازعة فيها ما دامت سنة الحياة نزاع البقاء، فيكون البيت اجتماعاً خاصاً مسالماً للفرد، تحفظ المرأة به منزلتها، وتؤدي فيه عملها، وتكون مغرساً للإنسانية، وغارسة لصفاتها معاً. ١٩٦ / ١

٤٨- وما كان الحجاب مضروباً على المرأة نفسها، بل على حدود الأخلاق أن تجاوز مقدارها، أو يخالطها سوء، أو يتدسس إليها؛ فكل ما أدى إلى هذه الغاية فهو حجاب، وليس يؤدي إليها شيء إلا أن تكون المرأة في دائرة بيتها، ثم إنساناً فقط فيما وراء هذه الدائرة إلى آخر حدود المعاني. ١٩٧ / ١

٤٩- فوراء الحجاب الشرعي الصحيح معاني التوازن، والاستقرار، والهدوء، والاطراد، وأخلاق هذه المعاني وروحها الديني القوي الذي ينشئ عجيبة الأخلاق الإنسانية كلها، أي صبر المرأة وإيثارها.

وعلى هذين تقوم قوة المدافعة، وهذه القوة هي تمام الأخلاق الأدبية كلها، وهي سر المرأة الكاملة؛ فلن تجد الأخلاق على أتمها، وأحسنها، وأقواها إلا في المرأة ذات الدين، والصبر، والمدافعة. ١٩٧ / ١

٥٠- يا ويل المرأة حين تنفجر أنوثتها بالمبالغة؛ فتنفجر بالدواهي على الفضيلة.

٢٦٤ / ١

٥١- وحقيقة الحجاب أنه الفصل بين الشرف فيه الميل إلى النزول، وبين الخسة فيها الميل إلى الصعود.

فيك طبائع الحب، والحنان، والإيثار، والإخلاص، كلما كبرت كبرت.  
 طبائع خيرة إن عملت في غير موضعها جاء بعكس ما تعمله في موضعها.  
 فيها كل الشرف ما لم تنخدع، فإذا انخدعت فليس إلا كل العار. ٢٦٥/١-٢٦٦  
 ٥٢- احذري كلمة شيطانية تسمعيها: هي فنية الجمال، أو فنية الأنوثة،  
 وافهميها أنت هكذا: واجبات الأنوثة، وواجبات الجمال. ٢٦٦ / ١

٥٣- على أن هذا الذي يسميه القوم حرية ليس حرية إلا في التسمية، أما في المعنى فهو كما ترى: إما شرود المرأة في التماس الرزق، حين لم تجد الزوج الذي يعولها، أو يكفيها، ويقيم لها ما تحتاج إليه؛ فمثل هذه حرية النكد في عيشها، وليس بها حرية، بل هي مستعبدة للعمل شر ما تستعبد امرأة.

وإما انطلاق المرأة في عبثاتها، وشهواتها مستجيبة لشهواتها بذلك إلى انطلاق حرية الاستمتاع بالرجال بمقدار ما يشتريه المال، أو تعين عليه القوة، أو يسوغه الطيش، أو يجلبه التهتك، أو تدعو إليه الفنون؛ فمثل هذه هي حرة حرية سقوطها، وما بها الحرية، بل يستعبد لها التمتع.

والثالثة: حرية المرأة في انسلاخها من الدين وفضائله؛ فإن هذه المدنية قد نسخت حرام الأديان وحلالها بحرام وحلال قانوني؛ فلا مسقط للمرأة، ولا

غضاضة عليها قانوناً فيما كان يعد من قبل خزيّاً أقبح الخزي، وعاراً أشد العار؛ فمثل هذه هي حرة حرية فسادها، وليس بها الحرية، ولكن تستعبدتها الفوضى.

**والرابعة:** غطرسه المرأة المتعلمة، وكبرياؤها على الأنوثة والذكورة معاً، فترى أن الرجل لم يبلغ بعد أن يكون الزوج الناعم كقفاز الحرير في يدها، ولا الزوج المؤنث الذي يقول لها: نحن امرأتان؛ فهي من أجل ذلك مطلقة مُخلّة؛ كيلا يكون عليها سلطان، ولا إمرة؛ فمثل هذه حرة بانقلاب طبيعتها وزيفها، وهي مستعبدة لهوسها، وشذوذها، وضلالها.

حرية المرأة في هذه المدنية أولّها ما شئت من أوصاف وأسماء، ولكن آخرها دائماً: إما ضياع المرأة، وإما فساد المرأة. ١ / ٢٩٤ - ٢٩٥

٥٤- وما أول الدعارة إلا أن تمد المرأة طرفها من غير حياء كما يمد اللص يده من غير أمانة. ١ / ٢٩٧

٥٥- وهذه الزينة تتصنع بها المرأة تكاد تكون صورة المكر والخداع، والتعقد وكلما أسرفت في هذه أسرفت في تلك.

بل الزينة لوجه المرأة وجسمها سلاح من أسلحة المعاني كالأظفر، والمخالب، والأنياب، غير أن هذه لوحشية الطبيعة الحية المفترسة، وتلك لوحشية الغريزة الحية التي تريد أن تفترس. ٢ / ٦٣



## آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وعيون البصائر

وقد طبعت مؤخراً طبعة جديدة بعنوان: (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي) في ٥ مجلدات، والنقول الآتية من الطبعة الأولى وعيون البصائر.

**نبذة عن المؤلف:**

هو الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي ولد عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام ١٣٠٦ هـ، وتوفي عام ١٣٨٥ هـ. وهبه الله حافظه خارقة، وذاكرة عجيبة تشهدان بصدق ما يحكى عنه السلف. وكانتا معيتين له في العلم في سن مبكرة.

تلقى التعليم في بيت أسرته، وقام على تربيته وتعليمه عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي الذي كان علامة زمان في العربية.

بدأ في حفظ القرآن والتعليم في الثالثة من عمره، وأتقن القرآن حفظاً في السابعة من عمره، وحفظ كثيراً من المتون في مختلف الفنون، وحفظ العديد من الدواوين الشعرية، وكان يحفظ من سماع واحد.

كان من أبرز علماء الجزائر، ومن طليعة المجاهدين للاستعمار، والدجل، والبدع، والخرافات.

وكان من الشجعان المغاوير، وكان في طليعة العاملين على إحياء العلوم الدينية والعربية في الجزائر.

ويرجع الفضل -بعد الله- إليه وإلى الشيخ عبد الحميد بن باديس في تكوين جمعية العلماء في الجزائر.

وكان شديد العناية بأمور المسلمين وقضاياهم.  
كان خطيباً مصقّقاً، وشاعراً مُفلقاً، وكاتباً بارعاً.  
وقد خلف آثاراً جمعت في خمس مجلدات، اسمها (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي).

وإذا أردت مزيداً من ترجمته فارجع إلى تلك الآثار، وارجع إلى:  
(الصدّاقة بين العلماء) لكاتب هذه الصفحات.

**نماذج لما جاء في كتب الشيخ محمد البشير:**

- ١- العاقل من جرى العقلاء في أعمالهم في دائرة دينه، ووجدانه. ١٤/١
- ٢- والحازم من لم يرض لنفسه أخسّ المنازل، وأخسّ المنازل للرجل منزل القول بلا عمل، وأخسّ منها أن يكون الرجل كالدفتري يحكي ما قال الرجال، وما فعل الرجال دون أن يضرب معهم في الأعمال الصالحة بنصيب، أو يرمي في معترك الآراء بالسهم المصيب. ١٤/١
- ٣- إنّ تغافل الإنسان عن عيبه لمن دواعي الغرور، والغرور من دواعي التماذي في الغي، والتماذي في الغي من موجبات الهلاك، وهل نقيصة أعظم من فقد الإحساس؟ ١٥/١
- ٤- إن الكمال، والنقص وَصْفَانِ يتعاقبان على الفرد كما يتعاقبان على المجموع. ١٣٩/١

٥- فحرر القرآن أرواحها من العبودية للأوثان الحجرية والبشرية، وحرر أبدانها من الطاعة والخضوع لجبروت الكسروية القيصرية، وجلا عقولها على النور الإلهي؛ فأصبحت تلك العقول كشافة عن الحقائق العليا، وطهر نفوسها من أدران السقوط والإسفاف إلى الدنيا؛ فأصبحت تلك النفوس نزاعة إلى المعالي، مقدمة على العظام. ٨٨/١

٦- وعلمها لأول مرة في التاريخ كيف يستغل الإنسان استعداداته، وفكره، ففتح أمامه ميادين التفكير والاعتبار، وأمره أن يسير في الأرض، ويمشي في جوانبها، ويتفكر في ملكوت السماوات والأرض. ٨٩/١

٧- وبهذه الروح القرآنية اندفعت تلك النفوس بأصحابها تفتح الآذان قبل البلدان، وتمتلك بالعدل والإحسان الأرواح قبل الأشباح. ٨٩/١

٨- فلم يزل بها هذا القرآن، حتى أخرج من رعاة النعم رعاة الأمم، ومن خمول الجهل والأمية أعلام العلم والحكمة. ٩٣/١

٩- فالقرآن هو الذي رباها، وأدبها، وزكى منها النفوس، وصفى القرائح، وأذكى الفطن، وجلا المواهب، وأرهف العزائم، وهذب الأفكار، وأعلى الهمم، واستفز الشواعر، واستثار القوى، وصقل الملكات، وقوى الإرادات، ومكن للخير في النفوس، وغرس الإيمان في الأفئدة، وملا القلوب بالرحمة، وحفز الأيدي للعمل النافع، والأرجل للسعي المثمر، ثم ساق هذه القوى على ما في الأرض من شر، وباطل، وفساد فطهرها منه تطهيراً، وعمرها بالخير والحق تعميراً. ٢٥٣ - ٢٥٢/١

- ١٠- إننا مرضى، ومن بلاء المريض رفق الطبيب به؛ إن رفق الطبيب خيانة لفنّه، وقدح في أمانته، وزيادة في البلاء على مريضه؛ وما خير رفق ساعة يتجرع المريض بسببه آلام السنين؟ ٣٥١/١
- ١١- إن القيم المعنوية في الرجال من زكاء النفس، وعلو الهمة، وإطاعة أوامر الله - هو الجانب المعتبر في حياة الرجال. ١٨٨/٣
- ١٢- وشتان بين من يسترخص الموت من أجل الحياة، وبين من يحاولها لإرضاء الشهوات: شهوات القلب، ومحبة السمعة الزائفة. ١٨٨/٣
- ١٣- إن الحياة بلا سعادة قدر مشترك بيننا وبين النمل على ضعفه، والحمار على ذله وخسفه، والجمل على إذلاله وتسخيره؛ فإذا كنتم اليوم تُسمّون أحياءاً فمن هذا النوع. ٢٣٩/٣
- ١٤- الأعمال الكبيرة إذا توازعتها الأيدي، وتقاسمتها الهمم - هان حملها، وخف ثقلها، وإن بلغت من العظم ما بلغت. ٢٤٥/٣
- ١٥- سيقول القانعون باليسير من جنباء العزائم، وقصار النظر، المكتفون بالمخايل وهي سراب عن المعصرات وهي شراب إن هذا هول هائل، وقول لا تسعه إلا لهاة القائل، ومرام صعب تضيق به قدرة الشعب. ٢٤٨/٣
- ١٦- الإسلام روح تجري، ونفحة تسري، وحقيقة ليس بينها وبين قبولها إلا مواجهتها لها، وليس بين النفوس وبين الإذعان لها إلا إشرافها عليها من مجالها الأولى. ٢٧/٣
- ١٧- وإنما مكنت للإسلام طبيعته، ويسره، ولطف مدخله على النفوس،

وملاءمته للفطر، والأذواق، والعقول.

ولو بقي الإسلام على روحانيته القوية، ونورانيته المشرقة، ولو لم يفسده أهله بما أدخلوه عليه من بدع، وشأنوه به من ضلال - لطبق الخافقين، وجمع أبناءه على القوة، والعزة، والسيادة، حتى يملكوا به الكون كله. ولكنهم أفسدوه، واختلفوا فيه، وفرقوه شيعاً، ومذاهب؛ فضعف تأثيرهم به؛ فضعف تأثيره فيهم؛ فصاروا إلى ما نرى، ونسمع. ٢٧٣/٣

١٨ - إن أمة تنفق مئآت الملايين في الشهر على القهوة والدخان، وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة، وتنفق أمثال ذلك كله على الكماليات التي تنقص الحياة، ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها داعي العلم لما يحياها - لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرفاتها. ٣٤٥/٣

١٩ - وأوصيه بالروية في الرأي، والأناة في الحكم على الأشياء؛ فإن الارتجال مجلبة ندم. ٣٥٥/٣

٢٠ - المال الذي تنفقه في المحرمات يسوقك إلى النار، والمال الذي تبذره في الشهوات يجلب لك العار، والمال الذي تدخره للورثة الجاهلين تهديه إلى الأشرار، وتبوء أنت بالتبار والخسار.

أما المال الذي تحيي به العلم، وتميت به الجهل - فهو الذي يتوجك في الدنيا بتاج الفخار، وينزلك عند الله منزلة الأبرار. ٣٦٥/٣ - ٣٦٦

٢١ - ليس من سداد الرأي أن يضيع الضعيف وقته في لوم الأقوياء، وليس من المجدي أن يدخل معهم في جدل؛ إن من تمام معنى اللوم أن يتسبب في توبة، أو يجر إلى إنابة. ٣٨٥/٣

- ٢٢- ولا نقول ربحنا أو خسرنا؛ فالربح والخسارة من مفردات قاموس التجار.  
أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور  
الروحية في الوجود - فلغته سماوية لا تحمل معنى التراب، متسامية لا تسف إلى  
ما تحت السحاب. ٢٧٦/٤
- ٢٣- خدرنا الغرب بالوطنيات الضيقة؛ فأصبح كل فريق قانعاً بجحر الضب،  
يناضل بمثل سلاح الضب، وهيهات إذا مزقت الأطراف أن يُحفظ القلب.  
٢٨٧/٤
- ٢٤- ولأن يسكت العاقل مختاراً في وقت يحسن السكوت فيه خيرٌ من أن ينطق  
مختاراً في وقت لا يحسن الكلام فيه. عيون البصائر ص ١٧
- ٢٥- وكلُّ نَظْفَةٍ تملّوها الظروف لا الضمائر تثمر سكتة عن الحق، ما من ذلك  
من بد. عيون البصائر ١٧
- ٢٦- أما وظيفة السيف والرمح فهي الإنكاء في العدو، والإنكاء في العدو هو  
الغاية التي تنتهي إليها شجاعة الشجاع.  
كذلك حملة الألسنة والأقلام يجب أن يكونوا؛ ليحققوا التشبيه الذي تواطأت  
عليه الأمم؛ فلتأتهم المصائب من كل صوب، ولتنزل عليهم الضرورات من كل  
سماء، وليخرجوا من كل شيء إلا شيئين: القلم، واللسان؛ إن بيع القلم،  
واللسان أقبح من بيع الجندي لسلاحه. عيون ١٨
- ٢٧- ولكن الخذلان الذي لا غاية وراءه أن غَنِينَا ينفق مئات الألوف على  
لذاته وشياطينه؛ فإذا سئل بذل القليل في مشروع جليل أعرض ونأى بجانبه.  
عيون ٢٧٨

٢٨- أوصيكم بتقوى الله؛ فهي العدة في الشدائد، والعون في الملمات، وهي مهبط الروح، والطمأنينة، وهي منزل السكينة، وهي مبعث القوة واليقين، وهي معراج السمو إلى السماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وتربط على القلوب في الفتن. عيون ٢٩١

٢٩- أي أبنائي<sup>(١)</sup> إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم ما تنبت به الحبال، وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي لحالككم في الغربة، وإلحاح الأزمات، ويود-بقطع وتينه- لو أزيحت عللكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود، ومتى طمع الجندي في رفهية العيش؟ وأسود، ومتى عاش الأسد على التدليل، وهو يشعر أن التدليل تذليل؟ عيون ٢٩٢

٣٠- ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال منطبقة على ما يرونها، ويشهدونه منكم من الأعمال؛ فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طُلعةٌ إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم.

وإنه قوي الإدراك للمعاييب والكمالات؛ فإذا زينت له الصدق فكونوا صادقين، وإذا حسنت له الصبر فكونوا من الصابرين.

واعلموا أن كل نقشٍ تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشاً في نفوسكم فهو زائل، وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحهم من قبل أن يكون متغلغلاً في أرواحكم فهو -لا محالة- ناصل حائل، وأن كل سحر تنفضونه؛ لاستنزالهم غير الصدق فهو باطل.

١- يعني المعلمين التابعين لجمعية العلماء.

ألا إن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة.  
 وأما ما يأخذ عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة. عيون ٢٩١  
 ٣١- أما إن السياسة تكون خيراً لأقوام، وشرّاً لآخرين، وتكون عقود حلية  
 كما تكون عقود خنق- فهذا ما قرأناه في قاموس الاستعمار، وعلمناه من مذاهبه.  
 عيون ٣٩

٣٢- إن الطليق الذي لا يمد يده لإنقاذ الأسير - وهو قادر على إنقاذه - يوسم  
 بواحدة من اثنتين: إما أنه راضٍ مغتبطٌ، وإما أنه شامتٌ متشفٍ. عيون ١٢٣  
 ٣٣- إن ضعف الضعيف لا يكون في سنة الله إلا زيادة في قوة القوي، وإن  
 اختلافكم لا يكون إلا زيادة في قوة خصومكم، وخصوم قضيتكم. عيون ٣٣٢



## الخامس عشر: المنتقى من كتاب

## مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز ٦١ - ١٠١ هـ للشيخ صالح الشامي

## نبذة عن عمر بن عبد العزيز:

هو أمير المؤمنين الإمام، العادل، العالم، الفقيه، الخائف، الخاشع عمر ابن عبد العزيز بن مروان الأموي.

قال عبيد الله بن عبد الله: كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة.

وقال مجاهد: أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران: كان عمر يعلم العلماء.

وقال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز فاعلم أن وراء ذلك خيراً.

والحديث عن عمر بن عبد العزيز يطول، وهناك كتب كثيرة في سيرته.

## من مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز:

١- لا تصحب من الأصحاب من خطرَكَ عنده على قدر قضاء حاجته، فإذا انقضت حاجته انقطعت أسباب مودته، واصحب من الأصحاب ذا العلا في الخير، والإفادة في الحق.

٢- صلى عمر الجمعة، وعليه قميص مرقوع الجيب، فلما انتهى من الصلاة قال له رجل: يا أمير المؤمنين: إن الله أعطاك، فلو لبست؛ فنكس عمر رأسه ملياً، ثم رفع رأسه، وقال: أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة.

- ٣- كتب إلى بعض أهله: أما بعد فإنك إذا استشعرت ذكر الموت ليلك أو نهارك بغض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باقٍ.
- ٤- وقال لعنيسة بن سعيد بن العاص: أبا خالد! أكثر من ذكر الموت؛ فإن كنت في ضيق من العيش وسَّعه عليك، وإن في كنت في سعة من العيش ضيقه عليك.
- ٥- أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ لمغرقٌ في الموت.
- ٦- قال مسلمة: دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر؛ فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفه منه، فقال: يا مسلمة! أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب عليه الماء فإن الماء على التمر طيب - أكان يجزيه إلى الليل؟
- قلت: لا أدري، فرفع أكثر منه، قال: فهذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره.
- قال: فعلام ندخل النار؟
- قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه.
- ٧- أوصى عمر رجلاً فقال: أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.
- ٨- وقال لرجل: أوصيك بتقوى الله تخف عليك المؤونة، وتحسن لك من الله المعونة.
- ٩- عليك بالذي يبقى لك عند الله؛ فإن ما بقي عند الله بقي عند الناس، وما

لم يبق عند الله لم يبق عند الناس.

١٠- قال ميمون بن مهران: ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة، ثم قال لي: إذا جاء الكتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض.

١١- قال عمر بن مهاجر: قال لي عمر: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبيبي، ثم هزني، ثم قل: يا عمر! ما تصنع؟.

١٢- أيها الناس! إنما يراد الطبيب للوجع الشديد، ألا فلا وجع أشد من الجهل، ولا داء أخبث من الذنوب، ولا خوف أخوف من الموت.

١٣- قال رباح بن عبيدة: كنت قاعداً عند عمر، فذكر الحجاج، فشتمته، ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح؛ إنه بلغني أن الرجل لَيُظْلَمُ بالمظلومة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم، وينتقصه، حتى يستوفي حقه، فيكون للظالم الفضل.

١٤- لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب.

١٥- قد أفلح من عصم من المراء، والغضب، والطمع.

١٦- لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه، أُعطي، أو منع.

١٧- ما حسدت الحجاج على شيء حسدي إياه على حبه القرآن، وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي؛ فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل.

١٨- قيل لعمر: ما بدءُ إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي، فقال: يا عمر! اذكر ليلةً صبيحتُها يومُ القيامة.

١٩- من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل.

٢٠- دخل رجل على عمر يعوده في مرضه، فسأله عن علته، فلما أخبره قال

الرجل: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان، فقال عمر: إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

٢١- ما أنعم الله على عبد نعمة، فانتزعها منه، فعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه، ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٢٢- كتب إلى بعض عماله: اجتنبوا الأشغال عند حضرة الصلاة؛ فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعاً.

٢٣- إن ابتلاك الله -عز وجل- بفقر فتعفف في فقرك، وأخبت لقضاء ربك، واغتفر بما قسم لك من الإسلام ما زوى عنك من نعمة دنيا؛ فإن في الإسلام خلفاً من الذهب، والفضة، والدنيا الفانية.

## السادس عشر: المنتقى من كتاب

## مواظ الإمام مالك بن دينار ت: ١٣٠هـ للشيخ صالح الشامي

نبذة عن مالك بن دينار رحمته الله :

ولد مالك بن دينار أيام ابن عباس ، وأُسند عن أنس بن مالك عدة أحاديث وروى عن جلة من الصحابة ، وكان من أعيان كتبة المصاحف ، ومن تلامذة الحسن البصري ، وكان له قدرة صبر على التقلل ، وكان مسكنه خالياً ليس فيه متاع ، ولهذا فهو لا يحتاج إلى قفل ولا مفتاح .  
قال الذهبي : مالك بن دينار ، علم من العلماء الأبرار ، معدود من ثقات التابعين .

من مواظ مالك بن دينار رحمته الله :

- ١- خرج أهل الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها ، قالوا : وما هو يا أبا يحيى ؟ قال : معرفة الله .
- ٢- ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله - عز وجل - .
- ٣- إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة .
- ٤- ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبه ؛ فإن صبر صاحبها أفضت به إلى رَوْح ، وإن جزع رجع .
- ٥- كم من رجل يحب أن يلقي أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل ، والأمر يعرض له ، عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها .

- ثم قال: وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين.
- ٦- قيل له: ادع لنا ربك، قال: إنكم تستبطنون المطر، وأنا أستبطن الحجارة.
- ٧- إن الله - تعالى - عقوبات في القلب، والأبدان: ضنكاً في المعيشة، ووهناً في العبادة، ومسخطة في الرزق.
- ٨- سمع مالك رجلاً يقول: لو أعطاني الله - تعالى - بيتاً صغيراً لرضيت به.
- فقال له مالك: ليتك يا ابن أخي زهدت في الدنيا كما زهدت في الجنة.
- ٩- الخوف من العمل ألا يتقبل أشد من العمل.
- ١٠- كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً، ويقع في الصالحين.
- ١١- وجد في بعض الكتب: سبحوا الله - أيها الصديقون - بأصوات حزينة.
- ١٢- قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة.
- ١٣- ليس بحليم من نفذ غضبه في حمار، أو هرة.
- ١٤- أشد ما على السفه الإعراض عن جوابه، وإظهار عدم التأثير له.
- ١٥- مثل الدنيا مثل الحية، مسُّها لئِنْ، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان.
- ١٦- قال موسى - عليه السلام -: يا رب أين أبغيك! قال: أبغني عند المنكسرة قلوبهم.
- ١٧- ما أشد فطام الكبير.
- ١٨- لو استطعت أن لا أنام لم أنم؛ مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس! النار النار.
- ١٩- ما عاقب الله - تعالى - قلباً بأشد من أن يسلب منه الحياء.
- ٢٠- لم يبق لي من رُوح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان، وتهجد بالقرآن، وبيتٌ خالٍ يُذكر الله فيه.

## السابع عشر: المنتقى من كتاب

## مواظ الإمام سلمة بن دينار أبو حازم ت: ١٤٠هـ

نبذة عن أبي حازم رحمه الله:

أبو حازم هو سلمة بن دينار، الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، ولد أيام ابن الزبير وابن عمر، وسمع من الصحابي سهل بن سعد، وروى عنه، وروى عن كثير من التابعين، وثقه أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، وقال ابن خزيمة: ثقة لم يكن في زمانه مثله.

مات في خلافة أبي جعفر سنة ١٤٠، وقيل ١٣٥.

قال الذهبي: «وأحاديثه في الكتب الستة».

وكانت مواظمه مؤثرة تأخذ طريقها إلى القلوب، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحد يفرفر<sup>(١)</sup> الدنيا فرفرة هذا الأعرج، يعني أبا حازم. وكان على درجة كبيرة من الفطنة، والذكاء، وله أقوال مأثورة تنطق بالحكمة، وسيأتي ذكر لشيء منها في الفقرة التالية.

## أقوال مأثورة لأبي حازم:

- ١- أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه، وأرجاه لكل مسلم.
- ٢- يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة؛ فإنك تجد الرجل يشغل نفسه بهم غيره، حتى لهو أشد اهتماماً من صاحب الهم بهم نفسه.

١- أي ينال منها، ويبين حقارتها وخطرها.

٣- عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمّه الفتوح.

٤- ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه.

٥- وقال مخاطباً نفسه: يا أعرج! ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا، فتقوم معهم، ثم ينادى:

يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم؛ فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة؟!

٦- كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية.

٧- ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأماني.

٨- من عرف الدنيا لم يفرح فيها برحاء، ولم يحزن على بلوى.

٩- انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم.

١٠- انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.

١١- لا يُحَسِّنُ عَبْدٌ فيما بينه وبين الله -تعالى- إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد ولا يُعَوِّرُ<sup>(١)</sup> فيما بينه وبين الله -تعالى- إلا عَوَّرَ الله فيما بينه وبين العباد.

وَلَمْصَانَعَةُ وَجْهِ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ مَصَانَعَةِ الْوَجْهِ كُلِّهَا؛ إِنَّكَ إِذَا صَانَعْتَ اللَّهُ مَالَتِ الْوَجْهُ كُلُّهَا إِلَيْكَ، وَإِذَا أَفْسَدْتَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ شَنَأَتْكَ<sup>(٢)</sup> الْوَجْهُ كُلُّهَا.

١٢- قال عبد الرحمن بن أسلم: قلت لأبي حازم يوماً: إني لأجد شيئاً

١- يعور: يفسد.

٢- شَنَأَتْكَ: أبغضتك.



يخزنني، قال: وما هو يا بني؟ قلت: حَبِّي الدنيا، فقال لي: اعلم يا ابن أخي أنني ما أعاتب نفسي على حب شيء حَبَّه الله لي؛ لأن الله -عز وجل- حَبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا، ألا يدعونا حبها إلى أن نأخذ من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً أحبه الله؛ فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها.

١٣- وقيل لأبي حازم: ما مالك؟ قال: ثقتي بالله -تعالى- وإياسي مما في أيدي الناس.

١٤- ليس للملول صديق، ولا للحسود راحة، والنظر في العواقب تلقيح العقول.

١٥- السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه؛ فرقاً منه، حتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزوي على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه.

١٦- ابن آدم: بعد الموت يأتيك الخبر.

١٧- اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك.

١٨- وقال جلسائه: لقد رضيت منكم أن يبقى أحدكم على دينه كما يبقى على نعليه.

١٩- يا بني لا تقتد بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعفُّ عن العيب، ولا يصلح عند الشيب.

٢٠- قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك.

٢١- وكتب أمير المؤمنين إلى أبي حازم: ارفع إلي حاجتك، قال: هيهات، رفعت حاجتي إلى من لا يختزن الحوائج؛ فما عطاني منها قنعت، وما أمسك عني منها رضيت.

٢٢- إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يغنيك.

٢٣- لَمَّا يَلْقَى الَّذِي لَا يَتَّقِي اللَّهَ مِنْ تَقِيَّةِ النَّاسِ أَشَدَّ مِمَّا يَلْقَى الَّذِي يَتَّقِي اللَّهَ -عز وجل- من تقاته.

٢٤- قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظمي يا أبا حازم، قال: اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن تكون فيه تلك الساعة، فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون تلك الساعة، فدعه الآن.

٢٥- وقال: أوحى الله -عز وجل- إلى الدنيا: من خدمك فأتعبه، ومن خدمني فاخدمه.

٢٦- مر أبو حازم بسوق الفاكهة فقال: موعذك سوق الجنة.

٢٧- قال أبو معشر: رأيت أبا حازم يقص في المسجد، ويبكي، ويمسح بدموعه وجهه، فقلت: يا أبا حازم: لِمَ تفعل هذا؟

قال: بلغني أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله.

٢٨- وقال: إبليس، وما إبليس؟ لقد عصي فما ضر، ولقد أطيع فما نفع.

٢٩- مر أبو حازم بأبي جعفر المدني وهو مكتئب حزين، فقال: مالي أراك مكتئباً حزيناً؟ قال: ذكرت ولدي من بعدي، قال: فلا تفعل؛ فإن كانوا أولياء لله فلا تحف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداءً فلا تبال ما لقوا بعدك.

## الثامن عشر: المنتقى من كتاب

## مواظ الإمام سفيان الثوري ت: ١٦١هـ للشيخ صالح الشامي

## نبذة عن سفيان الثوري:

سفيان الثوري هو الإمام، الثقة، الحافظ.  
 قال عنه شعبة، وابن عيينة، وأبو عاصم، ويحيى بن معين، وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.  
 والأقوال في الثناء عليه يصعب حصرها، قال الإمام أحمد: أتدري من الإمام؛ الإمام سفيان الثوري، لا يتقدمه أحد في قلبي.  
 وقال: قال لي ابن عيينة: لن ترى عينك مثل سفيان الثوري حتى تموت.  
 وقال الذهبي: قد كان سفيان رأساً في الزهد، والتأله، والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه في الدين، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين.

## من مواظ سفيان الثوري:

- ١- أصلح سريرتك يصلح الله علانيتك، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وبع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.
- ٢- اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها.
- ٣- يأتي على الناس زمان تموت القلوب، وتحیی الأبدان.

- ٤- ما أحسن تذلل الأغنياء عند الفقراء ، وما أقبح تذلل الفقراء عند الأغنياء.
- ٥- ما عاجلت شيئاً أشد علي من نفسي؛ مرة عليّ ، ومرة لي.
- ٦- قال بشر بن الحارث : قيل لسفيان : أيكون الرجل زاهداً ، ويكون له مال؟ قال : نعم؛ إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.
- ٧- احذر سخط الله في ثلاث : احذر أن تقصر فيما أمرك ، احذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك ، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك.
- ٨ - لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً ، وحزناً ، وشوقاً إلى الجنة ، أو خوفاً من النار.
- ٩- ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك ، ولا بوجعك ، ولا تُزكّ نفسك.
- ١٠- إذا زارك أخوك فلا تقل له : أأكل؟ أو أقدم إليك؟ ولكن قدم ، فإن أكل وإلا فارفع.
- ١١- إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك.
- ١٢- لا تتكلم بلسانك ، ما تكسر به أسنانك.
- ١٣- إني لأريد شرب الماء ، فيسبقني الرجل إلى الشربة ، فيسقينها ، فكأنما دق ضلعاً من أضلاعي ، لا أقدر على مكافئته.
- ١٤- عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية ، و عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء ، و عليك بالحدز ممن يملك العقوبة.
- ١٥- إلهي؛ البهائم يزجرها الراعي فتزجر عن هواها ، وأراني لا يزجرني كتابك عما أهواه؛ فيا سواتاه.
- ١٦- ما أعطي رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له : خذه ، ومثله حزناً.

- ١٧- لو أن البهائم تعقل ما تعقلون من الموت - ما أكلتم منها سميناً.
- ١٨- إنما مثل الدنيا مثل رغيغٍ عليه غسلٌ مرَّ به ذبابٌ، فقطع جناحيه، وإذا مر برغيغٍ يابس مرَّ به سليماً.
- ١٩- لم أَنْهَكُمُ عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل؛ كيف أَنهاكم عن الأكل، والله - تعالى - يقول: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾.
- ٢٠- لأن تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.
- ٢١- إذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمِّر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان.
- ٢٢- لا تبغض أحداً ممن يطيع الله، وكن رحيماً للعامة والخاصة، ولا تقطع رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء.
- ٢٣- عليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم؛ فإنه يسد عليك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلة الكلام يلين قلبك، وعليك بالصمت تملك الورع.
- ٢٤- لا تكن طعاناً تنجُ من ألسنة الناس، وكن رحيماً محبباً إلى الناس.
- ٢٥- عليك بالسخاء تستر العورات، ويخفف الله عليك الحساب والأهوال.
- ٢٦- عليك بكثرة المعروف يؤنسك الله بقبرك، واجتنب المحارم تجد حلاوة الإيمان.
- ٢٧- ارض بما قسم الله تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً.



## التاسع عشر: المنتقى من كتاب

## مواظ الإمام إبراهيم بن أدهم ت: ١٦٢هـ للشيخ صالح الشامي

نبذة عن إبراهيم بن أدهم رحمته الله :

هو إبراهيم بن أدهم بن يزيد التميمي ، ويقال له العجلي ، أصله من بلخ ، ثم سكن الشام ، ودخل دمشق .

كان من الأشراف ، وكان أبوه كثير المال ، والخدم ، ومع ذلك أثر إبراهيم الآخرة ، وأثر العلم والزهد .

وقد روى الحديث عن الأعمش ، ومحمد بن زياد ، وأبي إسحاق السبيعي ، وحدث عنه خلق كثير منهم بقية ، والثوري .

وكان حريصاً على الكسب الحلال ؛ ليسلم بذلك من مذلة السؤال .

كان أميناً في عمله ، ومما يذكر عنه أنه قد عمل في بستان ، فطلب منه صاحبه أن يحضر له عنباً ، فأحضر له عنباً حامضاً ، فقال له : من هذا تأكل ، قال : ما أكل من هذا ولا من غيره ، قال : لم ؟ قال لأنك لم تأذن لي .

توفي سنة ١٦٢ هـ ، وقال عنه الثوري : كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً .

وقال ابن كثير : إبراهيم أحد مشاهير العباد ، وأكابر الزهاد ، كانت له همة عالية في ذلك .

وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيم بن أدهم أصحابه بصوم ، ولا صلاة ، ولكن بالصدق والسخاء .

### من مواظب إبراهيم بن أدهم وأقواله:

- ١- قد رضينا من أعمالنا بالمعاني ، ومن التوبة بالتواني ، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.
- ٢- ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.
- ٣- من لم يواسِ الناس بماله وطعامه ، وشرابه - فليواسهم ببسط الوجه ، والخلق الحسن.
- ٤- لا تكونوا بكثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم ، ولا تميلون إلى ضعفائكم ، ولا تبسطون إلى مساكينكم.
- ٥- تريد تدعو؟ كل الحلال ، وادع بما شئت.
- ٦- قال أبو عبد الله الملطي : كان عامة دعاء إبراهيم : اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.
- ٧- الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة؛ لأنك تبذلها في تحصيلها.
- ٨- وما هي إلا جوعة قد سددها وكل طعام بين جنبي واحد
- ٩- عجباً للرجل اللئيم؛ ييخل بالدنيا على أصدقائه ، ويسخو بالجنة لأعدائه.
- ١٠- شكى رجل إلى إبراهيم كثرة عياله ، قال إبراهيم : ابعث إلي منهم من لا رزقه على الله؛ فسكت الرجل.
- ١١- من علامة صدق المتحابين في الله - عز وجل - أن يبادر كل منهم إلى مصالحة صاحبه إذا أغضبه؛ فإننا لم نجد قط محبوباً إلى إخوانه وهو لا يواصلهم ،



كما أنا لم نجد قط غضوباً مسروراً.

١٢- الهوى يردي ، وخوف الله يشفي.

١٣- اعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من أن تعلم أنه يراك.

١٤- إذا كنت بالليل نائماً ، وبالنهار سائماً ، وفي المعاصي دائماً؛ فكيف ترضي من هو بأمرك قائماً.

١٥- مالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ، ولا نسأل كشفه من ربنا.

١٦- نحن والله الملوك الأغنياء ، نحن الذين قد تعجلنا الراحة ، لا نبالي على أي حال أصبحنا ، وأمسينا إذا أطعنا الله -عز وجل-.

١٧- لا يقل مع الحق فريد ، ولا يقوى مع الباطل عديد.

١٨- الكلام يظهر حمق الأحق ، وعقل العاقل.

١٩- من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ،

ومن أطلق أمله ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه.



## العشرون: المنتقى من كتاب

## مواعظ الإمام عبدالله بن المبارك ت: ١٨١هـ للشيخ صالح الشامي

نبذة عن عبد الله بن المبارك رحمته الله :

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم ، وأمه خوارزمية ، ولد سنة ١١٨ هـ في مدينة مرو - أشهر مدن خراسان- كان أبوه رجلاً صالحاً يعمل في بستان مولاة ، وجاءه مولاة يوماً ، وطلب منه رماناً حلواً ، فأحضر له رماناً ، فوجده حامضاً ، فقال له : أطلب الحلو فتحضر الحامض ؛ هات حلواً .

فذهب مبارك إلى شجرة أخرى ، فلما كسره وجده حامضاً ، فقال له بعد ذلك : أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال : لا قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه ، فقال : ولماذا ؟ قال : لأنك ما أذنت لي بالأكل منه ؛ فعجب من ذلك صاحب البستان ، وتأكد بعد ذلك من صدقه .

وكان لمولاه بنتٌ خُطِبتْ كثيراً ، فقال له يا مبارك من ترى نزوج هذه البنت ؟ فقال : أهل الجاهلية يزوجون للحسب ، واليهود للمال ، والنصارى للجمال ، وهذه الأمة للدين .

فأعجبه عقله ، ثم زوجه ابنته .

وهكذا جاء ابن المبارك من هذه الأسرة التي قامت على الورع ، والتقوى .  
نشأ ابن المبارك في مرو ، وكان شديد الذكاء ، قوي الحافظة ، خرج في طلب العلم سنة ١٤١ هـ ، وأكثر من الترحال ، والتطواف في طلب العلم ، وفي الغزو ،

والتجارة، فرحل إلى الحرمين، والشام، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن، وصنف التصانيف الكثيرة النافعة.

كان يعمل في التجارة، وكان رأس ماله نحو أربعمئة ألف يدور يتجر به في البلدان، فحيث اجتمع بعالم أحسن إليه، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العلم، والعبادة، والزهد، وربما أنفق من رأس ماله. وكان الباعث له على العمل بالتجارة أمرين:

١- صيانة الوجه أن ينكسف بسواد المطالب، وذلة السؤال.

قال له الفضيل بن عياض: أنت تأمرنا بالزهد، والتقليل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا؟

قال يا أبا علي! إنما أفعل ذلك؛ لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي.

٢- الإنفاق على العباد، والزهاد، وأهل العلم؛ فقد قال للفضيل: لولاك وأصحابك ما اتجرت.

ولهذا كان كثير من العباد لا يقبلون إلا عطاياهم.

كان ابن المبارك كريماً، وأخباره أشهر من أن تذكر، وكان شجاعاً، مجاهداً، حافظاً، محدثاً، شاعراً، فقيهاً.

توفي سنة ١٨١ هـ وله ثلاث وستون سنة.

قال العباس بن مصعب: جمع ابن المبارك الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق.

وقال يحيى بن آدم: كنت إذا طلبت دقيق المسائل، فلم أجده في كتب ابن المبارك أيسر منه.

وقال سفيان الثوري: لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك - لم أقدر.

وقال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبد الله فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا لصحبته النبي ﷺ وغزوهم معه.

وعن عبد الله بن سنان قال: قدم ابن المبارك مكة، وأنا فيها، فلما خرج شيعة سفيان بن عيينة والفضيل، وودعاه، فقال أحدهما: هذا فقيه أهل المشرق، فقال الآخر: وفقيه أهل المغرب.

**ملحوظة:** هذه الشهادات لابن المبارك من أفاضل السلف وأكابرهم تدل على نفوس طاهرة زكية؛ إذ إن بعضهم يشهد لبعض دونما تخرج أو حسد؛ فما النتيجة إذا؟

لقد رفعهم الله جميعاً، ونحن إذ نسمع مثل هذه الشهادات نهتز لها طرباً، وربما كان إعجابنا بالشاهد أعظم من إعجابنا من المشهود له.

**من أخبار ابن المبارك:** أنه خرج مرة إلى الحج، فمر ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه، وتحلف وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لفتته، ثم أسرعته به إلى الدار، فجاء ابن المبارك، فسألها عن أمرها، وأخذها الميتة.

فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال، فظلم، وأخذ

ماله ، وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال ، وقال لو كيّله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال : عد منها عشرين ديناراً تكفيننا إلى مرو ، وأعطها الباقي ؛ فهذا أفضل من حجنا هذا العام ثم رجع .

### من مواظب ابن المبارك :

- ١- أكثركم علماً ينبغي أن يكون أشدكم خوفاً .
- ٢- كيف يدّعي رجل أنه أكثر علماً ، وهو أقل خوفاً ، وزهداً ؟ .
- ٣- ما أعياني شيء كما أعياني أنني لا أجد أخاً في الله - عز وجل - .
- ٤- لا يقع موقع الكسب على العيال شيء ، ولا الجهاد في سبيل الله .
- ٥- ما بقي في زماننا أحدٌ أعرف أنه أخذ النصيحة بانسراح قلب .
- ٦- قال رجل لعبد الله : أوصني ، قال : اترك فضول النظر توفق للخشوع ، و اترك فضول الكلام توفق للحكمة ، و اترك فضول الطعام توفق للعبادة ، و اترك النظر في عيوب الناس توفق للاطلاع على عيب نفسك .
- ٧- قال رجل لعبد الله : إني لأرى نفسي أحسن حالاً ممن قتل نفساً ظلماً . فقال له : إن أمّتك على نفسك لشر ممن قتل نفساً ظلماً .
- ٨- رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية .
- ٩- لو أن رجلين اصطحبا في الطريق ، فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين ، فتركهما ؛ لأجل صاحبه - كان ذلك رياءاً ، وإن صلاهما لأجله فهو شرك .
- ١٠- سئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه : إن كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب فقال : معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة فإن الصمت عن معصيته من ذهب .

- ١١- إن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين.
- ١٢- قال رجل لابن المبارك : هل بقي من ينصح ؟ قال : فهل تعرف من يقبل ؟
- ١٣- قال رجل لابن المبارك : أوصني ، قال : اعرف قدرك.
- ١٤- كاد الأدب يكون ثلثي الدين.
- ١٥- قال حبيب الجلاب : سألت ابن المبارك : ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال : غريزة عقل ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : حسن أدب ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : أخ شفيق يستشير ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل.
- ١٦- إن البصراء لا يأمنون من أربع : ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع فيه الرب - عز وجل - وعمر قد بقي لا يدرى ما فيه من الهلكة ، وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج ، وضلالة يراها هدى ، وزيف قلب ساعة ؛ فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر.
- ١٧- رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا ؛ حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا ؛ حتى تعلمه أنه ليس له بدنيه فضل عليك.
- ١٩- اغتاب رجل في مجلس عبد الله شخصاً ، فقال : إذا أردتم أن تغتابوا فاغتابوا أبويكم ؛ لئلا يرد أجر عملكم على الأجنبي ، بل إليهما . وقال : لو كنت مغتاباً لا غتبت والدي ؛ لأنهما أحق بحسناتي .





## الحادي والعشرون: المنتقى من كتاب

## مواظ الإمام الفضيل بن عياض ت: ١٨٧ للشيخ صالح الشامي

تعريف بالفضيل بن عياض رحمته الله:

الفضيل بن عياض التميمي ولد بسمرقند، ونشأ بخراسان، وتذهب بعض الروايات أنه كان يقطع الطريق ثم هداه الله بسبب سماعه آية من كتاب الله.

جاء في سير أعلام النبلاء، عن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل ابن عياض شاطراً -يقطع الطريق- بين أبيورد، وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، وبينما هو يتسلق الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فلما سمعها قال: بلى يا ربي قد آن، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة -عابر طريق- فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح؛ إن فضيلاً يقطع الطريق علينا.

قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، أرى الله ساقني إليهم؛ لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

كان الفضيل إماماً في الزهد والورع، قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من بحضرته. وقال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر، ويبكي، حتى

لكأنه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر ، فيجلس ، فكأنه بين الموتى .  
 وقال سفيان بن عيينة : ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه علي .  
 وقال إسحاق بن إبراهيم : ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ، ولا أرجى للناس من الفضيل .

كان صحيح الحديث ، صدوق اللسان ، وقال ابن المبارك : ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل .

وقال الذهبي : الإمام ، القدوة ، الثبت ، شيخ الإسلام أبو علي .  
 وعده ابن تيمية من أئمة السلف ، ومن أكابر المشايخ .

#### ومن الأقوال العظيمة الماثورة عن الفضيل ما يلي :

١- قال في قوله - تعالى - : ﴿ لِيَلْبِسَكُمْ أَتُكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .  
 قال : أخلصه ، وأصوبه ، قيل : يا أبا علي ! ما أخلصه ، وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

٢- إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله .

٣- حيث ما كنت فكن ذنباً ، ولا تكن رأساً ؛ فإن الرأس تهلك ، والذنب ينجو .

٤- كامل المروءة من بر والديه ، وأصلح ماله ، وأنفق من ماله ، وحسن خلقه ، وأكرم إخوانه ، ولزم بيته .

٥- ما أجد لذة ، ولا راحة ، ولا قرة عين إلا حين أخلو في بيتي .

- ٦- صبر قليل ، ونعيم طويل ، وعجلة قليلة ، وندامة طويلة.
- ٧- كفى بالله محباً ، وبالقرآن مؤنساً ، وبالموت واعظاً ، وكفى بخشية الله علماً ، وبالاغترار به جهلاً.
- ٨- لا تستوحش طريق الهدى؛ لقلّة أهله ، ولا تغتر بكثرة الناس.
- ٩- إذا أتاك رجلاً يشكو رجلاً ، فقل : يا أخي اعف عنه؛ إن العفو أقرب للتقوى ، فإن قال : لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله - عز وجل - فقل : فإن كنت تحسن تنتصر بمثل ، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع؛ فإنه من عفى وأصلح فأجره على الله؛ فصاحب العفو ينام الليل على فراشه ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.
- ١٠- خصلتان تقسيان القلب : كثرة النوم ، وكثرة الأكل.
- ١١- المؤمن يزرع نخلاً ، ويخاف أن يثمر شوكاً ، والمنافق يزرع شوكاً ، ويطلب أن يثمر رطباً.
- ١٢- نعمت الهدية الكلمة الطيبة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه.
- ١٣- إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يزور أحدهم أخاه ، فيتكلف له ، فيقطعه ذلك عنه.
- ١٤- خوف العبد من الله على قدر معرفته به.
- ١٥- من وقى خمساً وقى شر الدنيا و الآخرة : العجب ، والرياء ، والكبر ، والإزراء ، والشهوة.

١٦- لأعلمنك كلمة هي خير لك من الدنيا وما فيها : والله لئن علم الله منك إخراج الأدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره - لم تسأله شيئاً إلا أعطاك.

١٧- ما أحب عبدُ الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص ، والعيوب؛ ل يتميز هو بالكمال ، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير. ومن عشق الرياسة فقد تُودّع من صلاحه.

١٨- أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم.

١٩- لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ، ولا صلاة ، وإنما أدرك بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للأمة.

٢٠- رب ضاحك ، وأكفانه قد خرجت من عند القصار<sup>(١)</sup>.

٢١- من خاف الله لم يضره أحد ، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

٢٢- لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق ، وطلب الحلال.

٢٣- بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله ، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

٢٤- عاملوا الله - عز وجل - بالصدق في السر؛ فإن الرفيع من رفعه الله ، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

٢٥- من المعروف أن ترى المنّة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئاً؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب ، وأيضاً فإنه خصك بالسؤال ، ورجا فيك الخير دون غيرك.

١- القصار: المغسل.

- ٢٦- من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه ، ويكره الذم بما فيه ،  
ويبغض من يبصره بعيوبه ، ويفرح إذا سمع بغيب أحد من أقرانه.
- ٢٧- إن الله -عز وجل- ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.
- ٢٨- المؤمن يغبط ، ولا يحسد ، والمنافق يحسد ، ولا يغبط.



## الثاني والعشرون: المنتقى من كتاب

## طاقتك الكامنة لسمير شيخاني

- ١- لا تهدم شيئاً ما لم تكن مستعداً لبناء شيء أفضل منه. ص ٢٦٢
- ٢- السبيل الوحيد لتجنب النقد هو ألا تفعل شيئاً، وألا تكون أحداً، عندها لا يفعل العالم شيئاً لإزعاجك. ص ٢٦٤
- ٣- إذا كنت لا تتحمل النقد فلا يحق لك أن تقدمه إلى سواك. ص ٢٦٥
- ٤- أخفق أديسون عشرة آلاف مرة قبل أن يصنع المصباح الكهربائي؛ لا تقلق إذا أنت أخفقت مرة. ص ٢٧٠
- ٥- لا يعد المرء مخففاً حتى يتقبل الهزيمة كأنما هي دائمة، ويتخلى عن المحاولة. ص ٢٧١
- ٦- أخطاء الآخرين هي عذر ضعيف لخطئك. ص ٢٧١
- ٧- الإخفاق ليس عاراً إذا كنت بذلت جهدك بإخلاص. ص ٢٧١
- ٨- الأشخاص ذوو النية الصادقة قلما يخافون شيئاً. ص ٢٧٢
- ٩- في كل مرة تؤثر على امرئ ما؛ لكي يقوم بعمل أفضل - فإنك تفيدته، وتضاعف قيمتك الشخصية. ص ٢٨١
- ١٠- لا تكتفِ بأن تكون ممتازاً في عمل، كن الأفضل، وسرعان ما تصبح شخصاً لا يستغنى عنه. ص ٢٨١
- ١١- أنت دائماً على الرحب والسعة إذا ما حملت معك الابتسامة، وتركت

الهموم في البيت. ص ٢٩٢

- ١٢- تذكر جيداً أنه ليس من الضرورة أن يخفق الآخرون لكي تنجح. ص ٣٠٠
- ١٣- يستحسن التفوق على الشخص الآخر عوضاً عن إضاعة الوقت في حسده. ص ٣٠٠

- ١٤- سلم الشهرة ليس مزدحماً عند قمته. ص ٣٠٠
- ١٥- إذا كنت تتوقع شيئاً مقابل لا شيء فإنه محكوم عليك بخيبة الأمل. ص ٣٠٠

- ١٦- لا تجادل مطلقاً في تفاصيل غير مهمة؛ لأنك إذا كسبت فإنك لن تكون كسبت أي مصلحة. ص ٣٠٠
- ١٧- عندما تغضب غضباً شديداً، ولا تدري ما العمل - فالأفضل ألا تفعل شيئاً. ص ٣٠٣

- ١٨- لو أن الإنسان أفصح عن كل فكرة خطرت بباله - لما بقي له أصدقاء. ص ٣٠٣

١٩- الإنسان السليم الخلق لا يقلق عموماً على سمعته. ص ٣٠٧

٢٠- اهتم جيداً بخلقك؛ فتهتم سمعتك بنفسها. ص ٣٠٧

٢١- الأوهام تتجه عموماً حيث يُرحَّب بها. ص ٣٠٨



## الثالث والعشرون: المنتقى من كتاب

## قوة الاعتزاز بالنفس ضمن سلسلة العمل لسامويل أ. سيرت

## تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب من إصدار مكتبة جرير وترجمتها ويقع في ١١٣ صفحة، ويدور حول تجارب إنسانية تقوي الثقة بالنفس، وتبعث على مزيد من الجِد، وتحارب القصور والإخفاق وتعظيم شأن الخوف. كما أنه يعين على أن يتعرف الإنسان على اكتشاف مواطن الضعف والقوة في نفسه، وعلى العناصر التي تؤثر فيه. كما أنه يعرفه على كيفية تحديد الأهداف وطريقة الوصول إليها، فإلى مقولات الكتاب المختارة.

## نقولات مختارة من الكتاب:

- ١- يتسم البارزون في عملهم بالثقة الشديدة، وربما يدعي بعضهم أنهم يقومون بهذه السلوكيات الناجحة بشكل طبيعي؛ وذلك لثقتهم بأنفسهم. ولا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الافتراض؛ إننا جميعاً نتسم بالضعف، وقد نتأثر متأثراً بالغاً من فعل أو قول غير واعي أو بسيط، وإن لم يكن مقصوداً، كما أننا نكتسب الثقة بالنفس من أجل تحقيقه. ص ١
- ٢- عندما نتعرض للهزيمة أو عند ما يجرحنا الآخرون فإننا نعلم جيداً أن هذه المشاعر مؤقتة، وسرعان ما تتماثل للشفاء.

- كما أننا نتعلم من التجارب ، ونتحسن عادة كلما خضنا تجارب أكثر. ص٢
- ٣- إذا انخفض تقديرنا لذاتنا إلى حدٍّ يجعلنا نشكك في قدراتنا على النجاح فلن نقدم أبداً على المحاولة. ص٢
- ٤- إذا اعتقدنا أننا سنحقق فسوف نحقق في أغلب الأحيان. ص٢
- ٥- يمكننا أن نستريح عندما نعرف أن كل إنسان تقريباً يمر بلحظات من الشك في النفس. ص٢
- ٦- يمكن أن نتعلم من حياة الآخرين الذين مروا بتجارب فاشلة كثيرة، ولكنهم تغلبوا عليها ، ووصلوا إلى مناصب قيادية في التجارة والسياسة بل في كل المجالات الأخرى. ص٢
- ٧- لا يوجد اثنان متشابهان؛ لذلك يجب أن نتعلم من البداية أن نقيس أداءنا وفقاً لقدراتنا ، لا وفقاً لقدرات زملائنا أو أقاربنا. ص٦
- ٨- يميل كل البشر إلى التأثر ذاتياً بتجارب الفشل ، وغالباً ما يعطونها اهتماماً أكثر مما تستحقه؛ لأن أية تجربة فاشلة تترك في الذاكرة أثراً لا يمحي؛ فإننا نسمح لها بأن تؤثر على حاضرننا ومستقبلنا أكثر مما ينبغي ، بغض النظر عن حجم هذا الفشل؛ فإن أية هزيمة تعد مؤقتة إذا لم نجعلها دائمة. ص٧
- ٩- إذا تعلمنا من التجربة فقد قمنا بخطوة صغيرة نحو النجاح في المستقبل؛ حيث لن نكرر هذا الخطأ ثانية. ص٧
- ١٠- إذا نظرت بعمق إلى حياة الناجحين فسوف تكتشف أنها تمتلئ بتجارب الفشل المثيرة؛ سنجد - مثلاً- أبراهام لينكولن قد فشل كأمين مستودع ، وكجندي وكمحامي.

- ومع ذلك ساعدته كل هذه التجارب على نحو خاص في أن يقود الولايات المتحدة في أسوأ أزماتها وهي الحرب الأهلية.
- لقد أصبح لينكولن واحداً من أعظم رؤساء أمريكا، وذلك لتعاطفه الشديد مع الآخرين؛ نتيجة الصعوبات التي واجهته في حياته. ص ٧
- ١١- لا يمكن أن تغير الماضي، ولكن يمكنك أن تغير الطريقة التي يؤثر بها عليك، يجب أن تترك الماضي خلف ظهرك. ص ٨
- ١٢- اعلم جيداً أننا لا نستطيع أن نتحكم في الآخرين، أو الطريقة التي يتعاملون بها معنا، ولكن نستطيع أن نتحكم في رد فعلنا تجاههم. ص ٨
- ١٣- لا يمكن لأحد أن يغضبك أو يضايقك، كما لا يمكن لأحد أن يشعرك بعدم الأهمية أو الدونية إلا إذا سمحت له بذلك، وساعدته عليه. ص ٨
- ١٤- يستحيل ببساطة أن يؤثر أي إنسان على أي من آرائك أو مشاعرك، أو عواطفك ما لم تسمح له بذلك. ص ٨
- ١٥- خذ على نفسك عهداً بأنك لن تسمح لأحد بعد الآن أن يتحكم في حياتك أو رد فعلك تجاهه، أو تجاه الأحداث التي يفتعلها، أمسك بزمام الأمور. ص ٨
- ١٦- اعلم أنك وحدك تختار الطريقة التي تمارس بها حياتك، لا تتطلب هذه الأمور تغييراً جوهرياً في شخصيتك، وإنما تحتاج فقط إلى التزام تام بأن تلقي الماضي وراء ظهرك، وأن تنسى المرات التي عاملت فيها الآخرون بشكل سيئ أو آذوك، وأن تفكر في إمكانيات المستقبل لا في تجارب الماضي الفاشلة. ص ٨
- ١٧- ينبغي أن نحقق انتصارات صغيرة متوالية إلى أن يأتي يوم ندرك فيه أننا قد

فزنا بالحرب. ص ١٣

١٨- لقد مر كل فرد منا بتجارب ناجحة و أخرى فاشلة؛ فأحياناً نعتلي القمة، وأحياناً نجد الحياة مجرد شراك نقع فيها.

ولكننا نشعر بعدم الأمان، لاعتقادنا الخاطئ بأننا سبب كل المشكلات. والأسوأ من ذلك أن كلاً منا يشعر بشكل ما بأنه الشخص الوحيد على وجه الأرض الذي مر بهذه التجارب الفاشلة، مع أننا نعلم جيداً أن هذا الاعتقاد سخيف. ص ١٣- ١٤

١٩- إذا لم يكن لديك قيم ومبادئ واضحة محددة تعيش لأجلها - فإنه من السهل أن تسيطر عليك آراء الآخرين الذين يستغلونك لتحقيق أهدافهم، تأكد من وقوفك على أرض صلبة. ص ١٧

٢٠- لا تغرق في الماضي بإحياء التجارب الفاشلة، أو تحاول أن تعود بذهنك إلى إنجازاتك السابقة، ولكن انظر ماذا تعمله الآن، وماذا تنوي تقديمه في المستقبل. ص ١٧

٢١- لا تبذّر وقتك مع الذين يقللون من شأنك. ص ١٧

٢٢- نادراً ما يمنح الاحترام بلا مقابل؛ فلا بد أن يكون له ثمن. ص ١٧

٢٣- عندما يعلم الآخرون أنه لم يعد في استطاعتهم أن يقللوا من شأنك فسوف يتوقفون عن المحاولة. ص ١٧

٢٤- لن يهزمك أحد إلا إذا اعتقدت أنه يستطيع ذلك. ص ٢٠

٢٥- التغيير يتطلب شجاعة وتصميماً ومثابرة. ص ٢٥

٢٦- امتلك الشجاعة لتكون مختلفاً، ولكن لا تكن متناقضاً، أو متباهياً باستقلالك.

ص ٢٦

- ٢٧- الشجاعة التي تميزنا عن غيرنا أن نكون صادقين مع أنفسنا. ص ٢٦
- ٢٨- خالط الأشخاص الإيجابيين. ص ٢٦
- ٢٩- تعلم من التجارب. ص ٢٧
- ٣٠- خصص وقتاً للتفكير. ص ٢٧
- ٣١- تعلم أن تتعاطف مع الآخرين. ص ٢٧
- ٣٢- كن كريماً في المجاملة الصادقة. ص ٢٧
- ٣٣- عندما تنزعج من الآخرين أو المواقف التي لا تستطيع أن تسيطر عليها فابتعد عن هؤلاء الأفراد، وعن تلك المواقف لفترة قصيرة. ص ٢٨
- ٣٤- فكر قبل أن تتحدث. ص ٢٩
- ٣٥- لا تحب ما أنت عليه، بل حب ما يجب أن تكون عليه. ص ٣١
- ٣٦- السعادة تحتاج حقاً إلى أن تتخلى عن أشياء معينة. ص ٤٣
- ٣٧- لن يصبح أحدٌ عظيماً بتقليد غيره. ص ٤٧
- ٣٨- ليس من المعقول أن تتخذ قرارات سريعة في قضايا هامة فعلاً. ص ٥٣
- ٣٩- كن قائداً، أو تابعاً، أو تنح عن الطريق. ص ٥٣
- ٤٠- خذ الوقت الكافي؛ لتصدر قرارات هامة، فنادرًا ما تحتاج هذه القرارات إلى أن تُتخذ فوراً، نم ودع الليل يمر عليها، فسوف تكون أكثر موضوعية إذا انتظرت أربعاً وعشرين ساعة. ص ٥٤
- ٤١- تذكر أن لكل قرار نتائجه، إذا حددت هذا النتائج فسوف يساعدك ذلك على اتخاذ قرار صائب. ص ٥٤

- ٤٢- اعلم جيداً أن القرارات نادراً ما تكون نهائية، إذا أخطأت فعادة ما يمكنك الرجوع فيه، وتصحيح الأخطاء. ص ٥٥
- ٤٣- إذا كنت متحمساً لفكرة، أو فرصة جديدة فلا تتوقع من الآخرين نفس الشيء بالضرورة، وربما يحقدون عليك، أو ربما لا يعينهم الموضوع بأي حال من الأحوال. ص ٥٥
- ٤٤- إن هؤلاء الذين يحققون نجاحاً كبيراً في الحياة هم الذين يعطون أكثر مما يتوقع منهم. ص ٥٥
- ٤٥- إن الرجل الشجاع يمثل أغلبية في حد ذاته. ص ٥٥
- ٤٦- الشدائد تزيدك قوة. ص ٥٨
- ٤٧- تنطوي كل المحن على احتمالات لتحقيق فوائد مساوية لها أو أكبر. ص ٥٨
- ٤٨- لا تدوم الهزيمة إلى الأبد إلا إذا سمحت لها بذلك. ص ٦١
- ٤٩- أصعب جزء في أي وظيفة هو البداية. ص ٦٢
- ٥٠- تزداد قوتنا كلما واجهنا مشكلات، فكما تُقوّي الرياضة العضلات فإن التغلب على العقبات يعلمنا الإصرار، والعمل بجِد واجتهاد، والنجاح في النهاية. ص ٦٢
- ٥١- تحديد الهدف يساعدك في تركيزك على طاقاتك وأفكارك على ما تريد أن تحققه. ص ٧٢
- ٥٢- إذا كان لديك هدف محدد وتمتلك الإصرار والقدرة على تحقيقه - فلن يطول تأخره. ص ٧٢
- ٥٣- إن العوائق ما هي إلا مصادر إزعاج مؤقتة لا بد أن تتغلب عليها؛ لكي تصوب مسارك. ص ٧٢

- ٥٤- العقبات هي تلك الأشياء المرعبة التي تبعد عينك عن المهمة. ص ٧٩
- ٥٥- معظم الناس لا يهتمون بما لديك من معرفة إلا أن يعرفوا قدر ما لديك من اهتمام بهم. ص ٨٩
- ٥٦- إن أصعب سرٍّ يحتفظ به الإنسان هو رأيه الخاص في نفسه. ص ١٠٠
- ٥٧- من الأشياء العجيبة في هذه الحياة أنك إذا لم تقبل أي شيء سوى الأفضل فإنك ستحصل عليه في كثير من الأحيان. ص ١٠١
- ٥٨- من مقتضيات الحكمة أن تعرف ما يجب أن تتغاضى عنه. ص ١٠٦
- ٥٩- إذا اعتدت على ألا تفعل أي شيء يضر الآخرين ، وعلى أن تساعدكم بشكل عملي ومعقول - فسوف تستفيد من هذه العادة أكثر من الآخرين. ص ١٠٦
- ٦٠- عندما تكون إنساناً رحيماً عطوفاً ومراعياً لشعور الآخرين فسوف تحترم نفسك بشكل أفضل ، وتصبح أكثر ثقة ، كما يزداد تقديرك لذاتك. ص ١٠٦





## المجموعة الثانية

### نقول منتقاة من الكتب التالية :

- ١- آداب النفوس للمحاسبي
- ٢- العزلة للخطابي
- ٣- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه
- ٤- وصية أبي الوليد الباجي لولديه
- ٥- أيها الولد لأبي حامد الغزالي
- ٦- الاعتبار لأسامة بن منقذ
- ٧- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لأبي الحسن علي بن هذيل
- ٨- أدب الطلب للشوكاني
- ٩- مناهج الشرف لمحمد الخضر حسين
- ١٠- حكم وأخلاق عربية لمحمد المكي بن الحسين
- ١١- نواذر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين
- ١٢- دع القلق وابدأ الحياة لديل كارنيجي
- ١٣- كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس لديل كارنيجي



## أولاً: المنتقى من كتاب

## آداب النفوس لأبي عبد الله حارث بن أسد المحاسبي ت ٢٤٠ هـ

تعريف بالكاتب وبالكتاب:

كتاب (آداب النفوس) لأبي عبد الله حارث بن أسد المحاسبي أو المعروف بـ: الحارث المحاسبي، المتوفي سنة ٢٤٠، وهو من معاصري الإمام أحمد بن حنبل -رحمهما الله-.

وهذا الكتاب يتحدث فيه مؤلفه عن أدواء النفوس، وما تنطوي عليه من خلائق السوء.

ويحاول تشخيص تلك الأدواء، ويسعى في علاجها، وإعادةنها إلى فطرتها، وصفائها، ونقاؤها.

كما أن الكتاب يحتوي على حكم بالغة، وكشفٍ عن دقائق النفس، ومواعظ تعين الإنسان على الاستعداد ليوم المعاد.

وهذا الكتاب من مطبوعات دار الجيل بيروت، ويقع في ٢٠٠ صفحة.

## النبولات المنتقاة: قال ﷺ:

١- وإن إبليس إنما يُسَوَّرُ عليك في الآثام من وسوسة نفسك، وخراب قلبك.

ص ٥٠

٢- ولا شيء أعجب إلى إبليس من ظلمة القلب، وسواده، وانطفاء نوره، وتراكم الرِّين عليه، ولا شيء أثقل على الخبيث من النور، والبياض،

والنقاء، والصفاء، وإنما مأواه الظُّلْمة، وإلا فلا مأوى له، ولا قرار في النور والبياض. ص ٥١

٣- ومن أراد الزهد فليكن الكثير مما في أيدي الناس عنده قليلاً، وليكن القليل عنده من دنياه كثيراً، وليكن العظيم منهم إليه من الأذى صغيراً، وليكن الصغير منه إليهم عنده عظيماً. ص ٥٥

٤- ولو استغنيت بالله وحده، وبإطلاعه عليك، وبجزيل ثوابه لأهل طاعته، ومحبتة لهم، وتوفيقه لهم، وتسديده إياهم، وراقبته - لأغناك ذلك عمن لا يملك لك ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً. ص ٦٠

٥- فاحذر - رحمك الله - من قُرب منك وقُربت منه، فإن الذين بُعدوا منك وبُعِدتَ عنهم سلموا منك، وسلمت منهم. ص ٧٤

٦- فإن العبد إنما يؤتى من قبل التهاون باليسير، وهو الذي يوقع في الإثم الكبير، والتهاون باليسير هو الأساس الذي يبنى عليه الكثير؛ فيكون أوله كان تحفظاً، ثم صار انبساطاً، ثم صار من الانبساط إلى ذكر اليسير، ثم صار من اليسير إلى ما هو أكثر منه، فلا تشعر حتى ترى نفسك حيث كنت تكره أن ترى فيه غيرك، ففي ترك اليسير ترك اليسير والكثير. ص ٨٦

٧- وأقوى الناس على ذلك، وأصدقهم عزماً هو الذي إذا عزم أمضى عزمه ولم يَلُوْ، وأضعف الناس في ذلك أضعفهم عزماً، وهو الذي يعزم ثم يحل عزمه، ولا يكاد يمضي عزمًا. ص ٨٦

٨- وبعض الأمور تركها أشد على العبد من بعض، وصاحب الإرادة لا

ينبغي أن يغلط في هذا، ولكن يفاتش أموره كلها مفاتشة شديدة، بالعناية وغائص الفهم، ودقائق لطائف الفطن، حتى يعلم ما هو أشد عليه في الترك، ويعلم ما هو أسلم له، وأنفع له، فيجعل جدّه وجديده، ومعرفته وعلمه، وفهمه وكياسته، وعنايته وفطنته فيما هو أشد عليه في الترك، وأكثر ضرراً عليه. والناس في ذلك مختلفون، فرب رجل يهون عليه ترك شيء يشتد على غيره، ويشتد عليه ترك شيء يهون على غيره تركه، ويشتد عليه طلب ما يهون على غيره، ويهون عليه طلب ما يشتد على غيره؛ لأنه حُبب إلى هذا من الأشياء ما لم يُحِبَّ إلى غيره، وبُغِض إليه من الأشياء ما لم يُبَغِّض إلى غيره. ص ١١٤

٩- وأما باب النصيحة فتكون نيته وسيرته ومذهبه في السر والعلانية: أن أمور الأمة كلها لو أجريت على ما في ضميره وسريته لأحب أنها رشدت أمورها، وأطاعت ربها، وصار إلى كل واحد منهم حظه من الحق والعدل. فإن كانت هذه سيرته في خاصته، وعلى هذا نيته في العامة - رجوت أنه في كل أمر جليل، ونعمة عظيمة، لا يعلم قدرها إلا الله - تعالى -.

وإن خالفت سيرته في خاصته وعامته هذا الوصف، فلا حظ له في النصيحة الخاص ولا العام، وكان ما يدعي أنه يضمّر وينوي في سيرته، من نصيحة الخاصة والعامة مردوداً عليه، غير مقبول منه. ص ١٢٥

١٠- واعرف صمتك عند الخوف من سقوط جاهك عند من لك عنده الجاه والقدر. ص ١٢٩

١١- واعرف صدقك عند الحالة التي يتصنع ويتزين في مثلها المتزينون

والمُتصنعون. ص ١٢٩

١٢- واعرف صبرك عند ترك شهوة قد ملكتها، هل تستطيع تركها على ذلك أم لا؟ ص ١٢٩

١٣- واعرف عقلك عند ترك ما لا نفع لك فيه في الدنيا ولا في الآخرة، ولا ثواب لك فيه عند الله -تعالى- هل تستطيع ترك ذلك أم لا؟ ص ١٣٠

١٤- إن الناسك إن لم يقبل الحكمة، ولا الموعظة، ولا النصيحة من العدو والصديق، والسفيه والحليم - فُتسكه نُسُكُ الملوك. ص ١٣٨

١٥- واعلم أن لذتك فيما تجد من حلاوة طعم الحلوى، وغير ذلك، إنما تجدها عند أكلك إذا أكلتها، وحلاوة الهوى والشهوة في الفكر إذا تابعت على ما تريد، ليس له طعام ولا شراب، إنما لذته من الأشياء أن يتابع في فكره وأصله. ص ١٤٦

١٦- واعلم أن لذة الرياء وحلاوته لذة تخالط القلوب، وتجري في العروق، فاحذر ذلك في ابتداء أول العمل، وفاتش الهمة، وتقصّ تصحيح الإرادة، وكن في ذلك كله مراقباً لله وحده. ص ١٤٦

١٧- وعلامة النصح للناس: أن تحب لهم ما تحب لنفسك من طاعة الله -تعالى- وأن تكره لهم ما تكره لنفسك من معصية الله -تعالى-. ص ١٥١

١٨- وعلامة الصبر: ألا تشكو من جميع المصائب إلى أحد من المخلوقين شيئاً. والصبر هو: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على كتمان المصيبة، وهو من كنوز البر، والصبر على كتمان الطاعة، والصبر: حبس النفس

عن ذلك كله. ص ١٥١

- ١٩- ومن علامة التواضع: ألا يدعوك أحد إلى حق إلا قبلته ولم ترده، ولا ترى أحداً من المسلمين إلا رأيت نفسك دونه. ص ١٥٢
- ٢٠- والحزم: الفرار من كل موضع فيه محنة. ص ١٥٤
- ٢١- احذر شهوة لا تبقى، وندامة لا تفنى. ص ١٧٦
- ٢٢- احفظ الله عند هواك، يحفظك عند لقاءك. ص ١٧٩
- ٢٣- اجتهد ولا تيأس، ولا تقل عند ذكر الصالحين: لولا ذنوبي لرجوت طريقة الصالحين، فيُفْتَرَكُ ذكْرُ ذُنُوبِكَ عن العمل، فإن صاحب الحمل الثقيل أولى أن يجتهد في إسقاط ما قد حمل من المُخِيفِ الذي ليس على ظهره شيء. ص ١٧٩
- ٢٤- إن أردت أن ينظر الله إليك بالرحمة - فانظر أنت إلى الصالحين بالغبطة، وإلى العاصين بالرأفة. ص ١٧٦
- ٢٥- ما ظنك بمن يكره أن يطلع الناس منه على ما يكره الله، ولا يستحي أن يطلع الله منه على ما يكره. ص ١٨٦





## ثانياً: المنتقى من كتاب

## العزلة لأبي سليمان الخطابي البستي ٣١٩ - ٣٨٨ هـ

## نبذة عن المؤلف:

هو الإمام الحافظ الشيخ أبو سليمان حمّد -بفتح الحاء وسكون الميم- ابن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي. ولد في شهر رجب سنة ٣١٩ بمدينة بست. كان رحمه الله فقيهاً، محدثاً، أديباً له التصانيف البديعة -كما قال بن خلّكان-. وكان من المكثرين في التأليف، المجيدين فيه، فمن تأليفه القيمة: معالم السنة، وغريب الحديث، وأعلام السنن، وشأن الدعاء، وإصلاح خطأ المحدثين، وشرح أسماء الله الحسنى، والغنية عن الكلام وأهله، والعروس، وغيرها من الكتب.

ومنها: كتاب العزلة.

## تعريف بالكتاب:

كتاب (العزلة) من منشورات مكتبة التراث الإسلامي ويقع في مائتين وعشر صفحات.

وهذا الكتاب من أشهر مؤلفات الإمام الخطابي رحمه الله.

ويدور هذا الكتاب حول العزلة والخلطة وضوابط كل منهما.

وتحت هذا المفهوم يذكر أبواباً تصل إلى سبعة عشر باباً يمكن إجمالها فيما يلي :

- باب حكاية ما احتج به من أنكر العزلة.
- باب ما جاء في العزلة.
- باب ذكر أسباب تسهل المرء العزلة ، وتقطعه عن صحبة كثير من ذوي الخلطة.
- باب في خفة الظهر ، وقلق العيال والأهل.
- باب في ترك الاستكثار من الأصدقاء ، وما يستحب من قلة الالتقاء.
- كتاب جامع في ترك ما لا يعني ، ورفض الاشتغال بما لا يجدي.
- باب في التحذير من قرناء السوء ، وحسن ارتياد المجلس الصالح.
- باب اختلاف طبقات الناس.
- باب في ذكر أخلاق العامة ، وما يوجد فيهم من قلة الاستفادة<sup>(١)</sup>.
- باب التحذير من عوام الناس ، والتحرز منهم بسوء الظن فيهم ، وقلة الثقة فيهم ، وترك الاستئمان إليهم.
- باب في فساد الزمان وأهله.
- باب فيمن يتمنى الموت ، وآثر المرض والعمى على لقاء الناس.
- باب في ترك الاعتداد بعوام الناس ، وقلة الاكتراث بهم والتحاشي لهم.
- باب في فساد الخاصة ، وما جاء في علماء السوء ، وذكر آفاتهم.
- باب في آفات القراء.

١- لعلها: الاستقامة.

- باب في فساد الأئمة وما جاء في الإقلال من صحبة السلاطين.

- باب في لزوم القصد في حالي العزلة والخلطة.

هذه نبذة مختصرة لما جاء في الكتاب من أبواب.

والمؤلف رحمته الله لم يرد بالعزلة اعتزال الناس بإطلاق، وإنما بين ذلك، وقيده؛ فاعتزالهم إنما يكون في الشر، ولأجل الفرار عن الفتن.

أما اعتزالهم في الخير، وفي الجمع والجماعات وما جرى مجرى ذلك - فلم يكن من قصد المؤلف.

والكتاب حافل بإيراد النصوص الشرعية، وأقوال العلماء والحكماء كما أنه تميز بجمال العبارة، وحسن السبك، كيف والخطابي يعد من أكابر أدباء عصره؟

### النقول المنتقاة: قال رحمته الله :

١- وأما عزلة الأبدان ومفارقة الجماعة التي هي العوام فإن من حكمها أن تكون تابعة للحاجة، وجارية مع المصلحة؛ وذلك أن عظم الفائدة في اجتماع الناس في المدن، وتجاورهم في الأمصار إنما هو أن يتضافروا، فيتعاونوا على المصالح، ويتآزروا فيها، إذا كانت مصالحهم لا تكمل إلا به، ومعايشهم لا تزكو إلا عليه.

وللإنسان أن يتأمل حال نفسه، فينظر في أي طبقة يقع منهم، وفي أية جنبه ينحاز من جملتهم؛ فإن كانت أحواله تقتضيه المقام بين ظهراني العامة؛ لما يلزمه من إصلاح المهنة التي لا غنية له به عنها، ولا يجد بداً من الاستعانة بهم فيها، ولا وجه لفارقتهم في الدار، ومباعدتهم في السكن والجوار - فإنه إذا فعل ذلك تضرر بوحده، وأضر بمن وراءه من أهله وأسرته.

وإن كانت نفسه -بكلها- مستقلة ، وحاله في ذاته وذويه متماسكة فالاختيار له في هذا الزمان اعتزال الناس ، ومفارقة عوامهم؛ فإن السلامة في مجانبتهم، والراحة في التباعد منهم. ص ١٥ - ١٦

٢- ولسنا نريد -رحمك الله- بهذه العزلة التي تختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات، وترك حقوقهم في العبادات، وإفشاء السلام، ورد التحيات، وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم، ووضائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم؛ فإنها مستثناة بشرائطها، جارية على سبيلها، ما لم يحل دونها حائل شغل، ولا يمنع عنها مانع عذر، إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة، ونبد الزيادة منها، وخط العلاوة التي لا حاجة بك إليها؛ فإن من جرى في صحبة الناس، والاستكثار من معرفتهم، على ما يدعو إليه شغف النفوس وإلف العادات، وترك الاقتصاد فيها، والاقتصار الذي تدعوه الحاجة إليه - كان جديراً ألا يحمد غيبه، وأن يستوخم عاقبته، وكان سبيله في ذلك سبيل من يتناول الطعام في غير أوان جوعه، ويأخذ منه فوق قدر حاجته؛ فإن ذلك لا يلبث أن يقع في أمراض مدنفه، وأسقام متلفة، وليس من علم كمن جهل، ولا من جرب وامتنح كمن ماد وخاطر. ص ١٦

٣- قال الشيخ أبو سليمان: وكان ابن عمر من أشد الصحابة حذراً من الوقوع في الفتن، وأكثرهم تحذيراً للناس من الدخول فيها، وبقي إلى أيام فتنة ابن الزبير، فلم يقاتل معه، ولم يدافع عنه، إلا أنه كان يشهد الصلاة معه، فإذا فاتته صلاها مع الحجاج، وكان يقول: إذا دعونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم. ص ٢٦

٤- لا يستوحش مع الله من عمر قلبه بحبه، وأنس بذكره، وألف مناجاته بسره، وشغل به عن غيره، فهو مستأنس بالوحدة، مغتبط بالخلوة. ص ٢٨ - ٢٩

٥- قال بعض الحكماء: إنما يستوحش الإنسان بالوحدة؛ لخلاء ذاته، وعدم الفضيلة من نفسه؛ فيكثر حينئذ بملاقاة الناس، ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة؛ ليستعين بها على الفكرة، ويتفرغ لاستخراج الحكمة. ص ٢٩

٦- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرنا إسماعيل بن أسد قال: حدثنا إسحاق ابن إبراهيم قال: بلغني عن الحسن عليه السلام أنه كان يقول: كلمات أحفظهن من التوراة: قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حراً، ترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلاً فتمتع طويلاً. ص ٣٠

٧- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني المطهر بن عبدالله قال: حدثني أبو الحسن محمد بن العباس النحوي قال: كتب إلي ابن لمجة يستزيرني، فكتبت إليه:

أنست نفسي بنفسي	فهي في الوحدة أنسي
وإذا آنست غيري	فأحق الناس نفسي
فسد الناس فأضحى	جنسهم من شر جنس
فلزمت البيت إلا	عند تأديتي لخمسي

ص ٣٢ - ٣٣

٨- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني محمد بن أحمد بن سليمان قال: حدثنا ابن شبيب قال: حدثنا إبراهيم بن محمد النحوي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي قال: سألتني الرشيد عن أعراب البادية، وعن أخبارها،

فحدثته: أني كنت في مكان يقال له الطخفة، وهي قرية لبني كلاب، رأيت فيها أعرابياً في عنقه طوقٌ ملتوٍ من فضة، وبيده زكرة<sup>(١)</sup> ومعه قدح نبع<sup>(٢)</sup> فتنبت أثره فجاء إلى جذم حائط<sup>(٣)</sup> فجمع رميلة ثم اتكأ عليها، وجعل يصب من شكوته نبادة له في قدح النبع ويشربه، ويرجز عليه، فسلمت عليه ووقفت عنده فقال: إن فيه<sup>(٤)</sup> خلالاً ثلاثاً إن سمع مني حديثاً لم ينمه علي، وإن تفلت في وجهه احتمل، وإن عربدت عليه لم يغضب، قال الأصمعي: فقال الرشيد: زهدتني في الندماء. ص ٣٣

٩- قال أبو سليمان: أما ما شجر بين الصحابة من الأمور، وحدث في زمانهم من اختلاف الآراء - فإنه من باب كلما قل التسرع فيه، والبحث عنه كان أولى بنا وأسلم لنا، ومما يجب علينا أن نعتقد في أمرهم أنهم كانوا أئمة علماء قد اجتهدوا في طلب الحق، وتحروا وجهته، وتوخوا قصده؛ فالمصيب منهم مأجور، والمخطئ معذور، وقد تعلق كل منهم بحجة، وفزع إلى عذر، والمقايسة عليهم، والمباحثة عنهم اقتحام فيما لا يعنينا، والله - تعالى - يغفر لنا ولهم برحمته.

وليس التهاجر منهم، والتصارم بأكثر من التقاتل في الحروب، والتواجه بالسيوف، ولا أعجب من التباهل فيما شجر بينهم من الاختلاف والتنازع في التأويل، وكل منهم في ذلك مأجور على قدر اجتهاده في طلب الحق، وحسن

١- زكرة: وعاء من جلد يوضع فيه الخمر ونحوه.

٢- نبع: شجر مخصوص يتخذ منه القسي.

٣- جذم الشيء: أصله أو بقيته، والحائط: البستان.

٤- الضمير يعود على الشجر الذي في البستان.

نيته ، والله يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ونسأله أن لا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا إنه رؤوف رحيم.

فأما من بعد الصحابة من التابعين ، ومن وراءهم من طبقات المتأخرين - فلنا مناظرتهم في مذاهبهم ، وموافقتهم عليها ، والكشف عن حججهم ، والقول بترجيح بعضها على بعض ، وإظهار الحق من أقاويلهم؛ ليقنّدى بهم ، والتنبيه على الخطأ منهم؛ لينتهى عنه. ص ٣٦ - ٣٧

١٠- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني إسماعيل بن محمد قال: سمعت ابن إبراهيم يقول: لو لم يكن في العزلة أكثر من أنك لا تجد أعواناً على الغيبة لكفى. قال أبو سليمان: صدق أبو محمد رحمه الله فإنه ما من أحد جالس الناس في هذا الزمان وعاشرهم إلا قلت سلامته من الغيبة؛ فإن من شأنهم اليوم أن يقع بعضهم في بعض ، وأن يشبع بعضهم بعضاً ، وأن يتمضمضوا بذكر الأعراض ، ويتفكهوا بها ، ويتنقلوا بحلاوتها ، فيما أن يساعدهم جلسهم على إثم وترك مروءة ، وإما أن يخالفهم عن قلى وشنآن؛ فمجالستهم داء يعدي يضر ولا يجدي ، قال: ولو لم يكن في العزلة إلا السلامة من آفة الرياء ، والتصنع للناس ، وما يدفع إليه الإنسان إذا كان فيهم من استعمال المداينة معهم ، وخداع المواربة في رضاهم - لكان في ذلك ما يرغب في العزلة ويحرك إليها. ص ٤١

١١- قال أبو سليمان: ومن مناقب العزلة السلامة من آفات النظر إلى زينة الدنيا وزهرتها ، والاستحسان لما ذمه الله - تعالى - من زخرفها ، وعابه من زبرج غرورها ، وفيها منع النفس من التطلع إليها والاستشراف لها ، ومن محاكاة

أهلها، ومنافستهم عليها، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ طه: ١٣١، ص ٤٢ - ٤٣

١٢- قال: ومن مناقب العزلة أنها خالعة عنك ربة ذل الآمال، وقاطعة رق الأطماع، ومعيدة عز اليأس عن الناس؛ فإن من صحبتهم وكان فيهم ومعهم لم يكذب يخلو من أن يحدث نفسه بنوع من الطمع فيهم؛ إما في مال، أو جاه، والطمع فقر حاضر، وذل صاغر. ص ٤٤

١٣- قال أبو سليمان: وفي العزلة السلامة من التبذل لعوام الناس، وحواشيهم، والتصون عن ذلة الامتهان منهم، وأمان الملل عند الصديق، واستحداث الطرأة عند اللقاء؛ فإن كل موجود مملول، وكل ممنوع مطلوب. ص ٥٢

١٤- وفي العزلة أنها تستر الفاقة، وتكشف جلاباب التحمل، فلا يظهر على عورة إن كانت وراءه تسوء صديقاً، أو تشمت عدواً؛ فإن التجمل من شيم الأحرار، وشمائل ذوي الهمم والأخطار، وقد وصف الله -تعالى- به الأبرار من عباده فقال -تعالى- ذكره-: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ البقرة: من الآية ٢٧٣، ص ٥٢

١٥- وفي العزلة أنها معينة لمن أراد نظراً في علم، أو إثارة لدفين رأي، أو استنباطاً لحكمة؛ لأن شيئاً منها لا يجيء إلا مع خلاء الذرع، وفراغ القلب، ومخالطة الناس ملغاة ومشغلة. ص ٥٣

١٦- أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: حدثنا أحمد بن عمر القطواني قال: حدثنا عمرو بن مرزوق قال: حدثنا زائدة عن الأعمش، عن



مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال : المرء حقيق أن تكون له مجالس يخلو فيها؛ فيذكر ذنوبه ، ويستغفر منها.

قال : وفي العزلة السلامة من صحبة الثقيل ، ومؤونة النظر إليه؛ فإن ذلك هو العمى الأصغر. ص ٥٤

١٧- قيل للأعمش : ممَّ عمشت عينك؟ قال : من النظر إلى الثقلاء. ص ٥٤

١٨- وقال الأعمش : قال جالينوس : لكل شيء حمى ، وحمى الروح النظر إلى الثقيل. ص ٥٤

١٩- قال أبو سليمان : وأنشدني ابن الزبقي قال : أنشدنا الكديمي قال : أنشدني الأصمعي لأعرابي :

لقد زاد الحياة إلي حباً	بناتي إنهن من الضعاف
مخافة أن يذقن الفقر بعدي	وأن يشربن رنقاً بعد صافي
وأن يعرين إن كُسي الجواري	فتنبو العين عن كرم عجاف

ص ٥٨

٢٠- قال أبو سليمان : قوله « المرء على دين خليله » معناه : أن لا تخالل إلا من رضيت دينه وأمانته؛ فإنك إذا خالته قارك إلى دينه ومذهبه ، ولا تُغرر بدينك ، ولا تخاطر بنفسك ، فتخالل من ليس مرضياً في دينه ومذهبه.

قال سفيان بن عيينة : وقد رُوي في هذا الحديث « انظروا إلى فرعون معه هامان ، انظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي مسلم شر منه ، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة؛ فقومه وسدده ».

ويقال : إن الخلطة مأخوذة من تخلل المودة القلب ، وتمكنها منه ، وهي أعلى

درج الإخاء؛ وذلك أن الناس في الأصل أجنب، فإذا تعارفوا ائتلفوا، فهم أوداء، وإذا تشاكلوا فهم أحياء، فإذا تأكدت المحبة صارت خلة. ص ٧١ - ٧٢

٢١- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرنا محمد بن مكي قال: حدثنا الصائغ قال: حدثنا سعيد بن منصور قال: حدثنا ابن المبارك، عن حيوة بن شريح، عن سالم بن غيلان، عن الوليد بن قيس، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

قال أبو سليمان: قوله ﷺ لا يأكل طعامك إلا تقي إنما أراد به طعام الدعوة دون طعام الحاجة؛ ألا تراه يقول - تعالى ذكره -: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان: ٨.

ومعلوم أن أسراهم الكفار دون المؤمنين ودون الأتقياء من المسلمين، وإنما وجه الحديث ومعناه: لا تدع إلى مؤاكلة إلا الأتقياء؛ لأن المؤاكلة توجب الألفة، وتجمع بين القلوب. ص ٧٢

٢٢- أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا الكراني قال: حدثني ابن شبيب قال: حدثني المنقري، عن الأصمعي قال: قال أعرابي: عداوة الحليم أقل ضرراً عليك من مودة الجاهل.

وفي هذا لبعض الشعراء:

ولأن يعادي عاقلاً خير له	من أن يكون له صديق أحمق
فارغب بنفسك أن تصادق جاهلاً	إن الصديق على الصديق مصدق

ص ٧٥

٢٣- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني ابن أبي الدق قال: حدثنا محمد ابن المنذر

قال: حدثنا محمد بن إدريس قال: حدثني عبدالرحمن بن أبي عطية الحمصي، عن الحطاب بن المعلى المخزومي أنه وعظ ابنه فقال: إياك وإخوان السوء؛ فإنهم يخونون من رافقهم، ويخرفون من صادقهم، وقُرْبُهُمُ أعدى من الجرب، ورَفْضُهُمُ من استكمال الأدب، والمرء يُعرف بقريته.

قال: والأخوان اثنان؛ فمحافظ عليك عند البلاء، وصديق لك في الرخاء؛ فاحفظ صديق البلية وتجنب صديق العافية؛ فإنهم أعدى الأعداء.

وفي هذا قول الشاعر:

وكل خليل بالهويناء ملاطف      ولكنما الإخوان عند النوائب

ص ٧٥ - ٧٦

٢٤- أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا ابن الزبيق قال: حدثنا موسى بن زكريا التُّسْتَرِي قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا العتبي قال: كنا عند سفيان بن عيينة فتلا هذه الآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ الأنعام: من الآية ٣٨.

وقال: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من شبه البهائم؛ فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنازير التي لو أُلقي لها الطعام الطيب عافته فإذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه، فكذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، وإن أخطأ رجل عن نفسه، أو حكا خطأ غيره ترواه وحفظه.

قال أبو سليمان: ما أحسن ما تأول أبو محمد -رحمة الله عليه- هذه الآية، واستنبط منها هذه الحكمة؛ وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمه مطاوعاً لظاهره وجب المصير إلى باطنه، وقد أخبر الله -تعالى- عن وجود المماثلة بيننا وبين كل دابة وطائر، وكان ذلك ممتنعاً من جهة الخلقة والصورة، وعدماً من جهة النطق والمعرفة، فوجب أن يكون مصرفاً إلى المماثلة في الطباع والأخلاق، وإذا كان الأمر كذلك فاعلم -يا أخي- أنك إنما تعاشر البهائم والسباع؛ فليكن حذرک منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك. ص ٨٤

٢٥- قال أبو سليمان: وسأفيدك فائدة - يا أخي - يجل نفعها؛ ويعظم عائدتها، وما أقولها إلا عن ودك، وشفقة عليك؛ فإن البلوى في معاشرة أهل زمانك عظيمة؛ فاستعن بها على ما يلقاك من أذاهم؛ فإنك لا تخلو من قليله وإن سلمت من كثيره، وذلك أنك قد ترى الواحد بعد الواحد منهم يتكالب على الناس، ويتسفه على أعراضهم، وينبح فيها نباح الكلب، فيهمك من شأنه ما يهمك، ويسوؤك منه ما يسوؤك أن لا يكون رجلاً فاضلاً يرجى خيره ويؤمن شره؛ فيطول في أمره فكيرك، ويدوم به شغل قلبك؛ فأزح هذا العارض عن نفسك؛ بأن تعده على الحقيقة كلباً خُلِقَ، وزد به في عدد الكلاب واحداً، ولعلك قد مررت مرة من المرات بـكلب من الكلاب ينبح ويعوي، وربما كان -أيضاً- قد يساور ويعض فلم تحدث نفسك في أمره بأن يعود إنساناً ينطق ويسبح؛ فلا تتأسف له ألا يكون دابة تركب، أو شاة تحلب، فاجعل أيضاً هذا المتكلم كلباً مثله واسترح من شغله، واربح مؤونة الفكر فيه، وكذلك فليكن عندك منزلة من جهل حقك وكفر

معروفك؛ فاحسبه حماراً، أو زد به في عدد العانة<sup>(١)</sup> واحداً، فبمثل هذا تخلص من آفة هذا الباب وغائلته، والله المستعان. ص ٨- ٨٧

٢٦- أخبرنا أبو سليمان قال: حدثني محمد بن منصور قال: حدثنا شكر قال: حدثنا أحمد بن بكر بن سيف المروزي قال: قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن أبي زكريا، قال: كان أعرابي بالكوفة وكان له صديق، فكان يظهر له مودة ونصيحة، فاتخذ الأعرابي من عدده للنوائب، فأتاه فوجده بعيداً مما كان يظهر له، فأنشأ يقول:

إذا كان ود المرء ليس بزائد	على مرحباً أو كيف أنت وحالكا
ولم يك إلا كاشراً أو محدثاً	فأف لود ليس إلا كذلكا
لسانك معسول ونفسك بشة	وعند الثريا من صديقك مالكا
فأنت إذا هممت يمينك مرة	لتفعل خيراً قابلتها شمالكا

ص ٩٤

٢٧- قال وأنشدني عبدالعزيز بن عبدالله لمحمد بن حازم:

وإن من الإخوان إخوان كشرة	وإخوان حياك الإله ومرحبا
وإخوان كيف الحال والأهل كله	وذلك لا يسوي نقيراً مترباً
جواداً إذا استغنيت عنه بماله	يقول إلي القرض والقرض فاطلبا
فإن أنت حاولت الذي خلف ظهره	وجدت الثريا منه في البعد أقربا

ص ٩٤ - ٩٥

١- يقصد بالعانة: الحمير.

٢٨- قال أبو سليمان: حدثنا إبراهيم بن فراس، حدثنا أحمد بن علي بن سهل قال: حدثنا العباس بن الحسين قال: أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تتمثل بهذين البيتين:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم      وبقيت في خلف كجلد الأجر  
يتحدثون مخانة وملاذة      ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

قال أبو معاوية: قالت عائشة - رضي الله عنها -: ويح لبيد لو أدرك هذا الزمان.  
قال عروة: وكيف لو عاشت عائشة - رضي الله عنها - إلى هذا الزمان.

قال هشام: فكيف لو بقي عروة إلى هذا الزمان.

وقال أبو معاوية: فكيف لو بقي هشام إلى هذا الزمان.

وقال العباس بن الحسين: نحو ذلك.

وقال أحمد بن علي: وقال ابن فراس مثله. ص ١٠٣

٢٩- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عاصم قال: أخبرني محمد بن الربيع بن سليمان، وابن حوصا قال: سمعنا يونس ابن عبد الأعلى يقول: قال لي الشافعي - رحمه الله عليه - : يا أبا موسى رضاء الناس غاية لا تدرك، ليس إلى السلامة من الناس سبيل؛ فانظر ما فيه صلاح نفسك؛ فالزمه، ودع الناس وما هم فيه. ص ١١٣

٣٠- قال أبو سليمان وأنشدني ابن مالك قال: أنشدني الدغولي في سياسة

العامة:

إذا أمن الجهالُ جهالكَ مرةً      فعرضك للجهال غنم من الغنم

وإن أنت نازيت السفية إذا نزا      فأنت سفية مثله غير ذي حلم  
ولا تتعرض للسفوية وداره      بمنزلة بين العداوة والسلام  
فيخشاك تارات ويرجوك مرة      وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم

ص ١١٩

٣١- قال أبو سليمان: وبلغني عن سفيان الثوري أنه قال: من ترأس في  
حدثه كان أدنى عقوبته أن يفوته حظ كبير من العلم. ص ١٢٢

٣٢- أنشدنا أبو سليمان قال: أنشدني سهل بن إسماعيل قال: أنشدنا منصور  
بن إسماعيل لنفسه:

الكلب أكرم عشرة      وهو النهاية في الخساسة  
ممن ينازع في الريا      سة قبل أوقات الرياسة

ص ١٢٢

٣٣- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرني أبو عمر الحيري قال: حدثنا مسلم ابن  
إبراهيم قال: حدثنا الحسن بن أبي جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول:  
أجيز شهادة القراء في كل شيء إلا بعضهم على بعض؛ وجدتهم أشد تحاسداً من  
التيوس، توثق الشاة فيرسل عليها التيس، فيهب هذا، ويهب هذا. ص ١٢٩

٣٤- قال أبو سليمان: إن من عادة الفتيان<sup>(١)</sup> ومن أخذ بأخذهم بشاشة  
الوجه، وسجاجة الخلق، ولين العريكة.

ومن شيمة الأكثرين من القراء الكزازة، وسوء الخلق، فمن انتقل من الفتوة

١- يعني بالفتيان: جمع فتى من الفتوة وهو من يتصف بالشهامة، والمروءة، ومكارم الأخلاق.

إلى القراءة كان جديراً أن يتباقي معه تلك الذوق والهشاشة ، ومن تقرأ في صباه لم يخل من جفوة أو غلظة.

وقد يتوجه قول سفيان إلى وجه آخر؛ وهو إنه إذا انتقل من الفتوة إلى القراءة كان معه الأسف على ما مضى والندم على ما فرط منه ، فكان أقرب له إلى أن لا يعجب بعمل صالح يكون منه ، وإذا كان عارفاً بالشر كان أشد لحذره ، وأبعد من الوقوع فيه. ص ١٣٠

٣٥- أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: حدثنا أحمد بن زيد القزاز قال: حدثنا حسين المروزي قال: حدثنا ابن المبارك، عن سفيان قال: قال: أبو حازم: إن الرجل لعمل السيئة إن عمل حسنة قط أنفع له منها، وإنه لعمل الحسنة إن عمل سيئة قط أضر عليه منها.

قال أبو سليمان: قال ابن الأعرابي: معناه: أن يعمل الذنب فلا يزال منه مشفقاً حذراً أن يعاوده؛ فينفعه ذلك، ويعمل الحسنة؛ فيحتسب بها على ربه-تعالى- ويعجب بها، ويتكل عليها، فتهلكه. ص ١٣٠

٣٦- فالعزلة إنما تنفع العلماء العقلاء، وهي من أضر شيء على الجهال.

ص ١٣٢

٣٧- قال: أنشدني بعض أهل العلم:

بذنوبنا دامت بليتنا      والله يكشها إذا تبنا

ص ١٣٩

٣٨- وأنشدنا أبو سليمان:



تسامح ولا تستوف حقك كله وأبق فلم يستوف قط كريم  
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

ص ١٤١

٣٩- أخبرنا أبو سليمان قال: أخبرنا محمد بن هاشم قال: حدثنا الدبري عن عبد الرزاق قال: أخبرنا بشر بن رافع قال: أخبرني شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبدالله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: إني وجدت في حكمة آل داود: حق على العالم أن لا يُشغل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يصدقونه عيوبه وينصحونه في نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها مما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات، واستجمام للقلوب، وفصل، وبلغة.

وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، ممسكاً للسانه، مقبلاً على شأنه. ص ١٤٢

٤٠- أخبرنا أبو سليمان قال: حدثنا الخلدی قال: حدثنا موسى بن هارون قال: حدثنا هدية بن خالد قال: حدثنا حزم القطعي قال: سمعت الحسن يقول: يقولون المداراة نصف العقل، وأنا أقول هو العقل كله. ص ١٤٢



## ثالثاً: المنتقى من كتاب

## تهذيب الأخلاق لأحمد بن مسكويه ت ٤٢١ هـ

## نبذة عن المؤلف:

هو أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه. أصله من الري، وسكن أصفهان، وتوفي بها عام ٤٢١ هـ. اشتهر بـ: الخازن؛ لأنه كان أميناً على خزانة كتب ابن العميد، ثم عضد الدولة بن بويه، ألف كتباً كثيرة، منها: تجارب الأمم، وطهارة النفس، وآداب العرب والفرس، وغيرها من الكتب. تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب -كما هو واضح من عنوانه- يدور حول الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والتحذير من مساوئها، ويشتمل على كثير من الضوابط والتقييدات التي تحد كثيراً من معالم الأخلاق، وتميزها عن غيرها. ولقد أفاد ممن سبقه، وأفاد منه كثير ممن جاء بعده كأبي حامد الغزالي وغيره ممن كتبوا في هذا المجال.

والكتاب مطبوع، ومتداول ومن أشهر طبعاته طبعة المطبعة المصرية، بتحقيق وشرح ابن الخطيب؛ وكذلك طبع ضمن منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان. وقد أفدت من الطبعتين، أما العزو فهو إلى الأخيرة.

## النقولات المنتقاة:

- ١- قال أحمد بن مسكويه: غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا، لا كلفة فيها، ولا مشقة، ويكون ذلك بصناعة، وعلى ترتيب تعليمي. والطريق في ذلك أن نعرف أولاً نفوسنا ما هي، وأي شيء هي، ولأي شيء أوجدت فينا؟ أعني: كمالها، وغاياتها، وما قواها، وملكاتنا التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية.
- وما الأشياء العائقة لنا عنها، وما الذي يزيكها فتفلح، وما الذي يدسيها فتخب؟ فإنه -عز من قائل- يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ الشمس ٧-١٠. ص ٥ - ٦
- ٢- أما الذكاء: فهو سرعة انقذاح النتائج، وسهولتها على النفس. ص ٢٣
- ٣- وأما الذكر: فهو ثبات صورة ما يخلصه العقل، أو الوهم من الأمور. ص ٢٣
- ٤- وأما التعقل: فهو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعية بقدر ما هي عليه. ص ٢٣
- ٥- وأما صفاء الذهن: فهو استعداد النفس للاستخراج المطلوب. ص ٢٣
- ٦- وأما جودة الذهن وقوته: فهو تأمل النفس لما قد لزم من المقدم. ص ٢٣
- ٧- وأما سهولة التعلم: فهي قوة للنفس، وحيدة في الفهم، بها تدرك الأمور النظرية. ص ٢٣ - ٢٤
- ٨- أما الحياء: فهو انحصار النفس؛ خوف إتيان القبائح، والحذر من الذم

والسبب الصادق. ص ٢٤

- ٩- أما الصبر: فهو مقاومة النفس الهوى؛ لئلا تنقاد لقبائح اللذات. ص ٢٤
- ١٠- وأما السخاء: فهو التوسط في الإعطاء: وهو أن ينفق الأموال فيما ينبغي، على مقدار ما ينبغي، وعلى ما ينبغي، وتحت السخاء - خاصة - أنواع كثيرة نخصيها فيما بعد، لكثرة الحاجة إليها. ص ٢٤
- ١١- وأما الحرية فهي فضيلة للنفس، بها يكتسب المال من وجهه، ويعطى في وجهه، ويمتنع من اكتساب المال من غير وجهه. ص ٢٤
- ١٢- وأما القناعة: فهي التساهل في المآكل والمشرب والزينة. ص ٢٤
- ١٣- وأما الدمثة: فهي حسن انقياد النفس لما يجمل، وتسرعها إلى الجميل. ص ٢٤
- ١٤- وأما الانتظام: فهو حال للنفس تقودها إلى حسن تقدير الأمور، وترتيبها كما ينبغي. ص ٢٤
- ١٥- وأما حسن الهدي: فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة. ص ٢٤
- ١٦- وأما المسألة: فهي موادة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطرار فيها. ص ٢٤
- ١٧- وأما الوقار: فهو سكون النفس، وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب. ص ٢٤
- ١٨- وأما الورع: فهو لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس. ص ٢٤
- ١٩- أما كبر النفس: فهو الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكرائه والهوان، فصاحبه أبداً يؤهل نفسه للأمر العظام مع استخفافه لها. ص ٢٥
- ٢٠- وأما النجدة: فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع. ص ٢٥

- ٢١- وأما عظم الهمة: فهي فضيلة للنفس، تحتل بها سعادة الجد، وصددها<sup>(١)</sup> حتى الشدائد التي تكون عند الموت. ص ٢٥
- ٢٢- وأما الثبات: فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام، ومقاومتها، وفي الأهوال خاصة. ص ٢٥
- ٢٣- وأما الحلم: فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة، فلا تكون شَغْبَةً، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة. ص ٢٥
- ٢٤- وأما السكون -الذي نعني به عدم الطيش-: فهو إما عند الخصومات، وإما في الحروب التي يذب بها عن الحريم، أو عن الشريعة، وهي قوة للنفس تُفسّر حركتها في هذه الأحوال لشدتها. ص ٢٥
- ٢٥- وأما الشهامة: فهي الحرص على الأعمال العظام؛ توقعاً للأحداث الجميلة. ص ٢٥
- ٢٦- وأما المواساة: فهي معاونة الأصدقاء والمستحقين، ومشاركتهم في الأموال والأقوات. ص ٢٦
- ٢٧- وأما السماحة: فهي بذل بعض ما لا يجب. ص ٢٦
- ٢٨- وأما المسامحة: فهي ترك بعض ما يجب، والجميع يكون بالإرادة والاختيار. ص ٢٦
- ٢٩- أما الحكمة: فهي وسط بين السفه والبله، وأعني بالسفه ههنا: استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي، وكما لا ينبغي، وسماء القوم: الجربة، وأعني

---

١- هكذا في الأصل ولعلها: ضدها.

بالبله ، تعطيل هذه القوة واطراحها.

وليس ينبغي أن يفهم أن البله ههنا: نقصان الخلقة ، بل ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالإرادة. ص ٣١

٣٠- وأما الذكاء: فهو وسط بين الخبث والبلادة ، فإن أحد طرفي كل وسط إفراط ، والآخر تفريط ، أعني : الزيادة عليه والنقصان منه. فالخبث والدهاء والحيل الرديئة هي كلها إلى جانب الزيادة فيما ينبغي أن يكون الذكاء فيه.

وأما البلادة والبله والعجز عن إدراك المعارف فهي كلها إلى جانب النقصان من الذكاء. ص ٣١

٣١- وأما الذكر: فهو وسط بين النسيان: الذي يكون بإهمال ما ينبغي أن يحفظ ، وبين العناية بما لا ينبغي أن يحفظ.

وأما التعقل: وهو حسن التصور - فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشيء الموضوع إلى أكثر مما هو عليه وبين القصور بالنظر فيه عما هو عليه. ص ٣١

٣٢- وأما سرعة الفهم: فهو وسط بين اختطاف خيال الشيء من غير إحكام لفهمه وبين الإبطاء عن فهم حقيقته.

وأما صفاء الذهن: فهو بين ظلمة النفس عن استخراج المطلوب وبين التهايب يعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب. ص ٣١ - ٣٢

٣٣- وأما جودة الذهن وقوته: فهو وسط بين الإفراط في التأمل لما لزم من المقدم حتى يخرج منه إلى غيره ، وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه.

وأما سهولة التعلم: فهو وسط بين المبادرة إليه بسلاسة لا تثبت معها صورة العلم وبين التصعب عليه وتعذره. ص ٣٢

٣٤- وأما العفة: فهي وسط بين رذيلتين: وهما الشره، وخمود الشهوة، وأعني بالشره الانهماك في اللذات، والخروج فيها عما ينبغي، وأعني بخمود الشهوة: السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته، وهي ما رخص فيه صاحب الشريعة. ص ٣٣

٣٥- الحياء: وسط بين رذيلتين: إحداهما الوقاحة: والأخرى الخرق. ص ٣٣

٣٦- وأما الشجاعة: فهي وسط بين رذيلتين: إحداهما الجبن، والأخرى التهور. ص ٣٣

٣٧- وأما الجبن: فهو الخوف مما لا ينبغي أن يخاف منه. ص ٣٣

٣٨- وأما السخاء: فهو وسط بين رذيلتين: إحداهما السرف والتبذير، والأخرى البخل والتقتير. ص ٣٣

٣٩- أما التبذير: فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق، وأما التقتير فهو منع ما ينبغي عمن يستحق. ص ٣٣

٤٠- الخلق: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. ص ٣٦

٤١- وإذا كانت القوى ثلاثاً كما قلنا مراراً، فأدونها النفس البهيمية، وأوسطها النفس السبعية، وأشرفها النفس الناطقة.

والإنسان إنما صار إنساناً بأفضل هذه النفوس - أعني الناطقة - وبها شارك الملائكة، وبها باين البهائم.



فأشرف الناس من كان حظه من هذه النفس أكثر، وانصرفه إليها أتم وأوفر، ومن غلبت عليه إحدى النفسين الآخرين انحط عن مرتبة الإنسانية، بحسب غلبة تلك النفس عليه، فانظر -رحمك الله- أين تضع نفسك، وأين تحب أن تنزل من المنازل التي رتبها الله -تعالى- للموجودات؛ فإن هذا أمر موكول إليك، ومردود إلى اختيارك؛ فإن شئت فانزل في منازل البهائم؛ فإنك تكون منهم، وإن شئت فانزل في منازل السباع، وإن شئت فانزل في منازل الملائكة، وكن منهم. ص ٤٩



## رابعاً: المنتقى من كتاب

## وصية أبي الوليد الباجي الأندلسي لولديه ٤٠٣ هـ - ٤٧٤ هـ

## نبذة عن المؤلف:

هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي الباجي. ولد في ذي الحجة سنة ٤٠٣ هـ حسبما وجد بخط أمه وكانت فقيهة. نشأ في وسط أسرة عريقة، مشهورة بالعلم والدين؛ فطلب العلم منذ نعومة أظفاره، وتنقل في سبيل ذلك بين عدد من المدن الأندلسية متردداً على شيوخها المبرزين. رحل عن الأندلس سنة ٤٢٦ هـ إلى مصر والحجاز، والعراق، والشام ثم عاد سنة ٤٣٩ هـ إلى الأندلس بعلم غزير، وكتب جملة أحضرها معه. ولي قضاء أريولة، وكان يتكسب من عمل يده يضرب ورق الذهب للغزل، وعقد الوثائق والشروط.

حظي بالثناء العاطر من أهل العلم، وله منزلة رفيعة في وقته وبعد وفاته. خلف آثاراً عظيمة من أشهرها: المنتقى شرح الموطأ، والتعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، وإحكام الفصول، والإشارات في الأصول وغيرها.

توفي رحمته الله في التاسع عشر من رجب عام أربع وسبعين وأربعمائة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم. تعريف بالكتاب:

الكتاب - كما هو ظاهر من عنوانه - وصية من المؤلف لولديه ، حيث كتبها لهما؛ رجاء أن تقر عينه بهما ، فيسير في خطى أهل العلم والفضل والصلاح ، ويتجنب طريق الغي والفساد.

وهي وصية جامعة نافعة أودعها كاتبها جملة من الوصايا التي تحث على الخير، ومكارم الأخلاق التي يجمل بالمرء أن يتحلّى بها. كما أنها اشتملت على كثير من أصول المعاملة التي ينبغي مراعاتها حال التعامل مع الآخرين.

وهذه الوصايا نابعة من حرصه على ولديه ، كما أنها حصيلة تجربة طويلة في دروب الحياة ، ودراية واسعة بمقاصد الشريعة.

وهي - وإن كانت موجهة من الباجي لولديه - فهي نموذج رائع لما ينبغي أن تكون عليه وصية كل مسلم لأبنائه؛ إذ هي جمعت حق الله ، وحق الناس. هذا وإن هذه الوصية تقع في ٥٦ صفحة ، ومن منشورات اضواء السلف ، وقد قدم لها وحققها عبداللطيف بن محمد الجيلاني.

#### النبولات المنتقاة: قال ﷺ :

١- والعِلْمُ سبيل لا تفضي بصاحبها إلا إلى السعادة والسلامة ، ولا يَقْصُرُ به عن درجة الرُّفْعَةِ والكرامة ، قَلِيلُهُ يَنْفَعُ ، وَكَثِيرُهُ يُغْلِي وَيَرْفَعُ ، كَنْزٌ يَزْكُو على كل حال ، ويكثر مع الإنفاق ، ولا يغصبه غاصب ، ولا يُخَافُ عليه سارق ولا محارب؛ فاجتهدا في طلبه ، واستعذبا التعب في حفظه ، والسهر في درسه ، والنصب الطويل في جمعه ، وواظبا على تقييده وروايته ، ثم انتقلا إلى فهمه ودرايته.

وانظرا أي حالة من أحوال طبقات الناس تختاران، ومنزلة أي صنف منهم تؤثران، هل تريان أحداً أرفع حالاً من العلماء؟ وأفضل منزلة من الفقهاء؟ يحتاج إليهم الرئيس والمرؤوس، ويقتدي بهم الوضع والنفيس، يُرجع إلى أقوالهم في أمور الدنيا وأحكامها، وصحة عقودها وتبعاتها، وغير ذلك من تصرفاتها، وإليهم يلجأ في أمور الدين، وما يلزم من صلاة وزكاة وصيام، وحلال وحرام، ثم مع ذلك من التبعات والخطوة عند جميع الطبقات. ص ٣٢

٢- والعلم ولاية لا يُعزل عنها صاحبها، ولا يَعْرِى من جمال لابسها، وكل ذي ولاية - وإن جلت، وحرمت وإن عظمت - إذا خرج عن ولايته، أوزال عن بلده، أصبح من جاهه عارياً، ومن حاله عاطلاً، غير صاحب العلم؛ فإن جاهه يصحبه حيث سار، ويتقدمه إلى جميع الآفاق والأقطار، ويبقى بعده في سائر الأعصار. ص ٣٣

٣- وإياكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة؛ فإن ذلك مبني على الكفر والإلحاد، والبعد عن الشريعة والإبعاد.

وإنما أحذركما من قراءتها ما لم تقرأ من كلام العلماء ما تقويان به على فهم فساد، وضعف شبهه، وقلة تحقيقه؛ مخافة أن يسبق إلى قلب أحدكما من شبه تمويههم ما لا يكون عنده من العلم ما يقوى به على رده. ص ٣٤

٤- وعليكما بالأمر بالمعروف وكونا من أهله، وانها عن المنكر واجتنب فعله. ص ٣٥

٥- وعليكما بالصدق؛ فإنه زين، وإياكما والكذب؛ فإنه شين، ومن شهر بالصدق فهو ناطق محمود، ومن عرف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم،

وأقل عقوبات الكذاب ألا يقبل صدقه ولا يتحقق حقه، وما وصف الله -تعالى- أحداً بالكذب إلا ذاماً له، ولا وصف الله -تعالى- أحداً بالصدق إلا مادحاً له، مرفعاً به. ص ٣٥

٦- وإياكما والعون على سفك دم بكلمة، أو المشاركة فيه بلفظة؛ فلا يزال الإنسان في فسحة من دينه ما لم يغمس يده أو لسانه في دم امرئ مسلم. ص ٣٦

٧- واجتناب الزنا من أخلاق الفضلاء، ومواقفته عار في الدنيا، وعذاب في الآخرة، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء ٣٢. ص ٣٦

٨- وعليكما بطلب الحلال واجتناب الحرام، فإن عدمتما الحلال فالجأ إلى المتشابه. ص ٣٧

٩- وإياكما والظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، والظالم مذموم من الخالق مبغض إلى الخلائق. ص ٣٧

١٠- وإياكما والنميمة؛ فإن أول من يمقت عليها من تنقل إليه، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة قتات». ص ٣٨

١١- وإياكما والحسد؛ فإنه داء يهلك صاحبه، ويعطب تابعه. ص ٣٨

١٢- وإياكما والفواحش؛ فإن الله تعالى حرم منها ما ظهر وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق. ص ٣٨

١٣- وإياكما والغيبة؛ فإنها تحبط الحسنات، وتكثر السيئات، وتبعد من الخالق، وتبغض إلى المخلوق. ص ٣٨

١٤- وإياكما والكبر؛ فإن صاحبه في مقت الله متقلب ، وإلى سخطه منقلب. ص ٣٨  
١٥- وإياكما والبخل؛ فإنه لا داء أدوأ منه ، لا تسلم عليه ديانة ، ولا تتم معه سيادة. ص ٣٨

١٦- وإياكما ومواقف الخزي ، وكلما كرهتما أن يظهر عليكما فاجتنباه ، وما علمتما أن الناس يعيبونه في الملاء فلا تأتياه في الخلاء. ص ٣٨

١٧- وإياكما والرشوة؛ فإنها تعمي عين البصير ، وتحط قدر الرفيع. ص ٣٩  
١٨- وإياكما والأغاني؛ فإن الغناء ينبت الفتنة في القلب ، ويولد خواطر السوء في النفس. ص ٣٩

١٩- وليلتزم أكبركما لأخيه الإشفاق عليه ، والمسارة إلى كل ما يحبه ، والمعاوضة فيما يؤثره ، والمسامحة بكل ما يرغبه. ص ٤١

٢٠- ويلتزم أصغركما لأخيه تقديمه عليه ، وتعظيمه في كل أمر بالرجوع إلى مذهبه ، والإتباع له في سره وجهره ، وتصويب قوله وفعله ، وإن أنكر منه في الملاء أمراً يريد ، أو ظهر إليه خطأ فيما يقصده - فلا يظهر إنكاره عليه ، ولا يجهر في الملاء بتخطئته ، وليبين له ذلك على انفراد منهما ، ورفق من قولهما؛ فإن رجوع إلى الحق وإلا فليتبعه على رأيه؛ فإن الذي يدخل عليكما من الفساد باختلافكما أعظم مما يحذر من الخطأ مع اتفاقكما ما لم يكن الخطأ في أمر الدين؛ فإن كان في أمر الدين فليتبع الحق حيث كان. ص ٤١

٢١- وليثابر على نصح أخيه وتسديده ما استطاع ، ولا يُجِلْ يده عن تعظيمه وتوقيره. ص ٤١ - ٤٢

٢٢- ولا يؤثر أحدكما على أخيه شيئاً من عرض الدنيا ، فيخل بأخيه من

- أجله، أو يعرض عنه بسببه، أو ينافسه فيه. ص ٤٢
- ٢٣- ومن وُسِّع عليه منكما في دنياه فليشارك بها أخاه، ولا ينفرد بها دونه، وليحرص على تثمير مال أخيه كما يحرص على تثمير ماله. ص ٤٢
- ٢٤- وأظهرها التعاضد، والتواصل، والتعاطف، والتناصر حتى تعرفا به؛ فإن ذلك مما ترضيان به ربكما، وتغيضان به عدوكم. ص ٤٢
- ٢٥- وإياكما والتنافس، والتقاطع، والتدابير، والتحاسد، وطاعة النساء في ذلك؛ فإنه مما يفسد دينكما ودنياكما، ويضع من قدركما ويحط من مكانكما، ويحقر أمركما عند عدوكم، ويصغر شأنكما عند صديقكما. ص ٤٢
- ٢٦- ومن أسدى إلى أخيه معروفاً، أو مكارمةً، أو مواصلة فلا ينتظر مقارضةً عليها، ولا يذكر ما أتى منها؛ فإن ذلك مما يوجب الضغائن، ويسبب التباغض، ويقبح المعروف، ويحقر الكبير، ويدل على المقت والفساد، ودناءة الهمة. ص ٤٢
- ٢٧- وإن أحدكما زل وترك الأخذ بوصيتي في بر أخيه ومراعاته فليتلاف الآخر ذلك بتمسكه بوصيتي، والصبر لأخيه والرفق به، وترك المقارضة له على جفوته، والمتابعة له على سوء معاملته؛ فإنه يحمد عاقبة صبره، ويفوز بالفضل في أمره، ويكون لما يأتيه أخوه كبير تأثير في حياته. ص ٤٢ - ٤٣
- ٢٨- واعلما أنني قد رأيت جماعة لم تكن لهم أحوال ولا أقدار، أقام أحوالهم ورفع أقدارهم اتفاقهم وتعاضدُهم، وقد رأيت جماعة كانت أقدارهم سامية، وأحوالهم ظاهرة نامية، محق أحوالهم ووضع أقدارهم اختلافهم وتناؤدُهم؛ فاحذرا أن تكونا منهم. ص ٤٣



٢٩- وإياكما أن تحدثا أنفسكما أن تنتظرا مقارضةً ممن أحسنتما إليه، وأنعمتما عليه؛ فإن انتظار المقارضة يسمح الصنعة، ويعيد الأفعال الرفيعة وضيعة، ويقلب الشكر ذماً، والحمد مقتاً، ولا يجب أن تعتقدا معادة أحد، واعتمدا التحرز من كل أحد، فمن قصدكما بمطالبة، أو تكرر عليكما بأذية فلا تقارضاه جهدكما، والتزما الصبر له ما استطعتما؛ فما التزم أحد الصبر والحلم إلا عز ونصر ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ الحج ٦٠.

وقد استعملت هذا -بفضل الله تعالى- مراراً فحمدت العاقبة، واغتبطت بالكف عن المقارضة.

ولا تستعظما من حوادث الأيام شيئاً؛ فكل أمر ينقرض حقير، وكل أمد ينقضي قصير، وانتظروا الفرج؛ فإن انتظار الفرج عبادة، وعلقا رجاءكما بربكما وتوكلا عليه؛ فإن التوكل عليه سعادة، واستعينا بالدعاء، والجنأ إليه في البأساء والضراء؛ فإن الدعاء سفينة لا تعطب، وحزب لا يغلب، وجند لا يهرب. ص ٤٥

٣٠- وإذا أنعم ربكما عليكما بنعمة فتلقياها بالإكرام لها، والشكر عليها، والمساهمة فيها، واجعلاها عوناً على طاعته، وسبباً إلى عبادته، والحذر الحذر من أن تهينا نعمة ربكما فتترككما مذمومين، وتزول عنكما ممقوتين. ص ٤٦

٣١- ومن احتاج منكما فليجمل في الطلب؛ فإنه لا يفوته ما قُدر له، ولا يدرك ما لم يقدر له. ص ٤٨

٣٢- واجتنبوا صحبة السلطان ما استطعتما، وتحرياً البعد منه ما أمكنكما؛ فإن الذل مع البعد عنه أفضل من العز مع القرب منه. ص ٤٨

٣٣- ولا يرغب أحدكما في أن يكون أرفع الناس درجة، وأتمهم جاهاً وأعلاهم منزلة؛ فإن تلك حال لا يسلم صاحبها، ودرجة لا يثبت من احتلها، وأسلم الطبقات الطبقة المتوسطة؛ لا تُهتَضَمُ من ضعة، ولا تُرْمَق من رفعة، ومن عيب الدرجة العليا أن صاحبها لا يرجو المزيد، ولكنه يخاف النقص، والدرجة الوسطى يرجو الازدياد، وبينها وبين المخاوف حجاب؛ فاجعلا بين أيديكما درجة يشتغل بها الحسود عنكما، ويرجوها الصديق لكما. ص ٤٩

٣٤- ولا يطلب أحدكما الولاية؛ فإن طلبها شين، وتركها لمن دعي إليها زين، فمن امتحن بها منكما فلتكن حاله في نفسه أرفع من أن تحدث فيه بأو، أو يبدي فيها زهواً، وليعلم أن الولاية لا تزيده رفعة، ولكنها فتنة ومحنة، وأنه معرض لأحد أمرين: إما أن يعزل فيعود إلى حالته، أو يسيء استدامة ولايته فيقبح ذكره، ويثقل وزره.

وإن استوت عنده ولايته وعزله كان جديراً أن يستديم العمل؛ فيبلغ الأمل، أو يعزل لإحسانه، فلا يحط ذلك من مكانه. ص ٤٩

٣٥- وأقلا مازحة الإخوان، وملابستهم، والمبالغة في الاسترسال معهم. فإن الأعداء أكثرهم ممن هذه صفته، وقل من يعاديك ممن لا يعرفك ولا تعرفه. ص ٤٩ - ٥٠

## خامساً: المنتقى من كتاب

## أيها الولد لأبي حامد الغزالي ٤٥٠ . ٥٠٥ هـ

## نبذة عن المؤلف:

هو محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي المعروف بأبي حامد. ولد سنة ٤٥٠ هـ من أسرة صالحة فقد كان أبوه رجلاً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف، وكان يجالس الفقهاء والوعاظ، ويحرص على الإحسان إليهم.

وكان إذا حضر مجالس الفقهاء وسمع كلامهم بكى وتضرع إلى الله أن يرزقه ابناً ويجعله فقيهاً، وإذا حضر مجالس الوعظ بكى وسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً؛ فرزقه الله بأبي حامد حيث كان من فقهاء عصره، ورزقه الله أحمد فكان واعظاً ينفلق الصم الصخور عند استماع تحذيره، وترتعد فرائص الحاضرين من مجالس تذكيره - كما قال ابن السبكي -.

تنقل أبو حامد في عدد من البلدان لطلب العلم، حيث سافر إلى جرجان، ونيسابور، وزار بغداد في طريق عودته إلى مسقط رأسه طوس. له مؤلفات عديدة، أشهرها إحياء علوم الدين، وفيه فوائد ولطائف، وفيه مثالب، وعليه مأخذ.

توفي أبو حامد رحمه الله عام ٥٠٥ هـ عن خمسة وخمسين عاماً.

### التعريف بالرسالة:

هذه الرسالة عنوانها (أيها الولد) والمراد بالولد هنا أحد تلامذة الغزالي؛ حيث طلب منه ذلك الطالب النصيح والإرشاد؛ فكتب له تلك الرسالة التي احتوت على وصايا رائعة، وحكم جامعة.

والرسالة التي بين أيدينا حققها علي محيي الدين علي القره داغي، وتقع تلك الرسالة المحققة في ١٥٨ صفحة، وهي من مطبوعات دار البشائر الإسلامية ط ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

### النقولات المنتقاة: قال أبو حامد الغزالي رحمته الله :

١- اعلم -أيها الولد- المحب العزيز أطل الله -تعالى- بقاءك بطاعته، وسلك بك سبيل أحبائه - أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة -عليه الصلاة والسلام-.

إن كان قد بلغك منه نصيحة فأني حاجة لك في نصيحتي؟ وإن لم تبلغك فقل لي: ماذا حصلت في هذه السنين الماضية؟! ص ٩٣

٢- أيها الولد، من جملة ما نصح به رسول الله ﷺ أمته قوله: «علامة إعراض الله -تعالى- عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وإن امرأاً ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتهجهز إلى النار».

وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم. ص ٩٣ - ٩٤

٣- أيها الولد، النصيحة سهلة، والمشكل قبولها؛ لأنها في مذاق متبعي الهوى مرّاً؛ إذ المناهي محبوبة في قلوبهم، على الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمي مشغلاً في فضل النفس ومناقب الدنيا، فإنه يحسب أن العلم المجرد له سيكون

نجاته وخلصه فيه ، وأنه مستغن عن العمل ، وهذا اعتقاد الفلاسفة.

سبحان الله العظيم! لا يعلم هذا القدر أنه حين حصل العلم إذا لم يعمل به تكون الحجة عليه أكد ، كما قال رسول الله ﷺ : «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه». ص ٩٤ - ٩٥

٤- وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد: مثاله لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى ، وكان الرجل شجاعاً وأهل حرب ، فحمل عليه أسد عظيم مهيب ، فما ظنك؟ هل تدفع الأسلحة شره عنه بلا استعمالها وضربها؟ ومن المعلوم أنها لا تدفع إلا بالتحريك والضرب. فكذا لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ، ولم يعمل بها ، لا تفيده إلا بالعمل.

ومثاله -أيضاً-: لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوي يكون علاجه بالسكنجيين والكشكاب ، فلا يحصل البرء إلا باستعمالهما. ص ٩٨ - ٩٩

٥- كم من ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب ، وحرمت على نفسك النوم ، لا أعلم ما كان الباعث فيه؟ إن كانت نيتك نيل عرض الدنيا ، وجذب حطامها ، وتحصيل مناصبها ، والمباهاة على الأقران والأمثال - فويل لك ثم ويل لك. وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة النبي ﷺ وتهذيب أخلاقك ، وكسر النفس الأمارة بالسوء - فطوبى لك ثم طوبى لك. ولقد صدق من قال شعراً:

سهر العيون لغير وجهك ضائع      وبكاؤهن لغير فقدك باطل

ص ١٠٥ - ١٠٦

٦- عش ما شئت؛ فإنك ميت، وأحبب من شئت؛ فإنك مفارقه، واعمل ما شئت؛ فإنك مجزي به. ص ١٠٦

٧- أيها الولد، العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون. واعلم أن علماً لا يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة، لن يبعدك غداً عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تدارك الأيام الماضية تقول غداً يوم القيامة: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾ السجدة: ١٢، فيقال: يا أحمق أنت من هناك تجيء. ص ١٠٨ - ١٠٩

٨- لو كان العلم المجرد كافياً لك ولا تحتاج إلى عمل سواه - لكان نداء الله - تعالى -: «هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟» ضائعاً بلا فائدة. ص ١١٢

٩- أيها الولد ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أمرٌ، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ شكر، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ ذكر. ص ١١٣

١٠- أيها الولد، روي في بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال: يا بني لا يكونن الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم. ص ١١٥ - ١١٦

١١- أيها الولد، خلاصة العلم: أن تعلم أن الطاعة والعبادة ما هي؟ اعلم أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل، يعني: كل ما تقول وتفعل، وتترك قوله وفعله يكون باقتداء الشرع، كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصياً، أو صليت في ثوب مغصوب - وإن كانت صورة عبادة - تأثم. ص ١١٧

١٢- أيها الولد، ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع؛ إذ العلم

والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة.

وينبغي لك ألا تغتر بشطح الصوفية وطاماتهم؛ لأن سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة، لا بالطامات والترهات.

ص ١١٧ - ١١٨

١٣- واعلم أن اللسان المطلق، والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة -

علامة الشقاوة. ص ١١٨

١٤- أيها الولد إذا علمت هذا الحديث لا حاجة إلى العلم الكثير، وتأمل في

حكاية أخرى وهي : أن حاتم الأصم كان من أصحاب شقيق البلخي -رحمة الله

تعالى عليهما- فسأله يوماً قال : صاحبتني منذ ثلاثين سنة ما حصلت فيها؟

قال : حصلت ثماني فوائد من العلم، وهي تكفيني منه؛ لأنني أرجو خلاصي

ونجاتي فيها.

فقال شقيق : ما هي؟

قال حاتم :

**الفائدة الأولى:** أني نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه

ويعشقه، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت، وبعضه يصاحبه إلى

شفير القبر، ثم يرجع كله ويتركه فريداً وحيداً، ولا يدخل معه في قبره منهم أحد.

فتفكرت وقلت : أفضل محبوب المرء ما يدخل معه في قبره ويؤنس فيه، فما

وجدته غير الأعمال الصالحة، فأخذتها محبوباً لي؛ لتكون لي سراجاً في قبري،

وتؤنسني فيه، ولا تتركني فريداً.

**الفائدة الثانية:** أني رأيت الخلق يقتدون أهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١.

وتيقنت أن القرآن حق صادق، فبادرت إلى خلاف نفسي وتشمرت بمجاهدتها، وما متعتها بهواها، حتى ارتاضت بطاعة الله -تعالى- وانقادت.

**الفائدة الثالثة:** أني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضاً يده عليه، فتأملت في قوله -تعالى-: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ النحل: ٩٦ فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله -تعالى- ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله -تعالى-.

**الفائدة الرابعة:** أني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزه في كثرة الأرقام والعشائر؛ فاعتز بهم، وزعم آخرون أنه في ثروة الأموال وكثرة الأولاد؛ فافتخروا بها، وحسب بعضهم أن العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم، واعتقدت طائفة أنه في إتلاف المال وإسرافه، وتبذيره؛ فتأملت في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: ١٣ فاخترت التقوى، واعتقدت أن القرآن حق صادق، وظننهم وحسبانهم كلها باطل زائل.

**الفائدة الخامسة:** أني رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً، ويغتاب بعضهم بعضاً، فوجدت أصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم، فتأملت في قوله -تعالى-: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الزخرف: ٣٢ فعلمت أن القسمة كانت من الله -تعالى- في الأزل، فما حسدت أحداً، ورضيت بقسمة الله -تعالى-.



**الفائدة السادسة:** أني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً لغرض وسبب؛ فتأملت في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاطر: ٦؛ فعلمت أنه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان.

**الفائدة السابعة:** أني رأيت كل أحد يسعى بجد، ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش، بحيث يقع به في شبهة وحرام، ويذل نفسه وينقص قدره؛ فتأملت في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ هود: ٦؛ فعلمت أن رزقي على الله -تعالى- وقد ضمنه؛ فاشتغلت بعبادته، وقطعت طمعي عن سواه.

**الفائدة الثامنة:** أني رأيت كل واحد معتمداً على شيء مخلوق، بعضهم على الدينار والدرهم، وبعضهم على المال والملك، وبعضهم على الحرفة والصناعة، وبعضهم على مخلوق مثله، فتأملت في قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: ٣؛ فتوكلت على الله -تعالى- فهو حسبي ونعم الوكيل.

فقال شقيق: وفقك الله -تعالى- إني قد نظرت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فوجدت الكتب الأربعة تدور على هذه الفوائد الثماني، فمن عمل بها كان عاملاً بهذه الكتب الأربعة. ص ١٢١ - ١٢٨

١٥- وحسن الخلق مع الناس: ألا تحمل الناس على مراد نفسك، بل تحمل نفسك على مرادهم ما لم يخالفوا الشرع. ص ١٣١

١٦- وسألتني عن الإخلاص: وهو أن تكون أعمالك كلها لله -تعالى- ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس، ولا تبالي بمذمتهم.

واعلم أن الرياء يتولد من تعظيم الخلق.  
وعلاجه أن تراهم مسخرين تحت القدرة، وتحسبهم كالجُمادات في عدم قدرة  
إيصال الراحة والمشقة؛ لتخلص من مرئياتهم.  
ومتى تحسبهم ذوي قدرة وإرادة لن يبعد عنك الرياء. ص ١٣٣

## الاعتبار لأسامة بن منقذ الشيزري ٤٨٨ . ٥٨٤هـ

### نبذة عن المؤلف:

هو الأمير أبو المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الشيزري الكناني الكلبى.

ولد يوم الأحد ٢٧ من شهر جمادى الآخرة سنة ، وتوفي ليلة الثلاثاء ٢٣ رمضان سنة.

وهو من بني منقذ ، وهي أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار كلهم فارس شجاع ، وشاعر أديب.

وكانوا ملوكاً في أطراف حلب.

أما أسامة فهو من الأبطال الشجعان ، والأدباء الكبار ، وقد وصفه الذهبي في تاريخ الإسلام بأنه «أحد أبطال الإسلام ، ورئيس الشعراء الأعلام» .

وقال عنه العماد الأصبهاني الكاتب : «وأسامة كاسمه ، في قوة نثره ونظمه ، يلوح من كلامه أمانة الأمانة ، ويؤسس بيت قريضه عمارة العمارة ، حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، ندى الندى بماء الفكاهة ، عالي النجم في سماء النباهة ، معتدل التصارييف ، مطبوع التصارييف» .

ولأسامة بن منقذ مؤلفات عديدة منها: كتاب الاعتبار ، وكتاب: لباب الآداب ، وكتاب: البديع في نقد الشعر ، وكتاب: التأسى والتسلي ، وكتاب: الشيب والشباب ،

وكتاب: النوم والأحلام، وكتاب: القضاء، وكتاب: أخبار النساء، وديوان شعره.  
تعريف بالكتاب:

كتاب الاعتبار كتاب طريف في سيرة أسامة وأحواله، وقد ألفه وهو ابن تسعين سنة.  
والنسخة التي بأيدينا هي التي حققها د.قاسم السامرائي، ويقع في ٢٦٥  
صفحة، ط ١٤٠٧ هـ مؤسسة دار الثقافة والنشر والإعلام، الرياض.  
وهذا الكتاب يعد أشهر كتب أسامة بن منقذ.

يقول د.قاسم السامرائي: «لم تحظ شخصية إسلامية، ولا كتاب إسلامي  
بالدراسة والتحليل والتحقيق والترجمة في حلقات المستشرقين، أو عند المعنيين  
بعصر الحروب الصليبية في جوانبه الثقافية والحضارية المتعددة من العرب أو  
المسلمين أو غيرها من الأوربيين - مثل ما حظي الأمير مؤيد الدولة مجد الدين أبو  
المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ الكناني الشيزري وكتابه الاعتبار».  
ويقول د.السامرائي متحدثاً عن لغة الكتاب: «والحق أن لغة الكتاب ليست  
أدبية، وهي ليست عامية -أيضاً- بالرغم من كثرة أخطائها النحوية».  
إلى أن يقول: «كل هذا أو أمثاله حمل بعض الدارسين على القول بأن أسامة في  
مذكراته هذه هجر لغته الأدبية، وكتب بالعامية التي كانت شائعة في الشام إذ ذاك».  
إلى أن قال: «فلعل أسامة كان يحدث جماعة من الناس فكتبه بعضهم بلغته  
الخاصة فأضاف إليه أسامة الفصلين الملحقين في نهايته».

**النقولات المنتقاة: قال ﷺ:**

١- وشاهدت فارساً من رجالنا يقال له: ندى بن تليل القشيري، وكان من  
شجعاننا، وقد التقينا نحن والإفرنج وهو مُعَرَّى؛ ما عليه غير ثوبين، فطعنه

فارس من الإفرنج في صدره فقطع هذه العصفورة التي في الصدر وخرج الرمح من جانبه، فرجع وما نظنه يصل منزله حياً، فقدّر الله - سبحانه - أن سلم وبرا جرحه، لكنه لبث سنة إذا نام على ظهره لا يقدر يجلس إن لم يجلسه إنسان بأكتافه، ثم زال عنه ما كان يشكوه، وعاد إلى تصرفه وركوبه كما كان.

قلت: فسبحان من نفذت مشيئته في خلقه؛ يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير ص ٦٤ - ٦٥

٢- كان عندنا رجل من المصطنعة يقال له: عتاب، أجسم ما يكون من الرجال وأطولهم، دخل بيته فاعتمد على يده عند جلوسه على ثوب بين يديه كانت فيه إبرة دخلت في راحته فمات منها، وبالله لقد كان يئنُّ في المدينة فيسمع أئنيه من الحصن؛ لعظم خلقه وجهارة صوته، يموت من إبرة، وهذا القشيري تدخل في صدره قنطارية تخرج من جنبه لا يصيبه شيء! ص ٦٥

٣- ومن عجائب الطعن أن رجلاً من الأكراد يقال له: حمدات كان قديم الصحبة قد سافر مع والدي ﷺ إلى أصبهان إلى دركاه السلطان ملك شاه، فكبر وضعف بصره، ونشأ له أولاد، فقال له عمي عز الدين ﷺ: يا حمدات، قد كبرت وضعفت، ولك علينا حق وخدمة، فلو لزمتم مسجدك - وكان له مسجد على باب داره - وأثبتنا أولادك في الديوان، ويكون لك أنت كل شهر ديناران، وحمل دقيق وأنت في مسجدك.

قال: افعل يا أمير، فأجرى له ذلك مديدة.

ثم جاء إلى عمي وقال: يا أمير، والله ما تطاوعني نفسي على القعود في

البيت ، وقتلي على فرسي أشهى إلي من موتي على فراشي.

قال : الأمر لك وأمر برد ديوانه عليه كما كان.

فما مضى إلا الأيام القلائل حتى غار علينا السرداني -صاحب طرابلس- ففرع الناس إليهم ، وحمدات في جملة الروع ، فوقف على رقعة من الأرض مستقبل القبلة ، فحمل عليه فارس من الإفرنج من غريبه ، فصاح إليه بعض أصحابنا : يا حمدات ، فالتفت فرأى الفارس قاصده ، فرد رأس فرسه شمالاً ، ومسك رمحه بيده ، وسدده إلى صدر الإفرنجي فطعنه فنفذ الرمح منه.

فرجع الإفرنجي متعلقاً برقبة حصانه في آخر رمقه.

فلما انقضى القتال قال حمدات لعمي : يا أمير ، لو أن حمدات في المسجد من

كان طعن هذه الطعنة ؟

فأذكرني قول الفند الزماني :

أيا طعنة ما شيخ	كبير يَضَنّ بالي
تَفُتَّتْ بها إذ كـ	رهِ الشكة أمثالي

وكان الفند قد كبر وحضر القتال ، فطعن فارسين مقترنين فرماههما جميعاً.

ص ٧٢ - ٧٣

٤- إذا انقضت المدة لم تنفع الشجاعة ولا الشدة. ص ١١٢

٥- وشاهدت من لطف الله -تعالى- وحسن دفاعه أن الإفرنج -لعنهم الله-

نزلوا علينا بالفارس والراجل ، وبيننا وبينهم العاصي<sup>(١)</sup> وهو زائد زيادة عظيمة ،

١- يعني : نهر العاصي.

لا يمكنهم أن يجوزوا إلينا، ولا نقدر نحن نجوز إليهم، فنزلوا على الجبل بخيامهم، ونزل منهم قوم إلى البساتين، وهي من جانبهم، هملوا خيلهم في الفصيل وناموا، فتجرد شباب من رجالة شيزر، وخلعوا ثيابهم، وأخذوا سيوفهم، وسبحوا إلى أولئك النيام، فقتلوا بعضهم، وتكاثروا على أصحابنا، فرموا نفوسهم إلى الماء وجازوا، وعسكر الفرنج قد ركب من الجبل مثل السيل، ومن جانبهم مسجد يعرف: بمسجد أبي المجد بن سمية، فيه رجل يقال له: حسن الزاهد، وهو واقف على سطح بيوت في المسجد يصلي، وعليه ثياب سود صوف، ونحن نراه ومالنا إليه سبيل.

وقد جاء الإفرنج فنزلوا على باب المسجد، وصعدوا إليه ونحن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله الساعة يقتلونه، فلا والله ما قطع صلاته ولا زال من مكانه، وعاد الإفرنج نزلوا ركبوا خيولهم وانصرفوا وهو واقف مكانه يصلي، ولا نشك أن الله - سبحانه - أعماهم عنه وستره عن أبصارهم، فسبحان القادر الرحيم. ص ١١٤ - ١١٥

٦- ومن ألطاف الله - تعالى - أن ملك الروم لما نزل على شيزر في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة - خرج من شيزر جماعة من الرجالة للقتال، فاقتطعوه من الروم؛ فقتلوا بعضاً وأسروا بعضاً، فكان في جملة من أسروا زاهد من بني كردوس من الصالحية من مولدي محمود بن صالح صاحب حلب، فلما عاد الروم كان معهم مأسوراً، فوصل القسطنطينية فهو في بعض الأيام فيها إذ لقيه إنسان فقال: أنت ابن كردوس؟ قال: نعم، قال: سر معي أوقفني على

صاحبك، فسار معه حتى أراه صاحبه، فقاوله على ثمنه حتى تقرر بينه وبين الرومي مبلغ أرضاه، فوزن له الثمن وأعطى ابن كردوس نفقة وقال: تبلغ بها إلى أهلك، وامض في دعة الله -تعالى- فخرج من القسطنطينية وتوصل إلى أن عاد إلى شيزر، وذلك من فرج الله -تعالى- وخفي لطفه، ولا يدري من الذي شراه وأطلقه. ص ١١٥

٧- ومن لطف الله -تعالى- ما حدثني به عبدالله المشرف قال: حبست بحيزان، وقُيدت وضيق علي، فأنا في الحبس والموكلون على بابي، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: اقلع القيد واخرج، فانتبهت جذبت القيد، فخرج من رجلي، وقمت إلى الباب أريد فتحه، فوجدته مفتوحاً، فتخطيت الرجال الموكلين إلى منفس في السور ما ظننت يدي تخرج منه، فخرجت منه، ووقعت على مزبلة، فبقي فيها آثار وقوعي وآثار رجلي، ونزلت في واد حول السور، ودخلت مغارة في سفح الجبل من ذلك الجانب وأنا أقول في نفسي: الساعة يخرجون ويرون أثري ويأخذوني، فأرسل الله -سبحانه- ثلجاً غطى ذلك الأثر، وخرجوا يطوفون عليّ، وأنا أراهم نهارهم ذلك، فلما أمسيت وأمنت الطلب خرجت من تلك المغارة وسرت إلى مأمني، كان هذا الرجل مشرفاً على مطبخ صلاح الدين محمد بن أيوب الغسياني رَحِمَهُ اللهُ. ص ١١٦ - ١١٧

٨- وعلى ذكر الخيل؛ ففيها الصبور كالرجال، وفيها الخوار. ص ١١٩

٩- وشهدت من الأسد ما لم أكن لأظنه، ولا اعتقدت أن الأسد كالناس فيها

الشجاع وفيها الجبان. ص ١٢٧



١٠- ومن عجيب أمور السباع أن أسداً ظهر عندنا في أرض شيزر، فخرجنا إليه ومعنا رجالة من أهل شيزر، فيهم غلام للمفند الذي كان يطيعه أهل الجبل ويكاد أن يُعبد، ومع ذلك الغلام كلب له، فخرج الأسد على الخيل، فجَلَّتْ قُدَّامَه جافلةً، ودخل في الرجالة، فأخذ ذلك الغلام وبرك عليه، فوثب الكلب على ظهر الأسد، فنفر عن الرجل وعاد إلى الأجمة، وخرج الرجل إلى بين يدي والدي ﷺ يضحك وقال: يا مولاي، وحياتك<sup>(١)</sup> ما جرحني ولا آذاني، وقتلوا الأسد، ودخل الرجل فمات في تلك الليلة من غير جرح أصابه إلا أنه انقطع قلبه.

فكنت أعجب من إقدام الكلب على الأسد، وكلُّ الحيوان ينفر من الأسد ويتجنبه. ص ١٢٩

١١- ولقد رأيت رأس الأسد يحمل إلى بعض دورنا، فترى السنابير تهرب من تلك الدار، وترمي نفوسها من السطوحات، وما رأت الأسد قط، وكنا نسلخ الأسد ونرميه من الحصن إلى سفح الباشورة، فلا تقربه الكلاب ولا شيء من الطير، وإذا رأت القيقان اللحم نزلت إليه، ثم إذا دنت منه صاحت وطارت، وما أشبه هيبة الأسد على الحيوان بهيبة العقاب على الطير؛ فإن العقاب يُبْصِرُهُ الفَرَّوْجُ الذي ما رأى العقاب قط، فيصيح وينهزم؛ هيبة ألقاها الله -تعالى- في قلوب الحيوان لَهْدِينِ الحيوانين. ص ١٢٩ - ١٣٠

١٢- قاتلت السباع في عدة مواقف لا أحصيها، وقتلت عدة منها ما شركني في

١- هذا حلف بغير الله، فليته قال: والله.

قتلها أحد سوى ما شاركني فيه غيري ، حتى خبرت منها وعرفت من قتالها ما لم يعرفه غيري؛ فمن ذلك أن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه ، وفيه غفلة وبله ما لم يُجرح فحينئذ هو الأسد ، وذلك الوقت يُخاف منه ، وإذا خرج من غاب أو أجمّة وحمل على الخيل فلا بد له من الرجوع إلى الأجمّة التي خرج منها ، ولو أن النيران في طريقه.

وكنت أنا قد عرفت هذا بالتجربة ، فمتى حمل على الخيل ووقفت في طريق رجوعه قبل أن يُجرح ، فإذا رجع تركته إلى أن يتجاوزني وطعنته قتلته. ص ١٣٠-١٣١

١٣- فأما النمور فقتالها أصعب من قتال الأسود؛ لحفتها وبُعْد وثبتها ، وهي تدخل في المغارات والمجاحر كما تدخل الضباع ، والأسد ما يكون إلا في الغابات والآجام. ص ١٣١

١٤- ومن خواص النمر أنه إذا جرح الإنسان وبالت عليه فأرة مات ، ولا ترتد الفأرة عن جريح النمر ، حتى إنه يعمل له سرير يجلس في الماء ، ويربط حوله السنانيير خوفاً عليه من الفأر. ص ١٣٢

١٥- والنمر لا يكاد يألف الناس ، ولا يستأنس بهم ، وقد كنت مرة مجتازاً بمدينة حيفا من الساحل ، وهي للإفرنج ، فقال لي إفرنجي منهم : تشتري مني فهداً جيداً؟ قلت : نعم ، فجاءني بنمر قد رباه حتى صار في قَدِّ الكلب.

قلت : لا ما يصلح لي ، هذا نمر ما هو فهداً؛ فعجبت من أنسه وتصرفه مع الإفرنجي. ص ١٣٢

١٦- والفرق بين النمر وبين الفهد أن وجه النمر طويل مثل وجه الكلب وعينه زرق ، والفهد وجهه مدور وعينه سود. ص ١٣٢

١٧- وفي ذلك اليوم فرقت والدتي -رحمها الله- سيوفي وكزغنداتي ، وجاءت إلى أخت لي كبيرة السن وقالت : البسي خفك وإزارك ، فلبست وأخذتها إلى روشن في داري يشرف على الوادي من الشرق ، أجلستها عليه وجلست إلى باب الروشن ، ونصرنا الله -سبحانه- عليهم ، وجئت إلى داري أطلب شيئاً من سلاحي ، فما وجدت إلا جهازات السيوف وعيَب الكزغندات ، قلت : يا أمي ، أين سلاحي ؟ قالت : يا بني أعطيت السلاح لمن يقاتل عنا ، وما ظننتك سالماً ، قلت : فأختي أي شيء تعمل هاهنا ؟ قالت : يا بني ، أجلستها على الروشن وجلست براً منها ، إذا رأيت الباطنية قد وصلوا إلينا دفعتها ورميتها إلى الوادي ، فأراها قد ماتت ولا أراها مع الفلاحين والحلاجين مأسورة ، فشكرتها على ذلك ، وشكرت الأخت وجزيتهما خيراً ، فهذه النخوة أشد من نخوات الرجال. ص ١٤٥

١٨- وليس عندهم - يعني الإفرنج - شيء من النخوة والغيرة؛ يكون الرجل منهم يمشي هو وامراته ، يلقيه رجل آخر يأخذ المرأة ، ويعتزل بها ، ويتحدث معها ، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث ، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى. ص ١٥٤

١٩- ما فيهم -يعني النصارى- غيرة ولا نخوة ، وفيهم الشجاعة العظيمة ، وما تكون الشجاعة إلا من النخوة والأنفة من سوء الأحداث. ص ١٥٥ - ١٥٦

- ٢٠- ومن عجائب القلوب أن الإنسان يخوض الغمرات ، ويركب الأخطار ، ولا يرتاع قلبه من ذلك ، ويخاف مما لا يخاف منه الصبيان ولا النسوان .
- ولقد رأيت عمي : عز الدين أبا العساكر سلطان رحمه الله وهو من أشجع أهله ، له المواقف المشهورة والطعنات المذكورة ، وهو إذا رأى الفأرة تغيرت صورة وجهه ، ولحقه كالزمع من نظرها ، وقام من الموضع الذي يراها فيه .
- وكان في غلمانه رجل شجاع معروف بالشجاعة والإقدام اسمه صندوق ، يفزع من الحية حتى يخرج من عقله ، فقال له والدي رحمه الله وهو واقف بين يدي عمي : يا صندوق ، أنت رجل جيد معروف بالشجاعة ما تستحي تفزع من الحية؟ قال : يا مولاي ، وأي شيء في هذا من العجب؟ في حمص رجل شجاع بطل من الأبطال يفزع من الفأرة ويموت -يعني مولاه- فقال له عمي رحمه الله : قبحك الله يا كذا وكذا. ص ١٦٠ - ١٦١
- ٢١- فسيلب الرجل المحارب يتفقد عدة حصانه؛ فإن أيسر الأشياء وأقلها يودي ويهلك ، كل ذلك مقرون بما تجري به الأقدار والأقضية. ١٦٢
- ٢٢- وقد شهدت قتال الأسد في مواقف لا أحصيها ، وقتلت عدة منها لم يشركني أحد في قتلها ، فما نالني من شيء منها أذى. ص ١٦٣
- ٢٣- وشاهدت من ضعف نفوس بعض الرجال وخورهم ما لا كنت أظنه بالنساء. ص ١٦٣
- ٢٤- النصر في الحرب من الله -تبارك وتعالى- لا بترتيب وتدبير ، ولا بكثرة نفير ولا نصير.

وقد كنت إذا بعثني عمي رحمه الله لقتال أتراك أو إفرنج أقول له: يا مولاي، مُرني بما أتدبر به إذا لقيت العدو فيقول: يا بني، الحرب تدبر نفسها، وصدق. ص ١٦٦

٢٥- فأما التغرير في الإقدام فما هو للزهد في الحياة، وإنما سببه أن الرجل إذا عرف بالإقدام ووسم بالشجاعة، وحضر القتال طالبتة همته بفعل ما يذكر به، ويعجز عنه سواه، وخافت نفسه الموت، وركوب الخطر، فتكاد تغلبه وتصدده عما يريد يفعله حتى يضطرها ويحملها على مكروهاها، فيعتريه الزممع وتغير اللون لذلك، فإذا دخل في الحرب بطل روعه وسكن جأشه. ص ١٧٣

٢٦- ولم أدر أن داء الكبر عام يعدي كل من أغفله الحِمَامُ، فلما توقلت ذروة التسعين، وأبلاني مرُّ الأيام والسنين صرت كجواد العلاف لا الجواد المتلاف، ولصقت من الضعف بالأرض، ودخل من الكبر بعضي في بعض، حتى أنكرت نفسي وتحسرت على أمسي، وقلت في وصف حالي:

لما بلغت من الحياة إلى مدى	قد كنت أهواه تمنيت الردى
لم يُبق طول العمر مني مُنَّةً	ألقى بها صرف الزمان إذا اعتدى
ضعفت قواي وخانني الثقتان من	بصري وسمعي حين شارفت المدى
فإذا نهضت حسبت أني حامل	جبالاً وأمشي إن مشيت مقيدا
وأدباً في كفي العصا وعهدتها	في الحرب تحمل أسمراً ومهندا
وأبيت في لين المهاد مسهداً	قلقاً كأنني ما افترشت الجلمدا
والمرء ينكس في الحياة وبينما	بلغ الكمال وتم عاد كما بدا

٢٧- فلا يظن ظان أن الموت يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر، ففي بقائي أوضح معتبر، فكم لقيت من الأهوال، وتقحمت المخاوف والأخطار، ولقيت الفرسان، وقتلت الأسود، وضربت بالسيوف، وطعنت بالرماح، وجرحت بالسهم والجروح وأنا من الأجل في حصن حصين إلى أن بلغت تمام التسعين، فرأيت الصحة والبقاء كما قال ﷺ: «كفى بالصحة داءً» فأعقبت النجاة من تلك الأهوال ما هو أصعب من القتل والقتال، وكان الهلاك في كنه الجيش أسهل من تكاليف العيش، استرجعت مني الأيام بطول الحياة سائر محبوب اللذات، وشاب كدر النكد صفو العيش الرغد، فأنا كما قلت:

مع الثمانين عاث الدهر في جلدي	وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
إذا كتبت فخطي جدٌ مضطربٍ	كخطٍ مرتعشٍ الكفين مرتعد
فأعجب لضعف يدي عن حملها	من بعد حطم القنا في لبة الأسد
وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت	رجلي كأنني أخوض الوحل في الجلد
فقل لمن يتمنى طول مدته	هذي عواقب طول العمر والمدد

ضعفت القوة ووهت، وتقضت بلهنية العيش وانتهت، ونكسني التعمير بين الأنام، وإلى الخمود تسعر الضرام، حتى أصبحت كما قلت:

تناسنتي الآجال حتى كأنني	رذية سَفَرٍ بالفلاة حسير <sup>(١)</sup>
ولما تدعُ مني الثمانون مُنةً	كأنني إذا رمت القيام كسير
أؤدي صلاتي قاعداً وسجودها	علي إذا رمت السجود عسير

١- رذية: وفي الحاشية (دَرِيَّة) والأولى بمعنى: تعبى، ومهزولة من اليسر، ويعني الناقة.

وقد أنذرتني هذه الحال أنني دنت رحلة مني وحن مسير

ص ١٨٢

٢٨- وحضرته -يعني الملك العادل نور الدين زنكي- يوماً وقد أرسل كلبة على ثعلب، ونحن على قرا حصار بأرض حلب، فركض خلفه وأنا معه، فلحقت الكلبة أخذت ذنب الثعلب فرجع إليها برأسه فعض خيشومها، فصارت الكلبة تعوي ونور الدين رحمه الله يضحك، ثم خلاها وانجحر فما قدرنا عليه.

ص ٢٠٦

٢٩- وكان له - يعني والده - ترتيب في الصيد كأنه ترتيب الحرب والأمر المهم، لا يشتغل أحد بمحدث مع صاحبه، ولا لهم هم إلا التبحر في الأرض؛ لنظر الأرناب أو الطير في أوكارها. ص ٢٠٩





## سابعاً: المنتقى من كتاب

## عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لأبي الحسن علي بن عبدالرحمن بن هذيل

تعريف بالمؤلف والكتاب:

مؤلف هذا الكتاب هو الأديب الأندلسي علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري، من أعيان القرن الثامن الهجري، وهو من علماء الاجتماع المشهود لهم بسعة الإطلاع ورجاحة الرأي.

وكان حافزه لتأليف هذا الكتاب هو أن يكون مقدمة إلى السلطان محمد ابن يوسف عام ٧٦٣هـ.

وقد صدره بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة التي تدل على ما يرمى إليه من آراء وأفكار.

كما أنه ضمنه آراء العظماء، والحكماء، والعقلاء والشعراء ووُزعت في ثنايا الكتاب بأسلوب رائع، فجاءت في حلة قشبية، تحمل في طياتها الحكم والتجارب، والمواعظ.

وهذا الكتاب يقع في ٣١١ صفحة، وهو من مطبوعات دار الكتب العلمية بيروت - لبنان عام ١٤٠١هـ.

النقولات المنتقاة: قال رحمه الله:

١- التأليف خير موقوف على زمان، والتصنيف ليس بمقصود على أوان، لكنها

صناعة ربما قصرت فيها سوابق الأفهام ، وسيل ربما حادت عنها أقدام الأوهام ، قال بعض الحكماء : لكل شيء صناعة ، وصناعة التأليف صناعة العقل . ص ٨

٢- قال أبو الحسين أحمد بن فارس ، صاحب كتاب (مجمّل اللغة) : لو اقتصر الناس على كتب القدماء ، لضاع علم كثير ، ولذهب أدبٌ غزيرٌ ، ولضلّت أفهام ثاقبة ، ولكلت السنة لسنة ، ولجتّ الأسماع كلّ مردد ، ولفظت القلوب كل مرجع .  
قال الشاعر :

إذا تحدّثتَ في قوم لتؤنسهم      من الحديث بما يمضي وما ياتي  
فلا تعاود حديثاً إن طبعهم      موكلٌ بمعادة المعادات

ص ٨

٣- والذي عليه في التأليف المدار : هو حسن الانتقاء والاختيار ، مع الترتيب والتبويب والتهذيب والتقريب .

قال بعض العلماء : اختيار الكلام أشد من نحت السهام . وقالوا : اختيار المرء وافدٌ عقله ، ورائدٌ فضله .

وفضيلة هذا التأليف : هي في جمع ما افترق ، مما تناسب واتسق ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من أحاديث نبوية ، ومكارم أدبية ، وحكم باهرة ، وأبيات نادرة ، وأمثال شاردة ، وأخبار واردة ، ووصايا نافعة ، ومواعظ جامعة ، ومروءات سرّية ، وسياسات سنّية ، ومعانٍ مستظرفة ، وحكاياتٍ مستظرفة ، وجميع ذلك مطرد بكل شعر جزل ، سهل بريء من الغزل والهزل . ص ٨ - ٩

٤ - وإنما يذم ويكره من الكلام ما كان لغواً غير نافع ، وهزلاً عن منهج الجد مانع .

وأما ما ينبه به غافل، ويعلم به جاهل، ويذكر به عاقل - فذاك مما يحسن ويجمل، ويرجح به عقل سامعه وينبل، ويقرب ما بعد مأخذه عليه، ويسهل ما صعب تناوله بالتنبيه والإشارة إليه؛ إذ الشكل مضاف إلى شكله، والجنس إلى جنسه ومثله. ص ٩

٥- وقال أباؤ بن سليم: كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك؛ لأن المال يطغيك، والكلمة من الحكمة تهديك. ص ١٣

٦- وقال بعض السلف: القلوب تحتاج إلى قوتها، كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء. ص ١٣

٧- وقال بعض الحكماء: الحكمة خلة عقل، وميزان العدل، ولسان الإيمان، وعين البيان، وروضة الأرواح، ومزاح الهموم عن النفوس، وأنس المستوحش، وأمن الخائف، ومتجر الراح، وحظ الدنيا والآخرة، وسلامة العاجل والآجل. ص ١٣

٨- وقال بعضهم: الحكمة نور الأبصار، وروضة الأفكار، ومطية الحلم، وكفيل النجاح، وضمين الخير والرشد، والداعية إلى الصواب، والسفير بين العقل والقلوب، لا تدرس آثارها، ولا تعفو ربوعها، ولا يهلك امرؤ بعد عمله بها. ص ١٣

٩- وقال بقراط: من اتخذ الحكمة لجأماً اتخذته الناس إماماً. ص ١٣

١٠- قال بعض الحكماء: صلاح أسقام النفس أفضل من صلاح أسقام البدن؛ لفضل النفس على البدن. ص ١٣

- ١١- إن حب الخير فعل ، وإن عجزت عنه المقدرة. ص ١٦
- ١٢- إن الصواب في الأسد لا الأشد. ص ١٦
- ١٣- إن امرأ ليس بينه وبين آدم أحد لمعرق في الموت. ص ١٦
- ١٤- إن للأمور بغتات فكن منها على حذر. ص ١٦
- ١٥- إن ولاية المرء ثوبه؛ فإن قصر عنه عرى منه ، وإن طال عليه عثر فيه. ص ١٦
- ١٦- إن أضعف الرأي ما سنع في البديهة. ص ١٧
- ١٧- إن أحق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلاً إلى دفعه. ص ١٧
- ١٨- إن المصيبة إذا نزلت إنما هي واحدة ، فإن جزع صاحبها كانت اثنتين. ص ١٧
- ١٩- إن من الدلالة على أن الإنسان مصرف مغلوب ومدبر مربوب - أن يتبدل رأيه في بعض الخطوب ، ويعمى عليه الصواب المطلوب. ص ١٧
- ٢٠- إن لكل قوماً كلباً؛ فلا تكن كلب أصحابك. ص ١٧
- ٢١- إن الله -عز وجل- وسّع أرزاق الحمقى؛ ليعتبر العقلاء ، وليعلموا أن الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة. ص ١٧
- ٢٢- إن لكل فضل زكاة ، وإن زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج ، وإن زكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم ، وإن زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته ، وأن زكاة الجاه أن يُعاد به على من لا جاه له ، وإن زكاة العلم التعليم لمن قصر علمه. ص ١٧
- ٢٣- إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بخلقه ، وخف على الناس وأحبوه ، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس ، وملّوه. ص ١٨
- ٢٤- إن المرء لن ينال ما يحب حتى يصبر على كثير مما يكره. ص ١٨

٢٥- ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

إن الليالي للأنام مناهلٌ      تُطوى وتُبسط بينها الأعمارُ  
فقصارهن مع الهموم طويلةٌ      وطوالهن مع السرور قصارُ

ص ١٨

٢٦- إن الشدائد قد تغشى الكريم لأنْ      تُبينَ فضلَ سجاياه وتوضحه  
كمبرّد القين إذ يعلو الحديد به      وليس مقصده إلا ليصلحه

ص ١٨

٢٧- إن المروءة ما علمـ      ست لفي القناعة والخمول  
تغدو وليس على يديـ      ك يد تصول ولا تطول

ص ١٨

٢٨-      إن المرايا لا تريك خموش وجهك في صداها  
وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها

ص ٢٠

٢٩- إن العدو وإن أبدى مودته      إذا رأى فيك يوماً فرصة وثبا

ص ٢٠

٣٠- إن المسرة للمساءة موعد      حقاً ورهنٌ للعشية أو غد

ص ٢٠

٣١- إن التباعـد لا يضـ      رُ إذا تقاربت القلوبُ

ص ٢٠

٣٢- إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا      من كان يألفهم في المنزل الخشن

ص ٢٠

٣٣- إنما للناس منا حُسْنُ خُلُقٍ ومزاح  
ولنا ما كان فينا من فسادٍ وصلاحٍ

ص ٢٤

٣٤- إنما تعرف الصديق إذا ما جئته من خلافٍ ما يشتهيهِ

ص ٢٤

٣٥- ما يظهر الود المستقيم إلا من القلب السليم. ص ٢٩

٣٦- ما استُبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتُسبت البغضاء بمثل الكبر. ص ٢٩

٣٧- ما أقبح التكبر عند الاستغناء ، وما أفضح الخضوع عند الحاجة. ص ٢٩

٣٨- ما لا ينبغي أن تفعله احذر أن يخطر ببالك. ص ٢٩

٣٩- ما تواضع في ولايته إلا من كبر عنها ، ولا تكبر فيها إلا من كبرت عنه.

ص ٢٩ - ٣٠

٤٠- ما ضاق بالمرء أمرٌ واستعد له عِبَادَةُ اللَّهِ إِلَّا جَاءَهُ الْفَرْجُ  
وَلَا أَنْخَ بِبَابِ اللَّهِ ذُو أَلَمٍ إِلَّا تَزَحَّرَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْحَرْجُ

ص ٣١

٤١- ما يحرز المرء من أطرافه طرفاً إِلَّا تَخَوَّفَهُ النِّقْصَانُ مِنْ طَرَفٍ

ص ٣١

٤٢- ما استقامت قناة رأيي إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَوَجَ الْمَشِيبُ قَنَاثِي

ص ٣٢

٤٣- لا يوجد العجول محموداً ، ولا المغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ،

ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان. ص ٣٤

- ٤٤- لا تظهرن إنكار ما لا عدة معك لدفعه ، ولا تلهينك قدرة عن كيد وحيلة ، ولا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو. ص ٣٤
- ٤٥- ولا تلاح رجلاً غضبان؛ فإنك تغلقه باللجاج ، ولا ترده إلى الصواب. ص ٣٤
- ٤٦- ولا تفرح بسقطة غيرك؛ فإنه لا تدري ما يحدث الزمان بك. ص ٣٤
- ٤٧- لا تطمع في كل ما تسمع. ص ٣٤
- ٤٨- لا تطلب سرعة العمل ، واطلب تجويده؛ فإن الناس لا يسألون في كم فرغ منه ، وإنما يسألون عن جودة صنعه. ص ٣٤
- ٤٩- لا تطلبن الحاجة إلى كذوب؛ فإنه يقر بها وإن كانت بعيدة ، ويبعدها وإن كانت قريبة ، ولا إلى أحقق؛ فإنه يريد نفعك فيضرك ، ولا إلى من له إلى صاحب الحاجة حاجة؛ فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته. ص ٣٤ - ٣٥
- ٥٠- لا تُحقِرِ المرءَ إن رأيتَ به دمامةً أو رثالةً الحِلِّ  
فالنحلُ لا شكَّ في ضؤولته يَشْتَارُ منه الفتى جنى العسلِ
- ص ٣٦
- ٥١- لا تتبع النفس كل فائتة في الله من كل فائتة عوض  
واعمل لأخراك غير منخدع فإن دنياك هذه عرض  
إن صح أمر من الأمور بها لا بد أن يصيبه مرض
- ص ٣٧
- ٥٢- لا تَكْرِهِ المكروهَ عندَ حلوله إن العواقبَ لم تزل متباينة  
كم من يدٍ لا يُستَقَلُّ بشكرها لله في طي المكاره كامنة
- ص ٣٧

٥٣- لا تَضُرَّ عَنْ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ      فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ  
وَاسْتَزِقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ      فَإِنَّمَا الْأَمْرُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ  
ص ٣٨ - ٣٩

٥٤- إِيَّاكَ وَالْبَخْلَ؛ فَإِنَّ الْبَخِيلَ خَازِنٌ لِأَعْدَائِهِ. ص ٤٣  
٥٥- إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ؛ فَإِنَّهُ يَضْطَرُّكَ إِلَى سُوءِ الْإِعْتِذَارِ. ص ٤٤  
٥٦- إِيَّاكَ وَمَعَادَاةَ الرِّجَالِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدَمَ مَكْرَ حَلِيمٍ، أَوْ مَفَاجَأَةَ لَثِيمٍ. ص ٤٤  
٥٧- إِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ؛ فَإِنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَكْنِيهَا: أُمُّ النَّدَامَةِ. ص ٤٤  
٥٨- إِيَّاكَ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فَإِنَّمَا      عَقْلُ الْفَتَى فِي لَفْظِهِ الْمَسْمُوعِ  
وَالْمَرْءُ يَخْتَبِرُ الْإِنَاءَ بِنَقَرِهِ      لِيَرَى الصَّحِيحَ بِهِ مِنَ الْمَصْدُوعِ  
ص ٤٤ - ٤٥

٦٩- إِذَا عَثَرَ عَاثِرُ فَاحِمدِ اللَّهِ أَنْ لَا تَكُونَهُ. ص ٤٧  
٦٠- إِذَا أَحْبَبْتَ فَلَا تَفْرِطْ، وَإِذَا أَبْغَضْتَ فَلَا تَشْطَطْ. ص ٤٧  
٦١- إِذَا أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْطَتْهُ مُحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا دَبَّرْتَ عَنْهُ سَلْبَتَهُ  
مُحَاسِنَ نَفْسِهِ. ص ٤٧  
٦٢- إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ الْأَحْمَقُ فَلَيْسَ لَهُ صِلَاحٌ إِلَّا الرِّفْقُ وَالتَّلَطُّفُ.  
ص ٤٨-٤٩

٦٣- إِذَا فَتَحْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ بَاباً مِنَ الْمَعْرُوفِ فَاحْذَرِ أَنْ تَغْلِقَهُ وَلَوْ بِالْكَلِمَةِ  
الْجَمِيلَةِ. ص ٤٩

٦٤- إِذَا رَضِيَ الْمَرْءُ بِالْمَيْسُورِ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْكَادِ سَوْرٌ. ص ٤٩  
٦٥- إِذَا أَبْصَرْتَ الْعَيْنَ الشَّهْوَةَ عَمِيَ الْقَلْبُ عَنِ الْإِخْتِيَارِ. ص ٤٩  
٦٦- إِذَا قَبِحَ السُّؤَالُ حَسَنَ الْمَنْعِ. ص ٤٩



٦٧- إذا شاورت العاقل صار نصف عقله لك. ص ٤٩

٦٨- إذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل. ص ٥٠

٦٩- إذا نالك الدهرُ بالحادثات      فكن رابط الجاشِ صعب الشكيمة  
ولا تهين النفسَ عند الخطوبِ      إذا كان عندك للنفس قيمة  
فوالله ما لقي الشامتون      بأحسن من صبرِ نفسٍ كريمة  
ص ٥١

٧٠- إذا الحادثاتُ بلغتُ المدى      وكادتُ تضيقُ بهنَّ المهج  
وحلَّ البلاءُ وقلَّ الوفاء      فعندَ التناهي يكون الفرج  
ص ٥١

٧١- إذا كنتَ ذا مالٍ ولم تك منفقاً      فأنت إذا والمقترون سـواءُ  
على أن للأموالِ يوماً تباعةً      على أهلها والمقترون براءُ  
ص ٥٢

٧٢- إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشفَتْ      له عن عدوٍ في ثيابِ صديقٍ  
ص ٥٥

٧٣- من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه.

ص ٥٩

٧٤- من عرف قدره علا أمره. ص ٦٠

٧٥- من نظر في العواقب نجا. ص ٦١

٧٦- من فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من نفسه. ص ٦١

٧٧- من غضب من غير شيء فسيرضى من غير شيء. ص ٦٣

٧٨- من لم يمنع نفسه من الشهوات تسرعت إليه الهلكات. ص ٦٣

٧٩- مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزْمِهِ وَهَمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا

ص ٦٧

٨٠- لَيْسَ بِخَالِصٍ وَلَا لَيِّبٍ مَنْ لَمْ يَعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ مَعَاشِرَتِهِ  
بَدَأَ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهَ -تَعَالَى- لَهُ مَخْرَجًا. ص ٦٩

٨١- لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْحَلِيمِ أَنْ لَا يَضْجُرَ ، لَكِنْ أَنْ يَضْجُرَ بوزن. ص ٦٩

٨٢- إِفْشَاءُ السِّرِّ أَحَدُ الْمَفْسِرِينَ. ص ٧٧

٨٣- إِدْمَانُ النَّظَرِ أَحَدُ الْفَسْقِينَ. ص ٧٧

٨٤- الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ. ص ٧٧

٨٥- اِثْنَانِ ظَالِمَانِ يَأْخُذَانِ غَيْرَ حَقِّهِمَا : رَجُلٌ وُسِّعَ لَهُ فِي مَجْلِسِ ضَيْقٍ فَتَرَبَّعَ  
وَاتَنَفَخَ ، وَرَجُلٌ أَهْدَيْتَ لَهُ نَصِيحَةً فَجَعَلَهَا ذَنْبًا. ص ٨٠

٨٦- خَصَلَتَانِ يَحْبَهُمَا الْعَاقِلُ ، وَيَكْرَهُمَا الْجَاهِلُ : الصَّبْرُ عِنْدَ النَّوَائِبِ ، وَالْعَفْوُ

عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ. ص ٨٠

٨٧- وَأَمْرَانِ يَسْتَصْلِحُ بِهِمَا آخَرَاهُ : عَقْلٌ يَعْرِفُ بِهِ خَطَأَهُ مِنْ صَوَابِهِ ، وَرَشْدُهُ

مِنْ غِيهِ ، وَنَزَاهَةٌ يَقْهَرُ بِهَا هَوَاهُ ، وَيَصْرِفُ بِهَا شَهْوَتَهُ. ص ٨٠

٨٨- أَسْبَابُ الْفِتَنِ ثَلَاثَةٌ : عَيْنُ نَازِرَةٍ ، وَصُورَةُ نَاضِرَةٍ ، وَشَهْوَةُ قَادِرَةٍ. ص ٨٤

٨٩- ثَلَاثٌ بِهَا نَلَتْ الْمَعَالِي وَالْغِنَى وَأَصْبَحَتْ مُعْتَرِّ الْجَنَابِ مَمُولًا

طَوِيَتْ عَلَى قَصْدِ الْمَرْوَةِ بَاطِنِي وَفِي ظَاهِرِي أَبْدَيْتُ فِيهِ التَّجْمُلَا

وَأَغْضَيْتُ عَمَّا فِي يَدِ الْخَلْقِ نَاطِرِي وَأَبْصَرْتُ مَا لِلَّهِ عِنْدِي أَفْضَلَا

ص ٨٨

- ٩٠- أربعة يسود بها المرء: الأدب، والعلم، والعفة، والأمانة. ص ٩٠
- ٩١- أربعة ينبغي للعاقل أن يمنع نفسه منها: العجلة، واللجاجة، والعجب، والتواني. ص ٩٠
- ٩٢- ست خصال من كن فيه فهو إنسان كامل: الألفة، والحياء، والأدب، والأنفة، والشكر، والرجاء. ص ٩٦
- ٩٣- ثمانية قام الوجود بها فهل ترى من محيص للورى عن ثمانية سرور، وحزن، واجتماع، وفرقة بهنّ انقضت أعمار أولاد آدم
- ص ١٠١
- ٩٤- بتسع ينال العلم: قوت وصحة ودرس، وحفظ للعلوم، وهمة وحرص، وفهم ثاقب في التعلم وشرح شبابي، واجتهاد معلم
- ص ١٠٢
- ٩٥- إن المكارم أخلاق مطهرة والعلم ثالثها والحلم رابعها والشكر سابعها والجود ثامنها والنفس تعلم من عيني محدثها
- ص ١٠٣
- ٩٦- قال حكيم لحكيم: ما السؤدد؟ فقال: اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة، قال: فما الشرف؟ فقال: كف الأذى، وبذل الندى، قال: فما الثناء؟

فقال: استعمال الأدب، ورعاية الحسب، قال: فما المجد؟ فقال: احتمال المغارم، وابتناء المكارم، قال: فما المروءة؟ قال؟ عرفان الحق، وتعاهد الصنيعة، قال: فما السماحة؟ فقال: حب السائل، وبذل النائل، قال: فما الكرم؟ فقال: صدق الإخاء في الشدة والرخاء. ص ١٠٥

٩٧- من وصية الرشيد للمأمون: لا تتكل على أن تقول: كان أبي الرشيد، واعمل على ما يتكل عليه من يقول: كان أبي المأمون. ص ١١٢

٩٨- وقيل لقيس بن عاصم: بم سودك قومك؟ قال: بكف الأذى، وبذل الندى، ونصرة المولى. ص ١١٣

٩٩- وكان عبدالله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكراً، فقال أبو العميثل الأعرابي الشاعر لمصعب بن عبدالله، وكان يختص بطاهر ويناديه: ألا أدلك على شيء تفعله فتتقدم به سائر إخوانك عند الأمير طاهر؟ قال: بلى، فأنشده هذه الأبيات، وقال اكتب بها إلى الأمير:

يا من يحاول أن تكون خلاله	كخلال عبدالله أنصت واسمع
فأقصدك بالنصيحة والذي	حج الحجيج إليه فاقبل أو دع
إن كنت تطمع أن تحل محله	في المجد والشرف الأشم الأرفع
فاصدق وعف وبر وانصر واحتمل	واحلم ودار وكاف واصبر واخشع
والطف وإن وتأن وأرفق واتئد	واحزم وجد وحام واحمل وادفع
هذا الطريق إلى المكارم مهيعاً	فأبصر فقد أسلكت قصد المهيح

فاستحسن طاهر الأبيات، وقال: والله لقد أفدتني بما يجب به شكرك علي، فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين، وأكسبه ألف ألف درهم.

وقد جمعت هذه الأبيات خلال المكارم، وموجبات السؤدد، وتفاريق المروءة.

ص ١١٥

١٠٠- قيل لعرابة الأوسي: بم سودك قومك؟ قال: بأربع خلال: أنخدع لهم في مالي، وأذل لهم عرضي، ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد كبيرهم، وفي عرابة الأوسي يقول الشاعر:

رأيت عرابة الأوسي يسمو      إلى الخيرات منقطع القرين  
إذا ما راية رفعت لمجد      تلقاها عرابة باليمن

ص ١١٥ - ١١٦

١٠١- وكان أسماء بن خارجة الفزاري سيد أهل الكوفة، فقال له يوماً عبد الملك بن مروان: ما أشياء تبلغني عنك يا أسماء؟ فقال: يحدثك غيري عني يا أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: وعلى ذلك فأحب أن أسمعها منك يا أسماء، فقال: نعم، يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط، مخافة أن يرى أنني تكبرت عليه، ولا سألني رجل قط حاجة فكان أكبرهمي من الدنيا إلا قضاء حاجته، ولا أكل رجل قط عندي أكلة إلا كان له الفضل علي أيام حياتي، ولا ظلمني رجل قط بمظلمة إلا رأيت عقوبته العفو عنه، فقال عبد الملك: حسبك بهذا شرفاً يا أسماء! ثم أنشد عبد الملك يقول:

إذا ما ماتَ خارجةُ بن حصنٍ      فلا مطرتُ على الأرضِ السماء  
ولا رجَعَ الوفودُ بغنمٍ عيشٍ      ولا حملتُ على الطهر النساء  
ليومٍ منك خيرٌ من أناسٍ      كثيرٍ حولهم نَعَمٌ وشاء

فبورك في بنيك وفي بنيهم إذا ذكروا ونحن لك الضداء  
ص ١١٦-١١٧

١٠٢- وقال بعضهم: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم. ص ١١٩  
١٠٣- إذا أعجبتك خصال امرئ فكفه تكن مثل ما يعجبك  
فليس على المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك  
ص ١١٩

١٠٤- وقال عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز: قال لي رجاء بن حيوة: ما رأيت رجلاً أكمل أدباً، ولا أجمل عشرة من أهلك؛ وذلك أنني سهرت معه ليلة، فبينما نحن نتحدث إذا غشى المصباح، وقد نام الغلام، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد غشى المصباح، أفنوقظ الغلام ليصلح المصباح؟ فقال: لا تفعل، فقلت: أفتأذن لي أن أصلحه، فقال: لا؛ لأنه ليس من المروءة أن يستخدم الإنسان ضيفه، ثم قام هو بنفسه، وحط رداءه عن منكبيه، وأتى إلى المصباح فأصلحه، وجعل فيه الزيت، وأشخص الفتيل، ثم رجع وأخذ رداءه وجلس، ثم قال: قمت، وأنا عمر بن عبدالعزيز، وجلست، وأنا عمر بن عبدالعزيز. ص ١٢٤

١٠٥- ووصف الشعبي أدب عبدالملك بن مروان، فقال: والله ما أعرفه قط، إلا أخذاً بثلاث تاركاً لثلاث: أخذاً بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤنة إذا خولف، تاركاً للمحاوراة مع اللئيم، ومماراة السفه، ومنازعة اللجوج. ص ١٢٤

١٠٦- ومن الواجب على من عري من الأدب، وتخلّى عن المعرفة والفهم،

ولم يتحل بالعلم - أن يلزم الصمت ، ويأخذ نفسه به؛ فإن ذلك حظ كبير من الأدب ، ونصيب وافر من التوفيق؛ لأنه يأمن من الغلط ، ويعتصم من دواعي السقط؛ فالأدب رأس كل حكمة ، والصمت جماع الحكم.

قال الشاعر:

وفي الصمت سترٌ للعي وانما صحيفة لب المرء أن يتكلما

ص ١٢٨

١٠٧- قال يحيى بن خالد: ما رأيت رجلاً قط إلا هبته حتى يتكلم ، فإن كان نصيحاً عظم شأنه في صدري ، وإن كان مقصراً سقط من عيني.

قال الشاعر:

لسان المرء ينبئ عن حجاه وعي المرء يستتره السكوت

ص ١٢٨ - ١٢٩

١٠٨- اعلم أن المروءة دالة على كرم الأعراق ، باعثة على مكارم الأخلاق ، وهي : مراعاة الأحوال التي يكون الإنسان على أفضلها. ص ١٣٠

١٠٩- قال ابن سلام: حد المروءة: رعي مساعي البر، ورفع دواعي الضر، والطهارة من جميع الأدناس ، والتخلص من عوارض الالتباس ، حتى لا يتعلق بحاملها لوم ، ولا يلحق به ذم؛ وما شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث على شرف الممات والمخيا إلا وهو داخل تحت المروءة. ص ١٣٠

١١٠- وقيل لبعض الحكماء: ما المروءة؟ قال: طهارة البدن ، والفعل الحسن.

ص ١٣٠

١١١- قيل للأحنف بن قيس: ما المروءة؟ قال: صدق اللسان، ومواساة الإخوان. ص ١٣١

١١٢- قال بعض الحكماء: لا تفارق الصبر؛ فتعظم عليك البلوى، ولا المروءة؛ فتشمت بك الأعداء. ص ١٣٢

١١٣- وسئل عبدالله الفارسي عنها -يعني المروءة- فقال: هي التألف، والتظرف، والتنظف، وترك التكلف. ص ١٣٥

١١٤- وأنشد ثعلب:

من عفاً خفاً على الصديق لقاءه وأخو الحوائج وجهه مبذول  
وأخوك من وفرت ما في كيسه فإذا استعنت به فأنت ثقل  
ص ١٣٧

١١٥- دواء المودة كثرة التعاهد. ص ١٣٩

١١٦- أَقِلْ ذا الود عثرته وَقِفْهُ على سنن الطريق المستقيمة  
ولا تسرع بمعتبةٍ إليه فقد يهفو ونيته سليمة  
ص ١٣٩

١١٧- أجمعت الحكماء وأهل الفضل على أن السيادة والمروءة وأجمع خلال العشرة - في المسارعة إلى المعونة، وفي العفو مع المقدرة، وفي التودد إلى الناس، والتحبب لهم. ص ١٥٢

١١٨- مكتوب في التوراة: لتكون كلمتك لينة، ووجهك بسيطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. ص ١٥٢

١١٩- وفي المثل: الكلام الحسن مصايد القلوب، والعبوس من طبعه البؤس.

ص ١٥٢



١٢٠- وقال أرسطاليس للإسكندر: أعظم من أوصيك به أن لا تتبغض إلى أحد من خلق الله ، فرأس العقل -بعد الإيمان- التحبب إلى الناس كافة. ص ١٥٣

١٢١- قال الشاعر:

البشر يُكسبُ أهله      صدق المودَّة والمحبَّة  
والتيه يستدعي لصا      حبه المذمة والمسبة

ص ١٥٣

١٢٢- قال أبو جعفر المنصور: إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل فالقهم ببشر حسن. ص ١٥٤

١٢٣- وقالوا: ثلاثة لا يقوم للمرء الرشد إلا فيهن: مشاورة ناصح ، ومداواة حاسد ، والتحبب إلى الناس. ص ١٥٤

١٢٤- وقال بعضهم: مداواة الناس نصف العقل. ص ١٥٤

١٢٥- وقال العتابي: المداواة سياسة لطيفة ، لا يستغني عنها ملك ، ولا سوقة يحتلبون بها المنافع ، ويدفعون بها المضار ، فمن كثرت مداراته ، كان في ذمة الحمد والسلامة. ص ١٥٤

١٢٦- وقال بعضهم: ينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداواة السابح الماء الجاري. ص ١٥٤

١٢٧- لما قدم حاتم الأصم إلى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشة به: أخبرني كيف التخلص إلى السلامة من الناس؟ فقال له حاتم: بثلاثة أشياء ، فقال له أحمد: ما هي؟ قال: تعطيتهم مالك ولا تأخذ مالهم ، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك ، وتصبر على أذاهم ولا تؤذهم ، فقال أحمد: إنها

لصعبة! قال له حاتم: وليتك تسلم. ص ١٥٥ - ١٥٦

١٢٨- قالت الحكماء: من غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه.

ص ١٥٦

١٢٩- لا تلتمس من مساوي الناس ما فيك      فيكشف الله سترًا عن مساويك  
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا      ولا تعب أحداً منهم بما فيك

ص ١٥٦

١٣٠- قال بعض الحكماء: استشعروا السلامة للناس، والبسوا لهم اللين، والقوهم بالبشاشة، وعاشروهم بالتودد، وتفضلوا عليهم بحسن الاستماع، وإن كان ما يأتون به نزرًا؛ فإن لكل امرئ عند نفسه قدرًا، فالقوهم بما يستنبطون به إليكم، وخرّجوا عقولكم بأدب كل زمان، واجروا مع أهله على مناهجهم تَقِلَّ مساويكم، وتسلم لكم أعراضكم، وضعوا عنكم مؤنة الخلاف، واللجاجة في المنازعة، وربما ورثت الشحنة، ونقضت هرم المودة والإخاء، فليكن المرء مقبلاً على شأنه، راضياً عن زمانه، سلماً لأهل دهره، جارياً على عادة عصره، ولا يباينهم بالعزلة فيمقتوه، ولا يجاهرهم بالمخالفة فيعادوه، فإن موافقة الناس رشاد، ومخالفتهم ضلال وعناد. ص ١٥٦

١٣١- وفي المثل: إيمان الخلاف من أسباب التلف. ١٥٦

١٣٢- وفي المثل: الأخلاق الصالحة ثمرة العقول الراجحة؛ فمن لقي الناس بالإحسان، وعاملهم بالأخلاق الحسان - فهو الذي يخف عليهم جانبه، وتحمد أنحاؤه ومذاهبه، ولن يعدم منهم حسن الثناء، ومن الله جزيل الجزاء. ص ١٥٧

١٣٣- إذا حوت خصال الخير أجمعها فضلاً وعاملت كل الناس بالحسن  
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرزه والشكر من خلقه في السر والعلن

ص ١٥٧

١٣٤- اعلم أن في الحكايات والأخبار سلوة للنفوس ، وآداباً نافعة للرئيس  
والمرؤوس ، والقلوب ترتاح إليها من شجونها ، والآذان تصغي لسماع طرفها  
وفنونها ، والوحيد يأنس بمطالعتها ، والجلس ينسبط بمذاكرتها ومحاضرتها ،  
والطبائع تجم بها من مللها ، ويذهب عنها قلة نشاطها ، وكثرة كسلها ، والملوك  
يتحفون بها ، وينال الجاه والرفعة منهم بسببها. ص ١٥٨

١٣٥- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : عليكم بطرائف الأخبار؛ فإنها من علم  
الملوك والسادة ، وبها تنال المنزلة والخطوة منهم.

قال علي رضي الله عنه : قيمة كل امرئ ما يحسن. ص ١٥٨.

١٣٦- وقال بعض ملوك الهند لبنيه : أكثروا من النظر في الكتب ، وازدادوا في  
كل يوم حرفاً ، فإن ثلاثة لا يستوحشون في غربة : الفقيه العالم ، والبطل  
الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي. ص ١٥٨

١٣٧- وقيل للمأمون : ما ألد الأشياء؟ قال : التنزه في عقول الناس ، يعني :  
قراءة أقوالهم. ص ١٥٨

١٣٨- روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم الشام على حمار ، ومعه عبدالرحمن  
بن عوف رضي الله عنه على حمار ، فتلقاهما معاوية في مركب له رده ، فجاوز عمر ، حتى  
أخبر فرجع إليه ، فلما قرب منه نزل ، فأعرض عنه عمر وتركه يمشي ، فقال له

عبدالرحمن: أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين، فأقبل على معاوية فقال له: أنت صاحب المركب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وقال: ولم ذلك؟ قال: لأننا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو، ولا بد لهم مما يرهبهم من هيئة السلطان، فإن أمرتني بذلك أقمت عليه، وإن نهيتني انتهيت، فقال: يا معاوية، ما عاتبتك في شيء يبلغني عنك إلا تركتني منه في أضيق من رواحب الضرس، فإن كان الذي قلت حقاً فرأي أريب، وإن كان باطلاً فخدعة أديب، ولست آمرك به ولا أنهاك عنه، فقال عبدالرحمن: يا أمير المؤمنين، لَحَسَنُ ما صدر هذا عما أوردته فيه، فقال عمر: لِحُسْنِ مواردِه ومصادره جشمناه ما جشمناه. ص ١٨٣

١٣٩- حكى أنه لما مرض الشافعي رحمه الله مرضه الذي مات منه، قال له لقومه: إذا أنا مت، فقولوا لفلان يغسلني، فلما توفي وبلغه الخبر، قال: ائتوني بتذكرته، فجيء بها إليه، فوجد فيها على الشافعي سبعون ألف درهم ديناً لفلان وفلان، فكتبها الرجل على نفسه، وقال: هذا هو الغسل الذي أراه. ص ١٨٥

١٤٠- مر الشافعي بسوق الحدادين بمصر، فسقط قوسه من يده، فقام رجل من دكانه، فأخذه ومسحه بكمه، وناوله إياه، فقال الشافعي رحمه الله لغلّامه: كم معك؟ قال: سبعة دنائير، فقال له: ادفعها إليه. ص ١٨٥

١٤١- خرج سعيد بن العاصي يوماً من عيادة مريض، فرآه شاب من قريش يمشي وحده، فماشاه حتى بلغ داره، فلما انتهى إلى باب الدار التفت إليه، فقال له: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة، ولكني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن

أصل جناحك، فقال: بارك الله فيك، مكانك، ثم دخل إلى منزله فأخرج إليه بدرية فيها عشرة آلاف درهم فدفعتها إليه. ص ١٨٥ - ١٨٦

١٤٢- مر يزيد بن المهلب بأعراية، عقب خروجه من سجن عمر بن عبدالعزيز، يريد البصرة فقرّته عنزاً، فقَبِلها، وقال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال: ثمانمائة دينار، فقال: ادفعها إليها، فقال ابنه: إنك تريد الرجال، ولا يكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك، قال: فإن كانت ترضى باليسير فإننا لن نرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف بنفسي، ادفعها إليها. ص ١٨٦

١٤٣- شتم رجل الشعبي، فقال له: إن كنت صادقاً يغفر الله لي، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك. ص ١٩١

١٤٤- أكب رجل من بني مرة على مالك بن أسماء يحدثه في يوم صيف، ويغمه ويثقل عليه، ثم قال: أتدري من قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: لا، ولكنني أعرف من قتلتم منا في الإسلام، قال: ومن هم؟ قال: أنا، قتلني اليوم بطول حديثك، وكثرة فضولك. ص ١٩٢

١٤٥- قيل للشافعي رحمه الله: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تطلبني ثمانية: الله -تعالى- بالفرض، ورسوله ﷺ بالسنة، والدهر بصروفه، والعيال بقوتهم، والحفظة بما ينطق لساني، والشيطان بالمعاصي، والنفس بالشهوات، وملك الموت بقبض روعي. ص ٢٢٥

١٤٦- قال الربيع بن خثيم: أقلوا الكلام إلا بتسع: تكبير، وتهليل، وتحميد، وسؤالك الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءة

القرآن، وأن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك. ص ٢٢٥

١٤٧- قال بعض العلماء: ركب الله -تعالى- الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب الآدميين من كليهما، فمن غلب عقله شهوته تشبه بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله تشبه بالبهائم.

فالعقل- كل العاقل -من ميز نفسه، وعرف قدره، ونظر بعين الحقيقة، وأمعن الفكرة الصحيحة، وعلم أن جوارحه قد ركبت فيها جميع الشهوات، وأن طباعه قد حبت إليها صنوف اللذات، فلا يقدر على قسرها، ولا يتمكن من صرفها وقهرها إلا بالمجاهدة، وملك الشهوة بخطام التقوى، وما أشد وما أصعب! ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات». ص ٢٣٥

١٤٨- وقال لقمان لابنه: يا بني، أول ما أحذرك من نفسك؛ فإن لكل نفس هوى وشهوة، فإن أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها، فإن الشهوة كامنة في القلب ككمون النار في الحجر، إن قدح أورى، وإن ترك توارى. ص ٢٣٥

١٤٩- قال أفلاطون: في الإنسان أربع طبائع: العقل، والهوى، والشهوة، والعفة، فالعقل يعاتب الهوى، والهوى يقاتل العفة، والعفة تعاتب الشهوة، والشهوة تقاتل العفة، والإنسان مسلط على مشيئته، فمن عمل خيراً جوزي به، ومن عمل شراً كوفئ عليه. ص ٢٣٥

١٥٠- وقال سعيد بن جبير لابنه: يا بني إني أوصيك بوصية إن لم تحفظها مني كنت جديراً أن لا تحفظها من غيري، يا بني: أظهر للناس الجميل، وإياك

وطلب الحاجة؛ فإنه فقر حاضر، وإذا صليت فصل صلاة مودع، وأنت ترى أن لا تصلي بعدها أبداً، وإن استطعت أن تكون غداً خيراً منك أمس فافعل، وإياك أن تياس عن شيء أتى الله منه خيراً. ص ٢٥١

١٥١- وقال بعض الحكماء في وصية: إذا أعجبك ما توصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك، ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح الناس لك. ص ٢٦٣

١٥٢- وقال ابن عباس رضي الله عنه: لا يزهديك في المعروف كفر من كفره؛ فإنه يشكر عليه من لم تصطنعه إليه، وإنني -والله- ما رأيت أحداً أسعفته في حاجة إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت أحداً رددته عن حاجة إلا أظلم ما بيني وبينه. ص ٢٦٤ - ٢٦٥

١٥٣- وأوصى رجل ابنه، فقال له: يا بني، إذا كنت في قوم فدار بينهم تدبيراً، فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم، ولا تتكبر عن متابعتهم إذا ظهر لك الحق؛ فإن المتابعة على الصواب أحسن من الابتداء بالخطأ. ص ٢٦٦

١٥٤- واعلم أن الشهوات حلوة الموارد، مرة المصادر. ص ٢٦٩

١٥٥- ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفاً

فإذا تورع عن محارم ربه فهناك يدعى في الأنعام ظريفاً

ص ٢٧٢

١٥٦- لا تمازح حليماً ولا سفيهاً؛ فإن الحلیم يقلبك، والسفيه يؤذيك. ص ٢٧٨

١٥٧- واعلم أن المرء يمرض قلبك، ويضعف رأيك، ويزري بمروءتك عند

جلسائك ، ويفسد الصداقة القديمة ، وفي ذلك قال الشاعر :  
فإياك إياك المرء فإنه إلى الشر دعاء وللشر جالب

ص ٢٧٨

١٥٨- إذا أتيت بلد أهلها على غير ما تعرف ، فاترك كثيراً مما كنت تعرف ،  
وخذ بما يعرفون؛ فإن ذلك من حسن الإدارة ، وكثير من دارى فلم يسلم فكيف  
بمن لم يدار؟ ص ٢٧٩



## ثامناً: المنتقى من كتاب

## أدب الطلب للإمام محمد الشوكاني ١٢٥٠هـ

## نبذة عن المؤلف:

هو الإمام القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني، المولود عام ١١٧٣هـ، والمتوفى عام ١٢٥٠هـ.

كان رحمته الله من العلماء المتفنين، فقد كان مفسراً، ومحدثاً، وفقهياً، وأصولياً، ومؤرخاً، وشاعراً، وأديباً، ومحققاً، وناقداً، إلى غير ذلك من الأوصاف التي أطلقها عليه مترجموه.

ولد وعاش في اليمن، وتلقى العلم على علماء بلده، وساعده على ذلك تشجيع والده علي بن محمد الشوكاني ت ١٢١١هـ؛ فقد هيا له كل الوسائل اللازمة للتفرغ لطلب العلم؛ فجنبه هم التفكير والبحث في أسباب المعيشة.

وبعد أن انتهى الشوكاني من دراسته على أيدي شيوخه، واستوفى بذلك جميع ما عندهم - تفرغ للتدريس، والبحث، والتأليف، والتعليم، والإفتاء، والقضاء، والإشراف على إدارة الشؤون الخارجية لليمن؛ فقد كان يطلع على المراسلات الخارجية الموجهة إلى أئمة اليمن من الزعماء، ورؤساء الدول ويتولى الرد عليها باسمه، أو باسم الأئمة الذين عاصروهم.

وكان ذا همة، ودأب، ونهم في طلب العلم.

وكان يعد في طليعة المجددين في عصره؛ حيث نهض بالعقول، وسعى في

تخليصها من أسر الجمود والتقليد.

وكان ذا خلق فاضل، وعزة نفس، وحب للخير، وحرص على نشر العلم.  
أما مؤلفاته فكثيرة متنوعة منها: تفسيره المعروف بـ (فتح القدير)، ومنها البدر  
الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وإرشاد الفحول، والسيل الجرار وغيرها.  
ومنها هذا الكتاب: أدب الطلب ومنتهى الأرب.  
تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب يعد أهم مؤلفات الشوكاني رحمته الله لأنه - رغم صغر حجمه - يفصح  
عن شخصية الشوكاني عالم موسوعي، ومجتهد مستقل، ومجدد بارع يتمتع بموهبة  
فذة، وبمقدرة كبيرة على العطاء والإبداع؛ إذ هو نابع من خلاصة تجربته العلمية  
الثرية كطالب، ومدرس، وقاض، ومجتهد كما أنه نابع عن تطلعاته ونزعتة  
التجديدية والإصلاحية.

وهذا الكتاب يعد من أهم، الكتب التربوية، التي تعنى بطلب العلم، ومناهجه،  
وآداب أهله، وما جرى مجرى ذلك.

وقد عني أهل العلم بهذا الكتاب منذ صدور طبعته الأولى من مركز الدراسات  
والبحوث اليمنية بصنعاء عام ١٩٧٩م بتحقيق الأستاذ عبدالله محمد الحبشي.  
أما الطبعة التي بين أيدينا فهي الطبعة الأولى من تحقيق ودراسة الأستاذ عبدالله  
يحيى السريحي.

وقد اعتنى بالكتاب عناية فائقة؛ حيث قدم بدراسة وافية عن الشوكاني وعن  
كتابه هذا.

ولقد جاء الكتاب في مجلد واحد في ٢٩٤ صفحة، وهو من مطبوعات دار ابن  
حزم ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م بيروت - لبنان -.

النقولات المنتقاة: قال رحمه الله:

١- فأول ما على طالب العلم أن يحسن نيته ، ويصلح طويته ، ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له ، والأمر الذي أراده هو الشريعة التي شرعها الله - سبحانه - لعباده ، وبعث بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، ويجرد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا ، أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه ، كمن يريد به الظفر بشيء من المال أو الوصول إلى نوع من الشرف أو البلوغ إلى رئاسة من رئاسات الدنيا ، أو جاه يحصله به؛ فإن العلم طيب ، لا يقبل غيره ، ولا يحتمل الشركة.

والروائح الحبيثة إذا لم تغلب على الروائح الطيبة - فأقل الأحوال أن تساويها وبمجرد هذه المساواة لا يتبقى للطيب رائحة.

والماء الصافي العذب الذي يستلذه شارب ، كما يكدره الشيء اليسير من الماء المالح فضلاً عن غير الماء من القاذورات ، بل يُنغص لذته مجرد وجود القذاة فيه ووقوع الذباب عليه ، هذا على فرض أن مجرد تشريك العلم مع غيره له حكم هذه المحسوسات وهيئات ذاك؛ فإن من أراد أن يجمع في طلبه العلم بين قصد الدنيا والآخرة فقد أراد الشطط ، وغلط أقبح الغلط؛ فإن طلب العلم من أشرف أنواع العبادة وأجلها وأعلاها ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ البينة ٥.

فقيّد الأمر بالعبادة بالإخلاص الذي هو روحها ، وصح عن رسول

الله ﷺ حديث : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » . ص ٨٢

٢- فإن وطنت نفسك أيها الطالب ، على الإنصاف وعدم التعصب لمذهب من

المذاهب ، ولا لعالم من العلماء ، بل جعلت الناس جميعاً بمنزلة واحدة في كونهم متمين إلى الشريعة ، محكوماً عليهم بها لا يجدوا لأنفسهم عنها مخرجاً ، ولا يستطيعون متحولاً ، فضلاً عن أن يرتقوا إلى ما هو فوق ذلك من كونه يجب على أحد من الأمة العمل على رأي واحد منهم ، أو يلزمه تقليده ، وقبول قوله - فقد فزت بأعظم فوائد العلم ، وربحت بأنفس فرائده .

ولأمر ما جعل ﷺ المنصف أعلم الناس ، وإن كان مقصراً؛ فإنه أخرج الحاكم في المستدرك ، وصححه مرفوعاً « أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس ، وإن كان مقصراً في العمل ، وإن كان يزحف على أسته » .

هكذا في حفطي؛ فليراجع المستدرك؛ فانظر كيف جعل صلى الله عليه وآله وسلم المنصف أعلم الناس ، وجعل ذلك هو الخصلة الموجبة للأعلمية ، ولم يعتبر غيرها . ص ٨٩ - ٩٠ .

٣- ومن جملة الأسباب التي يتسبب عنها ترك الإنصاف ، ويصدر عنها البعد عن الحق ، وكنتم الحجة وعدم ما أوجبه الله من البيان : حب الشرف والمال اللذين هما أعدى على الإنسان من ذئبين ضارين ، كما وصف ذلك رسول الله ﷺ . ص ١٠٦

٤- ومن جملة الأسباب التي يتسبب عنها ترك الإنصاف ، وكنتم الحق ، وغمط الصواب - ما يقع بين أهل العلم من الجدل والمراء؛ فإن الرجل قد يكون له بصيرة ، وحسن إدراك ، ومعرفة بالحق ، ورغوب إليه ، فيخطئ في المناظرة ، ويحمل الهوى ، ومحبة الغلب ، وطلب الظهور على التصميم على مقاله ، وتصحيح خطئه ، وتقويم معوجه بالجدال والمراء .

وهذه الذريعة الإبليسية ، والدسيسة الشيطانية قد وقع بها من وقع في مهاوٍ من

التعصبات ، ومزالق من التعسفات عزيمة الخطر ، مخوفة العاقبة .  
وقد شاهدنا من هذا الجنس ما يقضي منه العجب ؛ فإن بعض من يسلك هذا المسلك لا يجاوز ذلك إلى الحلف بالإيمان على حقيقة ما قاله ، وصواب ما ذهب إليه ، وكثيراً منهم يعترف بعد أن تذهب عنه سورة الغضب وتزول عنه نزوة الشيطان بأنه فعل ذلك تعمداً مع علمه بأن الذي قاله غير صواب .

وقد وقع مع جماعة من السلف من هذا الجنس ما لا يأتي عليه الحصر وصار ذلك مذاهب تروى ، وأقوال تحكى كما يعرف ذلك من يعرفه . ص ١١٠ - ١١١ .  
٥- ومن الأسباب المقتضية للتعصب : أن يكون بعض سلف المشتغل بالعلم قد قال بقول ، ومال إلى رأي ؛ فيأتي هذا الذي جاء بعده ؛ فيحمله حب القرابة على الذهاب إلى ذلك المذهب والقول بذلك القول ، وإن كان يعلم أنه خطأ ، وأقل الأحوال إذا لم يذهب إليه أن يقول فيه : إنه صحيح ، ويتطلب له الحجج ، ويبحث عما يقويه ، وإن كان بمكان من الضعف ، ومحل من السقوط ، وليس له في ذلك حظ ولا معه فائدة إلا مجرد المباهاة لمن يعرفه ، والتزين لأصحابه بأنه في العلم مُعَرِّقٌ ، وأن بيته قديم فيه .

ولهذا ترى كثيراً منهم يستكثر من : قال جدُّنا ، قال والدُّنا ، اختار كذا ، صنع كذا ، فعل كذا .

وهذا لاشك أن الطباع البشرية تميل إليه ، ولا سيما طبائع العرب ؛ فإن الفخر بالأنساب ، والتحدث بما كان للسلف من الأحساب يجدون فيه من اللذة ما لا يجدونه في تعدد مناقب أنفسهم ، ويزداد هذا بزيادة شرف النفس ، وكرم العنصر ، ونبالة الآباء .

ولكن ليس من المحمود أن يبلغ بصاحبه إلى التعصب في الدين ، وتأثير الباطل على الحق؛ فإن اللذة التي يطلبها ، والشرف الذي يريده قد حصل له بكون<sup>(١)</sup> سلفه ذلك العالم ، ولا يضره أن يترك التعصب له ، ولا يحق عليه شرفه .

بل التعصب -مع كونه مفسداً للحظ الأخرى- يفسد عليه -أيضاً- الحظ الدنيوي؛ فإنه إذا تعصب لسلفه بالباطل فلا بد أن يعرف كل من له فهم أنه متعصب ، وفي ذلك عليه من هدم الرفعة التي يريدها ، والمزية التي يطلبها ما هو أعظم عليه وأشد من الفائدة التي يطلبها ، بكون<sup>(٢)</sup> له قريب عالم؛ فإنه لا ينفعه صلاح غيره مع فساد نفسه .

وإذا لم يعتقد فيه السامع التعصب اعتقد بلادة الفهم ، ونقصان الإدراك ، وضعف التحصيل؛ لأن الميل إلى الأقوال الباطلة ليس من شأن أهل التحقيق الذين لهم كمال إدراك ، وقوة فهم ، وفضل دراية ، وصحة رواية .

بل ذلك دأب من ليست له بصيرة نافذة ، ولا معرفة نافعة .

فقد حصل عليه بما تلذذ به ، وارتاح إليه من ذكر شرف السلف ما حقق عند سامعه بأنه من خلف الخلف . ص ١١١ - ١١٢ .

٦- وبالجمللة فالخاصة إذا بقي فيهم شيء من العصبية كان إرجاعهم إلى الإنصاف متيسر غير متعسر بإيراد الدليل الذي تقوم به الحجة لديهم؛ فإنهم إذا سمعوا الدليل عرفوا الحق ، وإذا جادلوا وكابروا فليس ذلك عن صميم اعتقاد ، ولا عن خلوص نية .

---

١-٢- هكذا في الأصل ، ولعلها: بكونه .

فرياضة الخاصة بإيراد الأدلة عليهم، وإقامة حجج الله، وإيضاح براهينه. وذلك يكفي؛ فإنهم لما قد عرفوه من علوم الاجتهاد، ومارسوه من الدقائق، لا يخفى عليهم الصواب، ولا يلتبس عليهم الراجح بالمرجوح، والصحيح بالسقيم، والقوي بالضعيف، والخالص بالمغشوش. ص ١١٨ - ١١٩

٧- ورياضة العامة بإرشادهم إلى التعلم، ثم بذل النفس لتعليمهم ما هو الحق في اعتقاد ذلك المعلم بعد أن صار داعياً من دعاة الحق، ومرشداً من مرشدي المسلمين، ثم ترغيبهم بما وعد الله به، وإخبارهم بما يستحقه، من فعل كفعلهم من الجزاء والأجر، ثم يجعل لهم من القدوة بأفعاله مثل ما يجعله لهم من القدوة بأقواله أو زياده؛ فإن النفوس إلى الاقتداء بالفعل أسرع منها إلى الاقتداء بالقول. ص ١١٩

٨- والعقبة الكؤود، والطريق المستوعرة، والخطب الجليل، والعبء الثقيل - إرشاد طبقة متوسطة بين طبقة العامة والخاصة، وهم قوم قلدوا الرجال، وتلقنوا علم الرأي ومارسوه، حتى ظنوا أنهم بذلك قد فارقوا طبقة العامة وتميزوا عنهم. وهم لم يتميزوا في الحقيقة عنهم، ولا فارقوهم إلا بكون جهل العامة بسيطاً وجهل هؤلاء جهلاً مركباً، وأشد هؤلاء تغييراً لفطرته، وتكديراً لخلقته أكثرهم ممارسة لعلم الرأي، وأثبتهم تمسكاً بالتقليد، وأعظمهم حرصاً عليه؛ فإن الدواء قد ينجح في أحد هؤلاء في أوائل أمره، وأما بعد طول العكوف على ذلك، والشغف به والتحفظ له، فما أبعد التأثير وما أصعب القبول؛ لأن طبائعهم مازالت تزداد كثافة بازدياد تحصيل ذلك، وتستفيد غلظة وفضاظة باستفادة ذلك، وبمقدار ولوعهم بما هم فيه، وشغفهم به تكون عداوتهم للحق، ولعلم الأدلة، وللقائمين بالحجة.

ولقد شاهدنا من هذه الطبقة ما لو سردنا بعضه لاستعظمه سامعه، واستفظعه؛ فإن غالبهم لا يتصور بعد تمرنه فيما هو فيه إلا منصّباً يشب عليه، أو يتيماً يشاركه في ماله، أو أرملة يخادعها عن ملكها، أو فرصة ينتهزها عند ملك أو قاض، فيبلغ بها إلى شيء من حطام الدنيا، ولا يبقى في طبائع هؤلاء شيء من نور العلم، وهدى أهله وأخلاقهم، بل هم أشبه شيء بالجبابرة، وأهل المباشرة للمظالم، ومع هذا فهم أشد خلق الله تعصباً وتعنتاً وبعداً من الحق، ورجوعهم إلى الحق من أبعد الأمور وأصعبها؛ لأنه لم يبق في أفهامهم فضلة لتعقل ذلك وتدبره، بل قد صار بعضها مستغرقاً بالرأي، وبعضها مستغرقاً بالدنيا.

فإن قلت: فهل بقي مطمع في أهل هذه الطبقة؟ وكيف الوصول إلى إرشادهم إلى الإنصاف وإخراجهم عن التعصب؟

قلت: لا مطمع إلا بتوفيق الله وهدايته؛ فإنه إذا أراد أمراً يسّر أسبابه، وسهّل طرائقه، وأحسن ما يستعمله العالم مع هؤلاء ترغيبهم في العلم، وتعظيم أمره، والإكثار من مدح علوم الاجتهاد، وأن بها يعرف أهل العلم الحق من الباطل، ويميّزون الصواب من الخطأ، وأن مجرد التقليد ليس من العلم الذي ينبغي عد صاحبه من جملة أهل العلم. ص ١١٩ - ١٢٠

٩- ومن آفات التعصب الماحقة لبركة العلم أن يكون طالب العلم قد قال بقول في مسألة كما يصدر ممن يفتي، أو يصنف، أو يناظر غيره، ويشتهر ذلك القول عنه، فإنه قد يصعب عليه الرجوع عنه إلى ما يخالفه، وإن علم أنه الحق، وتبين له فساد ما قاله. ص ١٤١

١٠- ومن الآفات المانعة عن الرجوع إلى الحق أن يكون المتكلم بالحق حدث



السن بالنسبة إلى من يناظره ، أو قليل العلم أو الشهرة في الناس ، والآخر بعكس ذلك؛ فإنه قد تحمله حمية الجاهلية والعصبية الشيطانية على التمسك بالباطل؛ أنفةً منه عن الرجوع إلى قول من هو أصغر منه سناً ، أو أقل منه علماً ، أو أخفى شهرةً؛ ظناً منه أن في ذلك عليه ما يحط منه ، وينقص ما هو فيه .

وهذا الظن فاسد؛ فإن الخط والنقص إنما هو في التصميم على الباطل ، والعلو والشرف في الرجوع إلى الحق بيد من كان وعلى أي وجه حصل .  
ص ١٤٢-١٤٤ .

١١- وبالجملته فالأسباب المانعة من الإنصاف لا تخفى على الفطن ، وفي بعضها دقة تحتاج إلى تيقظ وتدبر ، وتتفق في كثير من الحالات لأهل العلم والفهم والإنصاف ، فالمعيار الذي لا يزيغ أن يكون طالب العلم مع الدليل في جميع موارده ومصادره لا يشبه عنه شيء ، ولا يحول بينه وبينه حائل . ص ١٤٣

١٢- واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب بحق بركة العلم ، وذهاب رونقه ، وزوال ما يترتب عليه من الثواب- كذلك يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء وهتك الحرم ، وتمزيق الأعراض ، واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل ، وقد لا يخلو عصر من العصور ، ولا قطر من الأقطار من وقوع ذلك . ص ١٤٥

١٣- ومن الأسباب المانعة من الإنصاف ما يقع من المنافسة بين المتقاربين في الفضائل ، أو في الرئاسة الدينية ، أو الدنيوية؛ فإنه إذا نفخ الشيطان في أنفهما ، وترقت المنافسة بلغت إلى حد يحمل كل واحد منهما على أن يرد ما جاء به الآخر

إذا تمكن من ذلك وإن كان صحيحاً جاريّاً على منهج الصواب.

وقد رأينا وسمعنا من هذا القبيل عجائب صنع فيها جماعة من أهل العلم صنيع أهل الطاغوت، وردوا ما جاء به بعضهم من الحق، وقابلوه بالجدال الباطل والمرء القاتل. ص ١٧٣

١٤- وينبغي لمن كان صادق الرغبة، قوي الفهم، ثاقب النظر، عزيز النفس، شهم الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة - أن لا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلّغين له إلى أعلى ما يراد، وأرفع ما يستفاد؛ فإن النفوس الأبية، والهمم العلية لا ترضى بدون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه أو مال أو رئاسة أو صناعة أو حرفة حتى قال قائلهم:

إذا غامرت في شرف مـروم      فلا تقنع بما دون النجوم  
قطعم الموت في أمر حقير      قطعم الموت في أمر عظيم

وقال آخر مشيراً إلى هذا المعنى:

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً      فكن عبداً لخالفه مطيعاً  
وإن لم تملك الدنيا جميعاً      كما تهواه فاتركها جميعاً  
هما شيئان من ملك ونسك      ينيلان الفتى شرفاً رفيعاً

وقال آخر:

فإما مكاناً يضرب النجم دونه      سرادقه أو باكياً لحمام

وقد ورد هذا المعنى كثيراً في النظم والنثر، وهو المطلب الذي تنشط إليه الهمم الشريفة، وتقبله النفوس العلية.

وإذا كان هذا شأنهم في الأمور الدنيوية التي هي سريعة الزوال ، قريبة الاضمحلال - فكيف لا يكون ذلك من مطالب المتوجهين إلى ما هو أشرف مطلباً ، وأعلى مكسباً ، وأرفع مراداً ، وأجل خطراً ، وأعظم قدراً ، وأعود نفعاً ، وأتم فائدة .

وهي المطالب الدينية مع كون العلم أعلاها وأولاها بكل فضيلة ، وأجلها وأكملها في حصول المقصود ، وهو الخير الأخروي ؛ فإن الله سبحانه قد قرن العلماء في كتابه بنفسه وملائكته فقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ آل عمران : ١٨ .

وقصر الخشية له التي هي سبب الفوز لديه عليهم ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر : ٢٨ .

وأخبر عباده بأنه يرفع علماء أمته درجات ، فقال : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ المجادلة : ١١ .

وأخبرنا رسول الله ﷺ « بأن العلماء ورثة الأنبياء » .

وناهيك بهذه المزية الجليلة ، والمنقبة النبيلة ؛ فأكرم بنفس تطلب غاية المطالب في أشرف المكاسب ، وأحبب برجل أراد من الفضائل ما لا تدانيه فضيلة ، ولا تساميه منقبة ، ولا تقاربه مكرمة ؛ فليس بعد ما يتصوره أهل الطبقة الأولى متصور ؛ فإن نالوه على الوجه الذي تصوره ، فقد ظفروا من خير العاجلة والآجلة وشرف الدنيا والآخرة بما لا يظفر به إلا من صنع صنيعهم ونال نيلهم ، وبلغ مبالغهم .

وإن اخترمهم دونه محترم ، وحال بينهم وبينه حائل فقد أعذروا ، وليس على من طلب جسيماً ، ورام أمراً عظيماً أن منعه عنه الموانع ، وصرفته عنه الصوارف

من بأس ، وما أحسن ما قاله الشريف الرضي الموسوي :

لأبد أن أركبها صعبةً      وقاحة تحت علام وقاح  
أجهدُها أو تنثني بالردى      دون الذي أملت أو بالنجاح  
إما فتى نال المنى فاشتفى      أو بطل ذاق الردى فاستراح

وكننت في أيام الطلب وعصر الشباب قد نظمت قصيدة في هذا المعنى على هذا النمط ، أذكر منها الآن أبياتاً هي :

قد أتعب السير رحالي وقد      أن لها بعد الوحي أن تراح  
فما يهاب العتبَ مَنْ فاز مِنْ      غاية أمنيته بالنجاح  
سعى فلما ظفرت بالمنى      يمينه ألقى العصا واستراح

ص ١٨٠ - ١٨٢

١٥- وعلى العاقل أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له ، ولا يعدوه ما قدره له ، وأنه قد فرغ من أمر رزقه الذي فرضه الله له ؛ فلا القعود يصده ، ولا السعي وإتعب النفس يوجب الوصول إلى ما لم يأذن به الله . وهذا معلوم من الشرع قد توافقت عليه صرائح الكتاب والسنة ، وتطابقت عليه الشرائع .

وإذا كان الأمر هكذا فما أحق هذا النوع العاقل من الحيوان الذي دارت رحى التكليف عليه ، ونيطت أسباب الخير والشر به - أن يشتغل بطلب ما أمره الله بطلبه ، وتحصيل ما خلقه الله لتحصيله ، وهو الامتثال لما أمره به من طاعته ، والانتهاز عما نهاه عنه من معاصيه .

ومن أعظم ما يريد الله منه ويقربه إليه ويفوز به عنده : أن يشغل نفسه ، ويستغرق أوقاته في طلب معرفة هذه الشريعة التي شرعها الله لعباده ، وينفق ساعاته في تحصيل هذا الأمر الذي جاءت به رسل الله إلى عباده ونزلت به ملائكته. ص ١٨٤ - ١٨٥

١٦- وإن لحسن النية وإخلاص العمل تأثيراً عظيماً في هذا المعنى؛ فمن تعكست عليه بعض أموره من طلبة العلم، أو أكدت عليه مطالبه، وتضايقت مقاصده - فليعلم أنه بذنبه أصيب، وبعدم إخلاصه عوقب، أو أنه أصيب بشيء من ذلك محنة له وابتلاء واختباراً؛ لينظر كيف صبره واحتماله، ثم يفيض عليه بعد ذلك من خزائن الخير ومخازن العطايا في ما لم يكن بحسبان، ولا يبلغ إليه تصور؛ فليعض على العلم بناجذه، ويشد عليه يده، ويشرح به صدره؛ فإنه لا محالة واصل إلى المنزل الذي ذكرنا، نائل للمرتبة التي بينا. ص ١٨٦

١٧- وما أحسن ما حكاه بعض أهل العلم عن الحكيم أفلاطون فإنه قال : الفضائل مرة الأوائل حلوة العواقب، والردائل حلوة الأوائل مرة العواقب. وقد صدق؛ فإن من شغل أوائل عمره، وعنفوان شبابه بطلب الفضائل لا بد له أن يفطم نفسه عن بعض شهواتها، ويحبسها عن الأمور التي يشتغل بها أترابه ومعارفه من الملاهي ومجالس الراحة، وشهوات الشباب، فإذا انتهى إليه ما هم فيه من تلك اللذات والخلاعات وجد في نفسه بحكم الشباب، وحدثة السن، وميل الطبع إلى ما هناك مرارة، واحتاج إلى مجاهدة يرد جامع طبعه، ومتفلت هواه ومتوثب نشاطه، لا يتم له إلا بإجام شهوته بلجام الصبر، ورباطها بمربط العفة.

وكيف لا يجد مرارة الحبس للنفس من كان في زاوية من زوايا المساجد ومقصورة من مقاصر المدارس، لا ينظر إلا في دفتر ولا يتكلم إلا في فن من الفنون، ولا يتحدث إلا إلى عالم أو متعلم، وأترابه ومعارفه من قرابته وجيرانه وذوي سنه وأهل نشأته وبلده يتقلبون في رفاهة العيش ورائق القصف؟!؟

وإذا انضم لذلك الطالب إلى هذه المرارة الحاصلة له بعزف النفس عن شهواتها مرارة أخرى هي إغواز الحال، وضيق المكسب وحقارة الدخل - فإنه لا بد أن يجد من المرارة المتضاعفة ما يعظم عنده موقعه، لكنه يذهب عنه ذلك قليلاً قليلاً؛ فأول عقدة تنحل عنه من عقد هذه المرارة عند أن يتصور ما يؤول به الأمر، وينتهي إليه حاله من الوصول إلى ما قد وصل إليه من يجده في عصره من العلماء، ثم تنحل عنه العقدة الثانية بفهم المباحث، وحفظ المسائل، وإدراك الدقائق؛ فإنه عند ذلك يجد من اللذة والحلاوة ما يذهب بكل مرارة، ثم إذا نال من المعارف حظاً، وأحرز منها نصيباً، ودخل في عداد أهل العلم كان متقلباً في اللذات النفسانية التي هي اللذات الحقيقية، ولا يعدم عند ذلك من اللذات الجسمانية ما هو أفضل وأحلى من اللذات التي يتقلب فيها كل من كان من أترابه.

وهو إذا وازن بين نفسه الشريفة وبين فرد من معارفه الذين لم يشتغلوا بما اشتغل به اغتبط بنفسه غاية الاغتباط، ووجد من السرور والحبور ما لا يقادر قدره. ص ١٨٦ - ١٨٧

١٨ - وكنت في أوائل أيام طلبي للعلم في سن البلوغ أو بعدها بقليل تصورت ما ذكرته هنا فقلت :

سددت الأذن عن داعي التصابي      فلا داعٍ لـدي ولا مجيبُ  
 وأنفقت الشببية غير وإن      لمجد الشيب فليهن المشيب  
 وقلت - أيضاً - رامزاً إلى هذا المعنى :  
 وأبدي رغبة لنجود نجدٍ      وشوقاً لانتشاقٍ منه ريحاً  
 وما بسوى العقيق أقام قلبي      وأضحى بين أهليه طريحاً

ص ١٨٨

١٩- وأما كون الرذائل حلوة الأوائل مرة العواقب فصِدْقُ هذا غير خافٍ على  
 ذي لب؛ فإن من أرسل عنان شبابه في البطالات ، وحل رابط نفسه فأجراها في  
 ميادين اللذات - أدرك من اللذة الجسمانية من ذلك بحسب ما يتفق له منها ولا  
 سيما إذا كان ذا مال وجمال ، ولكنها تنقضي عنه اللذة ، وتفارقه هذه الحلاوة إذا  
 تكامل عقله ، ورجح فهمه ، وقوي فكره؛ فإنه لا يدري عند ذلك ما يدهمه من  
 المرات التي منها الندامة على ما اقترفه من معاصي الله ، ثم الحسرة على ما فوّته  
 من العمر في غير طائل ، ثم الكربة على ما أنفقه من المال في غير حلّه ، ولم يفز  
 من الجميع بشيء ، ولا ظفر من الكل بطائل.

وتزداد حسرته ، وتتعاظم كربته إذا قاس نفسه بنفس من اشتغل بطلب المعالي  
 من أترابه في مقتبل شبابه؛ فإنه لا يزال عند موازنة ذاته بذاته ، وصفاته بصفاته في  
 حسرات متجددة ، وزفرات متصاعدة ، ولا سيما إذا كان بيته في العلم طويل  
 الدعائم ، وسلفه من المتأهلين لتلك المعالي والمكارم؛ فإنه حينئذٍ تذهب عنه  
 سكرة البطالة ، وتنقشع عنه عماية الجهالة بكروب طويلة ، وهموم ثقيلة ، وقد

فاته ما فات وقد حيل بين العير والنزوان ، وحال الجريض دون القريض ، وفي الصيف ضيعت اللبن؛ فانظر - أعزك الله - أي الرجلين أربح صفقة ، وأكثر فائدة ، وأعظم عائدة؛ فقد بين الصبح لذي عينين ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .  
ص ١٨٨ - ١٨٩ .

٢٠- لا ينبغي لعالم أن يدين بغير مادان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة ، وإبراز<sup>(١)</sup> الصفات كما جاءت ، ورد علم المتشابه إلى الله سبحانه ، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في هذا العلم ، المبنية على شفا جرف هار من أدلة العقل التي لا تعقل ، ولا تثبت إلا بمجرد الدعاوي والافتراء على العقل بما يطابق الهوى ، ولا سيما إذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة في الكتاب والسنة؛ فإنها حينئذٍ حديث خرافة ولعبة لاعب ، فلا سبيل للعباد يتوصلون به إلى معرفة ما يتعلق بالرب - سبحانه - وبالوعد والوعيد ، والجنة والنار ، والمبدأ والمعاد إلا ما جاءت به الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - عن الله - سبحانه - .

وليس للعقول وصول إلى تلك الأمور ، ومن زعم ذلك فقد كلف العقول ما أراحها الله منه ولم يتعبدها به ، بل غاية ما تدركه ، وجل ما تصل إليه هو ثبوت الخالق الباري ، وأن هذه المصنوعات لها صانع ، وهذه الموجودات لها موجد ، وما عدا ذلك من التفاصيل التي جاءتنا في كتب الله - عز وجل - وعلى ألسن رسله فلا يستفاد من العقل ، بل من ذلك النقل الذي منه جاءت ، وإلينا به وصلت . ص ١٩٨

١- لعلها : إمرار .



٢١- واعلم أنني عند الاشتغال بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب والنحل لم أزد بها إلا حيرة ولا استفدت منها إلا العلم بأن تلك المقالات خزعات فقلت إذ ذاك مشيراً إلى ما استفدته من هذا العلم.

وغاية ما حصّلت من مباحثي      ومن نظري من بعد طول التدبر  
هو الوقف ما بين الطريقتين حيرة      فما علم من لم يلق غير التحير  
على أنني قد خضت منه غماره      وما قنعت نفسي بدون التبهر

وعند هذا رميت بتلك القواعد من حائق، وطرحتها خلف الحائط، ورجعت إلى الطريقة المربوطة بأدلة الكتاب والسنة المعمودة بالأعمدة التي هي أوثق ما يعتمد عليه عباد الله، وهم الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء الأمة المقتدين بهم، السالكين مسالكهم، فطاحت الحيرة، وانجابت ظلمة العماية، وانقشعت سحابة الجهالة، وانكشفت ستور الغواية، ولله الحمد، على أنني -ولله الشكر- لم اشتغل بهذا الفن إلا بعد رسوخ القدم في أدلة الكتاب والسنة، فكنت إذا عرضت مسألة من مسائله، مبنية على غير أساس رجعت إلى ما يدفعها من علم الشرع، ويدمغ زائفها من أنوار الكتاب والسنة، ولكنني كنت أقدر في نفسي أنه لو لم يكن لدي إلا تلك القواعد والمقالات فلا أجد حينئذ إلا حيرة، ولا أمشي إلا في ظلمة، ثم إذا ضربت بها وجه قائلها، ودخلت إلى تلك المسائل من الباب الذي أمر الله بالدخول منه كنت حينئذ في راحة من تلك الحيرة، وفي دعة من تلك الخزعات، والحمد لله رب العالمين عدد ما حمده الحامدون بكل لسان في

٢٢- وبالجملة فالمجتهد على التحقيق: هو من يأخذ الأدلة الشرعية من مواطنها على الوجه الذي قدمناه، ويفرض نفسه موجوداً في زمن النبوة، وعند نزول الوحي وإن كان في آخر الزمان وكأنه لم يسبقه عالم، ولا تقدمه مجتهد. فإن الخطابات الشرعية تتناوله كما تناولت الصحابة من غير فرق. وحينئذ يهون الخطب، وتذهب الروعة التي نزلت بقلبه من الجمهور، وتزول الهيبة التي تداخل قلوب المقصرين. ص ٢٠٦

٢٣- ومما يزيد من أراد هذه الطبقات علواً ويفيده قوة إدراك، وصحة فهم، وسيلان ذهن - الاطلاع على أشعار فحول الشعراء ومُجَيِّدِيهِمْ، والمشهورين منهم باستخراج لطائف المعاني، ومطربات النكات مع ما يحصل له بذلك من الاقتدار على النظم، والتصرف في فنونه؛ فقد يحتاج العالم إلى النظم لجواب ما يرد عليه من الأسئلة المنظومة، أو المطارحات الواردة إليه من أهل العلم، وربما ينظم في فن من الفنون لغرض من الأغراض الصحيحة؛ فإن من كان بهذه المنزلة الرفيعة من العلم إذا كان لا يقتدر على النظم كان ذلك خدشة في وجه محاسنه، ونقصاً في كماله.

وهكذا الاستكثار من النظر في بلاغات أهل الإنشاء المشهورين بالإجادة والإحسان المتصرفين في رسالاتهم ومكاتباتهم بأفصح لسان وأبين بيان؛ فإنه ينتفع بذلك إذا احتاج إلى الإنشاء، أو جابو صديقاً، أو كاتب حبيباً؛ لأنه ينبغي أن يكون كلامه على قدر علمه، وهو إذا لم يمارس جيد النظم والنثر كان كلامه ساقطاً عن درجة الاعتبار عند أهل البلاغة، والعلم شجرة ثمرتها الألفاظ،

وما أقبح بالعالم المتبحر في كل فن أن يتلاعب به في النظم والنثر من لا يجاريه في علم من علومه ، ويتضحك منه من له أدنى إلمام بمستحسن الكلام ورائق النظام ، ويستعين على بلوغ ما يليق به ويطابق رتبته بمثل علم العروض والقوافي ، وأنفع ما في ذلك منظومة الجراز وشروحها ، وبمثل المؤلفات المدونة لذلك ، وأنفع ما ينتفع به (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير.

ثم لا بأس على من رسخ قدمه في العلوم الشرعية أن يأخذ بطرف من فنون هي من أعظم ما يصقل الأفكار ، ويصفي القرائح ، ويزيد القلب سروراً ، والنفس انشراحاً ، كالعلم الرياضي والطبيعي والهندسة والهيئة والطب. ص ٢٠٦-٢٠٧

٢٤- وبالجملّة فالعلم لكل فن خير من الجهل به بكثير، ولا سيما من رشح نفسه للطبقة العلية ، والمنزلة الرفيعة. ص ٢٠٧

٢٥- وإني لأعجب من رجل يدعي الإنصاف والمحبة للعلم ، ويجري على لسانه الطعن في علم من العلوم لا يدري به ، ولا يعرفه ، ولا يعرف موضوعه ، ولا غايته ، ولا فائدته ، ولا يتصوره بوجه من الوجوه. ص ٢٠٨

٢٦- وأما من كان أهلاً للعلم وفي مكان من الشرف فإنه يزداد بالعلم شرفاً إلى شرفه ، ويكتسب به من حسن السمّة وجميل التواضع ورائق الوقار وبديع الأخلاق ما يزيد علمه علواً وعرفانه تعظيماً ، فيتخلق بأخلاق الأنبياء ومن يمشي على طريقهم ، من عاملي العلماء وصالحى الأمة ، ويعرف للعلم حقه ، ويعظمه بما ينبغي من تعظيمه ، فلا يكدره بالمطامع ، ولا يشوبه بالخضوع لأهل الدنيا ، ولا يُجهّمه بالتوصل به إلى ما في يد الأغنياء فيكون عنده مخدوماً لا خادماً ، ومقصوداً لا قاصداً. ص ٢١٦

٢٧- وبين هاتين الطائفتين طائفة ثالثة، ليست من هؤلاء ولا من هؤلاء، جعلوا العلم مكسباً من مكاسب الدنيا، ومعيشة من معاش أهله لا غرض لهم فيه إلا إدراك منصب من مناصب أسلافهم، ونيل رئاسة من الرئاسة التي كانت لهم، كما نشاهده في غالب البيوت المعمورة بالقضاء أو الإفتاء أو الخطابة أو الكتابة، أو ما هو شبيه بهذه الأمور؛ فإن من كان طالباً للوصول إلى شيء من هذه الأمور، ذهب إلى مدارس العلم يتعلم ما يتأهل به لما يطلبه، وهو لا يتصور البلوغ إلى الثمرة المستفادة من العلم، والغاية الحاصلة لطالبه فيكون ذهنه كليلاً، وفهمه عليلاً، ونفسه خائرة، ونيته خاسرة، بل غاية تصوره ومعظم فكرته في اقتناص المنصب والوصول إليه، فيخدم في مدة طلبه واشتغاله أهل المناصب ومن يرجو منهم الإعانة على بلوغ مراده أكثر مما يخدم العلم، ويتردد إلى أبوابهم ويتعثر في مجالسهم، ويذوق به من الإهانة ما فيه أعظم مرارة ويتجرع من الغصص ما يصغر قدر الدنيا بالنسبة إليه.

فإذا نال ذلك المنصب ضرب بالدفاتر وجه الحائط، وألقاها خلف السور لعدم الباعث عليها من جهة نفسه والمنشط على العلم والمرغب فيه. ص ٢١٦ - ٢١٧

٢٨- ومن هذه الحيشة تنازل منصب العلم، وتهاون الناس به؛ لأنهم يرون رجلاً قد لبس لباس أهل العلم، وتزيّاً بزيهم، وحضر مجالسهم، ثم ذهب إلى مجالس أهل الدنيا ومن لهم قدرة على إيصال أهل الأعمال الدنيوية إليها من وزير أو أمير، فتصاغر لهم، وتذلل، وتهاون، وتحقر، حتى يصير في عداد خدمهم ومن هو في أبوابهم. ص ٢١٨

٢٩- ولا أقول : إن أهل العلم العارفين به المطلعين على أسرارهم يمنعون أنفسهم من المناصب الدينية ، وكيف أقول بهذا وهذه المناصب إذا لم تربط بهم ضاغت ، وإذا لم يدخل فيها الأخيار تتابع فيها الأشرار ، وإذا لم يقيم بها أهل العلم قام بها أهل الجهل ، وإذا أدبر عنها أهل الورع أقبل إليها أهل الجور؟! وكيف أقول هذا وأهل العلم هم المأمورون بالحكم بين الناس بالحق والعدل والقسط ، وما أنزل الله وما أراهم الله ، والقيام بين الناس بحججه ، والتبليغ لأحكامه ، وتذكيرهم بما أمر الله بالتذكير به وإرشادهم إلى ما أرشدهم الله إليه ، ولأهل القضاء والإفتاء ونحوهما من هذه الأمور أوفر نصيب وأكبر حظ؟!

ولكني أقول : إنه ينبغي لطالب العلم أن يطلبه كما ينبغي ، ويتعلمه على الوجه الذي يريده الله منه ، معتقداً أنه أعلى أمور الدين والدنيا ، راجياً أن ينفع به عباد الله بعد الوصول إلى الفائدة منه .

ومن جملة النفع إذا احتاج إليه الملوك وأهل الدنيا أن يلي منصباً من المناصب ، فطلبوا منه ذلك ، وعولوا عليه في الإجابة معترفين بحق العلم منقادين إلى ما يوجبه الشرع معظمين لما أوجب الله تعظيمه ، وكان قد بلغ إلى منزلة في العلم تصلح ذلك المنصب ، وشهد له أهل العلم بكمال التأهل ، وإحراز عدته - فهذا إذا كان الحال هكذا لا يحل له أن يمتنع من الإجابة ، أو يأبى من قبول ذلك؛ فإنه إذا فعل ذلك كان تاركاً لما أوجبه الله عليه من القيام بحجته ، ونشر أحكامه ، وإرشاد عباده إلى معالمة ، ونهيهم عن تجاوز حدوده .

ولا شك أن ذلك من أوجب الواجبات على أهل العلم وأهم المهمات .

ولو جاز ذلك لمن طلب منهم وعُوِّل عليه لجاز لغيره من أهل العلم أن يصنع كصنعه، ويسلك مسلكه؛ فتتعطل معاهد الشرع، وتذهب رسومه «ويتخذ الناس رؤساء جهالاً يقضون بغير علم فيضلون ويضلون» وذلك من علامات القيامة، وأشراط الساعة- كما ورد به الخبر الصحيح.. ص ٢١٩ - ٢٢٠

٣٠- وبالجملية : فمن كان قاصداً إلى علم من العلوم كان عليه أن يتوصل إليه بالمؤلفات المشهورة بنفع من اشتغل بها، المحررة أحسن تحرير، المهذبة أبلغ تهذيب. ص ٢٢٧

٣١- فالعالم المرتاض بما جاءنا عن الشارع، الذي بعثه الله -تعالى- متمماً لمكارم الأخلاق - إذا أخذ نفسه في تعليم العباد وإرشادهم إلى الحق، وجذبهم عن الباطل، ودفعهم عن البدع، والأخذ بحجزهم عن كل مزلة من المزالق ومدحضة من المداحض، بالأخلاق النبوية، والشمائل المصطفوية الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فيسرّ ولم يعسر، وبشر ولم ينفر، وأرشد إلى اتئلاف القلوب واجتماعها، ونهى عن التفرق والاختلاف، وجعل غاية همه وأقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد ودفع المفاسد عنهم - كان من أنفع دعاة المسلمين، وأنجع الحاملين لحجج رب العالمين، وانجذبت له القلوب، ومالت إليه الأنفس، وتذلل له الصعب، وتسهل عليه الوعر، وانقلب له المتعصب منصفاً، والمبتدع متسنناً، ورغب في الخير من لم يكن يرغب فيه، ومال إلى الكتاب والسنة من كان يميل عنهما، وتردى بأثواب الرواية من كان متجلبياً بالرأي، ومشى في رياض الاجتهاد واقتطف من طيب ثمراته، واستشق من عابق رياحينه من كان معتقلاً في سجن التقليد، مكبلاً بالقييل والقال، مكتوفاً بآراء الرجال. ص ٢٣١ - ٢٣٢

٣٢- ومن جملة ما ينبغي له تصوره، ويعينه استحضاره أن يعلم أن هذه

الشريعة المباركة هي ما اشتمل عليه الكتاب والسنة من الأوامر والنواهي، والترغيبات والتنفيرات، وسائر ما له مدخل في التكليف، من غير قصد إلى التعمية والألغاز، ولا إرادة لغير ما يفيد الظاهر، ويدل عليه التركيب ويفهمه أهل اللسان العربي؛ فمن زعم أن حرفاً من حروف الكتاب والسنة لا يراد به المعنى الحقيقي والمدلول الواضح فقد زعم على الله ورسوله زعماً يخالف اللفظ الذي جاءنا عنهما، فإن كان ذلك لمسوغ شرعي تتوقف عليه الصحة الشرعية أو العقلية التي يتفق العقلاء عليها، لا مجرد ما يدعيه أهل المذاهب والنحل على العقل، مطابقاً لما قد حبيه إليهم التعصب، وأدناه من عقولهم البعد عن الإنصاف - فلا بأس بذلك، وإلا فدعوى التجوز مردودة مضروب بها في وجه صاحبها. ص ٢٣٥-٢٣٦

٣٣- ومن جملة ما يستعين به على الحق، ويأمن معه من الدخول في الباطل وهو لا يشعر أن يقرر عند نفسه أن هذه الشريعة لما كانت من عند عالم الغيب والشهادة، الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويعلم ما تكن الصدور وتخفيه الضمائر، ويحول بين المرء وقلبه - كانت المخادعة بالحيل الباطلة، والتخلص مما طلبه بالوسائل الفاسدة، من أعظم المعاصي له، وأقبح التجاري<sup>(١)</sup> عليه. وجميع هذه الحيل التي دوّنها أهل الرأي هي ضد لما شرعه، وعناد له، ومراوغة لأحكامه، ومجادلة باطلة لما جاء في كتابه وسنة رسوله. ومن تفكر في الأمر كما ينبغي، وتدبره كما يجب اقشعر له جلده، ووقف

١- لعلها: التجري.

عنده شعره؛ فإن هذا الذي وضع للعباد هذه الحيل كأنه يقول لهم هذا الحكم الذي أوجبه الله عليكم أو حرمة قد وجدت لكم عنه مخلصاً، ومنه متحولاً بذهني الدقيق وفكري العميق، هو كذا وكذا.

فهذا المخذول قد بلغ من التجري على الله -تعالى- مبلغاً يتقاصر عنه الوصف؛ لأنه ذهب يعانده ويضاد ما تعبدنا به بمجرد رأيه الفاييل، وتخيله الباطل مقراً على نفسه بقبيح صنعه، وأنه جاء بما يريح العباد من الحكم الشرعي، فإن كان مع هذا معتقداً أن ذلك التحيل الذي جاء به يحلل الحرام ويحرم الحلال - فهو - مع كذبه على الله وافترائه على شريعته - قد ضم ذلك إلى ما يستلزم أنه يدعي لنفسه أن يشرع للعباد من عند نفسه غير ما شرعه لهم، وذلك ما يكون إلا لله - سبحانه - فإن كان هذا المخذول يدعي لنفسه الألوهية مع الله - سبحانه - فحسبك من شر سماعه.

وإن كان لا يدعي لنفسه ذلك فيقال له : ما بالك تصنع هذا الصنع؟ وأي أمر ألك إليه؟ وأوقعك فيه؟

**فإن قال :** رأيت الله - عز وجل - قد صنع مثل هذا في قصة أيوب، وصنعه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في المريض الذي زنى.

فيقال له : ما أنت وهذا؟ لا كثر الله في أهل العلم من أمثالك، ومن أنت حتى تجعل لنفسك ما جعله الله لنفسه؟ فلو كان هذا الأمر الفظيع سائغاً لأحد من عباد الله لكان لهم أن يشرعوا كما شرع، وينسخوا من أحكام الدين ما شاءوا كما نسخ. ثم أي جامع بين هذه أو بين ما شرعه الله من ذلك؟ فإنه مجرد خروج من مأثم، وتحلل من يمين قد شرع الله - تعالى - فيها إتيان الذي هو خير كما تواترت



بذلك الأحاديث الصحيحة ، حتى ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ حلف على ذلك فقال : « والله لا أحلف على شيء فأرى غيره خيراً منه إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني » .

فأين هذا مما يصنعه أسراء التقليد من الكذب على الله - تعالى - وعلى شريعته وعلى عباده . ص ٢٣٧-٢٣٨

٣٤- ومن جملة هذه الوصايا الطاغوتية والنذور الشيطانية ، ما يفعله كثير من الناس من النذور والوصايا على قبور الأموات؛ فإنه لا مقصد لهم بذلك إلا استجلاب الخير ، واستدفاع الشر من صاحب القبر ، وهو قد صار بين أطباق الثرى ، يعجز عن نفع نفسه فضلاً عن نفع غيره؛ فلا يصح شيء من ذلك ، بل يتوجب على أهل الولايات صرفه في مصالح المسلمين ، ويعرفون الناس بقبح ما يصنعونه من ذلك ، وأنه من الأمور التي لا يحل اعتقادها ، وأن الضر والنفع واستجلاب الخير واستدفاع الشر بيد الله - عز وجل - ليس لغيره فيه حكم ، ولا له عليه اقتدار .

فإن رجعوا عن ذلك وتابوا وإلا انتقل صاحب الولاية معهم إلى ما هو أشد من ذلك ، ولا يدعهم حتى يتوبوا .

وهكذا ما يقع من الأوقاف على القبور؛ فإنها من الحبس الشيطانية ، والدلس الطاغوتية .

ولا يحل تقرير شيء منها ولا السكوت عنه ، بل صرفها في مصالح المسلمين من أهم الأمور وأوجبها؛ فإن في عدم إنكارها وإبطالها مفسدة عظيمة تنشأ عنها الاعتقادات الباطلة ، المفضية بصاحبها إلى نوع من أنواع الشرك وهو لا يشعر . ص ٢٤٥-٢٤٦



## تاسعاً: المنتقى من كتاب

## مناهج الشرف للشيخ محمد الخضر حسين ١٢٩٣-١٣٧٧ هـ

## تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب للشيخ العلامة محمد الخضر حسين. وقد مرت ترجمته في المجموعة الأولى من هذا المنتقى. وقد سمي المؤلف رحمته الله كتابه هذا: (مناهج الشرف). وهذا الكتاب طريف في مسماه وفي مضمونه. ومؤلفه ممن عرف بالعلم، والأدب، والتبحر في علوم الشريعة واللغة، والتواريخ، والاجتماع، وغيرها. كما أن له أسلوباً مميزاً أخذاً يتجلى في شتى مؤلفاته، ومنها هذا الكتاب الذي بين أيدينا الذي طبع للمرة الأولى في مطبعة الترقى بدمشق في جمادى الثانية ١٣٣١، ثم أعيدت طباعته مراراً. والطبعة التي بين أيدينا من مطبوعات الدار الحسينية للكتاب ط ٤، ١٤١٣ هـ. وقد اعتنى بها ابن أخي المؤلف الأستاذ علي الرضا الحسيني. أما موضوعات هذا الكتاب فتدور حول: معنى الشرف، ومناهجه، والتفاضل فيه، وشرف الإنسان، والقوة العاقلة، وفضيلة العلم، وأدب النفس، وفضيلة الإرادة، ومزية الاستطاعة، وفضيلة العمل، ودلائل الشرف، ومظاهر التشريف. وقد استنار في هذه الرسالة بهدي الشرع، وما ورد عن السلف الصالح رضوان

الله عليهم ، وما جاء في أقوال الحكماء .

والحقيقة أن هذا الكتاب ممتع في بابه ، رائع في أسلوبه ، يحار فيه من يريد انتقاء جمل منه ، فيكاد يأخذه برمته .

الكتاب يقع في ٨٢ صفحة من القطع الصغير .

**النقولات المنتقاة : قال ﷺ :**

١- أما بعد : فإن معنى الشرف ومناهجه من أجمل الوجوه التي ينظر فيها الباحث عن حقائق الأشياء وأسرارها ، وأعز ما يباكر إلى اجتناء معرفته قبل أن يدرج في حياته الاجتماعية ويسابق في مضمارها ، وليست هذه المعرفة دانية القطوف ، فيتناولها كل باع ، من غير أن يفتقر في رسوخها إلى تحرير في العبارة واتساع ، فإنك ترى كثيراً من الناس لم يستنبطوا المعنى الذي يضمه الشرف تحت اسمه ، ولم يميزوا بينه وبين ما لا يضارعه في اسمه ، ولا يدخل معه في رسمه . ص ٧

٢- تتشعب مداركهم في ذلك بحسب اختلاف أذواقهم وما يلائم طبائعهم ، فرمما ظنوا الرذيلة فضيلة ؛ فأعنفوا إليها ، أو حسبوا الفضيلة في قبيل ما يترفع عنه من الدنيا ؛ فاعتزلوا ساحتها ، وشددوا النكير على من احتفظ بها .

ونشأ عن هذا تطرفهم في مقام الحكم بالتفاضل بين الرجلين ، إلى أن يذكر بعضهم في نعوت الشرف ما يعده غيره خسةً أو لاغية . ص ٧ - ٨

٣- هذا ما بعثني على أن أبحث في هذا الغرض ، مستمداً في تحقيقه من دلائل الشريعة المقدسة ، وسيرة علمائها الراشدين ؛ فإن الإسلام لم يلق بهذا المعنى في يد العادات والأذواق ، فتلّس ثوب الشرف من تشاء ، وتنزعه عمن تشاء ، بل

أقام له قواعد، ورسم له معالم، من تخطى حدودها، وبنى على غير أساسها، كان في نظره سافلاً وضيعاً. ص ٨

٤- وإذا تفحصنا أثر ما يعد من أوضاع الشرف في عادات الأمم، واعتبرناه بنظر الإسلام، وجدناه على أربعة وجوه:

**أحدها:** ما وافق الشرع على اعتباره شرفاً في نفسه، فأثنى على صاحبه، ووعد بالمشوبة عليه، كسماحة اليد، وصدق اللهجة، والصبر للشدائد.

**ثانيها:** ما منحه التفاتة، وربط به بعض الأحكام، ولكنه يصرح بأنه غير معتد به لنفسه، وإنما هو وسيلة إلى غاية شرف، كسعة المال، أو أمانة تلوح إلى ما وراءها من فضل، كرفعة النسب.

**ثالثها:** ما تغاضى عنه، ولم ينزل به إلى عدّه نقيصة، كزيادة علم لا تنبني عليه فائدة علمية.

**رابعها:** ما أرشد إلى أنه يחדش في وجه الشرف، ويسقط بمن يرتكبه في جرف من المنكر، كبسط يد القوة إلى ما ليس بحق، ونصرة ذي القربى وإن كان مبطلاً.

قال عمرو بن الأهتم للأحنف في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذ كنا نحن وأنتم في دار جاهلية، وكان الفضل فيها لمن جهل، فسفكنا دماءكم، وسبينا نساءكم، واليوم في دار الإسلام والفضل فيها لمن حلم. ص ٨ - ٩

٥- وأما ما لا يرويه شرفاً، ولا يسوقونه في مقام المفاخرة، فعلى ضربين:

**أحدها:** ما كانوا يتخيلونه نقيصة تحط من مكان الرجل، فكشف الشارع عن فساد تصورهم، وأيقظهم إلى أنه يلتئم بنظام الشرف، كالاحتفاظ بالبنات،

والجلوس مع المساكين.

**ثانيهما:** ما حسبوه غير مناف للفضيلة، وقاسوه بالأعمال التي يسعها أن تقارن كرم الهمة، فنادى عليهم بالخطأ في قياسهم، وأشعرهم بأنه مما ينقض بناء الفضل، ويبلي أطلاله، كتعاطي الربا. ص ٩

٦- يطلق اسم الشرف، ويراد منه معنى الفضل، قال في لسان العرب: كل ما فضّل على شيء فقد شرف.

والفضل زيادة الشيء فيما هو كمال فيه، والشيء إنما يكمل بالوصف الذي يمتاز به، ويراد منه، كالصرامة في السيف، والعدو في الفرس، والإضاءة في الكوكب، والحكمة في الإنسان، واستيفاء مطالب الحياة وشرائط السعادة في الأمة، وإجراء النظمات العادلة في الدولة. ص ١١

٧- وأما الأمور المتميزة بما هو كمال لها فإنها موضع الالتباس، فتستدعي إجابة نظر متسع، ولا يسهل وضعها في وزن مستقيم.

ومما يلقي الشبهة في تحقيق التفاضل بينها، أن الوصف الواحد قد يُعتبر في بعض الموجودات كمالاً، ويعد في غيره نقيصة، ومن هنا ترى بعض المحكمين في التفضيل بين أمرين، يتخذون افتراقهما في النوع عذراً يتخلصون به من القطع في المفاضلة بينهما. ص ١٢

٨- يتفاضل البشر بحسب استعداداتهم الفطرية، وما يتهيأ لهم من وسائل الارتقاء؛ إلى رجل تصعد به محامده، حتى يسابق الملائكة في سماواتها العلى، وآخر يهوي إلى درك لو زحزح عنه إلى ما دونه التحق عند أولي البصيرة بمنازل الأنعام،

وبين هذين المرتبتين مقامات أوسع من أن يحيط بكثرتها التفصيل. ص ١٢ - ١٣

٩- وإذا كان التفاضل في الخليقة وارداً على مقتضى الحكمة، فلا يجمل بالرجل يأنس في نفسه المقدرة على إدراك منزلة، ولكنها دون الغاية البعيدة - أن يحبس عنانه، ويبقى عاكفاً في زوايا العجزة، بدعوى أنه لا يقنع إلا بالأمد الأسمى من السيادة.

ولو أخذ هذا بقبس من مراقبة أسرار الكون لأمضى عزمه، واندفع في سيره، ليلبغ إلى الغاية المستطاعة. ص ١٣ - ١٤

١٠- وما كان ينبغي للرجل، حين تقوم له في سبيل مجده عقبات تقطع عنه وجهته- أن يركن إلى خاطر اليأس، فينقض حبل رجائه، وينقلب إلى طبقات الأسافل، وليس له سوى أن يقف في مصارعها حتى يكسر كعوبها، ويفت في جلمدها، فإن ما يتمخض به المستقبل، وتجري به صروف الأقدار أكبر من أن يضبطه قياس، أو تقضي عليه خواطر الإياس. ص ١٤

١١- من ضرب بنظره في سيرة رجل ممن شهدت لهم العقول الراجحة، ورفعتهم في رتب السيادة إلى السنام، وأخذ يتبصر في الأحوال التي امتاز بها عن سائر الحيوان - فأول ما يطالعه في صحيفة آثاره عمل منتظم، وسير لا عوج فيه، يتحرك فتتأثر الصالحات من خلال حركاته، ويسكن فتبتهج العيون بسكينته.

وليست هذه الشؤون الظاهرة مما يعرض لأعضائه بغتة مثل ما يعرض الاختلاج للعين والارتعاش لليد، بل هي ناشئة عن قلب حاضر، ومنسوجة بإرادة ثابتة. ص ١٨

١٢- فتحرر بهذا الاستقراء: أن مدار كمال الإنسان على عقل، وعلم، وأدب، وإرادة، واستطاعة، وعمل. ص ١٩

١٣- القوة العاقلة: هي استطاعة النفس الانتفاع بالمعلومات عند الحاجة إليها. ومما لا يحتمل الشبهة، أن حصص النفوس من هذه القوة متفاوتة؛ فمن الناس ذكي يقرأ من صفحات الوجوه، ولحظات العيون ما يُكِنُّه الرجل في خبايا سريره، ومنهم غبي لا يصل إلى المعاني القريبة إلا بالعبارة الواضحة، وإعادتها عليه مرة بعد أخرى. ص ٢٠

١٤- نوه الإسلام بشأن العقل، وشمله بعناية كبيرة، ونكتفي في تقرير هذه العناية بثلاثة شواهد:

**أحدها:** أنه منع من تناول ما يؤثر فيه خلاً، كالمسكرات، وأغلظ القول في تحريمه. **ثانيها:** ما وضعه على من ضرب شخصاً فأزال عقله من دية مبلغها ألف دينار. **ثالثها:** توسيع طرق النظر أمامه، واستدعاؤه إلى التدبر في أسرار الموجودات. رفع الإسلام مكانة العقل، وأثبتته في سجل الشرف، على شرط أن يواجهه صاحبه في البحث عن مكان الحقيقة، وينافس به لإحراز العلوم النافعة.

ومما ينبهك على هذا الشرط الوثيق، قوله -تعالى- في ذم قوم حبسوا عقولهم في ظلمة الباطل، ولم يطلقوها من أسر المتابعة والجمود: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٤٤.

فتمثيل حالهم بالأنعام، إنما ساقه إليهم إغفال عقولهم، وبقاؤها تائهة في أودية الجهالة، إلى أن حرموها حلاوة اليقين، وراحة الاعتقادات الراسية.



وقد مثل -تعالى- حال من نفروا عن العظة، ونأوا بجانبهم عن الإصاخة إليها بحال الحُمُر المتوحشة إذا عاينت أسداً امتلأت منه فزعاً، وطاشت عن ساحتها فالتة، فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ المدثر: ٥٠ - ٥١.

وفي إلحاقهم بالحر، ووضعهم معها في قران التشبيه إيدان بأن منزلتهم في الحطة ما برحت بإزاء منازلها، وأن قُوى مداركهم لم تصعد بهم إلى مطالع الشرف قيد أنملة؛ حيث أصبحت عارية من إدراك ما فيه سعادة دائمة.

وقال -تعالى- في جملة ما قصه علينا من أقوال الضالين عن سنة هدايته: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ الملك: ١٠ الآية.

فهؤلاء لم يريدوا سلب حقيقة العقل من أنفسهم بحسب الواقع، وإنما اعتبروه بمثابة المعدوم، وأطلقوا في نفيه؛ حيث لم يجتنوا به ثمرة الإيمان الواجب، ولم يستضيئوا به في البحث عن التعاليم المفيدة. ص ٢٢ - ٢٣

١٥- يذكر بعض الناس: أن واسع العقل يكون أنكد عيشاً في هذه الحياة، ممن قصرت أنظارهم، وجمدت مداركهم، ومنهم من يقول: إنما الراحة فيها على مقدار اتساع العقل، وبعد مراميه.

وقد فك ابن حزم التعارض بين المقالين: بأن استراحة العقلاء من جهة تلقي المكاره بعزيمة ثابتة، وعدم التأثر لصدمات المصائب، بخلاف صاحب النظر الفاتر؛ فإن خاطره ينزعج لأقل بلاء ينزل بساحته.

وأما نكد عيش العاقل فمن أجل ما يشاهده من إطفاء نور الحق، والنفخ في مزمار الباطل، أو الاستماع إلى ألحانه بطرب وارتياح.

- وهذا بخلاف من انطفأت بصيرته؛ فإنه لا يهتمه - بعد انتظام شؤون بيته - أن تنهض قائمة، أو تحز أعناقها على نُصب الشهوات. ص ٢٥
- ١٦- إذا كانت العقول في مثال السيوف، تقطع الباطل أن يتشبث بأطراف الحقائق؛ فإن العلم ثقافها الذي يقوم أودها، ومِصْقَلُهَا التي تجلو أصداءها. أترون السيف الذي احدودب متنه، أو تكاثف الحبث على غراره، كيف يقبح منظره، وينبو عند الضراب به؟ ٢٧
- ١٧- كذلك العقل إذا غشيته الشبه، وانحدرت به في نواحي الضلالة، حتى التوى غصنه بالتواء شعبها، أو بقي في مستنقع من الجهالة، حتى التف عليه من سوادها حجاب كثيف - فإنه يدنو من ذوي البصائر، فتشمئز فطرهم السليمة نفوراً منه، ويذهب إلى البحث عن الحقيقة، فلا يقع على مكانها. ص ٢٧
- ١٨- وما اللسان إلا مرآة؛ تمثل خواطر العقول، وتنقل مداركها من شعور إلى شعور، والمرآة إذا تكوّر سطحها، أو تجهّم وجه زجاجها بغبش أخذت الصور على غير نظامها، وعرضتها في أشكال غير مطابقة. كذلك اللسان؛ إذا ألقت عليه الفهاهة أثقالها، وشدت عليه اللكنة عقدتها، فإنه لا يحتفظ بما يمليه عليه الفكر من المعاني، فيضبطها من سائر حواشيها، بل يؤديها في مثال شخص حذف بعض أعضائه، أو تخاذلت هيأته، فتصوب رأسه إلى أسفل، وتصدت قدماه إلى أعلى. ص ٢٧ - ٢٨
- ١٩- تتفاضل العلوم بحسب أهمية ثمرتها، أو عموم نفعها، أو قوة براهينها، أو شرف موضوعها. ص ٢٨

٢٠- يثبت الشرف للعلم في اعتبار الإسلام، من جهة أنه يثمر عملاً نافعاً، فإذا لم يكن له أثر في عمل يشكر فإما أن يعد ضرباً من المباح، كمسائل الخلاف التي لا يترتب عليها فائدة، وإما أن يحسب فيما يصف صاحبه بوصف الحطة، كالسحر والطلسمات. ص ٢٩ - ٣٠

٢١- قال الشيخ ابن عرفة في حديث «أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ»: تدخل التآليف في ذلك، إذا اشتملت على فوائد زائدة، وإلا فذلك خسارة للكاغد - أي القرطاس -. قال الأبي: ويعني بالفائدة الزائدة على ما في الكتب السابقة عليها، وأما إذا لم يشتمل التآليف إلا على نقل ما في الكتب المتقدمة فهو الذي قال فيه خسارة للكاغد، وهكذا كان يقول في مجالس التدريس: «إذا لم يكن في مجلس الدرس التقاط زيادة من الشيخ فلا فائدة في حضوري مجلسه، بل الأولى ممن حصلت له معرفة الاصطلاح، والقدرة على فهم ما في الكتب، أن ينقطع لنفسه، ويلزم النظر».

وضمن ذلك في أبيات نظمها وهي:

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة	وتقرير إيضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل أو حل مقفل	أو اشكال أبدئه نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد	ولا تترك فالترك أقبح خلّة

ص ٣١ - ٣٢

٢٢- يتعرض الكاتبون في الأخلاق إلى رسومها الفارقة بينها؛ بحيث تتمايز حقائقها ولا تختلط حدودها، والذي يعسر أحياناً إنما هو تطبيق تلك الرسوم على الأحوال الخاصة، ومعرفة أن هذا موقع الإقدام مثلاً؛ فنسمي الإحجام عنه

جنباً، أو هو موقع الإحجام؛ فنسمي الإقدام عليه جرأة، وقد تلبس بعض المواطن، فلا يدري الناظر هل يحسن فيها الترفع، فيكون التنازل ذلة، أو يليق بها التنازل، فيكون الترفع كبراً؛ فلا بد حينئذٍ من جودة الرأي، وإمعان النظر في تعرف المواضع التي يصلح فيها مثل الإقدام، أو الصفع، أو البذل، أو الترفع، التي هي آثار الشجاعة، والحلم، والكرم، وعزة النفس.

وفي هذا المقام تظهر مزية التربية الخاصة، فإنها تعطي للإنسان ملكة التفرقة بين مواقع الأخلاق الفاضلة والأخلاق السافلة؛ فالأب والمؤدب يكرران على الصبي تجويد الحلم، وعزة النفس مثلاً، ويزيدان على ذلك تنبيهه على مواقعهما حين يغضب بغير حق، أو يتنازل إلى غير أهل. ص ٣٩ - ٤٠

٢٣- قد يربك في أقوال الشعراء ما يحث أو يثني على بعض الأخلاق المعروفة بالمذمة، فلا يغرنك بما يمسح عليه من زخرف الفصاحة، كقول بعضهم يأمر بالحمق:

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم وإن كنت في الحمقى فكُن أحمق الحمق

فعجز هذا البيت لا يتعلق بأذيال الأدب، إلا إذا قصد به ناظمه معنى مقاومة الأحمق، ومقابلته بشدة، تدفع في أذيته إذا لم يكف في مدافعتها اللين والمجاملة. ويمثل هذا قول ابن الرومي يمدح طبيعة الحقد:

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض

فحيث ترى حقداً على ذي إساءة فثم ترى شكراً على حسن القرض

فالحقد مما اتفق العقلاء على أنه خلق ذميم؛ لأنه طبيعة احتفاظ الإنسان على

الجريمة، وإمساكها على ظهر قلب؛ ليجازي بها حيث تسنح الفرصة، وإن أصلحها المجرم ببسط المعذرة أو رجاء المغفرة؛ فإذا عنى ابن الرومي من الحقد الذي عقد النسب بينه وبين الشكر عدم نسيان الإساءة لمن لا يغني في رد شكيمته الأناة وسماحة الضمير - كان شعره بمقربة من الحكمة السائرة. ص ٤٠ - ٤١

٢٤- وقد اشتدت عناية الشريعة بالإرادة؛ فبعد أن أخذتها شرطاً في صحة الفعل، أو كماله نظرت إليها بانفرادها، ووضعتها بمقربة منه، فقدرت للنوايا الفاضلة نصيباً من المثوبة إذا لم يتمكن صاحبها من إنجاز ما عزم عليه، قال ﷺ فيما روى البخاري: «من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة».

كما فرضت للإرادات السيئة كفلاً من العقوبة، وإن لم يعقبها أثر في الظاهر، على ما ذهب إليه عامة السلف، واستشهدوا في هذا بقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾ الآية النور: ١٩، فقد بنى استحقاقهم للعذاب الأليم على عمل قلبي، وهو محبة شيوع الفاحشة، واستدلوا بحديث: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» ف قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، وما بال مقتول؟ قال: «لأنه أراد قتل صاحبه» وفي رواية «أما أنه كان حريصاً على قتل أخيه» فإنه اعتبر في علة العقوبة نفس الإرادة.

و فسر هؤلاء الهم الذي ورد الحديث بعدم المؤاخذه فيه؛ على معنى حديث النفس بالفعل من غير قرار علة وتصميم. ص ٤٢ - ٤٣

٢٥ - يمثّل لك شدة العزيمة أن عبد الملك بن مروان قصد الخروج إلى بعض الحروب، فلما استعد للرحيل، وقفت له عاتكة بنت يزيد بن معاوية تستعطفه

إلى التخلف وترك الخروج لموقع الحرب بنفسه؛ ظناً منها أن سلطان الهوى أشد أثراً على قلب الرجل من عزمته، فقال لها: هيهات، أما سمعت بقول الأول:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم      دون النساء ولو باتت بأطهار

ص ٣٤ - ٤٤

٢٦- ينبهك على التفاضل في الإيرادات الحسنة، أن الرجلين قد يتماثلان في درجة الفضل، وتتحد آثارهما، ولكنك تجد أحدهما قد تمكن من الأخذ بالمكارم، وتجمعت حوله وسائل الارتقاء، حينما احتاج الآخر إلى مصارعة الموانع، وصرف الوسع في تحضير الوسائل، فإننا نقطع لعزيمة الثاني بفضل قوة هي مجهولة في همة الأول؛ إذ من الجائز أن همة الأول لا تثبت لتسوية العقبات، ولا تشد حزامها لتحصيل ما يعوزها من الوسائل المتعاضية.

قال أبو الوليد الباجي يوماً مفاخراً لابن حزم: أنا أعظم منك همة في طلب العلم؛ لأنك طلبته وأنت تعان عليه تسهر بمشكاة الذهب -يشير إلى ثروة ابن حزم وآبائه- وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائن السوق -جمع ساق-.

فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك؛ لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال؛ رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرجُ به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة.

ويؤيد ابن حزم في جوابه هذا أن من تربى في مهد الترف، وأحاطت به زخارف الدنيا من كل ناحية يسكن في قلبه الحرص على اللذائذ، ويصعب عليه التخلص من شواغلها؛ فمن خلع صدره من الشغف بمناظر النعيم، والميل إلى

مضاجع الراحة، وهي طوع يمينه، ثم استبدلها بالتوجه في سبيل المجد الذي لا يخلص سالكه من متاعب، واقتحام أخطار - فلا بد أن يكون قد ضم بين جنبيه همة سامية، وإرادة لنفس الفضيلة خالصة. ص ٤٥ - ٤٦

٢٧- والإسلام يثبت الفضل في المال، من جهة أنه معونة على المشروعات العظيمة، ومطية إلى كثير من المقامات العالية، فلو أوتي رجل سعة من الثروة، فركض بها ركض الوحوش في الفلاة، ولم ينفقها إلا في ملبس فاخر، ومطعم لذيد، أو مطية سابقة، وقصر مشيد - كان أحط رتبة من المسكين الذي يزيد عليه بمثقال ذرة من الخير.

قال ﷺ: «إن الكثيرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً، فنفع به يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً». ص ٤٩

٢٨- فنقول: إن الشارع فوض في أمر اللباس إلى حكم العادة، وما يليق بحال الإنسان، فإذا جرت العادة بلبس نوع من الثياب، وكان مستطيعاً له، فعدل إلى صنف أسفل منه أو أبلى، قبح به هذا الحال، وكره له؛ لأن بذاعة اللباس ورثته مما تقذفها العيون، وتنشز عنها الطباع، فتلقي بصاحبها إلى الهوان، والالتفات إليه بألحاظ الازدراء.

وهذا هو الوجه في إنكاره ﷺ على الرجل في الحديث السالف، وأما الخروج عن المعتاد، والتطلع إلى ما هو أنفوس وأغلى، فهو الذي رفضناه من حواشي الفضل، ونفينا أن يقفز بصاحبه درجة، قال المعري:

إذا كان في لبس الفتى شرفٌ فما السيف إلا غمده والحمائلُ

بل تجد أكثر الناس يستخفون بمن يتعدى طور أمثاله في ملبسه ، ويعدونّه سفهاً في العقل ، وطيشاً مع الهوى. ص ٥٠

٢٩- وتوهم كثير من الأدباء أن الفصاحة وصف كمال في نفسه ، فإذا اتفق لهم أن يبرزوا معنى في أسلوب فصيح ، قذفوه بأفواههم ، ولم يبالوا أن يكون ذلك المعنى عبثاً ، أو خاذلاً لحق.

ونرفع مقالنا -هذا- أن نسوق فيه أمثلة من منظوماتهم السخيفة ، ولا سيما أشعارهم التي قلبوا فيها بعض آداب شرعية ، ومدائحهم التي وقعوا بها حول الشرك بواجب الوجود<sup>(١)</sup>. ص ٥٢

٣٠- وفي الناس من لم يتفقهوا في فضيلة الفصاحة ، فإذا سمعوا ناطقاً يجهر بالعبرة ، ويطلقها من لسانه بدون حبة أدخلوه باعتقادهم في زمرة الفصحاء ، دون أن ينظروا في تحقيق المطابقة بينها وبين المعاني التي قصد إفهامها. والدراكة -الذي بلغ علمه أقصى الشيء- قد يرجح ذا العقدة في نطقه ، حين يفرغ العبارة في عين الغرض ، ويفضله عمن يرمي بكلامه المتتابع ، وهو لا يصيب المفصل من المراد. ص ٥٢

٣١- وأما الوجاهة: وهي أن يحصل للرجل شأن يستهوي إليه نفوس قوم بمودة أو رهبة أو رجاء - فتارة تكتسب باستقامة السيرة ، وخلوص الطوية؛ فقد جرت سنة الله أن من صفت سريره ، وغزرت صالحاته ، أهدت إليه الضمائر الحرة ، وأولته وداً وانعطافاً ، وهو ما وصف الله به عيسى -عليه السلام- في قوله:

١- يعني به الله - عز وجل - فالوجود ممكن الوجود وهو المخلوق ، وواجب الوجود وهو الخالق.



﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ آل عمران: ٤٥.

وهذا الضرب من الوجاهة وصف شرف في نفسه، وإذا توسل به الوجيه إلى قضاء ما يهم الناس من المآرب كان سيادة فوق سيادة.

وتارة تدرك بحال تربي رهبة، كالقرب من ذي سلطة، أو تحدث رغبة، كثروة يطمع الطامعون أن يبلّوا صدى حاجاتهم من قطراتها، وهذا الضرب إنما يحتمله العد في مساق الفخر إذا خدم صاحبه المصلحة، وتناهى به إلى صنيع يشكر عليه. ص ٥٣

٣٢- وإذا اطلعت على أثر يقتضي البعد عن الوجاهة، فإنه مصروف إلى الحرص في طلبها، والتصنع لإحراز سمعة في المجامع الحافلة، والبلاد القاصية. وأما إذا اندفعت همّة الرجل إلى المكارم بجاذب ابتغاء الفضيلة، وطفق ذكره يتسع على حسب مساعيه المفيدة - فذلك خير من العزلة والاختباء في زوايا الخمول. قال - تعالى - فيما قصه من قول إبراهيم - عليه السلام - : ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ الشعراء: ٨٤، وقال في سياق أقوال لقوم صالحين: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان: ٧٤. ص ٥٣ - ٥٤.

٣٣- يقولون: إن الولاية معيار همم الرجال، وعدالتهم؛ فإنهم بعدّها ثلاثة أصناف: فمنهم من يتمادى على سيرته الأولى، ولا ينتقل إلى حال تبعد عما عهد له في الإساءة أو الإحسان.

وبعضهم ينطوي على نفس عاطفة إلى الخير، فإذا جلس في منصب استعظم مكان الحقوق، وأخذ يفحص بخاطره عما يلزم اتخاذه من النظمات الكاملة بحفظها، ومتى اهتزت هذه النفس العاطفة أنبتت من التدابير المثمرة ما يبعثها مقاماً محموداً.

ومنهم من يحمل في مخبآت صدره خبائث، وقد طبع على صناعة المخاتلة والاحتيال، فيحتفظ في سيرته جهده، ويتحاشى بظاهر عرضه أن يلوث بفضيحة، فإذا قبض بيده على سلطة خلع ثوب عفته المستعار، وغشي من المخازي ما يجعله هدفاً لسهام الطاعنين. ص ٥٤ - ٥٥

٣٤- لا يفوت الرئيس الذي يحمل النية السوداء، ويركب في المظالم متنّ عمياء- أن ينساق إلى ذوي نفوس حرة ينقرون له على وجه نقيصته، ويصبون في أذنه أقوالاً تفيقه من نشوة السلطة، وتكدر عليه حلاوتها إلى مرارة، وإن ملك قوة ورجالاً، واتخذ سلاسلًا وأغلالاً.

قتل الحجاج عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ثم أرسل إلى أمه - أسماء بنت أبي بكر الصديق- فأبت أن تأتية، فانطلق يتبخر حتى دخل عليها، وقال لها: كيف رأيته صنع بعدو الله -يعني ولدها عبد الله- قالت: رأيته أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، أما إن رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً -مهلكاً- فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه.

فنفذ سهم هذه المقالة في فؤاده، فأفحمه وقام عنها. ص ٥٥

٣٥- العمل الفاضل ما دعا إليه منزل الشرائع كلّ واحد بعينه، كالعبادات، أو خاطب عليه الأمة لتقوم به طائفة منها، كالتهليم، وحماية الحقوق. ولا يعد في محاسن الأعمال ما لا يُطَّلَعُ له في دلائل الإسلام على ما يشهد باستحسانه. ص ٥٩

٣٦- وحطّ ابن خلدون من شأن التجارة، قال: لاستلزامها المكايسة في البيع

والشراء ، وخلقُ المكايسة بعيد عن المروءة التي تتخلق بها الملوك والأشراف ، ثم ذكر ما يعرض لها من الغش والخلافة ، وتعاهد الأيمان الفاجرة . وأنت إذا أمعنت في كلامه ، واعتبرت المكايسة ضرورية للتجارة أخذت منه للتجارة حالين :

**أحدهما:** أن يرتكب صاحبها الغش والخلافة ، وتعاهد الأيمان الكاذبة ، وهي بالنظر إلى هذه الحالة نقيصة تنزع عنه ثوب المروءة ، وتنزل به عن مرتبة الملوك والأشراف .

ولكن هذه الحالة غير داخلية في حقيقة التجارة ، ولا هي من مقتضياتها؛ فكيف يسري نقصها إلى أصل هذه الحرفة ، ويجعل سبباً لإخلالها بالمروءة اللاتئة بالأشراف؟

**ثانيهما:** أن يترفع التاجر عن هذه الحالة المزرية ، ولا يبقى معه سوى خلق المكايسة؛ فإن عنى ابن خلدون أنه يخل بالمروءة التي يحسن التحفظ عليها في نظر الشارع - فغير صحيح ، بل هي معدودة من فروض الكفايات ، كسائر الصنائع التي يتوقف عليها حياة الأمة ، وقد كان أكابر الصحابة يتجرون .

وإن أراد مروءة الأشراف بحسب بعض العوائد فمحتمل ، ولكننا لا نعتد من حكم العادة بالشرف ، أو ما ينافيه إلا بما قامت شواهد الشرع على صحة اعتباره .

ص ٦١ - ٦٢

٣٧- وإذا وثقنا بأن الأعمال الشريفة ما حسنت في نظر الإسلام انفتح لنا في طريق العلم بمعنى الشرف سبيلان :

**أحدهما:** أن العمل الفاضل ما ثبت حسنه بالدلائل المبثوثة في الكتاب

والسنة، المأخوذة بأفهام المجتهدين على مقتضى وضع اللغة العربية، وأساليب بلاغتها؛ فينهدم فيما بناه الزنادقة تعليمً انطلى تمويهه على أعين بعض العامة؛ فاستزلهم في غواية، وهو أن هناك أحكاماً يتلقاها بعض الأخيار من تعليم باطني؛ ليعمل بها في نفسه، أو يخلعها إن شاء على أتباعه، فيبصرون رجلاً يقلب رسوم الشريعة، ويحيد عن منهجها الصريح، ويستمرون على اعتقاد كماله؛ بزعم أن ما انتحله من الأوضاع المخالفة قد بلغ إليه بطريق غيب.

وترى كثيراً منهم يحمل في اعتقاده أن الرجل إذا ارتقى الذروة القاصية في الصلاح سقطت عنه تكاليف الشريعة، كأنهم لم يتعلموا أن رسوم الشرع من عبادات وغيرها هي الحافظة لأركان الشرف؛ فمن نبذها فقد نزع عن نفسه ثوب الكمال الإنساني، وأصبح عارياً من كل كرامة.

**ثانيهما:** أن العمل الذي يأمر به الإسلام، لا يحق لأحد أن يتركه ترفعاً، ويرى مباشرته له نقيصة تحط من جلالته.

وترى بعض من ينتمي إلى العلم يعتقد الخير بما يصنعه طائفة من العامة في مظهر الطاعة، ويدافع عنهم صولة المنكرين بتحريف وتأويل، ولو قلت له أدخل يدك في أيديهم، وضُمَّ صوتك إلى أصواتهم، ونقُرَّ على ما ينقرون، فإما أن يستفيق من غفوته، أو يعتذر بأن هذا يقبح بمثله عادة.

والذي يقطع هذه المعذرة، أن صوت العادة أضعف صدى، وأحق من أن يسمع في تقبيح ما يُحسنه منزل الشريعة، ويجعله وسيلة يبتغي بها الفوز بالمشوبة،

والزلفى عنده. ص ٦٢ - ٦٣

٣٨- يورد الواصفون لحال حياة الرجل شؤوناً تساعفه بها صروف الأقدار، ويقصدون بها الدلالة على عظم مكانه في الفضيلة، مثل صحبة العظماء؛ فقد جرت العادة أن من اتصل برجل خطير قاصداً الاستقاء من معارفه، أو الاقتداء بسيرته - لا يفوته أن يفيض عليه من تحقيقات علومه، أو يخلع عليه بردة من ملابس آدابه. ص ٦٤

٣٩- ومن هذا ولاية منصب عظيم، كالقضاء والإمارة والوزارة؛ فإنه يجري في الظنون أن لا يستخلص لهذه المقامات إلا ذو كفاءة، وإنما يصح الاعتماد في شرف الرجل على مجرد الولاية بدون نظر في سيرته، أو تتبع آثاره - إذا ثبت أن تقليده بها صدر من عارف بحقائق الرجال، ذي عدالة تصده أن يوسد الأمر إلى غير أهله. ص ٦٤

٤٠- إنما يكره العلماء السكنى بالقرى وإن كانت وطناً، ويقصدون إلى الإقامة بالحوضر؛ لأن سوق العلم فيها نافقة، والحرص على التعلم بها أقوى؛ فيجد العالم من الراغبين في الاستفادة سبلاً مفتوحة، ودواعي باعثة على المطالعة والتحرير.

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام بدمشق، ثم خرج إلى الديار المصرية؛ لغضب الأمير إسماعيل أبي الخيش عليه، حين أنكر عليه الشيخ إعطاء بلد صيدا وقلعة الشفيق إلى الإفرنج، فلما مر بالكرك تلقاه صاحبها، وسأله الإقامة عنده، فقال له: بلدك صغير على علمي، ولما وصل إلى القاهرة عرف سلطانهم نجم الدين أيوب قيمته؛ فأكرم نزله. ص ٦٦

٤١- ويرجحون الرجل بكثرة أتباعه، ومعتقدي أفضيلته، وهذا وزن صحيح

إن كان هؤلاء الأتباع من أولي الأحلام الراجحة ، والألمعية المنقحة .  
 أما إذا كانوا فيمن عميت عليهم سبل السيادة ، ولا فارق عندهم بين المكارم  
 وأضدادها - فلا ترجح بهم صحيفته ، وإن كانوا أكثر من الحصى . ص ٦٦  
 ٤٢- وإذا اعترفوا بالفضل لرجلين : أحدهما : حاضر لديهم ، والآخر لم تقع  
 عليه أعينهم ، جرى في ظنهم أن الغائب أوسع فضلاً ، ورفعوه في اعتبارهم مرتبة .  
 ومن علل هذا أن المقررين لأحوال ذوي الفضل محادثة أو كتابة إنما يتعرضون  
 في الغالب إلى محاسنهم ، وقلماء يذكرون لهم سيئة من أعمالهم ؛ فإذا تلقى  
 الإنسان ترجمة فاضل تصوره بصورة كامل خلص من كل عيب ، بخلاف  
 اعتقاده بفاضل شهد شخصه ، وراقب سيرته ؛ فإنه يطلع له أحوال لا يستحسنها  
 بمقتضى ذوقه أو عادته ، أو كانت مما يؤاخذ به الفضلاء ، وشأنه أن يندمج في  
 فضائلهم ، وتغطي عليه محاسنهم ، ومن هنا نشأت المقالة السائرة : « إن الخبر عن  
 الغائب فوق المشاهدة » . ص ٦٦ - ٦٧

٤٣- ومن هذا حسن التركيب ، وجمال المنظر ، فلا يعد في نفس الفضيلة ، وإنما  
 هو كالعلامة الرامزة إلى حسن الخلق ، فإنه - كما يقول الحكماء - : دال على اعتدال  
 المزاج ، وإذا اعتدل المزاج كان منشأ للأفعال الجميلة غالباً ، ومن هنا قال الفقهاء  
 بتقديم صبيح الوجه إلى الإمامة ، إذا ساوى غيره في شرائطها ، وأوصاف كمالها .  
 فإن تخلف عن وسامة المحيا حرية الطبع ، وشهامة الخاطر - انفصل عن محل  
 الاعتبار في نظر الشارع وعادة الفضلاء ، قال المتنبي :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

٤٤- ووُضِعَ في الطبائع إجلالُ العالي في السن ، وتفضيلُه على من هو أقصر أجلاً ، أو أقرب عهداً بالحياة منه.

والسر في هذا أن الشيخ بامتداد حياته ، وطول تجاربه - صار مظنة لأن يكون أوسع علماً ، وأرسخ في الأخلاق الفاضلة.

ما استقامت قناة فكري إلا بعد أن قوَّسَ المشيب قناتي

ص ٦٨

٤٥- ولهذا ترى الأشيب أقدر على مقاومة الهوى ، وأصوب رمية في وجه السياسة غالباً ، بخلاف الشباب؛ فإنه يكثر فيهم الجهل بالعواقب ، ويأخذهم السرف في اتباع الزينة والملاهي بسهولة؛ وبهذا كان للإقبال على الطاعة في حالة الشبية مزية على القيام بها في حال مشيب ، كما قال عليه السلام في حديث سبعة يظلمهم الله في ظله: «وشاب نشأ في طاعة الله» .

فإذا عاش الطاعن في السن وهو يجري مع شهواته بغير عنان ، ولم يستفد من تصاريف الزمان ملكة قياس الوقائع بأشباهها - فلا يستحق لطول عمره تجلة .  
إذا لم يكن مر السنين مُترجماً عن الفضل في الإنسان سميته طفلاً وما تنفع الأيام حين تعدُّها ولم يستفد فيهن علماً ولا فضلاً

ص ٦٨

٤٦- وينبهون على شأن الرجل بالحديث عن رحلته إلى الأقطار ، والمدن الآهلة بالعلماء والفضلاء؛ فإن الناهض في الأسفار قلما يفوته أن يلاقي عالماً ، أو فاضلاً يقتبس من لقائه مسائل أو أساليب أو شمائل لا يتوفَّق لها في وطنه. ص ٦٩

٤٧- وقد خففت كثرة التأليف ، وقيام المطابع بنشرها شدة الحاجة إلى الرحلة

من الجهة العلمية. ص ٦٩

٤٨- وجرى في قريض أبي الطيب المتنبي، أن من دلائل كمال الرجال رمي الناقص له بسباب، حين يقول:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ووجه هذا: أن الوضع لا تلتفت همته إلى من كان واقفاً في صفه من الأسافل، فتحدثه بأن يلغ في أعراضهم بالمذمة؛ لأنه غني في نشر مثالبهم بما تلبسوا به من الفضائح، حتى إذا ألقى نحوهم بسبة رماها على شفته من غير حرص وشدة اهتمام بالتحدث بها.

وإنما تتوجه همته بمجامعها إلى الرجل الكامل، حيث يقصد إنزاله في معتقد الجمهور إلى مدرجته، أو ما هو أسفل منها. ص ٦٩

٤٩- طبع البشر على أنهم إذا عرفوا رجلاً بنعت شرف أكبروه في قلوبهم، وهابوه في نفوسهم بمقدار ما يعتقدون فيه من الكمال.

ويشاهد أثر ذلك الإجلال في بعض أحوالهم الظاهرة عند مواجهته. ص ٧٧

٥٠- تنوعت الهيئات التي يقصد بها إجلال الرجل العظيم؛ بحسب اختلاف عوائد الأمم، وأذواقهم إلى أنواع شتى لا داعي في هذه الورقات إلى استقراءها، وإنما نأتي على المنهج الذي يلائم النفوس الفاضلة، ويسعها أن تسلكه عن رضا وسماحة خاطر. ص ٧٧

٥١- يتجلى لك هذا المنهج إذا أنست رجلاً سليم الفطرة، حاضر العقل، ولم يحدث له رجاء، ولا رهبة من الرجل الأفضل؛ فإنه لا يصدر عنه من شعائر



الاحترام عندما يلاقيه أكثر من أن ييسط يده إلى مصافحته، ويطلق لسانه بتحيته، أو بما يستحق من التمجيد، وإذا تواصلت بينهما المحادثة سلك في خطابه سبيل الأدب الجميل، وتلقى مطالبه بحسن الطاعة. ص ٧٧

٥٢- طالع التاريخ ترَ الرجل من آحاد الرعايا يدخل في مجلس عمر ابن الخطاب عليه السلام فلا يزيد على التحية الإسلامية، فيقتنع الخليفة برسم هذه التحية، ويرد عليه بمثلها أو أحسن منها، وما كان ابن الخطاب يجهل أن الرجل يحترمه بقلبه لأنه لم يلثم راحته، ولم يلبس ثوب العبودية بين يديه، بل كان على خبرة بأن هذا الذي اقتصر في تحيته على ما أمر الإسلام يوقره في صدره، ويحافظ على طاعته في الغيب، كما يسارع إلى امثال أمره عند الشهادة.

يعلم هذا، ولا نحتاج إلى أن نسند علمه إلى نور إيمانه، وصفاء سريرته، ولكنه كان على بصيرة من سيرة نفسه العادلة، وتصرفاته المحكمة، وهي لا تثمر في قلوب الرعية إلا المهابة والتعظيم. ص ٧٧ - ٧٨

٥٣- ترى الوجهاء الذين لم يبلغوا رشدهم في المعرفة، ولم يثقوا من أنفسهم بالعدالة- أعلقَ همّة، وأشدَّ حرصاً على أن يحتفظ لهم الناس بهذه المظاهر البالغة، ولهذا لا تجدهم ينظرون إلى سليم الفطرة نير القريحة بانعطاف وإعجاب؛ لأنه يجري في معتقدتهم أن من كان بتلك الصفة لا تسمح به همته بأن يتمضمض عندهم بعبارات التملق والإطراء، وينعت نفسه باسم المملوك ومقبّل الأعتاب.

وهذا على خلاف سنة الوجيه، الذي امتلأ معارف، وتمكن من فضيلة العدل، فإنه يكون في غنى بلذّة الحكمة والاستقامة عن أن ينتصب الناس لرؤيته

قائمين ، أو يضعوا شفاههم على ظاهر راحته لاثني. ص ٧٩

٥٤- وأما تنبيه الرجل عن محاسن نفسه ، وتحذره بمزايه فإنما سوغه العلماء في مواضع ذكرها السيوطي في تقييده المسمى بـ: (نزول الرحمة في التحدث بالنعمة). قال: ومنها إذا لم يُنصف ، أو نوزع ، أو كان بين قوم لا يعرفون مقامه ، ويستدل لذلك بعمل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لما ولي الخلافة خطب فقال: أما بعد: أيها الناس ، فإنني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم.

فجرى على قاعدة التواضع ، ثم بلغه عن بعض الناس كلام ، فخطب وقال: أأستحق الناس بها؟ أأستأول من أسلم؟ أأست صاحب كذا ، أأست صاحب كذا؟ أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه.

ثم قال<sup>(١)</sup>: ووقائع العلماء في تحدثهم بمثل هذا لا تحصى.

ومن هذا ما حكى القاضي تاج الدين السبكي عن والده الشيخ تقي الدين: أنه طلب من خازن كتب المدرسة الظاهرية أن يعيره من الخزانة كتاباً ، فتمنع عليه ، فغضب السبكي وقال: مثلي لا يحتاج إلى كتب هذه الخزانة ، بل كتب هذه الخزانة محتاجة إلى مثلي يحررها.

ومما ينتظم بهذا الصدد ما قصه الله - تعالى - في قول يوسف - عليه السلام - لمن لا يعرف صفة عدالته وعلمه: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يوسف: ٥٥. ص ٧٩ - ٨٠

١- يعني السيوطي.

## عاشراً: المنتقى من كتاب

## حكم وأخلاق عربية لمحمد المكي بن الحسين

## نبذة عن المؤلف:

هو العلامة اللغوي محمد المكي بن الحسين علم من أعلام الأدب واللغة ونادرة من نوادر اللغويين في زمانه، قل أن يوجد مثيل له في فكره الغواص في بحر العربية، يفتش في أعماقه عن أجمل ما في التراث العربي، ويبحث بجلد وصبر عن مكنوناته، فيصقلها صقل البارع في المهنة، السباق في ميدانها، ويضمها عقوداً متناسقة، في بحوث لها روعتها وجمالها.

ومع بالغ الأسف أن مثل هؤلاء الأعلام من أرباب الفكر الصافي، والأدب الأصيل يكون نصيبهم النسيان، والإهمال. ولقد قيض الله لهذا العلم من يحرص على نشر علمه، والتعريف به، ألا وهو ابن أخيه: الأستاذ علي الرضا الحسيني.

وهذه نبذة يسيرة عن صاحبنا بقلم الأستاذ علي الرضا - حفظه الله - يقول فيها: «ولد محمد المكي بن الحسين بن علي بن عمر في مدينة نفطة بالجنوب التونسي في شهر ربيع الأول ١٣٠١هـ، ونشأ في دوحة أصيلة وعريقة في العلم والفضل والأدب، ويزينها من فوق ذلك شرف الانتساب إلى آل البيت الأطهار.

خاله العلامة محمد المكي بن عزوز، وإخوته الإمام محمد الخضر حسين وزين العابدين بن الحسين والجنيدي، وجميعهم كانوا من أفاضل العلماء المنصرفين

إلى خدمة الإسلام وإعلاء رايته ونشر الدعوة المختارة أينما رحلوا وحيثما حلوا. انتقل إلى مدينة تونس مع عائلته سنة ١٣٠٦ هـ وأخذ في حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الشرعية عن والدته البارة السيدة حليلة السعدية بنت الصالح التقي مصطفى بن عزوز.

ثم التحق في الجامع الأعظم -جامع الزيتونة- وحصل على شهادة التطويع. ومن شيوخه شقيقه الإمام محمد الخضر حسين، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وعلي الشنوفي، وأحمد جعيط وغيرهم.

رافق أسرته في هجرتها إلى الشرق سنة ١٣٣٠ هـ بعد أن ضيق الباغي الفرنسي الخناق على أخيه الإمام محمد الخضر الذي لاحقه حكم بالإعدام؛ لنضاله ودعوته إلى الاستقلال والحرية.

واستقر في مدينة دمشق منصرباً فيها إلى التدريس في مدارسها الأهلية والرسمية معلماً للغة العربية وآدابها.

والتقى بأعلام دمشق ومنهم خير الدين الزركلي، ومحمد بهجة البيطار، وسليم الجندي، والشيخ عبد القادر المغربي، ومحمد المبارك الجزائري، ومحمد كرد علي.

بعد ما يقارب ثماني سنوات عاوده الحنين إلى تونس فرجع إليها سنة ١٣٣٨ هـ -١٩٢٠ م متفرغاً للمطالعة والتحقيق، واشتهرت لغوياته في مختلف الصحف والمجلات التونسية إلى جانب أحاديثه اللغوية والمستمرة من إذاعة تونس.

لم يتزوج طيلة حياته، وكانت أوراقه وأقلامه هي رفيق عمره الزاخر بالإنتاج والعطاء حتى وفاته في مدينة تونس يوم ٢٠ شعبان ١٣٨٢ هـ الموافق ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٣ م.

وقد ترك آثاراً قيمة جمعتها وحققتها في عدة مؤلفات وهي: عادات عربية، نوادر في اللغة، نوادر في الأدب، أسماء لغوية، حكم وأخلاق عربية، أمثال عربية، كلمات للاستعمال.

وضعت عنه كتابي (محمد المكي بن الحسين - حياته وشعره) ضمنت فيه الشعر الذي نظمته في حياته وتوصلت إليه بالبحث، كما تناولت حياته المباركة بالقليل مما اتصلت به من أخباره.

ولعل الأبيات التي قالها الإمام محمد الخضر حسين في أخيه محمد المكي، وأشار فيها إلى فطنته وفراسته، وأدبه الجم ولا سيما خجله - خير ترجمة لأخلاقه.

يقول الإمام محمد الخضر حسين من ديوانه (خواطر الحياة):

دعــتني إلى وده فطنــة	يجيد بها إن سألت الجوابا
وما بين بُرديه إلا أخ	يؤانسني إن فقدت الصحابا
أروم عليه عتاباً وكم	تفرس ما رمته فأصابا
يهبُّ على وجهه خجل	فيصفو ضميري وأنسى العتابا

رحمهما الله، وأجزل إليهما الثواب، والحمد لله رب العالمين».

تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب من أنفس ما كتب في الأدب والأخلاق والحكم العربية في العصور المتأخرة؛ فقد توجه اللغوي الكبير محمد المكي بن الحسين إلى العناية بهذا الباب، والبحث في ألفاظه، ومعانيه وكنوزه، وأخرجها للناس في مقالات تداولتها الصحف، والمجلات، والإذاعات، ولا سيما مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها أخوه العلامة محمد الخضر حسين - رحمهما الله..

وقد قام الأستاذ الفاضل علي الرضا الحسيني بجمع ما نشر من تراث عمه محمد، سواء كان من البحوث، أو المخطوطات التي لم تنشر من قبل، وجعلها في هذا الكتاب (حكم وأخلاق عربية).

وذكر في مطلع كل مقال وهامشه المصدر الذي أخذ عنه مطبوعاً، أو مخطوطاً. وقدم المطبوع والمنشور حسب تسلسل التواريخ، ثم أردفها بالمخطوط الذي عثر عليه بمكتبة عمه.

وهذا الكتاب يحتوي على غرر من الموضوعات ونفائس من التحريات تذكر بصنيع الأوائل، إلا أنه يفوق كثيراً منها بسمو العبارة، ومجافاة الإسفاف. ويكفي القارئ إطلالة على ما في الكتاب المذكور؛ ليعلم مدى الجهد المبذول، وليدرك أن كاتبه اعتنى بحسن الاختيار، وبراعة التحرير، وأمانة النقل وغير ذلك مما يغري بقراءة الكتاب مرة إثر أخرى. ولقد يسر الله اختيار بعض عناوين الكتاب، ومن ثم أنتقي منها بعض ما تحت تلك العناوين.

وهذه النقولات تحتوي على حكم بالغة، وعظات نافعة، ومعلومات قيمة، وتعليقات نادرة.

والكتاب يقع في ٣٦٨ صفحة مقاس ٢٥×١٧ سم، وهو من جمع وتحقيق الأستاذ علي الرضا الحسيني، ومن نشر الدار الحسينية للكتاب ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

النقولات المنتقاة: قال ﷺ :

#### ١ - خفة النوم المحمود وذم النوم

- كانت العرب تمدح بخفة الرأس عن النوم، وتذم النوم، وأشعارهم في

ذلك كثيرة، فمن ذلك ما أنشده التوزي:

لقد علمت أم الصبيين أنني إلى الضيف قوام السّنات خروج

أورده المبرد في (الكامل ج ١ ص ١٠١: طبع مصر سنة ١٣٣٩)، وقال:  
قوله: قوام السّنات: يريد سريع الانتباه، والسّنة شدة النعاس، وليس النوم

بعينه: قال الله - عز وجل -: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ الآية: ٢٥٥. ص ٥  
- ويقال: ما كان نوم فلان إلا غراراً أي: خفيف، والغرار: شفرة السيف

والسهم. ص ٧

- ومما يجدر بنا ذكره هنا قول عبد الملك لمؤدب ولده: علمهم العوم،

وخذهم بقلة النوم. ص ٧

- هذا ولنكتف بما أوردناه هنا من أقوال العرب في تمدحهم بخفة النوم.

وأما ذمهم النومة، فمن ذلك قول عروة بن الورد (من شعراء الحماسة):

لحا الله صعلوكاً إذا جنّ ليله	مصافي المشاش أنفاً كل مجزرٍ
ينام عشاء ثم يصبح ناعساً	يحت الحصا عن جنبه المتعفرِ

ص ٧

- وقال حاتم الطائي:

لحا الله صعلوكاً مناه وهمه	من العيش أن يلقي لبوساً ومغتما
ينام الضحى حتى إذا نومه استوى	تنبيه مثلج الفؤاد مورماً

ص ٨

- وقال الآخر:

إذا ما قضيتم ليلكم بمدامكم	وأفنيتموا أيامكم بمنام
----------------------------	------------------------

فمن ذا الذي يلقاكم في ملمة ومن ذا الذي يلقاكم بسلام

ص ٨

## ٢ - لله درك، لله كذا، تبارك الله!

- يقال في الدعاء للإنسان: لله درك، معناه: كثر خيرك، وأصل الدرّ اللبّن،

وجميع خير العرب في اللبّن. ص ١٧

- وجاء في المخصص لابن سيده ج ٧: ١٨١ ما يأتي:

وقولهم: لله درك، أي لله صالح عملك؛ لأن الدر أفضل ما يحتلب، وقيل:

أصله أن رجلاً رأى آخر يحلب إبلًا؛ فتعجب من كثرة لبنها، فقال: لله درك! ص ١٧

- وقال المفضل بن سلمة في كتاب الفاخر:

وقولهم: لله درك، قال الأصمعي وغيره: أصل ذلك أنه كان إذا حُمِدَ فعلُ

الرجل وما يجيء منه، قيل له: لله درك أي: ما يجيء منك بمنزلة درّ الناقة

والشاة، ثم كثر في كلامهم حتى جعلوه لكل ما يتعجب منه. ص ١٨

- وقال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال:

«...ويقولون عند المدح: لله در فلان، وعند الذم لا درّ درّه، ومعنى قولهم:

لا در دره، أي: لا كان له خير يدر على الناس، من قولهم: درت الدرّة: إذا

انصبت، والدرّة: اللبّن تدر عند الحلب، وديمة درور: منصبة...» ص ٢٠

- وقولهم: لله كذا، كلمة تقال عند التعجب من الشيء على معنى لا يقدر

على خلقه واختراعه إلا الله - عز وجل -.

وقال زاهر بن أبو كرام التميمي: ويروى كدام «من شعراء الحماسة»:



لله تيمم أي رمح طراد لاقى الحمام به ونصل جلاله

ص ٢٠

- وقال الأخنس (من شعراء الحماسة):

فلله قومٌ مثل قومي عصابةً إذا اجتمعت عند الملوك العصائب

قال الخطيب التبريزي :

(فلله قوم) تعجب ، والمعنى : أنه يظهر من عزهم وفخرهم في مجالس الملوك

ما يستحق به التعجب منهم ا - هـ. ص ٢٠

- وتبارك الله أي : تقدس وتنزه ، وتعالى وتعظم ، صفة خاصة بالله - تعالى -

لا تكون لغيره ، وسئل أبو العباس عن تفسير تبارك الله ، فقال : ارتفع ، وقال الزجاج : تبارك : تفاعل من البركة ، كذلك يقول أهل اللغة .

وقال ابن الأنباري : تبارك أي : يُتبرك باسمه في كل أمر ، وقال الليث في

تفسير تبارك الله : تمجيد وتعظيم ، وقال الجوهري : تبارك الله أي : بارك مثل

قاتل وتقاتل إلا أن فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى. ص ٢٠ - ٢١

### ٣ - لا تفتش عن زلة صديق

- قيل : إن جعفر الصادق كان يقول : لا تفتش على عيب الصديق ؛ فتبقى

بلا صديق. ص ٢٢

- وقيل : من عاتب في كل وقت أخاه فجدير بأن يمله ويقلاه ، وعلى عكس

ذلك قال الشافعي رحمه الله : ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته. ص ٢٢

- ومن كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام :

«أَغْضِ عَلَى الْقَذَى ، وَإِلَّا لَمْ تَرْضَ أَبَداً» . ص ٢٣

- وأنشد ابن الأعرابي :

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي      مخافة أن أعيشَ بلا صديقٍ

ص ٢٣

- وقال :

وإن من الإخوان إخوانٌ كشرّةٍ      وإخوانٌ حياك الإلهُ ومرحبا

ص ٢٣

- وقال الصلاح الصفدي :

صديقك مهما جنى غطّاه      ولا تُخَفِ شيئاً إذا أحسننا

وكن كالظلام مع النار إذ      يوارى الدخان وييدي السننا

ص ٢٣

- قلت : ومن أمثالهم : (قرينك سهمك يخطئ ويصيب) قال الميداني :

يضرب في الإغضاء على ما يكون من الأخلاء. ص ٢٣

- وعن الأصمعي أنه قال : قال أكتّم بن صيفي : اصحب من الإخوان من إن

صحبتة زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن اختلت مانك ، وإن رأى منك حسنة

جازاك عليها ، أو سقطت أغضى لك عنها ، لا تختلف عليك طرائقه ، ولا تخشى

بوائقه. ص ٢٣

- وقيل لخالد بن صفوان : أي إخوانك أوجب عليك حقاً؟ قال : الذي يسد

خللي ، ويغفر زللي ، ويقبل عللي ، ويبسط عنده أُملي. ص ٢٣

## ٤ - مثال للعدالة

من القضاة الذين يضرب بهم المثل في استخراج الحقوق، ورفع المظالم - قاضي قضاة الأندلس: منذر بن سعيد البلوطي، كان يتفقه بفقهِ داود الظاهري، ويؤثر مذهبه، ويحتج لمقالته، فإذا جلس مجلس الحكم قضى بمذهب مالك وأصحابه، وكانت ولايته لقضاء الجماعة بقرطبة ستة عشر عاماً كاملة، لم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور، ولا عدت عليه في حكومته زلة، وكان قولاً بالحق، ناصحاً للخلق، ومولده عام ٢٦٥، وتوفي ٣٥٥هـ.

هذا وأذكر قولِي في قضية:

وقضية لو أنها رفعت إلى قاضي الجماعة منذر بن سعيد  
لرأيت وجه العدل فيها وانبرى المظلوم يمرح في ثياب سعود

ص ٢٤

## ٥ - ما يمتدح به العرب

- كانوا يمتدحون بخفة الرؤوس عن النوم، ويذمون النومة.

ص ٣٠

- ويمتدحون بخفة لحم الجسم؛ لأن كثرت دأعيته إلى الكسل والثقل، وهما

يمنعان من الإسراع في دفع الملمات، وكشف المهمات، قال طرفة بن العبد:

أنا الرجل الضربُ الذي تعرفونه خشاشُ كُرأسِ الحية المتوقد

الضرب: الخفيف اللحم. ص ٣٠

- ويمتدحون بخدمة الضيف وإكرامه ومؤانسته ، قال أعرابي يخاطب امرأته ،  
وقد نزل به أضياف فقام إلى الرحى ، فطحن لهم :  
لعمراًبيك الخير إني لخادمٌ      لضيضي وإني إن ركبت لفارسُ

ص ٣١

- وكانوا يحتفلون بالضيف إذا مر بهم ، ويهتمون به ، ألا ترى إلى قول مرة  
بن محكاك السعدي :

أقول والضيف مخشي ذمامته      على الكريم، وحق الضيف قد وجبا  
يا ربة البيت قومي غير صاغرة      ضمي إليك رجال القوم والقربا

ص ٣١

- وكانوا يمدحون الجهير الصوت ، ويذمون الضئيل الصوت ، ولذلك تشادقوا  
في الكلام ، ومدحوا سعة الفم ، وذموا صغر الفم ، قيل لأعرابي ، ما الجمال ؟  
قال : طول القامة وضخم الهامة ، ورَحَبُ الشَّدْقِ ، وبعد الصوت . ص ٣٢

#### ٦ - طيب الثناء

- كان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول : ما استقر لعبد ثناء في الأرض حتى يستقر له  
في السماء . ص ٣٥

#### ٧ - قرناء السوء

- ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « توحشت في القفر البلقع ، فلم أر  
وحشة أشد من قرين السوء » . ص ٤٠  
- قيل لبعضهم : ما حملك أن تعزل عن الناس ؟ فقال : خشيت أن أسلب

ديني ولا أشعر، وهذا إشارة منه إلى مسارقة الطبع واكتسابه الصفات الذميمة من قرناء السوء. ص ٤٠

- ومن كلام أفلاطون: لا تصحب الشرير؛ فإن طبعك يسرق من طبعه سرّاً وأنت لا تعلم. ص ٤٠

- وفي غرر الخصاص ما يأتي:

«وقد تكتسب الأخلاق من معاشرة الكرام، وفسادها من مخالطة اللئام، وربّ طبع كريم أفسدته معاشرة الأشرار، وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الأخيار» ص ٤٠ - ٤١

- ومن أمثالهم: (تطأطأ لها تخطئك) الهاء للحادثة.

يقول: اخفض رأسك لها تجاوزك، وهذا كقولهم: دَعِ الشَّرَّ يَعبُرْ، يُضْرَبُ في ترك التعرض للشر. ص ٤٤ - ٤٥

- ومن أمثالهم (قليل للشقي: هلم إلى السعادة، قال: حسبي ما أنا فيه) يضرب لمن قنع بالشر وترك الخير وقبول النصح. ص ٤٥

- قال أفلاطون: لا تصحبوا الأشرار؛ فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم. ص ٤٧  
- ويقال: أردى ما في الكريم منع الخير، وأحسن ما في الشرير كف الشر. ص ٤٧  
- الداغل: الباغي أصحابه الشر يدغل لهم الشر، أي: يبغيهم الشر ويحسبونه يريد لهم الخير. ص ٤٧

- التَّمَسُّحُ: التَّمَسُّحُ والتَّمَسَّاح - بكسرهما من الرجال: المارد الخبيث، والكذاب الذي لا يصدق أثره، يكذبك من حيث جاء، والتَّمَسُّح: المداهن

المداري الذي يلاينك بالقول وهو يغشك. ص ٤٨

- المدّاع: كشدّاد: من لا وفاء له ، ولا يحفظ أحداً بالغيب. ص ٤٩

#### ٨ - دهاء معاوية وحلمه

- أخرج ابن عساكر عن الشعبي قال: دهاة العرب أربعة: معاوية ، وعمرو

ابن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد ، فأما معاوية فللحلم والأناة ، وأما عمرو

فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهاة ، وأما زياد فللكبيرة والصغيرة. ص ٦٥

- وقال الأصمعي: كان معاوية رضي الله عنه يقول: أنا للأناة ، وعمرو للبديهة ،

وزياد للصغار والكبار ، والمغيرة للأمر العظيم. ص ٦٥

- وأخرج ابن عساكر عن قبيصة بن جابر قال: صحبت معاوية فما رأيت

رجلاً أثقل حلماً ولا أبطأ جهلاً ، ولا أبعد أناة منه ، وصحبت عمرو بن العاص

فما رأيت رجلاً أنصع طرفاً ولا أحلم جليساً منه ، وصحبت المغيرة بن شعبة فلو

أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر - أي احتيال - لخرج من

أبوابها كلها. ص ٦٥

- وقال المقبري: تعجبون من دهاء هرقل وكسرى ، وتَدْعُونَ معاوية؟!

وذكروا أنه لم يكن في ملوك العجم أدهى من كسرى أنوشروان. ص ٦٦

- وكان معاوية رضي الله عنه من أدهى الدهاة ، رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال

لجلسائه: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية.

وذكروا أن عمر بن الخطاب لما دخل الشام فرأى معاوية قال: هذا كسرى

العرب. ص ٦٦

- ولم يكد معاوية يتولى الأمر بالشام حتى أخذ بما أوتيته من علم وحلم يضع أساس الملك، ويسير في رعيته سيرة حسنة حبيته إليهم، وكان يتأني الأمور، ويداري الناس على منازلهم، ويرفق على طبقاتهم؛ فأوسع الناس من أخلاقه، وأفاض عليهم من بره وعطائه، وشملهم من إحسانه، فاجتذب القلوب، واستدعى النفوس حتى آثروه على الأهل والقربات، وعُدَّ مربِّي دول، وسائسَ أُمم، وراعيَ ممالك. ص ٦٦

- وكان ﷺ يُرمى بالمطاعن، ويُرشق بسهام الإنكار، فيُسِرُّها في نفسه، ولا تبدو عليه سورة الغيظ الذي يتخبط كثيراً من المستبدين.

وأسمعه رجلٌ كلاماً شديداً فقليل له: لو عاقبته! فقال: إني لأستحي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من ريعتي، وأغلظ له رجل فحلم عنه، فقليل له: أتحملم عن هذا؟ فقال: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا. ص ٦٦ - ٦٧

- وقال ﷺ: لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه عليّ ضغناً، فأستشيرهُ، فيشير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه، فلا يزال يوسعني شتماً وأوسعهُ حلماً، حتى يرجع صديقاً أستعين به فيعيني، وأستنجده فينجدني. ص ٦٧

- وكان ﷺ عاقلاً في دنياه، لبيباً عالماً حليماً ملكاً قوياً، جيد السياسة، حسن التدبير لأُمور الدنيا، عاقلاً حكيماً فصيحاً بليغاً يحلم في موضع الحلم، ويشد في موضع الشدة، إلا أن الحلم كان أغلب عليه. ص ٦٨

- وقال ﷺ: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره

شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم. ص ٦٨

- ويروى عنه أنه قال: لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً ، قيل له : وكيف ذاك؟ قال كنت إذا جذبوها أرخيها ، وإذا أرخوها جذبتها ص ٦٨

- وقال لابنه يزيد: عليك بالحلم والاحتمال حتى تتمكنك الفرصة ، فإذا أمكنتك فعليك بالصفح؛ فإنه يدفع عنك معضلات الأمور ، ويقيك مصارع المحذور. ص ٦٩

- وقال -أيضاً-: أفضل ما أعطي الرجل الحلم ، وقال: ما وجدت لذة هي عندي ألد من غيظ أتجرعه ، وسفه بحلم أقمعه. ص ٦٩

- وقال له ابنه يزيد: لقد أفرطت في الحلم حتى خفت أن يُعدَّ ذلك منك ضعفاً وجبناً ، فقال معاوية: أي بني ، إنه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمة؛ فامض لشأنك ، ودعني ورأيي.

وبمثل هذه السيرة صار خليفة العالم ، وخضع له من أبناء المهاجرين والأنصار كل من يعتقد أنه أولى منه بالخلافة. ص ٦٩

- وقيل للأحنف: من أحلم الناس أنت أو معاوية؟ فقال: معاوية قد قدر فحلم ، وأنا أحلم ولا أقدر؛ فكيف أقاس به؟! ص ٦٩

#### ٩ - زينة العلم الحلم والوقار

- كان الأحنف بن قيس رضي الله عنه يقول: «ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من

علم إلى حلم». ص ٧٠



- وقال عمر بن عبد العزيز رحمته الله: «ما قرن شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم، ومن عفو إلى مقدرة». ص ٧٠
- ويروى عن علي عليه السلام أنه قال لرجل: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظم حلمك، ويكثر علمك». ص ٧١
- وقال الإمام مالك رحمته الله لفتى من قریش: «يا ابن أخي، تعلّم الحلم قبل العلم». وقال لفتى من قریش: «يا ابن أخي، تعلّم الأدب قبل أن تتعلم العلم». ص ٧١
- وكان الإمام الشافعي رحمته الله يقول: «جمال العلماء كرم النفس، وزينة العلم الورع والحلم». ص ٧١
- وقال الشعبي: «يا طلاب العلم، لا تطلبوا العلم بسفاهة وطيش، اطلبوه بسكينة ووقار وتؤدة». ص ٧١

#### ١٠ - البغي والبغاة

- قال المتلمس:
- ومن يبيع أو يسعى على الناس ظالماً      يَفْعُ غَيْرَ شَكٍّ لِيَدِينِ وَلِلْفَمِ
- ص ٧٤
- ومن أمثال العرب: (البغي آخر مدة القوم) يعني: أن الظلم إذا امتد مداه أَدْنُ بانقراض مدتهم. ص ٧٥
- وقال المنصور: الرعية لا يصلحها إلا العدل، وأنقص الناس مروءة وعقلاً من ظلم من هو دونه. ص ٧٦

#### ١١ - أسباب العزل عند أهل العدل

- يروى عن جعفر بن يحيى، أنه رُفِعَ إليه كتاب يشتكى فيه عامل، فوقع على

ظهره<sup>(١)</sup>: يا هذا! قد قلّ شاكروك، وكثر شاكوك، فإما عدلت، وإما اعتزلت. ص ٧٧

- ووقع المأمون لعامل: لو استقامت لك الطريقة، لرضيت الخليفة، فإن لم تدع فيهم القذل<sup>(٢)</sup>، راعينا فيك العزل. ص ٧٧

- وفي الحديث «شر الرعاء الحطمة» أخرجه مسلم في صحيحه.

قال ابن الأثير في النهاية: «هو العنيف برعاية الإبل في السوق، والإيراد والإصدار، ويلقي بعضها على بعض ويعسفها، ضربه مثلاً لوالي السوء، ويقال -أيضاً- حطم بلاهاء». ص ٧٨

- قال بعض البلغاء: لتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معاونتك إياه عند الرخاء، وقيل: أفضل المعروف نصرة الملهوف. ص ٧٩

- وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لزياد بن أبيه: يا زياد، هل أنت حامل كتابي إلى أبي موسى في عزلك عن كتابته؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن لم يكن ذلك عن سخط، قال: ليس عن سخط، ولكنني أكره أن أحمل فضل عقلك على الرعية. ص ٧٩

- وقال رجل لسليمان بن عبد الملك، وهو جالس للمظالم: يا أمير المؤمنين، ألم تسمع لقول الله -تعالى-: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؟ يوسف: ٤٤

فقال: ما خطبك؟ قال: وكيلك اغتصبني ضيعتي وضمها إلى ضيعتك

١- أي على ظهر الكتاب.

٢- يعني الميل والجور.

الفلانية ، قال : فإن ضيعتي لك ، وضيعتك مردودة إليك ، ثم كتب إلى الوكيل بذلك وبصرّفه عن عمله. ص ٧٩

## ١٢ - وصايا صحية عن العرب

- هذا تحرير يشتمل على كلمات من الوصايا الصحية الواردة عن العرب قديماً؛ إذ بها نعلم ما كان لهم في تلك العصور من العناية والدراية بكثير من القواعد الصحية ، والإرشادات الطبية المتبعة في عصرنا هذا ، وإليك البيان. ص ٨٠

- قال الأصمعي : كانت امرأة من العرب تأتي بصبية لها قبل الصبح ، فتقف على تل عالٍ هناك وتقول : أي بني! خذوا صفو هذا النسيم قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها. ص ٨٠

- هارون الرشيد كان ليلة بالحيرة ، فلما كاد أن يتنفس الصبح قال لجعفر ابن يحيى : قم بنا نتنفس هواء الحيرة قبل أن تكدره أنفاس العامة.

قلت : هذا مما يدل على ما كان للعرب في ذلك العهد من الاهتمام ، والعناية بالخروج إلى المواضع النقية الهواء ، الطيبة المناخ. ص ٨٠

- ومما يدل على ذلك - أيضاً - ما كتب به عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة يوم طاعون عمواس إذ قال : «سلام عليك ، أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضاً عميقة ، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة». ص ٨١

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تزالوا أصحاب ما نزعتم ونزوتم.

يريد ما نزعتم عن القسي ، ونزوتم على ظهور الخيل ، وإنما أراد الحركة. ص ٨١

- وفي حديث عمر: أن عمرو بن معدي كرب شكاه إليه النقرس<sup>(١)</sup>، فقال: كذب عليك الظهائر-أي عليك بالمشي في الظهائر- وهي جمع ظهيرة، وهي ما ظهر من الأرض وارتفع. ص ٨١

- وفي حديث له آخر: أن عمرو بن معدي كرب اشتكى إليه المعص، فقال: كذب عليك العسل-يريد العسلان، وهو مشي الذئب- أي عليك بسرعة المشي.

والمعص بالعين المهملة: التواء في عصب الرجل. ص ٨١

- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إياكم والبطنة في الطعام والشراب؛ فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما؛ فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن السرف». ص ٨١

- ومن كلامه -يعني علي بن أبي طالب- رضي الله عنه: «يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل؛ اتكالا على الصحة، وتكلف حمل مالا يطاق؛ اتكالا على القوة، والتفريط في العمل؛ اتكالا على القدرة». ص ٨٣

- ومن كلامه -أيضاً-: «كثرة الطعام تميم القلب كما تميم كثرة الماء الزرع، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي». ص ٨٣

- وقال عمرو بن العاص: فوالله، ما بطن قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عزيمة رجل بات بطينا. ص ٨٠

وقال بعض الحكماء: لكل شيء صدا، وصدا القلوب شبع البطون. ص ٨٣

١- النقرس: ورم في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين، ويقال: إنه يأتي من جراء الإفراط في أكل اللحم، وهكذا كان عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه فقد كان يقول -كما ذكر في سيرته-: إني لأجلس على الجذع من الإبل فأنتقيه عظماً عظماً!

- وقال بعض أطباء السواد: الدواء الذي لا داء فيه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيهِ ، وتقوم عنه وأنت تشتهيهِ. ص ٨٣
- قال عبد الملك بن مروان يوماً لأبي الزعزعة: يا أبا الزعزعة، هل أتخمت قط؟ قال لا ، قال فكيف؟ قال: لأننا إذا طبخنا أنضجنا، وإذا مضغنا دققنا، ولا نكظ المعدة، ولا نخليها. ص ٨٣
- ومن وصايا الحارث بن كلدة الثقفي: لا تنم بالليل عرياناً، ولا تقعد على الطعام غضباناً، وارفق بنفسك؛ يكن أرخى لبالك، وقلل من طعامك؛ أهنأ لنومك. ص ٨٣
- ومن وصاياه -أيضاً-: عليكم بتنظيف المعدة في كل شهر؛ فإنها مذية للبلغم، مهلكة للمرة، منبئة للحم، وإذا تغدى أحدكم فلينم على إثر غدائه، وإذا تعشى فليمش أربعين خطوة. ص ٨٤
- وبقي ابن كلدة إلى زمن معاوية رضي الله عنه فقال له معاوية: ما الطب يا حارث؟ فقال: الأزمُ يا معاوية؛ يعني الجوع. ص ٨٤
- قال أبو عثمان الثوري: لله در الحارث بن كلدة؛ إذ زعم أن الدواء هو الأزمُ. فالداء كله من فضول الطعام، فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن، وذكاء الدهن، وصلاح الدين والدنيا، والقرب من عيش الملائكة؟ ص ٨٤

### ١٣ - قمع الشهوة

- قال علي رضي الله عنه: «إياك والشهوات! وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك، مُهَجَّنَةٌ لرأيك، شائنة لعرضك، شاغلة لك عن معازم الأمور، مشتدة بها التبعة عليك في آخرتك.

إنما الشهوات لعب، فإذا حضر اللعب غاب الجذ، ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجد». ص ٨٥

- وجاء في المدهش لابن الجوزي: يا تائهاً في بوادي الهوى، انزل ساعة بوادي الفكر، يخبرك بأن اللذة قصيرة، والعقاب طويل، واعجباً لمن يشتري شهوة ساعة بغم الأبد، كانت المعصية ساعة - لا كانت - فكم ذلت بعدها النفس، وكم تصاعد لأجلها النفس.... ص ٨٦

- وقال معاوية رضي الله عنه: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم. ص ٨٦

- وقال الحكيم: الحكمة جلاء العقل، وتمييزه بالأدب، وقمع الشهوات بالعفاف.. ص ٨٧

- وقال علي رضي الله عنه: عبد الشهوة أذل من عبد الرق. ص ٨٧

- وقال سقراط: الحرية هي الخروج عن استعباد الشهوات المذمومة في العقل. ص ٨٧

- وقال أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي رحمته الله: الجوع نور، والشبع نار، والشهوة الخطب يتولد منه الإحراق؛ فلا تنطفئ ناره حتى يحرق صاحبه. ص ٨٧ - ٨٨

#### ١٤ - الرأي السديد

- كان زال بن سام يقول: الرأي السديد أجدى من الأيد الشديد. ص ٩٠

- وقال آخر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فإن فساد الرأي أن تتعجل

ص ٩١

- ومن أمثالهم (الخطأ زاد العجول) يعني: قلّ من عجل في أمر إلا أخطأ  
قصد السبيل.. ص ٩١ - ٩٢.

- وجاء في الألفاظ لابن السكيت ص ١٨٤ ما لفظه: «والركين: الحلیم الذي  
يطيل الفكر إذا وردت عليه الأمور» ص ٩٢  
- والرأي: هو التفكير في مبادئ الأمور، ونظر عواقبها، وعلم ما تؤول إليه  
من الخطأ والصواب. ص ٩٢

#### ١٥ - أجواد أهل الحجاز في القرن الأول الهجري

- أجود أهل الحجاز ثلاثة: عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن العباس،  
وسعيد بن العاص. ص ٩٥

- عبيد الله بن العباس رضي الله عنه: كان لفرط جوده يسمى معلم الجود، وهو أول  
من وضع الموائد على الطرق، وكانت نفقته في كل يوم خمسمائة دينار، وكان  
إذا خرج من دوره طعام إلى رحابه ومساجده لا يرد إليها منه شيء، فإن لم يجد  
من يأكله ترك مكانه فربما أكلته السباع، وكان هو والناس في ماله سواء، من  
سأله أعطاه، ومن لم يسأله ابتدأه، فلا يرى أنه يفتقر فيقتصد، ولا يرى أنه  
يحتاج فيدخر. (غرر الخصائص للبرهاني ص ٢٤٢). ص ٩٥

- سعيد بن العاص كان سعيد بن العاص الصحابي رضي الله عنه يجمع إخوانه كل  
جمعة فيصنع لهم طعاماً، ويخلع عليهم، ويرسل إليهم بالجوائز، ويبعث إلى

عياهم العطاء الكثير، وكان يبعث مولى له كل ليلة جمعة إلى مسجد الكوفة ومعه الصرر فيها الدنانير، فيضعها بين يدي المصلين. عن التهذيب للإمام النووي. ومن جوده: أنه كان يسمر معه ليلة قوم فأنصرفوا وبقي رجل، فعلم أنه طالب حاجة، ويمنعه الحياء من ذكرها، فأمر سعيد بإطفاء الشمعة، وقال: ما حاجتك يا فتى؟ فذكر أن عليه ديناً أربعة آلاف درهم، فأمر له بها، قال: وكان إطفاءه الشمعة أكثر من عطائه.

وعوتب في كثرة العطاء، فقال: إن الله تعالى عودني أن يتفضل عليّ، وعودته أن أتفضل على عباده، فأخاف إن قطعت أن يقطع. ص ٩٦

- **عبد الله بن جعفر:** كان عبد الله بن جعفر عليه السلام من الجود بالمكان المشهود، وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود، وكان معاوية يعطيه ألف درهم كل سنة فيفرقها في الناس ولا يرى إلا وعليه دين (المستطرف ج ١ ص ١٢٩). ص ٩٧

- وفي التهذيب للنووي: «وكان عبد الله بن جعفر يسمى بحر الجود، قال الحافظ عبد الغني: يقال: لم يكن في الإسلام أسخى منه، وقال ابن قتيبة في المعارف: كان عبد الله بن جعفر أجود العرب، وأخبار أحواله في السخاء والجود والحلم مشهورة لا تحصى». ص ٩٧

- وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة      حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال: هذا رجل يريد أن ييخل الناس، أمطر المعروف مطراً فإن صادف



موضوعاً فهو الذي قصدت ، وإلا كنت أحق به.

ويشبه هذا ما ينسب لأبي الحسين بن السراج :

بُثَّ الصَّنَائِعَ لَا تَحْفَلُ بِمَوْقِعِهَا      فيمن نأى أو دنا ما كنت مقتدرا  
فالغيث ليس ييالي حيثما انسكبت      منه الغمام تريباً كان أو حجراً

ص ٩٨

#### ١٦ - إياك والغضب

- قال جعفر بن محمد الصادق : خير السادة أعدلهم حلماً عند الغضب. ص ٩٩
- وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني ، قال : « لا تغضب ، فردّد مراراً قال : لا تغضب » رواه البخاري. ص ١٠٠
- وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . ص ١٠٠
- وقيل لابن المبارك رحمته الله : اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال : ترك الغضب - المستطرف. ص ١٠٠
- وقال أحدهم : أملك الناس جميعاً لنفسه : من استغنى عن الاعتذار بعد سكون الغضب - اللباب. ص ١٠١

#### ١٧ - التخاصم والتشاتم

- قال مسلم بن قتيبة : رأني بشير بن عبيد الله - وأنا أخاصم بعض أهلي وأنا شاب - فقال لي : يا ابن أخي ، إنني أراك ثبّت المروءة ، فإياك والخصومات ؛ فإنها

تذهب المروءة - (طبقات الشعراء ص ١٣٣). ص ١٠٢

- ومن أمثال المولدين: (شرُّ الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً). ص ١٠٢

#### ١٨ - الصروع والصرعة

- الصروع كصبور: الرجل الكثير الصراع للناس. ص ١٣٣

- والصرعة: الحليم عند الغضب - وهو مثل، قال أبو علي: وذلك لأن

حلمه يصرع غضبه، بضد قولهم: الغضب غول الحلم. ص ١٣٣

- وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «ما تعدّون الصرعة فيكم؟ قلنا: الذي

لا تصرعه الرجال، قال: ليس ذلك، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»

وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي

يملك نفسه عند الغضب». ص ١٣٣

- وقال ﷺ: «أشدكم من غلب نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا بعد

القدرة». ص ١٣٣

- وكان أبو الدرداء يقول: أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب،

واحذر أن تظلم من لا ناصر له إلا الله. ص ١٣٤

- ومن أمثالهم (الظفر بالضعيف هزيمة) يضرب لمن يستضعف. ص ١٣٤

#### ١٩ - الساعي والسعاية

- قال المهدي: ليس الساعي بأعظم عورة، ولا أقبح حالاً ممن قبل سعائته

-(زهر الآداب للحصري ج ٢ ص ١٦).

السعاية والإغراء والتضريب والوشاية والنميمة والوقية: كلها واحد - الألفاظ

للرواني. ص ١٣٧

- وقيل: الساعي غاش وإن قال قول متنصح. ص ١٣٧
- وكان الأحنف يقول: أبعد ما يكون الساعي من الله إذا صدق. ص ١٣٧
- ورفع إلى أنوشروان: لم عزلتم فلاناً عن الإنهاء مع قديم خدمته وحرمته، فوقع:
- لأنه لطح سمعنا بقدر السعاية فعافته أنفسنا - (خاص الخاص ص ٦٧) ص ١٣٨
- وكلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه، فأنكره الأحنف، فقال له معاوية:
- بلغني عنك الثقة، فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ مكروهاً. ص ١٣٩

## ٢٠ - لا تتكلف ما لا يليقك

- يقال: هذا الأمر لا يليق بك، أي: لا يعلق بك.
  - ويقال: ما يليق بك أن تفعل كذا، أي: لا يزكو ولا يناسب ونحوه. ص ١٤١
  - إذا المرء لم يدر ما أمكنه ولم يأت من أمره أزيينه
  - وأعجبه العجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
  - فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوماً ويبيكي سنة
- ص ١٤١

- ومن أمثال العرب: (قيل للشقي: هلم إلى السعادة، قال: حسبي ما أنا فيه) - يضرب لمن قنع بالشر، وترك الخير وقبول النصيحة. ص ١٤١

## ٢١ - عزيمة الصبر

- العزم: ما عقد عليه القلب من أمر يُراد.
- وقال الزبيدي: والعزم في لغة هذيل: بمعنى الصبر، يقولون: مالي عنك عزم
- أي صبر. اهـ كلام الزبيدي. ص ١٤٣
- وقال المسعر لعبد الله بن طاهر:

ماذا تقول - فدتك نفسي - في امرئ  
ركب العزيمة في لجام الصبر  
يعلو من الدنيا على أوعارها  
ويحل منها في محل السفر

ص ١٤٣

- على قدر فضل المرء تأتي خطوبه  
ويعرف عند الصبر فيما ينوبه  
وعاقبة الصبر الجميل من الفتى  
إلى فرج من ذي الجلال يثيبه

ص ١٤٤

## ٢٢ - ينشدون الأشعار وهم يحتضرون

- وفي ديوان أبي فراس (واسمه الحارث بن سعيد) أنه لما حضرته الوفاة كان  
ينشد مخاطباً ابنته :

أبْنَيْتِي لَا تَجْزَعِي      كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ  
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ      مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ  
قُولِي إِذَا كَلِمَتْنِي      فَعِيَتْ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ  
زَيْنَ الشَّابَابِ أَبُوفَرَا      سَ لَمْ يَمْتَعِ بِالشَّابَابِ

ص ١٧٢

- قال الإمام محمد بن إدريس - رحمة الله عليه - : دخلت على أبي نواس  
وهو يجود بنفسه ، فقلت : ما أعددت لهذا اليوم؟! فقال :

تعاظمني ذنبي فلما قرنته      بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ص ١٧٢

- يقول محرر هذا المقال : هذا البيت أذكرني في قول ابن أراكة الثقفي :  
أقول لعبد الله إذ خنَّ باكياً      تعرَّوْماءُ العينِ منهمرٌ يجري

تأمل فإن كان البكا رداً هالكاً      على أحد فاجهد بكاءً على عمرو  
ولا تبك ميتاً بعد ميت أجنته<sup>(١)</sup>      عليّ وعباس وآل أبي بكر

يريد النبي ﷺ . ص ١٧٣

- وتمثل سيئويه عند الموت :

تومل دنيا لتبقى لنا      فمات المؤمل قبل الأمل  
حشياً يروي أصول النخيل      فعاش الضليل ومات الرجل

ص ١٧٤

- وكان أبو الفتح المنهي قد برع في الفقه، وتقدم عند العوام، وحصل له مال كثير، ودخل بغداد، وفُوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية، وأدركه الموت بهمدان، فلما دنت وفاته قال لأصحابه: اخرجوا، فخرجوا، فطفق يلطم وجهه ويقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، ويقول: يا أبا الفتح، ضيعت العمر في طلب الدنيا، وتحصيل الجاه والمال، والتردد إلى أبواب السلاطين، وينشد:

عجبت لأهل العلم كيف تغافلوا      يجرون ثوب الحرص عند المهالك  
يدورون حول الظالمين كأنهم      يطوفون حول البيت وقت المناسك

ص ١٧٤ - ١٧٥

- وقال محمد بن زكرياء: دخلت على أبي نواس وهو يكيد بنفسه، فقال لي: تكتب؟ فقلت: نعم، فأنشأ يقول:

دبّ فيّ الفناء سُفلاً وعُلواً      وأراني أموت عضواً فعضوا  
ذهبت شرّتي بحدة نفسي      وتذكرت طاعة الله نضوا

١ - معنى (أجنة): أي ستره في الأرض.

ليس من ساعة مضت بي إلا      نقصتني بمرها بثُ جزوا  
 لهف نفسي على ليالٍ وأيا      مِ تملّيتهن لعباً ولهووا  
 وأسأنا كل الإساءة يا رب فصفحاً عنا جميعاً وعفوا

ص ١٧٥

### ٢٣ - العمل العمل

- ومن أمثالهم: (جَمْعُ له جراميزك) - جراميز الرجل: جسده وأعضاؤه، يضرب لمن يؤمر بالجد في العمل. ص ١٧٦
- ومن أمثال العرب: (بغير اللهو ترتق الفتوق) يضرب في الحث على استعمال الجد في الأمور. ص ١٧٧
- ومن أمثالهم (إياك والسامة في طلب الأمور؛ فتقذفك الرجال خلف أعقابها).
- قال الميداني: يضرب في الحث على الجد في الأمور، وترك التفریط فيها. اهـ كلامه. ص ١٧٧
- ومن أمثالهم (سِرْ وقمرٌ لك) أي اغتنم العمل ما دام القمر لك طالعاً، يضرب في اغتنام الفرصة، ويروى: أسر وقمر لك، من السرى الواو (١) في الروايتين للحال أي سِرْ مقمراً. اهـ. ص ١٧٨
- ومن أمثال المولدين: (من عمل دائماً أكل نائماً). ص ١٧٨

### ٢٤ - النزاهة عن التعرض للأبواب

- قال الشاعر:

يا أمَّ عقبةٍ إنِّي أيّما رجلٍ      إذا النفوس أدْرعن الرُعبَ والرهباً

١ - يعني بها: واو الحال.

ولا أمدح المرء أبغي من فضائله      ولا أظل أدا جيهه إذا غضبا  
ولا يراني على باب أراقبه      أبغي الدخول إذا ما بابه حُجبا

ص ١٨١

- وأنشد الجوهري لأبي الأسود الدؤلي :

ولا أقول لقد القوم قد غليت      ولا أقول لباب الدار مغلوق  
أي إني فصيح لا ألحن ، قال الزبيدي : قال شيخنا : ومنهم من فسّر بيت أبي  
الأسود بالنزاهة عن التعرض لأبواب الناس . ص ١٨١  
- وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام إذا قرأ عليه الطالب وانتهى يقول : إقرأ  
من الباب الذي يليه ولو سطرأ ، فإني لا أحب الوقوف على الأبواب . ص ١٨١  
- قال الشيخ المكودي :

إذا عرضت لي في زماني حاجة      وقد أشكلت فيها علي المقاصد  
وقفت بباب الله وقفه ضارع      وقلت : إلهي إني لك قاصد  
ولست تراني واقفاً عند باب من      يقول فتاه : سيدي اليوم راقد

ص ١٨٢

## ٢٥ - ليس للفضيلة وطن

- من كلمات أخينا وأستاذنا الشيخ سيدي محمد الخضر حسين ، قوله : « إذا  
خلوت بموطن أغلق عيون رقبائك ، وختم على أفواه عُدّالك ، ثم راودك على  
أن تنزع حلية أدبك ، فقل : ليس للفضيلة وطن » . ص ١٩٦  
- وقال آخر :

وما يزع النفس اللجوج عن الهوى      من الناس إلا حازم الرأي كامله

ص ١٩٦

- وقال الحكيم: شَرَفَ العقل على الهوى، إن العقل يملكك الزمان،  
والهوى يستعبدك له. ص ١٩٧

- وقال الحكيم: من أطاع الشهوة خذلته عند الإصحار<sup>(١)</sup> به في دفع المكاره،  
وجعلته خادماً لمن كان ينبغي أن يتقدمه. ص ١٩٨

## ٢٦ - مخالفة النفس وقدها عن هواها

- إن من العقل عدم الرضا عن النفس، واتهامها في جميع الأحوال،  
ومخالفتها في جميع مطالبها، وأن لا ينظر إليها نظر استحسانٍ وكمالٍ. ص ٢٠١

## ٢٧ - القناعة

- قال آخر:

إذا المرء عوفي في جسمه	وملكه الله قلباً قنوعاً
وألقى المطامع عن نفسه	فذاك الغني وإن مات جوعاً

ص ٢٠٥

- قيل: وحسم هذه المطامع شيئان: اليأس والقناعة، ولله درُّ من قال:

الحرص فقر والقناعة عزَّةٌ      واليأس من صنع الإله قنوط

- وقال آخر:

وجدت القناعة رأس الغنى	فصرت بأذيالها ممتسكٌ
فلا ذا يراني على بابهِ	ولا ذا يراني به منهمكٌ
فأورثني عزُّها خلعةً	يمر الزمان ولا تنهمكُ

ص ٢٠٥

١- الإصحار: أي البروز إلى الصحراء لا يواريه شيء.



- وقال أبو فراس الحمداني :

إن الغني هو الغني بنفسه      ولو أنه عاري المناكب حافٍ  
ما كل ما فوق البسيطة كافياً      فإذا قنعت فكل شيء كافٍ  
ويعاف لي طبع الحريص أبوتني      ومروءتي وقناعتي وعفافي

ص ٢٠٦

## ٢٨ - عصيان الهوى

- روي أن هشام بن عبد الملك لم يقل بيتاً من الشعر إلا قوله :

إذا أنت لم تعص الهوى قaddock الهوى      إلى بعض ما فيه عليك مقال

ولما سمعه أبو عمر<sup>(١)</sup> قال : لو قال : إلى كل ما فيه عليك مقال ، لكان أبلغ

وأحسن. ص ٢٠٧

- وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله؛ فإن كان

عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوءٍ ، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يومٌ صالح.

ص ٢٠٨

## ٢٩ - المتحلون بأعلام مضافة إلى اسم الله - عز وجل -

- داعي الله : داعي الله : هو النبي ﷺ ، وهو من قوله - تعالى - : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى

اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴾ (٤٦) ﴿ الأحزاب ، أي : إلى توحيده وما يقرب منه.

ص ٢١٠

- خليل الله : خليل الله : عليه الصلاة والسلام. ص ٢١١

- روح الله ، وكليم الله : روح الله قال - تعالى - في ذكر عيسى - عليه السلام - :

١ - يعني به : ابن عبد البر - كما في كتابه بهجة المجالس - .

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ النساء: ١١٧.

فلذا قيل له: روح الله، كما قيل لإبراهيم خليل الله، ولموسى كليم الله -عليهم الصلاة والسلام- والأرواح كلها منه وله، وإنما أضيف روح الله إليه على سبيل الاختصاص. ص ٢١١

- أسد الله: كان يقال لحمزة بن عبد المطلب: أسد الله؛ لِتَقْدُمِ قَدَمِهِ فِي الحرب، وشدة إقدامه على أعداء رسول الله ﷺ. ص ٢١٢

- سيف الله: سيف الله: خالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان، سماه النبي ﷺ سيف الله؛ لحسن آثاره في الإسلام وصدقه في قتال المشركين. ص ٢١٢

- جار الله: كان الإمام أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري قد سافر إلى مكة -حرسها الله تعالى- وجاور بها زماناً فصار يقال له: جار الله؛ لذلك. ص ٢١٢

- قواري الله: القارية: الصالحون من الناس. ص ٢١٢

- ظل الله: ظل الله: يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «السلطان ظل الله في أرضه» وفي حديث: «السلطان ظل الله في الأرض؛ لأنه يدفع الأذى عن الناس، كما يدفع الظل أذى حر الشمس» وقد يكنى بالظل عن الكنف والناحية -النهاية لابن الأثير. ص ٢١٣

- أهل الله: كان يقال لقريش في الجاهلية أهل الله، تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم، والفضائل والخصائص، التي هي أكثر من أن تحصى... فلما جاء الله -تعالى- بالإسلام، وبعث منهم خير خلقه، وأفضل رسله محمداً رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه -تظاهر شرفهم، وتضاعف كرمهم، وصاروا على الحقيقة أهلاً

لأن يدعوا أهل الله، فاستمر عليهم وعلى سائر أهل مكة، وعلى أهل القرآن هذا الاسم؛ حين قال النبي ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» - الثمار. ص ٢١٤

- عمال الله: عمال الله هم الذين يعملون لله، فيما يشتغلون بعبادته وإما يجاهدون في سبيله. ص ٢١٤

- حزب الله: قال الله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ المجادلة: ٢٢ جنده وأنصار دينه. ص ٢١٥

- جنود الله: الجنود: جمع جند، وهو العسكر، وكل مجتمع يقال له: جند، نحو: الأرواح جنود مجندة، وجنود الله: هم المحامون عن دينه، قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣) الصافات. ص ٢١٥

- وفد الله: كتب الصاحب أبو القاسم: الحجيج وفد الله. ص ٢١٦

### ٣٠ - الصبر

- الصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه. ص ٢٢١

- وقيل: الصبر: حبس النفس لمصادفة المكروه، وصبر الرجل: حبس نفسه عن إظهار الجزع، والجزع: إظهار ما يلحق المصاب من المضض والغم. ص ٢٢١

- وعن علي عليه السلام: الصبر يناضل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان. ص ٢٢١

- ومن أشرف نعوت الإنسان: أن يُدعى حليماً؛ لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً، وعالماً، ومصطبراً محتسباً، وعَفُوّاً، وصافحاً، ومحتملاً، وكاظماً، وهذه شرائف الأخلاق، وكرائم السجايا والخصال. ص ٢٢٢ - ٢٢٣

## ٣١ - انتهاز الفرصة

- من كلام ابن المعتز: إهمال الفرصة حتى تفوت عجز، والعجلة قبل التمكن خُرق. ص ٢٢٤

- وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «من الخُرقُ المعالجة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة» الخُرق - بالضم - الحمق وضد الرفق، والأناة: التأني، والفرصة: ما يمكنك من مطلوبك، ومن الحكم: أن لا تتعجل حتى تتمكن، وإذا تمكنت فلا تهمل. ص ٢٢٤

- وقال علي بن إسحاق الزاهي وقيل لغيره:  
بادر إذا حاجة في وقتها عرضت      فلحوائج أوقات وساعات  
إن أمكنت فرصة فانهض لها عجلًا      ولا تؤخر فللتأخير آفات  
ص ٢٢٤

- سئل أنو شروان - ما أعظم المصائب؟ فقال: أن تقدر على المعروف فلا تصنعه حتى يفوت. ص ٢٢٥

## ٣٢ - ما قاله أبو بكر الصديق عند موته

- لما احتضر أبو بكر عليه السلام، جاءت عائشة - رضي الله عنها - فتمثلت بهذا البيت:  
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى      إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا، ولكن قل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما، وكفنوني فيهما؛ فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت. ص ٢٢٨  
- وقالت عائشة - رضي الله عنها - عند موته:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ربيعُ اليتامى عصمةً للأرامل

فقال أبو بكر: ذلك رسول الله ﷺ . ص ٢٢٨

- ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعوا لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليّ

طبيبي ، وقال : إني فعّال لما أريد. ص ٢٢٨

- ودخل عليه سلمان الفارسي -رضي الله تعالى عنه- يعودده فقال: يا أبا بكر:

أوصنا ، فقال إن الله فاتح لكم الدنيا؛ فلا تأخذن منها إلا بلاغك. ص ٢٢٨

- وقال عند موته لعمر -رضي الله عنهما- : والله ما نمت فحلمت ، وما شبع

فتوهمت ، وإني لعلّ السبيل ما زغت ، ولم آل جهداً ، وإني أوصيك بتقوى الله ،

وأحذرك يا عمر نفسك ، فإن لكل نفس شهوةً إذا أُعطيَتْها تمادت فيها ، ورغبت

فيها. ص ٢٣٠

### ٣٣ - زلة الرأي واللسان

- الزلة : الخطيئة ، والذنب ، والسقطة في مقال ، ونحوه. ص ٢٣١

- وقال بعضهم : رحم الله من أطلق ما بين كفيه ، وحبس ما بين فكيه. ص ٢٣٢

- ومن الحكم : إذا زلت فارجع ، وإذا أسأت فاندّم ، وإذا ندمت فاقلع. ص ٢٣٤

### ٣٤ - الإعراض عما يخل بالمروءة

- قال الحماسي :

وأعرضُ عن مطاعمٍ قد أراها فأتركها وفي بطني انطواء

يقول : تعرض لي مطاعم فيها دنس ، فأتركها وبطني جائع؛ مخافة العار

والإثم. ص ٢٣٦

- وقيل : إن الخليل بن أحمد رحمته الله أتى إليه رسول الخليفة يطلبه - وهو جالس

يبل خبزاً يابساً في ماء ، فإذا انتقع أكله - فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له : ما دمت أجد هذين فإنني لا أحتاج إليه. ص ٢٣٨  
 - وكان الخليل متقللاً من الدنيا ، صبوراً على العيش الحشن الضيق ، وكان يقول : لا يتجاوز همي ما وراء بابي. ص ٢٣٨

### ٣٥ - لا تهتم لرزق غدك

- قال الشاعر :

إنَّ ربَّكَ كفاك بالأمس ما كا      ن سيكفيك في غدٍ ما يكونُ  
 ص ٢٣٩

- وقال آخر :

لو كان في صخرة صماء راسية      في البحر ملمومة ملْسِ نواحيها  
 رزق لعبدٍ يراه الله لانصدعت      حتى يؤدي إليه كلُّ ما فيها  
 أو كان تحت طباق السبع مسلَّكها      لسهل الله من قرب مراقيها  
 حتى ينال الذي في اللوح خطَّ له      إما أتته وإلا كان يأتيها  
 ص ٢٣٩

- وقال محمد بن إدريس الأندلسي (الوفيات ج ١ ص ٢٧٨) :

مَثَلُ الرزقِ الذي تطلبه      مَثَلُ الظلِّ الذي يمشي معك  
 ص ٢٤٠

- وقال ابن زريق :

وما مجاهدةُ الإنسانِ واصلةٌ      رزقاً ولا دعةُ الإنسانِ تقطعهُ  
 قد قسَّم الله بين الخلقِ رزقَهُم      لم يخلقِ الله من خلقٍ يضيِّعهُ  
 ص ٢٤١

## ٣٦ - حلم الأحنف وقيس بن عاصم

- كان الأحنف سيد قومه ، موصوفاً بالعقل والدهاء ، والعلم والحلم .  
 وكان من سادات التابعين ، يضرب بحلمه المثل ، فعن الحسن قال : ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف . ص ٢٤٢
- وقال زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ، ولا يضره العزل . ص ٢٤٢
- وسئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد ، فقال : بفضل سلطانه على نفسه . ص ٢٤٢
- وقيل للأحنف بم سدت ، قال : بالخلق السجيح - السهل - والكف عن القبيح ، وتجنب الدني ، وترك اللسان البذي . ص ٢٤٢
- وقيل له : ما أحلمك ! قال لست بحليم ، ولكنني أتخالم ، والله ، إني لأسمع الكلمة فأحلم لها ثلاثاً ما يمنعني من الجواب عنها إلا خوفي من أن أسمع شراً منها . ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
- وقال الميداني : « كان الأحنف حليماً ، موصوفاً بذلك ، حكيماً معترفاً له به ، ثم قال : « وسئل هل رأيت أحلم منك ؟ قال : نعم ، وتعلمت منه الحلم قيل : من هو ؟ قال قيس بن عاصم المنقري » ص ٢٤٣
- وكان الأحنف بن قيس يقول : إنما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم . ص ٢٤٣
- وقال ابن الأعرابي : قيل لقيس : بماذا سدت قومك ؟ فقال بثلاث : بذل الندي ، وكف الأذى ، ونصر الولي .
- وقال الأحنف : لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحلم ، كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه . ص ٢٤٤

## ٣٧ - دع عنك من كره صحبتك

- من أمثال العرب قولهم:

خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفضلة ماؤه

قال الميداني: يضرب لمن كره صحبتك وزهد فيك. ص ٢٤٥

- وقال شاعر:

وكل خليل ليس في الله ودّه فإني به في وده غير واثق

ص ٢٤٦

- وما يتعلق بذكر الود قول بعضهم (اللباب لأسامة ص ٣٢١):

إذا ما أخي يوماً تولّى بوده وأنكرت منه بعض ما كنت أعرفُ  
عطفّت عليه بالمودّة إنني على مُدبر الإخوان بالودّ أعطفُ  
وإغضاؤك العينين عن عيب صاحبي لعمرك أبقى للوداد وأشرفُ

ص ٢٤٧

- وقال آخر:

إن الصديق إذا رآك مخالفاً لهواه بدّل وده بعقـوق  
فاخفض جناحك للصديق متابعاً أهواءه أو عشْ بغير صديق

ص ٢٤٧

## ٣٨ - كلمات للأحنف بن قيس

- قال الأحنف: ما عرضتُ النّصفَ قط على أحد فقبلها إلا دخلتني له

هيبة، ولا ردها إلا اختبأتها في عقله. ص ٢٥٠

- وقال له رجل: دلني على المروءة، فقال: عليك بالخلق الفسيح، والكف



عن القبيح، ثم قال: ألا أدلك على أدوأ الداء، قال: بلى قال: اكتساب الذم بلا منفعة. ص ٢٥٠

- وسئل عن المروءة فقال: التفقه في الدين، وبر الوالدين، والصبر على النوائب. ص ٢٥٠

- ويروى عن الأحنف قال: لا مروءة لكذوب، ولا إخاء لملول، ولا سؤدد لسيئ الخلق. ص ٢٥٠

- ومن كلمات الأحنف قوله: إياكم ورأي الأوغاد، قالوا: وما رأي الأوغاد؟ قال: الذين يرون الصفح والعفو عاراً. ص ٢٥٠ - ٢٥١.

- وأتى الأحنف بن قيس مصعب بن الزبير فكلمه في قوم حبسهم، فقال: أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا في باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حُبسوا في حق فالعفو يسعهم، فخلاهم. ص ٢٥١

- وقال الأحنف: ما خان شريف، ولا احتجب كريم، ولا كذب عاقل. ص ٢٥١

### ٣٩ - عزة النفس

- قال المتنبي:

وإني لمن قومٍ كأن نفوسنا بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما  
فلا عبّرت بي ساعة لا تُعزّني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

ص ٢٥٣

- ومن الكلم النوابع: إن لم تكن ذا عرين أشم، كنت لريح الذلّ أشم. ص ٢٥٣

- وقال الفرزدق: من قصيدة يمدح بها علي بن الحسين - رضي الله عنهما -:

في كفه خيزرانٌ ريحه عبق من كف أروع في عرينه شمم

يُغْضِي حِيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ      فَمَا يَكْلِمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ  
ص ٢٥٤

- وقال علي بن الحسن الشهير بصّر درّ: (عن ديوانه):  
كُلُّ النِّكَالِ أَطِيقُ إِلَّا ذُلَّةً      إِنَّ الْعَزِيزَ عَذَابُهُ بِهِوَانٍ  
هذا البيت من قصيدة ، منها:  
يَا عَيْنُ مِثْلُ قِذَاكَ رُؤْيَا مَعْشَرٍ      عَارِ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَالِدِينَ  
لَمْ يَشْبَهُوا الْإِنْسَانَ إِلَّا أَنَّهُمْ      مَتَكُونُونَ مِنَ الْحَمَامِ الْمُسْنُونِ  
نَجَسَ الْعَيُونَ فَإِنْ رَأَتْهُمْ مَقْلَتِي      طَهَرْتُهَا فَنَزَحْتَ مَاءَ جَفَوْنِي  
أَنَا إِنْ هُمْ حَسَبُوا الذِّخَائِرَ دُونَهُمْ      أَوْ هُمْ - إِذَا عَدَّوْا الْفَضَائِلَ - دُونِي  
ص ٢٥٥

#### ٤٠ - علامات العاقل وأوصافه

- يقال : من علامات العاقل حسن سمته ، وطول صمته. ص ٢٥٦  
- وقالوا: من علامة العاقل ثلاثة: تقوى الله، وصدق الحديث، وترك ما لا  
يعني. ص ٢٥٦  
- وفي حكمة داود: على العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه، مالكا للسانه،  
مقبلاً على شأنه. ص ٢٥٦  
- وقال بعض الحكماء: أربعة تدل على صحة العقل: حب العلم، وحسن  
الحلم، وصحة الجواب، وكثرة الصواب. ص ٢٥٦  
- ومن رسالة للخوارزمي: «...والعاقل إذا أبغض أنصف، وإذا أحبّ  
الطف». ص ٢٥٦

#### ٤١ - المتغابي

- المتجاهل عن الشيء وهو عارف به ، وهو مما يحمد به الرجل.

قال حبيب<sup>(١)</sup>:

ليس الغبي بسيدٍ في قومه      لكن سيد قومه المتغابي  
ص ٢٦٧

#### ٤٢ - الهوى الهوان

- الهوى بالقصر: العشق يكون في الخير والشر. قاله المجد. ص ٢٧٦  
- وفي أخبار الأول للإسحاق ص ٧٠ ما لفظه: «تعريف الهوى: هو ميل النفس إلى الشهوة - حلالاً أو حراماً». ص ٢٧٦  
- وجاء في أدب الدنيا للماوردي ص ٨ ما يتلو: قال أعرابي: الهوى هوان ولكن غلط باسمه، فأخذه الشاعر وقال:  
إن الهوان هو الهوى قلب اسمه      فإذا هويت فقد لقيت هوانا  
ص ٢٧٧  
- وقال آخر:  
نون الهوان من الهوى مسروقة      وصرعُ كل هوى صريعُ هوان  
ص ٢٧٧

#### ٤٣ - العقل والأدب

- قيل: إذا جمع المعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم: الصبر، والتواضع، وحسن الخلق.  
وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم: العقل، والأدب، وحسن الفهم. ص ٢٨٣  
- وقالوا: لا عقل إلا بأدب، ولا أدب إلا بعقل. ص ٢٨٣

١- يعني أبا تمام.

- وقال الإمام مالك رحمه الله لفتى من قريش: يا ابن أخي، تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم. ص ٢٨٥

- والأدب الذي تعرفه العرب: هو ما يحسن من الأخلاق، وفعل المكارم، مثل ترك السفه، وبذل المجهود، وحسن اللقاء. ص ٢٨٥

#### ٤٤ - لا تتلهف على ما فات

- يقول تلهّف على الفائت: تحسّر - الأساس.  
ولَهْفٌ - بالكسر - يلهفُ لهفاً أي: حزنٌ وتحسّرٌ، وكذلك التلهف على الشيء، وقولهم: يا لهف فلان: كلمةٌ يتحسر بها على ما فات. قاله الجوهري. ص ٢٩١  
- قال أبو بكر ابن النطاح:

ولم أتلف الصعداء لهفاً      على عيش تداعى بانقضاب  
أطالع ما أمامي بابتهاج      ولا أقفو المولي باكتئاب  
ص ٢٩١

- وقال عبد الرحمن بن يزيد الهمداني:  
باقٍ على الحدثان غير مكذبٍ      لا كاسفٍ بالي ولا متأسفٍ  
إن نلت لم أفرح بشيءٍ نلته      وإذا سُيِّقْتُ به فلا أتلهفُ  
ص ٢٩١

- وقال عبد الله بن الزبير الأسدي:  
ولا تراني على ما فات مكتئباً      ولا تراني إلى ما قيد مبتهجا  
ص ٢٩٢

- وقال كعب بن زهير: - يصف الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -:  
لا يفرحون إذا نالت رماحهم      قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا  
ص ٢٩٢

## ٤٥ - تبادل الآراء

- وقال الشاعر :

وإذا الأمور عليك يوماً أشكلت      فاعمد لرأي أخ نصيح مرشد  
واحفظ نصيحة من بدا لك ودُّه      وبرأي أهل الخير جهْدَكَ فاهتد

ص ٢٩٤

- قال عبد الله بن المعتز : من شاور لم يعدم في الصواب مادحاً ، ولا في الخطأ

عاذراً. ص ٢٩٥

- وقال بشار بن برد : المشاور بين إحدى الحسنين : صواب يفوز بثمرته ، أو

خطأ ويشارك في مكروهه. ص ٢٩٥

- قال الحسن (رضي الله عنه) : والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما

يحضرهم. ص ٢٩٦

## ٤٦ - الورع

- الورع محرّكة : التقوى والتحرّج ، والكف عن المحارم ، وقيل : الورع : الكف

عن الشبهات فضلاً عما لا يحل. ومن أمثال العرب (الشبهة أخت الحرام) ص ٢٩٩

- وكان الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حليماً كريماً ورعاً ، دعاه ورعه

وحلمه إلى ترك الدنيا والخلافة لله - عز وجل -. ص ٢٩٩

## ٤٧ - أفذاذ من أصحاب الهمم السامية

- أخرج ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن موسى بن أبي عيسى : أن رجلاً

استقرض من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً ، فلما ردها إليه أبى أن يقبلها. ص ٣٠٣

- ومرض قيس بن سعد بن عبادة (رضي الله عنه) فاستبطن إخوانه عن عيادته ، فسأل

عنهم، فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فأمر منادياً نادى كل من كان لقيس عليه دينٌ فهو في حلٍّ منه، فكُسِرَتْ درجته بالعشيِّ لكثرة من عاده. ص ٣٠٣

- قيل: اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بسبعين ألف درهم، فلما كان بالليل سمع بكاء آل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قال: يكون من أجل دارهم، قال: يا غلام ائتهم فاعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً. ص ٣٠٣

#### ٤٨ - المداراة

- المداراة: حسن الخلق والمعاشرة مع الناس. ص ٣١٣

- ومن المقامة القهقرية الحريية قوله: «واستعمال المداراة، يوجب المصافاة». ص ٣١٣

- وقرأت في كتاب خاص الخاص للثعالبي ص ١٢ - كلمة بعنوان المداراة، وهي هذه: «العرب<sup>(١)</sup>: إذا عَزَّ أخوك فَهَنْ - بكسر الهاء -: أي إذا عاسرك فياسره، الخاصة<sup>(٢)</sup>: لا يَنْ إذا عَزَّكَ أي «غلبك» من تخاشنه. ص ٣١٤

#### ٤٩ - الحج والحجيج

- الحج في الأصل القصد، وقد خُصَّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله - تعالى - إقامة للنسك. ص ٣٢١

- الكريمان: الحج والجهاد. ص ٣٢٢

١- يعني قالت العرب.

٢- يعني قالت الخاصة.

- الحاجّ والداجّ: ومن أمثال العرب: (ما حج ولكنه دَجّ) - يقال: هم الحاج والداج، قالوا: الداج: الأعوان والمكارون، ويقال: الداج: الذي خرج للتجارة وهو من دج يدج دجيجاً أي دبّ.

- وجاء في مستدرک التاج ما يتلو: «وقولهم: أقبل الحاج والداج - يمكن أن يراد به الجنس، وقد يكون اسماً للجمع كالجمال، والباقر، وروى الأزهري، عن أبي طالب في قولهم: ما حج ولكنه دج، قال: الحج: الزيارة والإتيان، وإنما سمي حاجاً بزيارة بيت الله - تعالى - قال: والداج: الذي يخرج للتجارة». ص ٣٢٣

- الثجّ: سيلان دم الهدى والأضاحي. ص ٣٢٣.

- العجّ: رفع الصوت بالتلبية. ص ٣٢٣

- لبيك وسعديك: قال الزجاج: إنما يستعمل هكذا في لفظ التلبية، قال سيويّه: سألت الخليل عن اشتقاقه ومعناه: فقال: لبيك من الإلباب، يقال: ألَبَّ الرجل بالمكان إلباباً إذا أقام به، فإذا قال لبيك: فكأنه قال: أنا مقيم عند أمرك. وسعديك: مأخوذ من الإسعاد، والإسعاد والمساعدة سواء، فإذا قال لله - عز وجل -: لبيك وسعديك في التلبية، فكأنه قال: أنا مقيم عند أمرك ومتابع له، فقد تقرب منه بهواه لا ببدنه. اهـ كلامه. ص ٣٢٤

#### ٥٠ - محاسن السفر ومعائبه

- من فضل السفر: أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار، وبدائع الأقطار، ومحاسن الآثار، ما يزيده علماً، ويفيده فهماً بقدرة الله وحكمته، ويدعوه إلى شكر نعمته، ويسمع العجائب، ويفتح المذاهب، ويجلب المكاسب، ويشد الأبدان، وينشط الكسلان، ويسلي الأحران، ويطرد الأسقام، ويشهي الطعام،

ويحط سورة الكبر، ويبعث على طلب الذكر. ص ٣٣٣

- وقال الشاعر:

سافر تجد رتب المفاخر والعلا      كالدرّ سار فصار في التيجان  
وكذا هلال الأفق لو ترك السرى      ما فارقتة معرة النقصان

ص ٣٣٣

- وقال الطغرائي - (واسمه الحسين بن علي):

إن العلا حدثتني وهي صادقة      فيما تحدث أن العز في النّقل  
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى      لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

ص ٣٣٣

- وقال آخر:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى      وسافر ففي الأسفار خمس فوائد  
تفرج همّ واكتساب معيشة      وعلم وآداب وصحبة ماجد

ص ٣٣٤

#### ٥١ - معائب السفر

- قال بعض الحكماء: معائب السفر سبعة، الأول: مفارقة الإنسان من

يألفه، الثاني: مقارنة من لا يشاكله.

الثالث: المخاطرة بما يملكه.

الرابع: مخالفة عاداته في مأكله ومنامه.

الخامس: مجاهدة الحرّ والبرد بنفسه.



السادس: احتمال مئة الملاح والمكاري.

السابع: السعي كل يوم في تحصيل منزل جديد. ص ٣٣٤

- ومما نطقت به العرب على التثنية تقول: العذابان: السفر، والبناء.

- وفي الآثار: عذابان لا يُشعر بهما: السفر والبناء؛ لأن السفر، ينهك

البدن، والبناء؛ ينهك المال. ص ٣٣٥

## ٥٢ - عز التقى

- جاء في الثمار للثعالبي ص ٥٤٨ ما يتلو: عزّ التقى: يقال: إنه لم يمدح

عالم بأحسن من قول ابن خياط في الإمام مالك بن أنس -رحمة الله عليه-:

يأبى الجواب فما يراجع هيبةً      والسائلون نواكس الأذقان

هذا التقى وظل سلطان التقى      لهو المهيب وليس ذا سلطان

ص ٣٤٧

- وجاء في الزهر للحصري ج ١ ص ٦٩ ما لفظه: وقال ابن الخياط المكي،

واسمه عبد الله بن سالم، في باب الهيبة في مالك بن أنس الفقيه -رحمة الله

عليه- وقيل: إن هذا من قول ابن المبارك:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة      والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى      لهو المهيب وليس ذا سلطان

ص ٣٤٧

## ٥٣ - العقل والهوى

- قال وهب بن منبه: العقل والهوى يضطرعان فأيهما غلب مال لصاحبه. ص ٣٤٩

- وقال بعض الحكماء: إذا غلب العقل الهوى صرف المساوي إلى المحاسن؛

فجعل البلادة حليماً، والحدة ذكاءً، والمكر فطنة، والهدر بلاغة، والعبي صمتاً،

والعقوبة أدباً، والجبنَ حذراً، والإسراف جوداً. ص ٣٤٩

- وقال بعض الحكماء: العقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع. ص ٣٤٩

- وأنشد الزمخشري:

فالعقل هادٍ لا يزيغ إلى      بصيرة عن سداد الرأي مأفوكه  
ومن يقده هواه في خزامته      فذاك بين ذوي الأبواب أضحوكة

ص ٣٤٩ - ٣٥٠

- وآفة العقل الهوى فمن علا      على هواه عقله فقد نجا

ص ٣٥٠

- وقال الشاعر:

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى      وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

ص ٣٥٠

- وقال طاووس: ما قلادة نظمت من در وياقوت بأزين لصاحبها من العقل، ولو

ناصح المرء عقله لأراه ما يزينه مما يشينه، فالمغبون من أخطأ حظه من العقل. ص ٣٥١

- وقيل في المثل: العقل وزير ناصح، والهوى وكيل فاضح، أي: كاشف

للمساوي ومظهر إياها. ص ٣٥١

#### ٥٤ - جود سعد بن قيس بن عباد الصحابي رضي الله عنه

- جاء في (عيون الأخبار) لابن قتيبة ما لفظه: «وقعت عجوز على قيس ابن

سعد، فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، قال: ما أحسن هذه الكناية! املؤا بيتها

خبزاً ولحماً وسمناً وتراً». ص ٣٥٣

## الحادي عشر: المنتقى من كتاب

## نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين

## تعريف بالكتاب:

ما يقال عن الكتاب السابق -حكم وأخلاق عربية- يقال عن هذا الكتاب تقريباً. فهذا الكتاب يحتوي على مقالات في الأدب تتضمن تعليقات، أو تصويبات، أو استدراقات، أو تحقیقات، أو شروح لأبيات. كما أنه يحتوي على مقالات ولطائف أخرى في هذا الشأن. والكتاب يقع في ٢٧٢، صفحة مقاس ٢٥×١٧ سم، وقد جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني، وهو من مطبوعات الدار الحسينية للكتاب ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

## النقول المنتقاة: قال ﷺ:

## ١ - راحة المحزون

- قال ذو الرمة:

خليلي عوجاً من صدور الرواحل      بجمهور حُزوى فابكيا في المنازل  
لعل انحدار الدمع يعقب راحة      إلى القلب أو يشفي نجيّ البلابل

وجاء في المحاضرات للأصبهاني ج ٢: ٣٦ ما يأتي:

وقال ابن عباس: كنت إذا خرجت أمتنع من البكاء حتى سمعت قول ذي الرمة:  
لعل انحدار الدمع يعقب راحة      من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل  
فصرت أشتفي من الوجد به. ص ٤٠.

- وقال المتنبي :

إن خير الدموع عيناً لَدَمْعُ      بعثته رعايةً فاستهلا

قال العلامة العكبري :

يقول : إن خير الدموع لدمع سببه رعاية العهد ، وهو عون على الحزن ؛  
وذلك أن الدمع يخفف برح الوجد ؛ كما قال ذو الرمة :  
لعل انحدار الدمع يعقب راحة      من الوجد أو يشفي لداء البلبال  
وجاء في الكامل للمبرد ج ١ : ٦١ ما لفظه :  
قال أبو العباس : وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت  
قول ذي الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة      من الوجد أو يشفي نجي البلبال  
فخلوت ، فبكيت ؛ فسلوت . ص ٤٠ - ٤١

٢ - أشعار كان يتمثل بها بعض السلف - رضي الله عنهم -

- قال ابن عباس : كان أبو بكر كثيراً ما ينشد :

إذا أردت شريف الناس كلهم      فانظر إلى ملك في زي مسكين  
ذاك الذي حسنت في الناس قائلته      وذاك يصلح للدين والدين

ص ٤٤

- وقال سفيان الثوري بلغني أن عمر بن الخطاب كان يتمثل :

لا يغرّنك عشاء ساكن      قد يوافي بالمنيات السّحر

ص ٤٤

- وكان معاوية كثيراً ما ينشد :

إنّا إذا مالت دواعي الهوى      وأنصت السامع للقائل  
واعتلج الناس بألبابهم      نقضي بحكم عادل فاصل  
نخاف أن تُسَفّهَ أحلامنا      فنخمل الدهر مع الخامل

ص ٤٤

- وقال موسى بن عبد الله الخزاعي: بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان لا  
يجف فوه من هذا البيت:

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له      مع الله في دار القرار نصيب

ص ٤٤ - ٤٥

- وكان سفيان الثوري رحمته الله كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:

ابل الرجال إذا أردت إخوانهم      وتوسمن إخوانهم وتفقد  
فإذا وجدت أخا الأمانة والتقى      فبه اليدين قريراً عين فاشدد  
كم من صديق في الرخاء مُساعدٍ      وإذا أردت حقيقةً لم توجد

ص ٤٥

- وكان الشافعي رحمته الله ينشد:

إذا رأيت شباب الحي قد نشأوا      لا يحملون قلال الحبر والورقا  
ولا تراهم لدى الأشياخ في حلق      يعون من صالح الأخبار ما اتسقا  
فعدّ عنهم ودعهم إنهم همجٌ      قد بدّلوا بعلوّ الهمة الحمقاً

ص ٤٥

- وكان الحسن البصري يتمثل بهذين البيتين، أحدهما في أول النهار،

والآخر في آخر النهار:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى  
إذا عرف الداء الذي هو قاتله  
والآخر:

وما الدنيا بباقية لحي  
ولا حي على الدنيا بباقي  
ص ٤٥

- وكان سيويه كثيراً ما ينشد :

إذا بلّ من داء به ظن أنه  
نجا وبه الداء الذي هو قاتله  
ص ٤٦

### ٣ - سانحة

- قال أبو تمام - أحد شعراء القرن الثالث للهجرة - يرثي بني حميد من قصيدة :  
ويضحك الدهر منهم عن غطارفةٍ كأن أيامهم من حسنها جُمعُ  
هذا البيت يدل على أن المسلمين كانوا في القرون الأولى يحتفلون بيوم الجمعة احتفالاً عظيماً ، ولعلنا لم نكن مخطئين إذا فهمنا من فحوى البيت أن احتفالهم بذلك اليوم كان لا يقل عن احتفالهم وابتهاجهم بيومي عيد الفطر والأضحى ؛ ولو لم يكن ذلك كذلك لما شبه الشاعر أيام الممدوحين في حسنها بأيام الجمععات .  
أما تظاهر المسلمين بجميع ما في وسعهم من العناية بيوم الجمعة فذلك لأسباب :  
منها : ما ماز به الدين الإسلامي في ذلك اليوم ، وخص به المكلفين بأداء فريضة الجمعة ، من اغتسال ، وتحسين هيئة ، وجميل ثياب ، وتطيب لغير النساء .  
ومنها - أيضاً - : حضور الخلفاء صلاة الجمعة ، وخروجهم لها مصحوبين

برجال دولتهم إلى المسجد الجامع ، وكذلك يفعل أمراؤهم وعمالهم في البلاد القاصية عن مقر الخلافة.

وإن في اجتماع الأمة بكبرائها ما يبعث في النفوس بهجة وارتياحاً.  
ومنها -أيضاً-: أن المدن والقرى تكتظ يوم الجمعة بالوافدين من ضواحيها لصلاة الجمعة ، وغير خفيٍّ ما ينتج عن ذلك الاجتماع من الإيناس ، وتبادل الآراء ، والمصالح الاجتماعية والاقتصادية.

وبذلك يتبين لنا أنه بوجود هذا اليوم في الإسلام لم تفقد المنافع التي كانت للعرب في سوق عكاظ وغيره من أسواقهم.

هذا وإن الأسباب التي بينها -أنفاً- هي كافية وداعية إلى اهتمام المسلمين وعنايتهم بيوم الجمعة ، الجامع بين مظاهر الدنيا والدين. ص ٥٥ - ٥٦

#### ٤ - تعلموا العربية

- كتب عمر إلى أبي موسى - رضي الله عنهما -: أما بعد : فتفقهوا في السنة ، وتعلموا العربية. ص ٦٢

- عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : عليكم بالفقه في الدين ، وحسن العبادة ، والتفهم في العربية.

عن أبي عمر بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية؛ فإنها تثبت العقول ، وتزيد في المروءة. ص ٦٢

- وقال عبد الملك بن مروان : أصلحوا من ألسنتكم؛ فإن المرء تنوبه النائبة؛ فيستعير الثوب والدابة ، ولا يمكنه أن يستعير اللسان. ص ٦٣

### ٥ - بيتان من شعر الأعشى

- وقال السيد مرتضى في شرح القاموس ج ٢: ٣٩٨ ما نصه: ومما يستدرك عليه «شاجردى» وقد جاء في شعر الأعشى:

وما كنت شاجردى ولكن حسبتي      إذا مسحل سدئى لي القول أنطق  
شريكان فيما بيننا من هوادة      صبيان جنئى وإنسٌ موفق

قال البكري: ورواه أبو عبيدة «شاجردى»<sup>(١)</sup> وهو المتعلم، ومسحل: شيطانه، و «حسبتي» - هنا -: بمعنى اليقين، وأورده شيخنا - هكذا - واستدركه في آخر المادة، قلت: وهو معرب عن شاگرد - بكسر الكاف - بالفارسية وهو المتعلم. اهـ كلام السيد.

وكان الأعشى يفد على ملوك فارس؛ ولذلك كثرت الفارسية في شعره. ص ٧٨

### ٦ - تفسير بيت من الشعر

- من أمثالهم (أكل عليه الدهر وشرب) يضرب لمن طال عمره، يريدون أكل وشرب دهرًا طويلاً، وقال:

كم رأينا من أناس قبلنا      شرب الدهر عليهم وأكل

ص ٧٩

### ٧ - تعليقات على أبيات من شعر أبي تمام

- ولم تزل الشعراء تذكر كراهيتها للوداع وهربها منه؛ لما يتصور فيه من ألم الفرقة، وغصص الوحشة؛ وهذا معروف مشهور، وقد قال فيه أبو تمام:

١- لعل هذا هو معنى الكلمة العامية (شِقَرْدِي) فهم يقولونها إذا أرادوا الثناء على أحد بأنه متقن شهم.



ءآلفة النحيب كم افتراق أضلّ فكان داعية اجتماع  
وليسست فرحة الأوبات إلا لموقوفٍ على ترحّ الوداع  
فجعل للوداع ترحاً يقابل فرح الإياب ، وهذا صحيح. اهـ كلام السيد. ص ٨٦

#### ٨ - لطائف الأدباء

- ما زال المتأدبون يحنون إلى استماع ما يصدر عن الأدباء من اللطائف التي  
تبعث في الأرواح انتعاشاً ، وفي الصدور انشراحاً. ص ٩٤  
- فمن ذلك ما حكى أن هارون الرشيد لما سمع قول الشاعر:  
تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل  
سأل عنه وعمن قيل فيه ، فقيل له : لمسلم بن الوليد الشاعر ، في قائد الجيوش  
يزيد بن يزيد الشيباني ، وكان يزيد يقول للرشيد : والله يا أمير المؤمنين ،  
لأحرصن على أن لا أكذب شعرائي فيما يمدحونني به ، فأمر الرشيد بإحضار  
يزيد على الحالة التي يصادف عليها ، فأحضره وعليه ثياب خلوته ملونة ، فلما  
نظر إليه الرشيد في تلك الحالة ، قال : أكذبت شاعرك يا يزيد؟ قال : فيم يا أمير  
المؤمنين؟ قال في قوله :

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

فقال يزيد : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أكذبتّه ، وإن الدرع عليّ ما فارقطني ،  
وكشف ثيابه ، وإذا عليه درع مظاهرة. ص ٩٤

- ومن اللطائف المستحسنة : ما حكاه المدائني ، قال :

أتى عُويف القوافي باب عمر بن عبد العزيز رحمته الله فحجب أياماً ، ثم أذن له ،

فلما قام بين يديه ، قال :

أجبنني أبا حفصٍ لقيت محمداً      على حوضه مستبشراً بدعاكا

فقال عمر: أقول: لبيك وسعديك ، فقال :

وأنت امرؤ كلتا يديك طليقةٌ      شمالك خيرٌ من يمين سواكا

وهذا مأخوذ من قولهم: شمالك أندى من يمين غيرك.

علام حجابي زادك الله رفعةً      وفضلاً وماذا للحجاب دعاكا

فقال عمر: ليس ذاك إلا لخير ، وأمر له بصلة. ص ٩٥

- ووفد إليه جرير وأقام ببابه أياماً لا يؤذن له ، فبينما هو كذلك يوماً وقد

أزمع على الرحيل ، إذ مر به عدي بن أرطاة ، فقال جرير :

يا أيها الراكب المزجي مطيته      هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لآقيه      أني لدى الباب كالمصفود في قرن

فدخل عدي على عمر ، وذكر أمر جرير ، فأذن له ، فدخل وهو يقول :

إن الذي بعث النبي محمداً      جعل الخلافة في الإمام العادل

قد نال عدلك من أقام بأرضنا      فأليك حاجة كل وفد راحل

فلما مثل بين يديه قال له : ويحك يا جرير ، اتق الله ، ولا تقل إلا حقاً ، ثم

أنشده قصيدة ختمها بقوله :

فما وجدت لكم نداً يعادلکم      وما علمت لكم في الناس من خطر

إني سأشكر ما أوليت من حسن      وخير من نلت معروفاً ذوو الشكر

وعندما استوفاهما وصله بشيء من حر ماله ، فخرج جرير وهو يقول : خرجت من

عند أمير المؤمنين ، وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض. ص ٩٥ - ٩٦

- ومن اللطائف النادرة ما روي عن ابن جريج أنه قال :

ما ظننت أن الله - عز وجل - ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة ، حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله :

بالله قولي له في غير معتبة      ماذا أردت بطول المكث في اليمن  
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها      فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركني ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة ، فخرجت ؛ فحججت . ص ٩٧

- ومن غرر اللطائف : ما حكاه أبو عبيدة ، قال :

التقى جرير والفرزدق بمنى ، وهما حاجان ، فقال الفرزدق لجرير :  
فإنك لاقٍ بالمنازل من منى      فخاراً فخبّرني بما أنت فاهرُ

فقال له جرير : ب : لبيك اللهم لبيك ، قال أبو عبيدة : أصحابنا يستحسنون

هذا الجواب من جرير ، ويعجبون منه . ص ٩٧

- قلت : وما ينخرط في سلك هذه النادرة ما حكاه الإمام المبرد ، قال :

«التقى الحسن البصري والفرزدق في جنازة ، فقال الفرزدق للحسن : أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال : وما يقولون؟ قال : يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير الناس ، وشر الناس ، فقال الحسن : كلا ، لستُ بخير الناس ولستُ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال : «شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة ، وخمس نجائب لا يدركن ، يعني الصلوات الخمس» .

وقد روى ابن سلام أنها جنازة النوار امرأة الفرزدق ، وقد أوصت أن يصليَّ

عليها الحسن ، ويروى أنها جنازة أبي رجاء العطاردي . ص ٩٧/٩٨

## ٩ - نوادر أدبية خاصة بأناس أحرزوا بغيتهم

## بإنشاد بيتين من الشعر

- هذا تحرير يشتمل على نوادر أدبية خاصة بأناس قد أحرز كل منهم بغيته بإنشاد بيتين من الشعر ، سواء أكان ذلك الشعر له أم لغيره من الشعراء ، وإليكم البيان :

أنشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله ﷺ :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له      بوادر تحمي صفوه أن يكدر  
ولا خير في جهل إذا لم يكن له      حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرا  
فقال -عليه الصلاة والسلام- : « لا يَفْضُضُ الله فاك » ، فيقال : إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرر ، وكان كلما سقطت له ثنية تنبت له أخرى مكانها ، وهو أحسن الناس ثغراً. ص ٩٩

- وحكى أبو الوليد المكي ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تظلع ، حتى وقف عليه ، فقال :

وإنك مسترعٍ وإننا رعيةٌ      وإنك مدعو بسيماك يا عمر  
إذا يوم شرُّ شره لشراره      فقد حملتك اليوم أحسابها مضر

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وشكى الرجل ظلع ناقته ، فقبض عمر الناقة ، وحمله على جمل أحمر ، وزوده ، وانصرف. ص ٩٩

- ووفد حصين بن المنذر على معاوية في جماعة من أهل العراق ، فتأخر دخوله ، ودخل غيره ممن كان بالباب ، فقال الحصين :

وكلُّ خفيف الحاذ<sup>(١)</sup> يسعى مشمراً  
إذا فتح البوّاب بابك أصبعا  
ونحن الجلوس الماكثون رصانة  
وحلماً إلى أن يفتح الباب أجمعاً

فبلغ قوله معاوية عليه السلام فأمر بإدخاله في أول الناس. ص ١٠٠

- ودخل شاعر على خالد بن عبد الله القسري يوم جلوسه للشعراء وقد مدحه بيتين - فلما رأى اتساع الشعراء في القول استصغر ما قال فسكت حتى انصرفوا، فقال له خالد: ما حاجتك؟ فقال: مدحت الأمير، فلما سمعت قول الشعراء احتقرت بيتي، فقال: وما هما، فأنشده:

تبرعت لي بالجوود حتى نعشتني وأعطيتني حتى حسبتك تلعبُ  
فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى حليف الندى ما للندى عنك مذهبُ

فقال: ما حاجتك، فقال عليّ دين، فأمر بقضائه، وأعطاه مثله. ص ١٠٠-١٠١  
- ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب وهو محبوس، فلما رآه مقيداً قال له:  
أصبح في قيدك السماحة والجو دُوحمل السديات والحسبُ  
لا بَطْرَ إن ترادفت نَعَمٌ وصابرٌ في البلاء محتسبُ  
فقال له يزيد: ويحك، أتمدحني وأنا في هذه الحالة! فقال: وجدتك رخيصاً  
فاشتريتك! فرمى إليه يزيد بخاتم كان في أصبعه قيمته ألف دينار، وقال: هو ربحك  
أمسكه إلى أن يأتيك رأس المال. ص ١٠١

#### ١٠ - أعرابية ترتجز

- وفي البيان والتبيين للجاحظ ج ٣: ٢٥٠، ما يأتي:  
تزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه، وطمع أن تلد له غلاماً، فولدت

١- خفيف الحاذ: قليل المال.

له جارية، فهجرها وهجر منزلها، وصار يأوي إلى غير بيتها، فمر بخبائها بعد  
حول وإذا هي ترقص بنيتها منه وهي تقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا      يظل في البيت الذي يلينا  
غضبان أن لا نلد البنينا      تالله ما ذلك في أيدينا  
وإنما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الأبيات مرَّ الشيخ نحوهما حضراً حتى ولج عليهما الخباء، وقال:  
ظلمتكما ورب الكعبة. ص ١٠٥

#### ١١ - الجارة - الضرة

- العرب تكني عن المرأة بالنعجة، والشاة، والقلوص، والسرحة، والحرث،  
والفراش، والعتبة، والقارورة، والقوصرة، والنعل، والغل، والقيد، والظلة،  
والجارة، وبكل جاءت الأخبار، ونطقت الأشعار. ص ١١٦  
- والمرأة: جارة زوجها؛ لأنه مؤتمن عليها، وأمرنا أن نحسن إليها، وأن لا  
نعتدي عليها؛ لأنها تمسكت بعقد حرمة الصهر، وصار زوجها جارها؛ لأنه  
يجيرها، ويمنعها، ولا يعتدي عليها. ص ١١٦

- وقال أبو هلال في جمهرة الأمثال: «قولهم: بينهم داء الضرائر» يضرب  
مثلاً للقوم بينهم عداوة لا تنقطع، وحسد الضرائر وعداوة بعضهن بعضاً  
دائمة، قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا شأوه      فاكل أعداء له وخصوم  
كضرائر الحسناء قلن لوجهها      حسداً وبغضاً إنه لدميم

ص ١١٨ - ١١٩

## ١٢ - تداول بعض الشعراء للمعنى الواحد

- كتب رجل إلى صديق له: مَثَّلْنَا - أعزك الله - في قُرْبِ تجاورنا وبُعْدِ تزاورنا  
ما قال الأول:

ما أقرب الدار والجوار وما      أبعدَ معَ قربنا تلاقينا  
ص ١٢٩

- وكتب رجل إلى صديق له يستزيه: « طال العهد بالاجتماع حتى كدنا  
نتناكر عند التلاقي ». ص ١٢٩

- وقال الحكيم: أقرب القرب موادت القلوب وإن تباعدت الأجسام، وأبعد  
البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام. ص ١٣٠  
- وقال الأصفهاني ج ١٥ : ١٤٩ - طبع مصر:

حدثنا حماد، عن إسحاق الموصلي، قال: حدثني أبي، قال: كان العباس  
بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به، وأفعل مثل ذلك، فجاءني يوماً  
فوقف بين البابين، وأنشد لابن الدمينه:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ..... الأبيات

ثم ترنح ساعة ودبَّخَ أخرى، ثم قال: أنطح العمود برأسي من حسن هذا،  
فقلت: لا، ارفق بنفسك. ص ١٣١

## ١٣ - القلم

- قال المأمون: لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة. ص ١٨٧

- وقال أحمد بن عبد الله: القلم راقد في الأفئدة، مستيقظ في الأفواه. ص ١٨٧

- وقيل: عقول الرجال تحت أقلامها. ص ١٨٧
- وقال أبو الفضل الميكالي: القلم أحسن مطيةٍ يشي ركبها رهواً، ويكسو الأنامل زهواً. ص ١٨٧
- وقال سهل بن هرون: القلم أنف الضمير، إذا رعى أعلن أسرارهِ، وأبان آثارهِ. ص ١٨٧

- وقال بعضهم ملغزاً في القلم:

وذي خضوع راكم ساجدٍ      ودمعه من جفنه جاري

مواظب الخمس لأوقاتها      منقطع في خدمة الباري

الباري: يعني الذي يبري القلم. ص ١٨٩

- الأسماء اللغوية للقلم:

البراعة - المذبر - الأرقم - المزبر - الملمول. ص ١٨٩

- وقال ابن سنا الملك: (الخزاة للحموي ص ٦٤):

ولي قلمٌ في أنملي إن هزرتَه      فما ضرني أن لا أهز المهندا

إذا جال فوق الطرس وقعُ صريره      فإن صليلَ المشرفي له صدا

ص ١٩١

#### ١٤ - قولهم هلمّ جرا

- قالوا في هلمّ: أصله لَمْ - مَثَقَل - وها التنبيه، أسقط ألفها؛ لكثرة الاستعمال،

فمعنى هَلُمَّ: لَمْ نفسك إلينا وقرب. ص ٢١٨

- ومن أمثال العرب (هلمّ جرّ) - قال المفضل: أي تعالوا على هيتكم كما



يسهل عليكم -من غير شدة وصعوبة- وأصل ذلك: من الجرّ في السّوق، وهو أن تترك الإبل والغنم ترعى في سيرها -الميداني-.

وقال العسكري في جمهرة الأمثال: «قولهم: «هلم جرا»: معناه: سيروا على هينتكم، فلا تشقُّوا على أنفسكم وركابكم، وأصل الجر: أن تترك الإبل والبقر ترعى وتسير». ص ٢٢٠

### ١٥- أبيات المعاني

- أبيات المعاني هي في اصطلاح الأدباء: ما كان باطنه يخالف ظاهره، وإن لم يكن فيه شيء من غريب اللغة - قاله السخاوي في سفر السعادة - شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٧. ص ٢٢٨

- وقد وقفت أثناء المطالعة في كتب الأدب على جملة من أبيات المعاني التي لم أجدها في كتاب معاني الشعر لأبي عثمان الأشناندان المطبوع بدمشق ١٣٤٠ هـ ولذلك أجردتها بهذا التحرير. ص ٢٢٨

- جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ : ٤٢٩ ما نصه: «من أبيات المعاني:

وحللت من مضرٍ بأمنع ذروة      مُنعت بحدّ الشوك والأحجار

قالوا: يريد بالشوك أخواله، وهم قتادة وطلحة وعوسجة، وبالأحجار أعمامه، وهم صفوان وفهر وجندل وصخر وجروول» ص ٢٢٨

- وجاء في شرح مقصورة حازم للشريف الغرناطي ج ١ : ٦٥ وقال الشاعر -وهو دعلج-:

إذا القوس وترها أيّـد      رمى فأصاب الكلا والذُّرى

وهذا البيت من أبيات المعاني، ذكر أن دعبلاً وقف عليه أعرابي وهو ينشد  
 هذا البيت، فقال الأعرابي: يا هذا، ما عنيت بقولك؟ قال دعبل: القوس:  
 قوس الله التي تسمى قوس قزح، مطرت الأرض بها، وأعشبت، فرعتها الإبل  
 فسمنت كلاها وأسمنتها، فقال الأعرابي: لله دركم يا حاضرة، إنكم لتسيرون  
 معنا فتساوون، وتتكبون عنا فتفوتون. اهـ بشرح المقصورة. ص ٢٢٣ - ٢٢٩

## الثاني عشر: المنتقى من كتاب

## دع القلق وابدأ الحياة تأليف ديل كارنيجي

## تعريف بالمؤلف والكتاب:

هذا الكتاب من تأليف: ديل كارنيجي مؤسس معهد العلاقات الإنسانية في نيويورك.

وقد ترجمه إلى العربية عبد المنعم الزيايدي.

هذا الكتاب ألف قبل ما يزيد على خمسين عاماً، ويعد من أشهر الكتب العالمية انتشاراً، حيث طبع عشرات الطبقات، بملايين النسخ، وبلغات مختلفة. وميزة هذا الكتاب سلاسته، ووضوحه، وكثرة أمثله، وبعده عن التعقيد. بل يكاد أن يكون جميع ما في الكتاب معلوماً للقراء، غير أن مؤلفه صاغه بأسلوب قريب من جميع الطبقات.

يقول الزيايدي -معرب الكتاب- ص ١٣: «وأفاق كارنيجي من دهشته على حقيقة جعلها محور رسالته في الحياة؛ تلك هي أن الناس إذا عمدوا إلى تطبيق هذه المبادئ الحكيمة المعروفة، والأمثال السائرة التي طالما جرت على ألسنة أجدادهم وجداتهم وآبائهم، وأمهاتهم، بل ربما جرت على ألسنتهم هم أنفسهم في صغرهم، ثم نسوها، أو تناسوها في كبرهم - إذا عمدوا إلى تطبيق هذه المبادئ والأمثال استحالت حياتهم نعيماً مقيماً، واستمتعوا في حياتهم بالسعادة والفلاح.

ومنذ ذلك الحين راح كارنيجي ينشر رسالته هذه ، ويدعو الناس عامة ، وطلبة معهده خاصة إلى اعتناقها إذا شاءوا أن يعيشوا في وئام مع أنفسهم ومع الناس .  
ومنذ وقت ليس ببعيد أدرك كارنيجي أنه لا عناء لطلبة معهده ، بل لا عناء لإنسان كائناً من كان إذا كان يرجو السعادة في الحياة ، وينشد النجاح فيها أن يقهر عدوَّاه ، يسكن في نفسه ، فيقلل أمنها ، ويسلبها طمأنينتها ، ويقوض سلامتها ، ويقف سداً منيعاً دونها وأسباب السعادة والصحة ، والنجاح ، ذلك العدو اللدود : هو القلق .»

وبعد ذلك - كما يقول المعرَّب -: «أكبَّ كارنيجي على وضع مرجع في قهر القلق ، وسلخَ من عمره قرابة سبع سنوات في البحث عما جرى على ألسنة الأنبياء ، والحكماء ، والعظماء من حكم ومبادئ وأقوال تصلح لأن تكون علاجاً للقلق إذا هي اتُّخذت طابعاً علمياً ، وخرجت من نطاق الأقوال إلى حيز الأفعال ، ثم عكف على صوغ هذه المبادئ في قالب علمي ، وأسلوب حماسي يستثير العزائم على تطبيقها ، والعمل بمقتضاها مستشهداً على فائدتها وجدواها بشخصيات ، منها ما أفرد له التاريخ مكاناً مرموقاً ، ومنها ما لم يفرغ التاريخ بعد من تدوين سيرته .

وكانت ثمرته هذا العناء الطويل ، والمجهود الشاق هذا الكتاب « ا.هـ ولا ريب أن الحكمة ضالة المؤمن ، وأن الإفادة من التجارب الإنسانية أمر مطلوب ، والشرعية لم تأت بما يمنع ذلك ، بل أذنت به ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها ما كان في غزوة الخندق ؛ حيث أفاد النبي ﷺ من الفرس في حفر

الخندق عندها أشار عليه سلمان الفارسي عليه السلام بذلك ، فلم يمانع -عليه الصلاة والسلام- من أن يأخذ بتلك الخطة مع أنها فارسية.

ولو لم يأت من استعراض هذا الكتاب - مع ما فيه من فائدة - إلا أن القارئ يكبر ما كتبه علماؤنا الذين سبقوا كارنيجي بقرون طويلة؛ فإن هذا الكتاب قد نال هذه الشهرة العظيمة ما نال مع أنه لا يقارن بكتب علماء المسلمين الذين كتبوا في هذا الشأن ، سواء ممن تم النقل عنهم في هذا المنتقى أو غيرهم.

هذا وإن الكتاب ليحتوي على نقص ، يمكن تداركه لو كتبه بنفسه مُسلمٌ ، يستضيء من خلاله بأنوار الشريعة الغراء ، وينظر إلى ما وراء هذه الحياة الدنيا .  
ومما تجدر الإشارة إليه أن كثيراً من أهل العلم والفضل قد قرأوا هذا الكتاب وأشادوا به .

ولعل من أقدم من قرأه وأعجب به من أهل العلم الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي رحمته الله فلقد سمعت ذلك في أكثر من مناسبة ، ومن أكثر من شخص .  
ومن حدثني بذلك أخي فضيلة الشيخ سامي بن محمد الصقير -حفظه الله- حيث يذكر عن الشيخين العالمين الجليلين الشيخ عبدالله البسام ، والشيخ محمد ابن صالح العثيمين -رحمهما الله- أنهما قالوا : إن الشيخ عبدالرحمن السعدي لما كان في بيروت إبان فترة علاجه اطلع على كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) فأعجب به ، وقال : هذا كتاب رائع ، وفيه فوائد جمّة ، ولكن الذي كتبه ليس مسلماً ، ففاته أصول عظيمة من السعادة كقراءة القرآن ، والأذكار ، واحتساب الأجر ، ونحو ذلك مما جاءت به الشريعة؛ فكان ذلك سبباً لتأليف الشيخ عبدالرحمن

رسالته الماتعة الرائعة المختصرة التي تعد - بحق - عيادة نفسية ألا وهي: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.

ومن حدث بذلك الأستاذ محمد ابن الشيخ عبدالرحمن السعدي يقول: «لما كان الوالد في مستشفى في بيروت للعلاج اشتريت له كتاباً عنوانه: (دغ القلق وابدأ الحياة) للمؤلف الأمريكي داييل كارنيجي، وهو مدير معهد تدريب في أمريكا. وقد قرأ الوالد الكتاب، وأعجب به، وبمؤلفه، وقال: إنه رجل منصف. وكان للوالد صديق عزيز عليه من أهل عنيزة، وكان يعاني من مرض نفسي، ومكث في بيروت مدة سنتين للعلاج ولم يستفد، فأعطاه الوالد ذلك الكتاب، وقال له: اقرأه؛ فهو مفيد جداً؛ فقرأه، وأفاد منه، وتأثر بما فيه، وتحسنت صحته، بل شفي من مرضه.

وقد أمرني الوالد بشراء نسخة أخرى من هذا الكتاب؛ لكي يوضع في مكتبة عنيزة التي أنشأها الوالد، فاشتريت الكتاب، وأعطيته الوالد، ولما عدنا إلى عنيزة وضعه الوالد في المكتبة، واستعاره عدد كثير من طلاب الوالد. ولما كان الوالد في مقر إقامته في لبنان أرسل أبا عبود إلى السوق؛ ليشتري أوراقاً وأقلاماً؛ لأنه عزم على تأليف رسالة على ضوء ما كتبه كارنيجي في كتابه المذكور، ثم شرع الوالد في ذلك، فتم له تأليف كتابه الصغير حجماً الكبير نفعاً: (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة).

فصارت الأيدي تتناوله، والقراء يتداولونه؛ فعم النفع به، واستدرك من خلاله كثيراً من الأمور التي فاتت كارنيجي من أصول السعادة.

وقد طبعت تلك الرسالة مراراً كثيرة جداً في حياة الشيخ وبعد مماته. وإلى يومنا هذا والطلبات من الداخل والخارج تتكرر لأجل طباعتها، بل إن بعض الجمعيات التي تعنى بالطب النفسي تبنت طباعتها، وطبعت منها خمسين ألف نسخة مجانية».

### النقولات المنتقاة:

١- قال الأديب الإنجليزي توماس كارليل: ليس علينا أن نتطلع إلى هدف يلوح لنا باهتاً على البعد، وإنما علينا أن ننجز ما بين أيدينا من عمل واضح بَيِّن. ص ٢٤ - ٢٥

٢- قال د.أوسلر: إن أفضل الطرق للاستعداد للغد، هي أن نركز كل ذكائنا وحماسنا في إنهاء عمل اليوم على أحسن ما يكون، هذا هو الطريق الوحيد الذي نستعد به للغد. ص ٢٦

٣- لو أنني استمررت في القلق فإن من أسوأ مميزات القلق، أنه يبديد القدرة على التركيز الذهني، فنحن عندما نقلق نشتت أذهاننا، ونفقد كل قدرة على البت، أو اتخاذ قرار حاسم، لكننا عندما نعد أنفسنا على مواجهة أسوأ الاحتمالات، ونعد أنفسنا ذهنياً لمواجهة - فإننا بذلك نضع أنفسنا في موقف يسعنا فيه أن نركز أذهاننا في صميم المشكلة. ص ٣٩

٤- إن مرض القلب من الأسباب الرئيسية التي حَدَتْ بالدكتور الكسيس كاريال إلى أن يقول: إن رجال الأعمال الذين لا يعرفون كيف يكافحون القلق يموتون موتاً مبكراً. ص ٥٤ - ٥٥

- ٥- افعل شيئاً للقضاء على القلق ، فما لم تفعل شيئاً فإن محاولتك استخلاص الحقائق ليست إلا مضيعة للوقت والجهد. ص ٦٦
- ٦- استغرق في العمل إذا ساورك القلق انشغل عنه بالعمل ، وإلا هلكت يأساً وأسى. ص ٨٨
- ٧- لا تسمح لنفسك بالثورة من أجل التوفاه ، وتذكر أن الحياة أقصر من أن نقصرها. ص ٩٦
- ٨- استعن على طرد القلق بالإحصاءات والحقائق الثابتة سائل نفسك : هل هناك ما يبرر مخاوفي؟ وما مدى احتمال حدوث ما أخشاه؟ ص ١٠٤
- ٩- ارض بما ليس منه بد. ص ١١٦
- ١٠- إنني أعتقد مخلصاً أن تقدير الأشياء بقيمتها الصحيحة سر عظيم من أسرار الطمأنينة النفسية ، والراحة الذهنية.
- كما أعتقد أن في وسعنا التخلص من نصف القلق الذي يساورنا في التو واللحظة ، لو أن كلاً منا اتخذ هذا المبدأ الذهبي ، مبدأ تقدير الشيء بقيمته الحققة. ص ١٢٤
- ١١- لا تفكر في محاولة الاقتصاص من أعدائك؛ فإنك بمحاولتك هذه تؤذي نفسك أكثر مما تؤذي أعداءك. ص ١٥٩
- ١٢- فإذا أردت أن تقهر القلق وتبدأ الحياة ، فإليك القاعدة رقم (٤) :  
أحص نعم الله عليك بدلاً من أن تحصي متاعبك. ص ١٧٣
- ١٣- فلكي تتخذ اتجاهاً ذهنياً يجلب لك الطمأنينة ، ويجنبك القلق ، إليك القاعدة رقم (٥) :



اعرف نفسك ، وكن كما خلقك الله ، ولا تحاول التشبه بغيرك. ص ١٨١  
 ١٤- وهب أننا أصابنا اليأس ، فأفقدنا كل أمل في إحالة حياة الكدرة إلى حياة  
 عذبة صافية ، فهناك سببان يدفعاننا إلى المحاولة ، فقد نكسب كل شيء ، ولكننا  
 من المؤكد لن نخسر شيئاً :

السبب الأول : أننا قد ننجح في محاولتنا.

السبب الثاني : أنه على فرض إخفاقنا ، فإن المحاولة ذاتها - محاولة استبدال  
 السالب بالموجب - ستحفزنا على التطلع إلى الأمام بدلاً من الالتفات إلى الوراء ،  
 وستحل الأفكار الإنشائية في أذهاننا محل الأفكار الهدامة ، وتولد فينا طاقة من  
 النشاط تدفعنا إلى الانشغال بالعمل ، فلا يغدو أمامنا متسع من الوقت للتحسر  
 على الماضي الذي ولى وانتهى. ص ١٨٩

١٥- عندما تلقي المقادير بين يديك ليمونة ملحة <sup>(١)</sup> ، حاول أن تصنع منها  
 شراباً سائغاً حلواً. ص ١٩٠

١٦- وإني ليسعني أن أملاً كتاباً كاملاً بقصص أناس نسوا أنفسهم ، فاكسبوا  
 الصحة ، والسعادة ، والاطمئنان. ص ١٩٨

١٧- إن ثلث أولئك الذين يهرعون إلى عيادات الأطباء النفسيين يسعهم على  
 الأرجح أن يشفوا أنفسهم بأنفسهم إلى الانشغال بالآخرين ، أتراني أتيت بهذه  
 الفكرة من جعبة ذكرياتي؟ بل إنها أشبه بما يقوله العالم النفساني كارل يونج :  
 إن ثلث عدد مرضاي لا يشكون من أمراض نفسية معلومة محددة ، بقدر ما

يشكون من فراغ حياتهم ، وخلوها من البهجة والمتعة. ١٩٩ - ٢٠٠

١٨- مهما تكن حياتك متشابهة متشاكلة الأيام فإنك على التحقيق تقابل ناساً كل يوم فما الذي تفعله معهم؟ خذ ساعي البريد مثلاً؛ إنه يقطع مئات الأميال كل يوم حاملاً إليك بريدك، فهل تكلفت يوماً عناء البحث عن مسكنه؛ لترى كيف يعيش؟ وهل سألته إن كانت قدماء قد كلّتا من السعي، أو أن الملل داخله من عمله المتشابه؟

وقل مثل هذا القول عن صبي البقال، وبائع الصحف، وماسح الأحذية، هؤلاء آدميون تثقل عليهم -ولا ريب- الهموم والمشكلات، وتراودهم الأحلام والآمال، وهم -بلا شك- يتحرقون لهفة إلى أن يشاركهم الناس حمل همومهم، ويشاطرونهم آمالهم؛ فهل حققت لهم شيئاً من هذه الرغبة، وهل أبدت اهتمامك يوماً بحياتهم الخاصة؟ هذا هو ما أعني.

ليس عليك أن تصبح فلورنس تيتنجيل، ولا أن تغدو مصلاً اجتماعياً لكي تساهم في تحسين أحوال الناس، ابدأ بمن تقابلهم كل يوم.

ثم تسألني: وما جدوى ذلك كله؟ جدواه السعادة والرضا، واكتساب الثقة بنفسك، وقد كان أرسطو يسمي هذا الضرب من معاونّة الناس: الأنانية المستنيرة. وقد قال زورد ستار: إن معاونّة الناس ليس واجباً محتوماً، ولكنها متعة تزيدك صحة وسعادة.

وقال: بنجامين فرانكلين: عندما تسعد الناس تسعد نفسك. ص ٢٠٠ - ٢٠١

١٩- واعلم أن الانشغال بالناس لن يجديك خلاصاً من القلق وحسب،

ولكن سيعينك أيضاً على اكتساب أصدقاء جدد، والاستمتاع بأوفر قسط من المتعة. ص ٢٠١

٢٠- انس نفسك، وصب اهتمامك على الآخرين.

اصنع في كل يوم عملاً طيباً يرسم الابتسامة على وجه إنسان. ص ٢٠٥

٢١- وإني لأذكر الأيام التي لم يكن للناس فيها حديث سوى التنافر بين العلم والدين، ولكن هذا الجدل انتهى إلى غير رجعة، فإن أحدث العلوم -وهو الطب النفسي- يبشر بمبادئ الدين، لماذا؟

لأن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي، والاستمسك بالدين، والصلاة -كفيلة بأن تقهر القلق، والمخاوف، والتوتر العصبي، وأن تشفي أكثر من نصف الأمراض التي نشكوها، نعم إن أطباء النفس يدركون ذلك وقد قال قائلهم الدكتور أ.أ. بريل: إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً. ص ٢١١ - ٢١٢

٢٢- حين تستنفذ الخطوب كل قوانا أو تسلبنا الكوارث كل إرادة، غالباً ما نتجه في غمرة اليأس إلى الله، فلماذا -بالله- ننتظر حتى يتولانا اليأس؟ لماذا لا نجدد قوانا كل يوم بالصلوات، والحمد، والدعاء؟ ص ٢١٦

٢٣- فلماذا لا نتجه إلى الله إذا استشعرنا القلق؟ ولماذا لا نؤمن بالله ونحن في

أشد الحاجة إلى هذا الإيمان؟ ص ٢٢٢

٢٤- لماذا لا تغلق الكتاب عند هذا الحد، وتذهب إلى غرفة نومك وتركع لله،

وتفتح له مغاليق قلبك؟ ص ٢٢٣

٢٥- بقدر قيمتك يكون النقد الموجه إليك. ص ٢٢٤

- ٢٦- تذكر أن النقد الظالم إنما هو اعتراف ضمنى بقدرتك ، وأنه بقدر أهميتك وقيمتك يكون النقد الموجه إليك. ص ٢٢٧
- ٢٧- وإنى لأعلم علم اليقين أن الناس لا يشغلهم التفكير في زيد أو عمرو من الناس أكثر من لحظات ، فهم مشغولون بالتفكير في أنفسهم منذ يفتحون أعينهم على اليوم الجديد ، حتى يأوون إلى مضاجعهم ، وأن صداً خفيفاً يلهم بهم لهو كفى بأن يلهيهم عن خبر موتي أو موتك. ص ٢٢٩
- ٢٨- وحتى لو نالنا من الناس كذب وافتراء ، وطعن يوجه إلى ظهورنا جهراً أو فى الخفاء ، فلا ينبغي أن يحزننا هذا. ص ٢٢٩
- ٢٩- لقد اكتشفت منذ سنوات أننى - وإن عجزت عن اعتقال السنة الناس حتى لا يطلقوها فى ظلماً وعدواناً - إلا أنه وسعنى أن أفعل ما هو خير من هذا؛ أن أتجاهل لوم الناس ونقدهم. ص ٢٢٩
- ٣٠- ودعنى أوضح لك ما أعنى: إننى لا أطلب إليك أن تتجاهل النقد إطلاقاً ، وإنما أقصد النقد الظالم المغرض. ص ٢٢٩
- ٣١- وتتجلى فائدة هذا الشعار حين تغدو هدفاً لنقد ظالم مغرض.
- فأنت - ولا ريب - قدير على رد الصاع صاعين للرجل الذى يتصدى للرد على انتقادك له ، ولكن ماذا عساك تفعل للرجل الذى يضحك من انتقادك له؟ لقد كان لنكولن خليفاً بأن ينهار تحت وطأة التوتر الذى ساير الحرب الأهلية الأمريكية ، لو لم يدرك أن محاولة الرد على كل نقد يصيبه سخافة وحمافة.
- قال لنكولن: «لو أننى حاولت أن أقرأ - لا أن أرد وحسب - كل ما وجه إلي

من نقد لشغل هذا كل وقتي ، وعطلني عن أعمالي ، إنني أبذل جهدي في أداء واجبي؛ فإذا أثرت جهودي فلا شيء من النقد الذي وجه إلي يهمني من بعد ذلك ، وإذا خاب مسعائي ، فلو أقسمت الملائكة على حسن نواياي لما أجدى هذا فتيلاً ، فحسبي أنني أديت واجبي وأرضيت ضميري» .

وإذن فعندما يوجه إليك النقد ظلماً وعدواناً ، تذكر القاعدة رقم (٢) :

ركز جهودك في العمل الذي تشعر من أعماقك أنه صواب ، وصم أذنيك بعد ذلك عن كل ما يصيبك من لوم اللائمين. ص ٢٣٠

٣٢- في أحد أدراج مكتبي ملف خاص مكتوب عليه (حماقات ارتكبتها) وأنا أعتبر هذا الملف بمثابة سجل واف للأخطاء والحماقات التي ارتكبتها.

وبعض هذه الأخطاء أمليته ، وأما بعضها الآخر ، فقد خجلت من إملائه ، فكتبته بنفسي ، ولو أنني كنت أميناً مع نفسي لكان الأرجح أن يمتلئ مكتبي بالملفات المكتوب عليها (حماقات ارتكبتها). ص ٢٣١

٣٣- وعندما أستخرج سجل أخطائي ، وأعيد قراءة الانتقادات التي وجهتها إلى نفسي ، أحس أنني قادر ، مستعيناً بِعَبْرِ الماضي على مواجهة أفسى وأشد المشكلات استعصاءً. ص ٢٣١

٣٤- لقد اعتدت -فيما مضى- أن أُلقي على الناس مسؤولية ما ألقاه من مشكلات ، لكنني وقد تقدمت بي السن ، وازددت حنكة وتجربة فيما أخال أدركت آخر الأمر؛ أنني وحدي المسؤول عما أصابني من سوء ، وفي ظني أن كثيراً من الناس يدركون ما أدركت ، ولقد قال نابليون وهو في منفاه بجزيرة سانت هيلانة : « لا أحد

سواي مسئول عن هزيمتي؛ لقد كنت أنا أعظم عدو لنفسي». ص ٢٣١

٣٥- وإنك لتجد الحمقى وحدهم هم الذين ينساقون وراء الغضب لأنفه ما يوجه إليهم من اللوم.

أما العقلاء فيتلهفون على إدراك ما ينطوي عليه اللوم من الحقيقة؛ ليعملوا على تلافيه، وفي هذا الصدد يقول والت ويتمان: «أترك تعلمت دروس الحياة من أولئك الذين امتدحوك وآزروك، وحنوا عليك؟ أم تعلمتها من أولئك الذين هاجموك، واتبذوك، وقست قلوبهم عليك؟». ص ٢٣٢ - ٢٣٣

٣٦- ليت شعري، لماذا ننتظر حتى يلومنا الناس على عمل اقترفناه؟ أفليس الأكرم لنا أن نكون نحن نقاداً ولائمين لأنفسنا؟ دعنا إذا نفتش عن أخطائنا، ونجد لها الدواء الشافي، قبل أن يفتح أعداؤنا أفواههم بكلمة لوم، أو بعبارة نقد. ص ٢٣٣

٣٧- افترض أن أحداً اتهمك بأنك غر أحقق! فماذا عساك تفعل؟ أتغضب؟ أتثور؟ لا تجب.. وإنما انظر إلى ما فعله لنكولن في مثل هذا الموقف؛ فقد وصفه (ادوارد ستانتون) وزير الحرية في عهده بأنه غرٌ أحقق، وكان مبعث غضب ستانتون أن لنكولن لا يحسن سياسة الأمور؛ إذ إنه - أي لنكولن - لكي يرضي أسرة لأحد السياسيين وقعَ أمراً بنقل بعض فرق الجيش من مواقعها.

ورفض ستانتون أن ينفذ هذا الأمر، بل زاد على ذلك، فوصف لنكولن: بأنه غر أحقق؛ لأنه وقع في هذا الأمر.

فلما تنهى قول ستانتون إلى لنكولن، قال الأخير: «إذا كان ستانتون يقول أنني غر أحقق فلا بد أنني كذلك، فإنه يوشك أن يكون صائباً في كل ما يقول،

سأذهب إليه لأتحقق من الأمر بنفسي» .

وذهب إليه لنكولن ، فأقنعه ستنتون بأن توقيع هذا الأمر كان في غير محله ، فحسب لنكولن الأمر! نعم هذا هو كل ما حدث! فقد رحب لنكولن بالنقد حين عرف أنه نقد نزيه ، قائم على الحقائق المجردة ، وهدفه وضع الأمور في نصابها. ص ٢٣٣ - ٢٣٤

٣٨- وأخلق بك وبني أن نرحب -نحن أيضاً- بمثل هذا النقد؛ فإننا على التحقيق «لا نأمل أن نكون على صواب ثلاث مرات من كل أربع» . ص ٢٣٤

٣٩- فلكي تتقي القلق الذي يجلبه لك النقد ، إليك القاعدة رقم (٣) :  
احتفظ بسجل تدون فيه الحماقات والأخطاء التي ارتكبتها واستحققت النقد من أجلها ، وعد إليه بين حين وآخر؛ لتستخلص منه العبر التي تفيدك في مستقبلك ، واعلم أن من العسير أن تكون على صواب طوال الوقت ، فلا تستكف أن تفعل مثلما فعل (أه ليتل) : اسأل الناس النقد النزيه الصريح. ص ٢٣٥  
٤٠- النقد الظالم ينطوي غالباً على إطراء متنكر ، فمعناه -على الأرجح- : أنك أثرت الغيرة والحسد في نفوس منتقديك. ص ٢٣٦

٤١- أكثر من الراحة ، واسترح قبل أن يفاجئك التعب. ص ٢٣٨  
٤٢- أخل مكتبك مما عليه من أوراق خلا ما كان منها متعلقاً بالمسألة التي بين يديك. ص ٢٥٤

٤٣- إن ثمة شيئين لا يشتريان بالمال : القدرة على التفكير ، والقدرة على إنجاز الأشياء بحسب ترتيبها في الأهمية. ص ٢٥٥

- ٤٤- إذا ظهرت لك مشكلة فاعمد إلى حسمها فور ظهورها.
- لا تؤجل قراراً تستطيعه اليوم إلى غد. ص ٢٥٥
- ٤٥- فالرجل الذي يؤسس عملاً، ثم لا يتعلم كيف ينظمه، ويوزع أعباءه على الغير، بينما هو يشرف على إدارته - غالباً ما تراه في الحلقة الخامسة من عمره أشبه بشيخ فان؛ من فرط ما ركبه من القلق والتوتر. ص ٢٥٦
- ٤٦- القلق الذي يصاحب الأرق هو أخطر بكثير من الأرق ذاته. ص ٢٦٢
- ٤٧- إذن لكي تتفادى القلق الناشئ عن الأرق، إليك خمس قواعد:
- ١- إذا استعصى عليك النوم، فافعل كما كان يفعل (صمويل ارتماير): قم إلى مكتبك واكتب، أو اقرأ، حتى يتسلل النعاس إلى عينيك.
  - ٢- تذكر ألا أحد مُطلقاً مات أرقاً، وإنما القلق الذي يلازم الأرق هو مبعث الضرر.
  - ٣- جرب الصلاة قبل النوم؛ فإنها خير أداة لبث الأمن في النفوس، والراحة في الأعصاب.
  - ٤- أرح جسدك، وحدث كل عضلة من عضلاتك بالاسترخاء حتى تسترخي.
  - ٥- زاول أحد أنواع الرياضة البدنية، فإذا شعرت بالتعب فثق أنك ستنام. ص ٢٦٥
  - ٤٨- تذكر أن اليوم هو أمس الذي أشفقت من مواجهته، واسأل نفسك على الدوام: كيف أعلم أن ما أشفق منه سوف يحدث؟ ص ٢٨٤
  - ٤٩- وحين أخذ الأطباء على عاتقهم رعاية حياة (روكفلر) أوصوه: باتباع ثلاث قواعد فاتبعها (روكفلر) إلى آخر حياته، وإليك هذه القواعد الثلاث:
- ١- تجنب القلق مهما تكن الظروف والأحوال.
  - ٢- استرخ وتنزه ما أمكن في الهواء الطلق.
  - ٣- قلل من غذائك، انهض عن المائدة وأنت تشعر بالجوع. ص ٣٠٦



## الثالث عشر: المنتقى من كتاب

## كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس تأليف ديل كارنيجي

## تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب من تأليف ديل كارنيجي ، وتعريب عبد المنعم بن محمد الزيايدي .  
ومضمون الكتاب واضح من عنوانه؛ فهذا الكتاب يحوي ما خرج به مؤلفه  
من مطالعاته العديدة، وبحوثه الواسعة في التراجم، وعلم النفس، والترية،  
والتاريخ، وغيرها فضلاً عما توصل إليه من نتائج بعد تجارب دامت أكثر من  
عشرين سنة في معهده للعلاقات الإنسانية الذي أسسه بنفسه، والذي يعد أول  
معهد من نوعه في العالم أجمع.

وغرض هذا الكتاب -كما يقول المعرّب-: أن يوضح لك أقصر الطرق  
وأضمنها للحصول على النجاح، والمقدرة على مواجهة الحياة.

## النقولات المنتقاة:

١- فاللوم عقيم؛ لأنه يضع المرء في موقف الدفاع عن نفسه، ويحفز إلى تبرير  
موقفه، والذود عن كبريائه وعزته.

وفي وسعك أن تجد ألف مثل على عقم اللوم مسطرة في ألف صفحة من  
صفحات التاريخ ص ٨

٢- ينبغي أن تذكر في معاملتك للناس أنك لا تعامل أهل منطق، بل أهل  
عواطف، وشعور، وأنفس حافلة بالأهواء، ملأى بالكبرياء، والغرور.

واللوم شرارة خطيرة في وسعها أن تضرم النار في وقود الكبرياء، وأن تضرمها ناراً قد تعجل بالموت أحياناً. ص ١٧ - ١٨

٣- وإن أي أحقق يسعه أن يلوم، وأن يتهم، وأن ينتقد؛ بل هذا أغلب ما يفعله الحمقى! فدعنا بدلاً من أن نلوم الناس نحاول أن نفهم، ونتحل لهم الأعذار فيما فعلوا، فهذا أمتع من اللوم، وهو يعقب الشفقة، والرحمة، والاحتمال. ص ١٨ - ١٩

٤- ليس ثمة إلا طريقة واحدة تحمل بها شخصاً على أن يقبل على عمل ما؟

تلك هي ترغيب الشخص في هذا العمل. ص ٢٠

٥- وإنك لتجد كثيراً من الناس يصيبهم المرض إذا أعجزهم اكتساب عطف الناس عليهم، واهتمامهم بهم. ص ٢٤

٦- وقد وجدت بالتجربة، أن في وسع المرء أن يفوز باهتمام أرفع الناس قدراً، وأعظمهم درجة، لو أنه أبدى بهم اهتماماً. ص ٥٦

٧- إذا نحن أردنا أن نكتسب الأصدقاء، فلنضع أنفسنا في خدمة غيرنا من الناس، ولنمد لهم يداً مخلصة نافعة، مجردة عن الأنانية والمصلحة الذاتية. ص ٥٨

٨- إن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق أثراً من صوت اللسان، وكأنني بالابتسامة تقول لك عن صاحبها: «إني أحبك، إنك تمنحني السعادة، إني

سعيد برؤيتك»! ص ٦٥

٩- ولا تحسب أنني أعني بالابتسامة مجرد علامة ترنم على الشفتين، لا روح فيها ولا إخلاص، كلا! فهذه لا تنطلي على أحد، وإنما أتكلم عن الابتسامة الحقيقية التي تأتي من أعماق نفسك، تلك هي الابتسامة التي تجلب الربح

الجزيل في ميادين المال والأعمال. ص ٦٥ - ٦٦

١٠- فالطريق المؤدية إلى الابتهاج ، إذا فقدنا الابتهاج ، هي أن نتصرف كما لو كنا مبتهجين حقاً. ص ٦٩

١١- كانت لأهل الصين القدامى حكم رائعة ، ومنها هذه الحكمة التي يجمل بنا أن نعلقها على صدورنا؛ كي لا ننساها أبداً:

«إن الرجل الذي لا يعرف كيف يتسم لا ينبغي له أن يفتح متجراً» ص ٧٢

١٢- إنها لا تكلف شيئاً ، ولكنها تعود بالخير الكثير ، إنها تغني أولئك الذين يأخذون ، ولا تفقر أولئك الذين يمنحون!

إنها لا تستغرق أكثر من لمح البصر ، لكن ذكرها تبقى إلى آخر العمر!  
لن تجد أحداً من الغنى بحيث يستغني عنها ، ولا من الفقر في شيء وهو يملك ناصيتها!

إنها تشيع السعادة في البيت ، وطيب الذكر في العمل ، وهي التوقيع على ميثاق المحبة بين الأصدقاء.

إنها راحة للتعب ، وشعاع الأمل للبائس ، وأجمل العزاء للمحزون.  
وبرغم ذلك فهي لا تشتري ، ولا تستجدي ولا تقترض ، ولا تسلب! إنها شيء ما يكاد يؤتي ثمرته المباركة حتى يتطاير شعاعاً!

فإذا أتاك رجالنا لبيعوك ما يحتاج إليه ، وألفيتهم من التعب والإرهاق بحيث عز عليهم الابتسام - فكن أخا كرم ، وامنحهم ابتسامة من لدنك؛ فوالله إن أحوج الناس إلى الابتسامة هو الذي لم يبق له شيء من الابتسام ليهبه!

- فإذا أردت أن يحبك الناس فاتبع القاعدة رقم ٢: ابتسم. ص ٧٣ - ٧٤
- ١٣- لقد كان الرئيس روزفلت يعرف أن إحدى الطرق السهلة المضمونة لاكتساب قلوب الناس هي تذكر أسمائهم، وجعلهم بهذا يشعرون بأهميتهم؛ فكم منا يفعل ذلك؟!
- إننا نقضي نصف الوقت الذي نتعرف فيه على غريب تبادل بضع كلمات جوفاء، ثم لا نستطيع حتى أن نذكر اسمه عندما يحيننا لينصرف! ص ٨٣ - ٨٤
- ١٤- فإذا أردت أن يحبك الناس، فاتبع القاعدة رقم ٣: اذكر أن اسم الرجل هو أجمل وأحب الأسماء إليه. ص ٨٥
- ١٥- كن مستمعاً طيباً، وشجع محدثك على الكلام عن نفسه. ص ٩٨
- ١٦- فإذا أردت أن يحبك الناس، فاتبع القاعدة رقم ٥: تكلم فيما يسر محدثك، ويلذ له. ص ١٠٣
- ١٧- تذكر قول إيمرسون: «كل شخص ألقاه يفوقني في ناحية واحدة على الأقل، وفي هذه الناحية يمكن أن آخذ عنه وأتعلم منه». ص ١١٠
- ١٨- فلكي تجذب الناس إلى وجهة نظرك، اتبع القاعدة رقم واحد: لا تجادل..واعلم أن أفضل السبل لكسب جدال هو أن تتجنبه. ص ١٢٨
- ١٩- إذا كنت مخطئاً فسلّم بخطئك. ص ١٤١
- ٢٠- إذا كنت مهتاج الخاطر، محنقاً مغيظاً، وصبيت جام حنقك وغیظك على الشخص الآخر - فلا شك أنك ستزبح عن كاهلك عبثاً كان يرهقك، ولكن ما بال الشخص الآخر؟ أشاركك راحتك؟! أتعمله لهجتك الحادة، وموقفك

- العدائي منه أقرب إلى موافقتك ، ومشاطرتك الرأي؟! ص ١٤٢
- ٢١- إذا كان قلب الرجل مفعماً بالحنق عليك ، والبغضاء لك فلن يسعك أن تكسبه إلى وجهة نظرك بكل ما في الوجود من منطق؛ فليدرك هذا الآباء اللائمون ، والأزواج المنتقدون ، والمديرون الطاغون.
- ولكن الأقرب إلى الاحتمال أن يصل هؤلاء إلى أغراضهم إذا توسلوا باللطف ، والرفق واللين. ص ١٤٥
- ٢٢- قد يكون الشخص الآخر مخطئاً ، ولكنه لن يسلم بخطئه أبداً؛ فلا تلمه؛ إن أي أحق يسعه أن يلوم ، ولكن حاول أن تفهمه ، واستعن عليه بالصبر الجميل ، وسوف تجد أن هناك سبباً خفياً قد أوحى للرجل أن يفكر كما يفكر ، أو يتصرف كما يتصرف ، فإذا عرفت هذا السبب ألفت بين يديك مفتاح شخصيته جميعاً.
- حاول مخلصاً أن تضع نفسك مكانه ، قل لنفسك :
- « ترى كيف أحس ، وكيف أتصرف لو أنني كنت في مكانه ؟ ».
- وسوف ترى عندئذ أنك وفرت على نفسك وقتاً طويلاً ، وعناء شديداً ، فضلاً عن أنك ستكسب خبرة بفن معاملة الناس. ص ١٧٦
- ٢٣- أتريد أن تتعلم عبارة سحرية تصفي جو الحديث في الحال مما قد يعتكره ، وتشيع فيه روحاً طيبة ، وتحدو بالشخص الآخر إلى الإنصات إليك باهتمام ؟
- ها هي ذي : قل لمحدثك : « إنني لا ألومك مثقال ذرة لوقوفك هذا الموقف ، وإحساسك هذا بالإحساس ، ولو كنت مكانك لأحسست تماماً مثلما تحس ، واتخذت مثل الموقف الذي تتخذ.

عبارة كهذه كفيلة بأن تكسر حدة أطول الناس باعاً في السفاهة والجدل ! وفي وسعك أن تقول هذه العبارة ، وتكون مخلصاً صادقاً مائة في المائة؛ لأنك لو كنت مكانه لصنعت فعلاً مثلما صنع. ص ١٨١

٢٤- إن كل من تلقاه من الناس ، حتى الشخص الذي تطالعك صورته في المرآة ، يحمل لنفسه تقديراً كبيراً ، ويجب -مع هذا- أن يقال عنه إنه متحرر من الأنانية ، متبرئ من حب اللذات.

فإذا شئت أن تغير طباع الناس وجب أن تتوسل إلى الدوافع النبيلة في نفوسهم ، أفترى هذا أمراً عسيراً يتعذر تطبيقه في الحياة العملية ؟ ص ١٨٩-١٩٠

٢٥- فإذا أردت أن تكسب الناس ذوي الروح الوثابة ، والشجاعة الأدبية إلى وجهة نظرك - فاتبع القاعدة رقم ١٢ :

ضع الأمر موضع التحدي. ص ٢٠٥

٢٦- فلكي تسلس قيادة الناس -إذن- دون أن تسيء إليهم أو تستثير عنادهم ، إليك القاعدة رقم ١ :

ابدأ بالثناء المستطاب ، والتقدير المخلص. ص ٢١٣

٢٧- فلكي تملك زمام الناس دون أن تسيء إليهم أو تستثير عنادهم ، إليك القاعدة رقم ٢ :

الفت النظر إلى الأخطاء من طرف خفي. ص ٢١٦

٢٨- فلكي تملك زمام الناس دون أن تسيء إليهم أو تستثير عنادهم ، اتبع القاعدة رقم ٣ :

تكلم عن أخطائك قبل أن تنتقد الشخص الآخر. ص ٢٢١

٢٩- قدم اقتراحات مهذبة ، ولا تصدر أوامر صريحة. ص ٢٢٣

٣٠- دع الرجل الآخر يحتفظ بماء وجهه! ص ٢٢٤

٣١- فإذا أردت أن تؤثر في سلوك إنسان دون أن تستثير عناده ، أو تسيء إليه

فاذكر القاعدة رقم ٧ :

أسبغ على الرجل ذكراً حسناً يقيم على تدعيمه! ص ٢٣٥

٣٢- فإذا أردت أن تسلس قيادة الناس دون أن تسيء إليهم أو تستثير

عنادهم ، فاتبع القاعدة رقم ٨ :

اجعل الغلطة التي تريده إصلاحها تبدو ميسورة التصحيح ، واجعل العمل

الذي تريده أن ينجز يبدو سهلاً هيناً. ص ٢٣٩

٣٣- حجب الشخص الآخر في العمل الذي تقترحه عليه. ص ٢٤٢





## المجموعة الثالثة

### نقول منتقاة من الكتب التالية :

- ١- أدب النفس للحكيم الترمذي
- ٢- الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري
- ٣- الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي
- ٤- لباب الآداب تأليف الأمير أسامة ابن منقذ
- ٥- الوصية المباركة لابن قدامة المقدسي
- ٦- آداب الحرب في الإسلام تأليف العلامة محمد الخضر حسين
- ٧- عادات عربية تأليف محمد المكي بن الحسين
- ٨- الحديقة لمحّب الدين الخطيب
- ٩- مقام إبراهيم لمحمد طاهر الكردي المكي
- ١٠- عجائب من عصور متفرقة الجزء الأول لمحمد بن إبراهيم الشيباني
- ١١- قوة الصبر تأليف إم .. جيه .. رايان



## أدب النفس؛ للحكيم الترمذي ت ٣٢٠

### تعريف بالمؤلف وبالكتاب:

هو أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي الحافظ المحدث المتوفى سنة ٣٢٠. وله عدد من المؤلفات منها: منازل العباد من العبادة، وحقيقة الآدمية، والمعرفة، وإنبات العقل، والاحتياطات وغيرها. ومنها هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو (أدب النفس). وهذا الكتاب يبحث في النفس الإنسانية وما يعتريها من الهوى، والشهوة، والجهل، وما تتأدب به النفوس، وتهذب، وتصبح راضية مطمئنة. وهذا الكتاب من القطع المتوسط، وعدد صفحاته ١٢٦، وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه د. أحمد عبدالرحيم السَّايح، وهذه الطبعة هي الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، وقد نشرته الدار المصرية اللبنانية.

### النقول المنتقاة:

قال الحكيم الترمذي رحمته الله:

١- إن الله أنشأ خلقه؛ لإظهار ربوبيته، ولبروز آثار قدرته، وتدبير حكمته، وليكون ذكره ومدحه مردداً على القلوب وعلى السنة الخلق والخلقة، لما علم في غيبه، فأنبأنا في تنزيله، فقال -جل ذكره-: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الجاثية: ٢٢.

فَأَعْلَمْنَا لِمَا خَلَقَ، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾  
الذاريات: ٥٦ فقال أهل اللغة: إلا ليوحدون، ومثل ذلك قوله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الفاتحة: ٥ يعني نوحده. ص ١١

٢- وأباح ذكره على كل حال؛ تقديماً له على سائر الحالات وأعمال البر،  
وحصر ما سواه من الأفعال في أوقات مخصوصة، مع ما ذكر في الكتاب، وجرت  
به الأخبار عن الرسول ﷺ بتفضيل الذكر على سائر الطاعات؛ لأن في الذكر  
مدحه. ص ١٢

٣- وندب العباد في غير آية من كتابه إلى أن ينشروا ذكره، ويذكروا عنه جميل  
صنائه، فقال -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠  
في كل ذلك يحثهم على مدحه، وذكره بالجميل، والثناء الحسن، وفي كل  
اسم له مدحه، وجميل ذكره. ص ١٣

٤- ثم إن الله - تعالى - دعاهم إلى أن يوحدوه قلباً وقولاً وفعلًا؛ فمن قبل  
ذلك منه جملة، فاستقرت المعرفة بأنه واحد، فاطمأن به قلبه، وترجم به لسانه  
عما في ضميره، وعزم على الفعل مائلاً له - فقد آمن به، وهذا كله من العبد في  
وقت واحد، فركب فيه الشهوات والهوى، وجعل للشياطين فيهم وساوس  
يجرون فيهم مجرى الدم، ويغوصون غوص النون في البحر. ص ١٤

٥- وجعل القلب ملكاً على الجوارح، فالشهوة تحرك البدن الساكن، وتزعج  
القلب، والشيطان يمينه، ويزين له، ويعده، والهوى يميل به، ويقوده؛ فالمؤمن  
قلبه مطمئن بالإيمان، والتوحيد ظاهر على لسانه.

فإذا جاء وقت فعل الأركان عمل فيه الشهوات، وزين له العدو، ومال به الهوى حتى يفعل الفعل الذي يخيل إليك في الظاهر أنه لم يؤمن بعد، فهو موحد بالقلب واللسان.

ولكن تغلبه الشهوة وقوتها، فبظلمة هذا الهوى، ووسوسة هذا العدو والتزيّن غلب على القلب، لا على ما في القلب، مما في القلب من المعرفة، فالقلب به مطمئن، ولكن صار مأسوراً مقهوراً، وهو أبداً لمن غلب عليه، وقهره. ص ١٤، ١٥

٦- فَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ قَوِيَتْ مَعْرِفَتُهُ، وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِ الْيَقِينِ، فَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ، وَاطْمَأْنَنَتْ بِهِ نَفْسُهُ، وَسَكَنَتْ، وَوَثِقَتْ، وَأَيَقَنْتْ، وَاتَّكَمَّتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، فَفَرَضَتْ لَهَا بِهِ وَكَيْلاً، وَتَرَكْتَ التَّدْبِيرَ عَلَيْهِ. فَإِنْ وَسَّوسَ لَهُ عَدُوٌّ بِالرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ لَمْ يَضْطَرْبْ قَلْبُهُ وَلَمْ يَتَحِيرْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ رَبَّهُ أَنَّهُ قَرِيبٌ، وَأَنَّهُ لَا يَغْفُلُ، وَلَا يَنْسَى، وَأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَأَنَّهُ رَبُّ غَفُورٍ رَحِيمٍ، وَأَنَّهُ عَدْلٌ لَا يَجُورُ، وَأَنَّهُ عَزِيزٌ لَا تَمْنَعُ مِنْهُ الْأَشْيَاءُ، وَأَنَّهُ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ. ص ١٦، ١٧

٧- فَعَامَّةُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ قَدْ أَيْقَنُوا بِهَذَا، إِيْمَانًا بِهِ، وَقَبُولًا لَهُ، وَلَمْ يَسْتَقِرْ ذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى إِذَا كَانَتْ وَقْتُ الْحَاجَةِ اضْطَرَبَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَحِيرَتْ، وَاشْتَغَلَتْ عَنِ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ وَمَالِكِ الْمُلُوكِ.

وأهل اليقين الذين قد استنار الإيمان في قلوبهم فسكنت القلوب، واطمأننت النفوس إلى ضمان ربها، وقربه منهم، وقدرته عليهم. ص ١٧

٨- وَإِنَّمَا تَقَعُ حَلَاوَةُ صَنِيعِ الصَّانِعِ فِي قَلْبِكَ عَلَى قَدْرِ حَبْكٍ لِلصَّانِعِ، وَإِنَّمَا تَحِبُّ

الصانع على قدر معرفتك بقدره، وكلما كنت به أعلم، وكان هو أرفع منزلة في الأشياء كان قدره عندك أعظم؛ فهو إليك أحب. ص ٢٦

٩- قال له القائل: وما رياضة النفس؟ وكيف يكون ذلك؟ قال: يسير على من يسره الله ووفقه؛ فأما الرياضة فهي مشتقة عربيّتها من الرضّ، وهو الكسر، وذلك أن النفس اعتادت اللذة والشهوة، وأن تعمل بهواها؛ فهي متحيّرة، قائمة على قلبك بالإمّرة، وهي الإمّرة بالشهوة، فيحتاج إلى أن يفظمها، فإذا فطمها عن العادة انقطعت. ص ٣٤

١٠- ويقال في اللغة: راض، ورضّ، بمعنى واحد، فمن قال: رضّ، فلما أدغم الألف في الضاد شدّد، ومن أبرز الألف خفّف الضاد، فقال راض، فالرّض الكسر، فقليل في الأشياء المكسورة: رضّ، وقيل في الأخلاق المكسورة: راض؛ فهذه النفس إذا فطمها انكسرت عن الإلحاح عليك، ومنازعتك في الأمور؛ فإن النفس اعتادت اللذة والشهوة، وأن تعمل بالهوى، فإذا فطمها عن العادة انقطعت، ألا ترى أن الصبي إنما اعتاد ثدي أمه، كيف سكوته بذلك الثدي، إنما يحنُّ إليه إذا فقده، وكيف يفرح به إذا وجدته. فكذلك النفس الشهوانية، فإذا فطم الصبي انقطع؛ حتى لا يلتفت إلى الثدي بعد ذلك؛ لأنه وجد طعم ألوان الأطعمة، فلا يحن إلى اللبن، كذلك النفس إذا وجدت طيب اليقين، وروح قرب الله - تعالى - وحلاوة اختيار الله - عز وجل - وجميل نظره لها، لم تحنَّ إلى تلك الشهوات. ص ٣٤، ٣٥

١١- قيل له: فماذا يوجد اليقين؟ قال: بطهارة القلب؛ لأن اليقين طاهر؛ فيطهر مكانه ومستقره.

قيل له: وما طهارته؟ قال: ترك ما اضطرب القلب عليه ورابك منه؛ تورعاً دق أو جل، ثم تطهره من التعلق بالشهوات والاشتغال بها، فإذا أنت فعلت ذلك صقلت قلبك فصار لك مرآة بالتورع، فكلما تفكرت شيئاً من أمر الآخرة، تمثل ذلك في مرآتك، حتى تصير الآخرة لك معانية. ص ٣٥، ٣٦

١٢- ألا ترى أن البازي كيف كان نفاره من الآدميين في الجبال الشامخات، فلما رُبَّ وأُمسِكَ على التريبة أنس بصاحبه، وأخذت التريبة بقلبه، واعتاد السكون معه؛ فنزع عن النفار، وترك همَّ الطيران، واطمأن إلى صاحبه، حتى إذا أرسله وحثَّه على الطيران طار، فأصاد وأمسك عليه صيده؛ تحرياً لموافقته مولاه، ثم إن دعاه من الطيران رجع، وأثر هواه على هوى موافقة نفسه، فأجابه منقضاً إلى حبله وسباقه.

أفلا يحق على مؤمن أبصر هذا أن يموت كمداً وعبرة، وأسفاً على فوت هذا من نفسه أن يكون طيره أسمع له وأطوع، وأشدَّ تحرياً لموافقته، وألزم لنصيحته من العبد المؤمن لربه؟ ص ٣٧، ٣٨

١٣- فكذلك يصير العبد إذا راض نفسه بترك الشهوات، وقطع الأسباب، وانقطع عن اللذات، ومجاهدة الهوى، وامتناعه عما يريد حتى تذلل، وتنقمع؛ فحينئذ ينقاد القلب والعقل، وتستقيم في سيرها على حدٍّ ما أمر به، ولا تهاب أحداً في أموره، ولا تخاف فيه لومة لائم. ص ٤١

١٤- فإذا غفلت عن النفس بعد رياضتها فلا تأمن أن تعود إلى بعض عاداتها ما دامت الشهوات منها حية، والهوى قائماً، ألا ترى أن القوس إذا ترك

استعمالها وتعاهدها وعتقت<sup>(١)</sup>، وكيف يأخذ البيت الأسفل من البيت الأعلى؟ فكلما رميت بها سهماً أخطأ الغرض؛ كذلك النفس إذا تركتها حتى تقوى شهواتها، ويشتد حرُّها في الجوف، وتقوى ظلمة الهوى أخذت من البيت الأعلى، وهو نور العقل، ونور المعرفة، ونور الروح، ونور العلم، فتحرق بنيران الشهوات من هذه الأنوار التي في القلب بقدر قوتها.

وإذا قويت بنيران الشهوات ضعفت الأنوار، فيظلم الهوى على اليقين، فيتولد الشك على القلب من هذه الآفات، فتغلب على القلب هذه الآفات. ص ٥٨

١٥- أفلا ترى كيف تعالج القوس، وتحمى حتى تلين، فإذا لانت سويت، حتى يرجع البيت الأعلى إلى مكانه، وإنما زال عن مكانه؛ لأن البيت الأسفل لما قوي وصلب مدَّ بالبيت الأعلى بفضل قوّته، فكذلك النفس لما قويت وصلبت شهواتها، انتشرت وهاج هواها، فأحرقت أنوار القلب، والقلب هو رطب بالأنوار؛ لأن النور هو من الله -تعالى- رحمة، والرحمة باردة، والقلب ليّن منقاد برطوبة تلك الأنوار.

فإذا احترق النور، صلب القلب، وقسا، ويبس، فخفَّ عن ذكر الله، ولها عنه. ص ٥٩، ٦٠

١٦- قال له قائل: فما بالنا نسمع هذا العلم فنفهمه، ونعقله، ولا يبقى على القلب منه شيء؟.

قال: لأن نيران الشهوات في الخوف قد التهبت، فهي نيران سود، مظلمة بالهوى، وهي مؤدية إلى نار الله الكبرى، فإذا التهبت ارتفع إلى القلب، وأحرق

١- عتقت من العتيق، وهو القديم من كل شيء.



تلك الأنوار، فخلا القلب من الموعظة والعلم الذي عليه، وهي شبيهة بالنار التي تلهب حمرتها، فتحتاج إلى ماء كثير حتى تطفئه، كما ألقيت عليه قبضة من شيء، أو رششت عليه قليل ماءً، انطفأ قليلاً ثم التهب؛ فكذاك صاحب الشهوة، إذا سمع الموعظة دُبِلَ قلبه، وتخسفت نفسه؛ لما يصل عليه من الخوف؛ لأن الوعيد مما تنكسر به النفس، وتحمد شهواتها.

ألا ترى أن الرجل يكون في لذة من لذات الدنيا ونشاط، فإذا بلغه وعيد من السلطان انكسر وذهب نشاطه؛ فوعيد الله - تعالى - لو خلاص إلى القلب، لكانت النفس والشهوات أشدَّ انكساراً، ولكن لا يصل ذلك إلى القلب، فهو صلب أبداً، فرح مرح، أشربطراً، فهو ينور بلهب.

فإنما يطفأ بالماء الكثير الغالب وهو العلم المؤدي إلى الخوف والوعيد، وليس يوجد هذا، فما الحيلة في ذلك؟

قال: إنا لا نعلم له حيلة، إلا أن يمنع من إلقاء الخطب عليه؛ فإنه متى زاده وقوداً اتقد، وثار والتهب، وقوي.

ومتى ما حبس عنه وقوده خمد، حتى يصير ماداً ويذهب حر التنور، كذلك ههنا يحبس عنها الشهوات حتى تحمد، فتذهب فورتها والتهابها، فحينئذ تتخلص أنوار القلب ويقوى، ويعمل العقل عمله. ص ٧٤، ٧٥

١٧- ترى الرجل يصلي بالليل، ويعق والديه، ويصوم النهار، ويسوء خلقه في شأن فطوره، وسحوره، ويغتاب الناس، وينفق في أعمال البر، ويكتسب الشهوات، ويعود المرضى، وينقل الجنائز، ويؤذي المسلمين، ويطلب عوراتهم، ويود الأبعاد، ويقطع الأرحام، فهذا رجل جاهل بربه، يعبد بالهوى، كلما

- هوي أمراً ركه ، وكذب فيما يقول : إني أريد به الله. ص ٧٦ ، ٧٧
- ١٨- وإنما أتى فساد الخلق من إهمال النفس وترك تأديبها ، وقلة النظر في أمر الله - تعالى- وجهلهم به ، فلو عرفوه لاستراحوا من خدع النفس ودواهيها؛ لأن النفس إنما تطمع بمخادعة من يجهل ربه. ص ٧٧
- ١٩- فالإنسان مطبوع على سبعة أخلاق : على الغضب ، والرغبة ، والرغبة ، والشهوة ، والغفلة ، والشك ، والشرك. ص ٨٢
- ٢٠- وكلما ازداد العبد في إيمانه نوراً وقوة وشعاعاً تنقّص من الغضب والشهوة ، والرغبة والرغبة؛ فكل مؤمن على قدر إيمانه يكون من هذه السبعة باقية فيه. ص ٨٦
- ٢١- فإذا تركت المجاهدة على الحقيقة منعك النصر ، فبقيت مخذولاً ، مأسوراً في يدي الشهوة والهوى ، فإذا صار القلب مأسوراً ، فهو كملك مأسور في يد العدو ، فإذا تعذر عليه الأعوان والجند ، بل يذلون وينهزمون في الملاهي والأباطيل. ص ١٠٧
- ٢٢- قال له قائل : فكيف تكون المجاهدة على الحقيقة ، إذ قال : (حق جهاده؟). فقال : اعتبر مجاهد الظاهر ، وامثل رجلين ، أحدهما سلاحه تام ، وحمل نفقة سنة ، وتجهز بما يحتاج إليه ، ورافق في الطريق رفقاء ، وتبسّط في مسيره وطرب مع رفقائه ، وتلذذ برؤية الكون ولقاء الناس ، وفرح بما نسب إليه من الجهاد ، والغزو ، فقيل : هذا فلان الغازي ، وطمعت نفسه في علو المرتبة ، وارتفاع المنزلة عن الناس ، واتخذ الجاه عندهم بذلك ، ونال الكرامة في مسيره مقبلاً ومدبراً ، وقلبه ههنا معلق بحب الدنيا ، وما خلف فيها ، فهذا حاله في الطريق حتى إذا بلغ المنتهى ، فعلى وده

أنه لا يلقي عدواً أبداً، ولا يسمع بذكره، فهو مقيم هناك مع حنين قلبه إلى شهواته ومناه التي خلفها وراء ظهره. ص ١٠٧، ١٠٨

٢٣- قال له قائل: وما الهوى؟

قال: جوهرة النفس؛ لأن آدم -عليه السلام- خلق من تراب، فكان الهوى هو عنصره الذي فيه جوهريته الترابية، فكانت تلك الترابية متشعبة في النفس، وهو صفوة غذاء الأم، والهوى تنفس النفس، وهو كدورته، وأصل جوهريته، وهو مظلم، وهو قوة غذاء الأم.

لأن التراب مظلم، وأملك إنما ربتك من اللبن، ومما أخرجت الأرض؛ فلذلك قيل في الحديث: ( لكل شيء نفس، ونفس النفس الهوى) فما دام الروح فيك فأنت كون الروح، فإذا خرج الروح منك صار وجهك وجميع جسدك كأنه ذر عليك التراب. ص ١١٤، ١١٥

٢٤- فمن هاهنا هواك يميل بك إلى نعيم الأرض؛ لأنه من جنسه. وإليه يحنُّ، وله يألف؛ فهذه النفس مضطربة إذا حملت عليها أمر الله -تعالى- كذلك الأرض لما حمل عليها الخلق اضطربت؛ فأُسكنت بالجبال الرواسي حتى سكنت. ص ١١٥، ١١٦

٢٥- كذلك النفس، إذا اضطربت فإنما تسكن بالمعرفة؛ فكلما كانت معرفتك أعظم وأثقل على القلب، كانت النفس أسكن، ومنه قيل: الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي. ص ١١٦



## ثانياً: المنتقى من كتاب

## الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـ

## تعريف بالمؤلف:

هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى، المعروف بأبي هلال العسكري. وقد أجمعت التراجم المختلفة على ذلك، كما اتفق الذين ترجموا له أنه ينسب إلى مدينة (عسكر مكرم) من أعمال الأهواز.

وأبو هلال فارسي الأصل، ومع كثرة مؤلفاته وحسن تصانيفه إلا أن المراجع التي تحدثت عنه لم تذكر السنة التي ولد فيها، ولا التي مات فيها على وجه التحديد والإجماع.

وبعض الذين ترجموا له استنتجوا أنه ولد سنة ٣١٠هـ على وجه التقريب، وأما وفاته فمنهم من قال إنه توفي عام ٣٩٥هـ، وهم الأكثر، ومال القفطي إلى أنه عاش حتى بعد سنة ٤٠٠هـ.

ويعزى خمولى ذكره -مع طول باعه واتساع علمه- إلى أسباب لعل جلها يعود إلى غلبة شهرة أستاذه أبي أحمد العسكري الذي يحمل الاسم ذاته، واسم الأب، والنسبة، مما أثر سلباً على التلميذ.

ولأبي هلال مؤلفات كثيرة في الحديث، والتفسير، والتاريخ، واللغة، والأدب. ومنها: كتاب التلخيص، وجمهرة الأمثال، والأوائل، وديوان المعاني، والصناعتين، والفروق اللغوية، والمعجم في بقية الأشياء، ورسالة في العزلة

والاستثناس بالوحدة ، وغيرها من الكتب.

ومنها كتاب الحث على طلب العلم ، والاجتهاد في جمعه.

### تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب ليس بالطويل ، بل هو من الكتب المتوسطة أو أقل من المتوسطة.  
وهذا الكتاب يُبين عن حسّ تربوي دقيق ، وخبرة تربوية طويلة ، يبرز ذلك من خلال ما أورده من حرص على تقدير المكانة السامية للعلم والعلماء والمتعلمين ، مؤكداً على ما يُمكنُ عدُّه وسائل لطلب العلم ، وعوامل لنجاحه توصل إلى تلك المكانة التي يراها ، ومذكراً طالب العلم بجملة من أقوال العلماء ، وما بذلوه من جهد جبار في سبيل تحصيل العلم.  
وبالجملة فهذا الكتاب يمكن أن يعد إسهاماً فيما يسمى بـ «أدب الطلب» أو «الأدب التربوي» .

وهذا الكتاب حقق وطبع أكثر من مرة ، حيث طبع عام ١٤٠٦هـ بتحقيق د.مروان قباني ، وطبع عام ١٤١٨هـ بتحقيق د.عبدالمجيد دياب.  
وقد أفدت من هذين التحقيقين.

### النقول المنتقاة: قال ﷺ :

١- والاجتهاد فيما يُكسبُ العز ، ويزيد في النباهة والقدرة - راحة العاقل ، والتواني عنه عادة الجاهل.

وقلت في نحو ذلك :

وساهر الليل في الحاجات نائمُهُ      وواهب المال عند المحل كاسبُهُ

وقلت في نحو ذلك :

وليغدُ في تعب يرُح في راحة      إن الأمور مُريحُها كالمُتعب

وقلت :

ألا لا يَدمُ الدهر من كان عاجزاً      ولا يعذِلُ الأقدار من كان وانياً  
فمن لم تُبلِّغْهُ المعالي نَفْسُهُ      فغير جدير أن ينال المعاليا

ص ٤٥ - ٤٦

٢- ومثل العلو في المكارم مثل الصعود في الثنايا<sup>(١)</sup> والقلل<sup>(٢)</sup>، ولا يكون إلا بشق النفس، ومن ظن أنه ينعم في قصد الذرى<sup>(٣)</sup>، والتوقل<sup>(٤)</sup> في القذفات<sup>(٥)</sup> العلا، فقد ظن باطلاً، وتوهم محالاً. ص ٤٦

٣- وقال الجاحظ: العلم عزيز الجانب، لا يعطيك بعضه، حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك كنت من إعطائه إياك البعض على خطر.

وقد صدق؛ فكم من راغب مجتهد في طلبه لا يحظى منه بطائل على طول تعبهِ، ومواصلة دأبه ونصبه؛ وذلك إذا نقص ذكاؤه، وكلَّ ذهنه، ونبَّت قريحته. والفهم إنما يكون مع اعتدال آتته، فإذا عدم الاعتدال لم يكن قبول، كالطينة إذا كانت يابسة، أو مُنحَلَّةً، لم تقبل الختم، وإنما تقبله في حال اعتدالها.

وإذا أكدى الطالب مع الاجتهاد فكيف يكون مع الهوينى والفتور؟! ص ٤٧

١- الثنايا: جمع ثنية وهي الطريق في الجبل.

٢- القلل: جمع قلة وهي قمة الجبل.

٣- الذرى: جمع ذروة وذروة كل شيء أعلاه.

٤- التوقل: الصعود.

٥- القذفات: جمع قذفة وهي أعالي الجبل ونواحيه.

٤- وإن كنت -أيها الأخ- ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تتحيّفه الدهور والأعوام، وهيبةً بغير سلطان، وغنىً بلا مال، ومنفعةً بغير سلاح، وعلاءاً من غير عشيرة، وأعواناً من غير أجرٍ، وجنداً بلا ديوان وفرض - فعليك بالعلم؛ فاطلبه في مظانه تأتِكَ المنافع عفواً، وتلق ما تعتمد منها صفواً.

واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوّق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر به بعد وفاتك. ص ٤٨

٥- وإذا تدبرت قول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) فقال: «قيمة كل امرئ ما يحسنه» كنت حقيقاً بالاجتهاد في طلب العلم أو أنّ قدرتك عليه، غير معذور في التواني عنه، والتقصير فيه؛ لأن العاقل لا يعتمد تحسيس قيمته، ولا يغفل عما يرفع من قدره. ص ٥٠

٦- وقال بعض الأوائل: لا يتم العلم إلا بستة أشياء:

- (١) ذهن ثاقب. (٢) وزمان طويل. (٣) وكفاية.
- (٤) وعمل كثير. (٥) ومعلّم حاذق. (٦) وشهوة.

وكلما نقص من هذه الستة شيء نقص بمقداره من العلم. ص ٥٢

٧- قال أبو هلال: فإذا كان العلم مؤنساً في الوحدة، ووطناً في الغربة، وشرفاً للوضع، وقوة للضعيف، ويساراً للمُقتر، ونباهة للمغمور، حتى يلحقه بالمشهور المذكور - كان من حقه أن يُؤثّر على أنفس الأعلام، ويقدم على أكرم



العقد، ومن حق من يعرفه حق معرفته أن يجتهد في التماسه؛ ليفوز بفضيلته؛ فإن من كانت هذه خصاله كان التقصير في طلبه قصوراً، والتفريط في تحصيله لا يكون إلا بعدم التوفيق، ومن أقصر عنه أو قصر دونه فليأذن بخسران الصفقة، وليقرّ بقصور الهمة، وليعترف بنقصان المعرفة، وليعلم أنه غيب الحظّ الأوفر، وخُدع عن النصيب الأجل، وباع الأرفع بالأدون، ورضي بالأخس عوضاً عن الأنفس، وذلك هو الضلال البعيد. ص ٥٤

٨- وَلِفَضْلِ الْعِلْمِ مَا ذَلَّتْ فِي التَّمَاثُ الْأَعْزَاءُ، وَتَوَاضَعَ الْكِبَرَاءُ، وَخَضَعَ لِأَهْلِهِ ذُوو الْأَحْلَامِ الرَّاجِحَةُ، وَالنَّفُوسُ الْأَبْيَةُ، وَالْعُقُولُ السَّلِيمَةُ، وَاحْتَمَلُوا فِيهِ الْأَذَى، وَصَبَرُوا عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَمَنْ طَلَبَ النَّفِيسَ خَاطِرَ النَّفِيسِ، وَصَبَرَ عَلَى الْخَسِيسِ. ص ٥٨

٩- قال أبو هلال: سميت الرياح: المؤتفكات؛ لأنها لا تتماسك، وأصل هذه الكلمة عدم التماسك، وسمي الكذب إفكاً؛ إذ كان يدل على نفسه بالفساد والبطلان، كأنه لا يتماسك. ص ٥٩

١٠- وقال سعيد بن جبير: لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك، كان أجهل ما يكون.

قال الشيخ أبو هلال: ونحو هذا ما قلته:

أَحَقَرُ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسٌ جَلِيلَةٌ	تَكَنَّفَهَا مِنْ جَانِبَيْهَا الْفَضَائِلُ
أَحَاوَلْتُ مِنْهَا أَنْ تَزِيدَ فَتَرْتَقِي	إِلَى حَيْثُ لَا يَسْمُو إِلَيْهِ الْمُحَاوَلُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَبْغِ الزِّيَادَةَ فِي الْعِلَالِ	فَأَنْتَ عَلَى النِّقْصَانِ مِنْهُمْ حَاصِلُ

- ١١- وقيل لبزرجمهر: بم جمعت هذا العلم الكثير؟! قال: بيكور كبكور الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار. ونحو هذا قول شعبة وقد قيل له: ما بال حديثك نقيّاً؟! قال: لتركّي العصائد بالغدوات. ص ٦٥
- ١٢- إن الكتب لا تحيي الموتى، ولا تحول الأحمق عاقلاً، ولا البليد ذكياً، ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تشحذ، وتفتق، وترهف. ومن أراد أن يعلم كل شيء فينبغي لأهله أن يداووه؛ فإن ذلك إنما تصور له لشيء اعتراه. ص ٧٠
- ١٣- وقال الزهري: إن الرجل ليطلب وقلبه شغبٌ من الشعاب، ثم لا يلبث أن يصير وادياً، لا يوضع فيه شيء إلا التهمة. قلنا: يريد أن أول الحفظ شديد يشق على الإنسان، ثم إذا اعتاد سهل. ومصدق ذلك ما أخبرنا به الشيخ أبو أحمد، عن الصولي، عن الحارث ابن أسامة قال: كان العلماء يقولون: كل وعاء أفرغت فيه شيئاً فإنه يضيق إلا القلب؛ فإنه كلما أفرغ فيه اتسع.
- وقال أبو السمع الطائي: كنت أسمع عمومتي في المجلس ينشدون الشعر، فإذا استعدتهم زجروني وسبوني، وقالوا: تسمع شيئاً ولا تحفظه! قال الشيخ: وكان الحفظ يتعذر عليّ حين ابتدأت أرومه، ثم عودته نفسي، إلى أن حفظت قصيدة رؤبة:
- ❖ وقاتم الأعماق خاوي المخترق ❖ في ليلة وهي قريب من مائتي بيت.

وقد قال الشعبي: ما وضعت سوداء في بيضاء قطُّ، ولا حدثني أحدٌ بحديثٍ فاحتجتُ إلى أن يعيده علي. ص ٧١ - ٧٢

١٤- وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يُسمع نفسه؛ فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب؛ ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه، وإذا كان المدرس مما يفسح طرق الفصاحة، ورفع به الدارس صوته زادت فصاحته. ص ٧٣

١٥- وحكي لي عن بعض المشايخ أنه قال: رأيت في بعض قرى النبط فتىً فصيحاً اللهجة، حسنَ البيان، فسألته عن سبب فصاحته مع لُكنة أهل جلدته! فقال: كنت أعمد في كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ، فأرفع صوتي بها في قراءتها، فما مر لي إلا زمان قصير، حتى صرت إلى ما ترى. ص ٧٣

١٦- وحكي لي عن أبي حامد أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستُم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبت للحفظ، وأذهب للنوم.

وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ والفهم، وكان بعضهم يقرأ الكتاب، ثم يذاكر به حرفاً حرفاً، كأن قارئاً يقرؤه عليه، فيفسره له. ص ٧٣

١٧- واعلم أن الذكاء، وجودة القريحة، وثقوب الذهن جواهر نفيسة، فإذا طلب صاحبها العلم فبلغ مبلغاً فقد حفظ جمالها على نفسه، وأحرز منفعتها لها. ومن ترك الطلب حتى كَلَّ ذهنه، وعميت فطنته، وتبلدت قريحته، مع إدبار عمره - كان كمن عمَد إلى ما عنده من الياقوت والدر فرضه، وأبطل الجمال والنفع به.

وإذا كان ما جمعته من العلم قليلاً، وكان حفظاً كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيراً غير محفوظ قلت منفعته. ص ٧٤ - ٧٥

- ١٨- وقال المنصور بن المهدي للمأمون: أحسن بمثلي أن يتعلم؟ فقال: والله لأن تموت طالباً للعلم خيرٌ من أن تموت قانعاً بالجهل. ص ٧٦
- ١٩- وحكي عن ثعلب أنه كان لا يفارقه كتاب يدرسه، فإذا دعاه رجل إلى دعوة، شرط عليه أن يوسع له مقدار مسورة؛ يضع فيها كتاباً ويدرس. ص ٧٦-٧٧
- ٢٠- وكان أبو بكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته، حتى في الطريق، وكان ربما سقط في جرف، أو خبطته دابة. ص ٧٧
- ٢١- وحكي عن بعضهم أنه كان يشد في وسطه خيطاً إذا قام من الليل يدرس؛ خوفاً من أن يسقط إذا نعس. ص ٧٧

- ٢٢- وكان ابن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئاً وإن قل. وكان بعضهم يقول: متى تبلغ من العلم مبلغاً يُرضى، وأنت تؤثر النوم على الدرس، والأكل على القراءة؟ ص ٧٧
- ٢٣- وكان الأصمعي يحفظ اثنتي عشرة ألف أرجوزة، فيها ما كان عدد أبياتها المائة والمائتين. ص ٧٩

- ٢٤- قال الشيخ أبو هلال: وعند الحكماء أن من تبرم بالعلم والعلماء، ومن يقدر على حفظ العلم والأدب، وهو مقصر فيه - فليس بإنسان كامل، والكامل من الناس من عرف فضل العلم، ثم إن قدر عليه طلبه. ص ٨٢
- ٢٥- وقال الحسن: من ترك طلب العلم؛ حياءً ألبسه الجهل سرباله، ومن رق وجهه رق علمه.

وقال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة. ص ٨٤

٢٦- قال أبو هلال: وجعل الحكماء منزلة العلماء مثل منزلة الملوك.

فقالوا: من أدب الداخل على العالم أن يسلم على أصحابه عامةً، ويخصه بالتحية، ويجلس قدامه، ولا يشير بيده، ولا يغمز بعينه، ولا يقول بخلاف قوله، ولا يغتاب عنده أحداً، ولا يساراً في مجلسه، ولا يلحّ عليه إذا كسل، ولا يعرض عن كلامه، فإنه بمنزلة النخلة، لا يزال يسقط عليك منها شيء ينفعك. ص ٨٤

٢٧- وكان الخليل يقول: أثقل ساعات علي ساعة أكل فيها! ص ٨٨

٢٨- قال أبو هلال: ولو أن الجاهل تبين نقيصة الجهل من نفسه - لفرع إلى مفارقتة بالكد في التعلم، ولكنه كآكل الثوم، لا يشم من نفسه ننته، وإنما يشمه غيره، ويتأذى به سواءه. ص ٩٧

٢٩- والفضيحة بالجهل عظيمة، والغبن به كثيرٌ لو عرفه الجاهل. ص ٩٧

٣٠- ولا يرضى بالجهل إلا من هانت عليه نفسه، فلا يبالي أن يهجي، ويُستخفَّ به، ويُسخر منه، وأدنى حقه منه ذلك.

ومن أكرمه - إلا عند ضرورة - فقد وقع الإكرام في غير موضعه. ص ٧



## ثالثاً: المنتقى من كتاب

## الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ٣١٠ - ٤١٤ هـ

## تعريف بالمؤلف:

هو أبو حيان علي بن العباس البغدادي ولد سنة ٣١٠ هـ من أبوين فقيرين ، وقد قضى حياته في بغداد ، حيث أتيح له أن يتلقى العلم على بعض علماء عصره كأبي سعيد السيرافي ٢٤٨ هـ - ٣٦٧ هـ ، وعلي بن عيسى الرماني ٢٩٦ هـ - ٣٨٤ هـ وغيرهم . قال عنه ياقوت الحموي رحمته الله في معجم الأدباء ٢٨٧/٤ : « التوحيدي : شيرازي الأصل وقيل نيسابوري ، ووجدت بعض الفضلاء يقول له : الواسطي » . وقال عنه ٢٨٨/٤ : « وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو ، واللغة ، والشعر ، والأدب ، والفقه ، والكلام على رأي المعتزلة » . إلى أن قال : « ومع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً ، وفطنة ، وفصاحة ، ومُكنة كثير التحصيل للعلوم في فن حفظه ، واسع الدراية والرواية » اهـ . ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها : رسالة الصداقة والصديق ، والبصائر والذخائر ، والإمتاع والمؤانسة ، والمقابسات ، وأخلاق الوزيرين إلى غيرها . وسمي بالتوحيدي نسبة إلى التوحيد ، وقيل : نسبة إلى نوع من تمر العراق ؛ حيث كان أبوه يبيع التوحيد ببغداد . وعلى كل حال فإن أبا حيان قد اختلف في سيرته ؛ فالناس فيه ما بين قاذح ومادح ، وإن اتفقوا على علو كعبه ، ونباوة قدره في علوم شتى .

وأما موضوع هذا الكتاب الذي بين أيدينا فلا علاقة له فيما يذم به أبو حيان، بل يكاد يكون أحسن كتبه؛ لأنه يتحدث عن موضوع يشترك فيه الناس على اختلاف طبقاتهم، وإن كان لا يخلو من ملحوظات عامة.

### تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب يكاد يكون أحسن ما أُلِّف في هذا الباب؛ إذ الحديث عن الصداقة والصديق حديث حلو رائق، رائع شائق، تتجاوب فيه عواطف النفس البشرية، وعلى صفحاته تنعكس نفسياتها وروحها.

ولقد عُني العلماء، والأدباء، والفلاسفة، والشعراء في موضوع الصداقة؛ فأمعنوا في استكناه هذه الرابطة العجيبة، وتعريفها، وتحديدتها، وتحليل روابطها ودوافعها، ودوامها، وفسادها، وما إلى ذلك.

والصداقة قد تكون لمنفعة، وقد تكون للذة، وقد تكون لفضيلة، وهذه الأخيرة هي التي عليها المدار، وهي التي لا تبلى بمرور الأيام.

وأبو حيان التوحيدي عاش عمراً مديداً يصل إلى مائة وأربع سنوات، وكتابه هذا بدأه سنة ٣٧١هـ، ولم يتمه إلا سنة ٤٠٠هـ أي في العقد الأخير من عمره بعد أن «بلغت شمس رأس الحائط» على حد تعبيره.

وهذا مما يؤكد أهمية هذا الكتاب الذي صدر عن ذلك الأديب ذي النفس المرفهة، والتجربة الطويلة، كيف وقد بين في كتابه هذا أن في حديث الصداقة «شفاء للصدر، وتخفيفاً من البرحاء، واطراداً للغيط، وبرداً للغليل، وتعليلاً للنفس».

ولقد ضَمَّن هذا الكتابَ نقولاً كثيرة، وتجارب فريدة فذة، توصل من خلالها



إلى استنتاجات بديعة ممتعة، تفيد الإنسان في معاشه، وتعامله مع الأحداث، والمتغيرات، وتختصر عليه وقتاً طويلاً خصوصاً إذا كان ذا فطنة مستيقظة تعتبر بالحوادث، ولا تمر عليها مرور الكرام.

وقد طبع الكتاب أول مرة في القسطنطينية في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١هـ.

وطبع مرة ثانية في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ.

أما الطبعة التي بين أيدينا فقد عني بتحقيقها والتعليق عليها د.إبراهيم الكيلاني، وتقع في ٤١٦ صفحة، قياس الصفحة ٢٥X١٧سم، وهي الطبعة الثانية من مطبوعات دار الفكر المعاصر في بيروت لبنان، ودار الفكر في دمشق سورية عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

#### النقولات المنتقاة:

قال أبو حيان التوحيدي في كتابه: الصداقة والصديق:

١- سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلامٌ في الصداقة، والعشرة، والمؤاخاة، والألفة، وما يلحق بها من الرعاية، والحفاظ، والوفاء، والمساعدة، والنصيحة، والبذل، والمواساة، والجود، والتكرم، مما قد ارتفع رسمه بين الناس، وعفا أثره عند العام والخاص، وسُئلت إثباته ففعلت، ووصلت ذلك بجملَةٍ مما قال أهل الفضل والحكمة، وأصحاب الديانة والمروءة؛ ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن أن يستفاد منها في المعاش والمعاد. ص ٢٩

٢- قال أبو سليمان السجستاني: «فأما الملوك فقد جَلُّوا عن الصداقة؛ ولذلك لا تصح لهم أحكامها، ولا توفي بعهودها، وإنما أمورهم جارية على القدرة،

والقهر، والهوى، والشائق، والاستحلاء، والاستخفاف.  
وأما خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم، ونهاية المشكلة لهم؛  
لانتسابهم بهم، وانتسابهم إليهم، وولوع طورهم بما يصدر عنهم، ويرد عليهم.  
وأما الثناء وأصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في غير ولا نفي.  
وأما التجار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة، وحاجز لهم عن كل  
ما يتعلق بالفتوة.

وأما أصحاب الدين والورع - فعلى قلتهم - ربما خلصت لهم الصداقة؛ لبنائهم  
إياها على التقوى، وتأسيسها على أحكام الحرج، وطلب سلامة العقبي.  
وأما الكتّاب وأهل العلم فإنهم إذا خلوا من التنافس، والتحاسد، والتمازي،  
والتماحك - ربما صحت لهم الصداقة، وظهر منهم الوفاء، وذلك قليل، وهذا  
القليل من الأصل القليل.

وأما أصحاب المذاب والتطيف فإنهم رجرة بين الناس، لا محاسن لهم  
فتذكر، ولا مخازي فتنشر؛ ولذلك قيل لهم همج، ورعاع، وأوباش، وأوناش،  
ولفيف، وزعانف، وداصة، وسقاط، وأنزال، وغوغاء؛ لأنهم من دقة الهمم،  
وخساسة النفوس، ولؤم الطباع على حال لا يجوز معها أن يكونوا في حومة  
المذكورين، وعصابة المشهورين. ص ٣٢- ٣٣

٣- كان سبب إنشاء هذه الرسالة في الصداقة والصديق أني ذكرت شيئاً منها  
لزيد بن رفاعه أبي الخير، فنامه إلى ابن سعدان الوزير أبي عبدالله سنة إحدى  
وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة، وتدييره أمر الوزارة، حين كانت

الأشغال خفيفة ، والأحوال على إذلالها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قال لي زيد عنك كذا وكذا ، قلت : قد كان ذاك ، قال : فدوّن هذا الكلام ، وصلّه بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم ؛ فإنّ حديث الصديق حلو ، ووصف الصاحب المساعد مطرب ؛ فجمعت ما في هذه الرسالة ، وشُغل عن ردّ القول فيها ، وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان .

فلما كان هذا الوقت -وهو رجب سنة أربعمائة- عثرت على المسودة وبيضتها على نجيلها ، فإن راقتك فذاك الذي عزمتُ بنيتي ، وحولي ، واستخارتي ، وإن تزلقتُ عن ذلك فللعذر الذي سحبتُ ذيله ، وأرسلت سيله . ص ٣٥

٤- واسترسال الكلام في هذا النمط شفاءً للصدر ، وتخفيف من البرحاء ، وانجياب للحرقة ، واطراد للغيط ، وبرد للغليل ، وتعليل للنفس ، ولا بأس بإمرار كل ما لاءمه ، ودخل في حوزته ، وإن كان آخره لا يدرك ، وغايته لا تملك . ص ٣٧ - ٣٨

٥- قال صالح بن عبد القدوس :

بُنِيَّ عَلَيْكَ بِتَقْوَى الْإِلَهِ	فَإِنَّ الْعَوَاقِبَ لِلْمُنْتَقِي
وَإِنَّكَ مَا تَأْتِ مِنْ وَجْهِهِ	تَجِدُ بَابَهُ غَيْرَ مُسْتَغْلِقِ
عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ أَبْقَى عَلَيْهِ	كَ مِنْ الصَّاحِبِ الْجَاهِلِ الْأَخْرَقِ
وَذُو الْعَقْلِ يَأْتِي جَمِيلَ الْأُمُورِ	وَيَعْمَدُ لِلْأَرْشَادِ الْأَوْفَقِ

ص ٣٨

٦- فأما الذي قال في أصدقائه وجلسائه الخير ، وأثنى عليهم الجميل ، ووصف

جدّه بهم ، ودلّ على محبته لهم - فغريب!.

قال بعضهم :

أنتم سروري وأنتم مُشتكى حَزَنِي      وأنتم في سَواد الليل سُمَّاري  
أنتم وإن بَعُدت عَنَّا مَنَازِلُكُمْ      نَوازِلٌ بَين أسراري وتذكاري  
فإن تكلمتُ لم أَلْفِظْ بغيركُم      وإن سَكَتُ فأنتم عَقْدُ إضماري  
الله جَارُكُمْ مِمَّا أَحَادَرُهُ      فيكم وحيي لكم من هجركم جاري

ص ٣٨

٧- أخبرنا أبو سعيد السِّيرافي ، قال : أخبرنا ابن دُرَيْد ، قال : قال أبو حاتم السجستاني : « إذا مات لي صديق سقط مني عضو » . ص ٣٩

٨- وقيل لأعرابي : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عَشْرَةٌ ؟ قال : مَنْ إِنْ قَرَّبَ مَنَحَ ، وَإِنْ بَعُدَ مَدَحَ ، وَإِنْ ظَلِمَ صَفَحَ ، وَإِنْ ضَوِيقَ فَسَحَ ، فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَقَدْ أَفْلَحَ وَنَجَحَ . ص ٣٩  
٩- كان أبو داود السجستاني أيام شبابه وطلبه للرواية قاعداً في مجلس ، والمستملي في حدّته ، فجلس إليه فتى ، وأراد أن يكتب ، فقال له : أيها الرجل استمدّ من محبرتك ؟ قال : لا ، فانكسر الرجل ، فأقبل عليه أبو داود ، وقد أحسّ بنخله : أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان ، فقد استوجب بالحشمة الحرمان ، فكتب الرجل من محبرته ، وسمي أبو داود حكيماً . ص ٤٢ - ٤٣

١٠- أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى ، أخبرنا ابن دريد ، عن عبد الرحمن ، عن عمه الأصمعي ، قال عبد الله بن جعفر : كمال الرجل بخلال ثلاث :

معاشرة أهل الرأي والفضيلة ، ومداراة الناس بالمخالقة الجميلة ، واقتصاد من

غير بخل في القبيلة، فذو الثلاث سابق، وذو الاثنين زاهق، وذو الواحدة لاحق، فمن لم تكن فيه واحدة من الثلاث لم يسلم له صديق، ولم يتحنن عليه شفيق، ولم يتمتع به رفيق. ص ٤٤

١١- قال العتابي لصاحب له: ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة، كامل المروءة، إذا غبت خلفك، وإذا حضرت كفّك، وإذا نكرت عرفك، وإذا جفوت لاطفك، وإذا بررت كافأك، وإذا لقي صديقك استزاده لك، وإن لقي عدوك كفّ عنك غرب العادية، وإذا رأيته ابتهجت، وإذا بائنته استرحت. ص ٤٤ - ٤٥

١٢- وقال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال. ص ٤٥

١٣- مرض قيس بن سعد بن عبادة فأبطأ إخوانه عنه، فسأل عنهم، فقل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله ما يمنع الإخوان من العيادة، ثم أمر منادياً فنادى: ألا مَنْ كان لقيس عليه حق، فهو منه في حلٍّ وسعة، فكسرت درجته بالعشي؛ لكثرة من عاده. ص ٤٥

١٤- قال عمر بن شبة: التقي أخوان في الله، فقال أحدهما لصاحبه: والله يا أخي إني لأحبك في الله، فقال له الآخر: لو علمت مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله.

فقال: والله يا أخي لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لمنعني من بغضك ما أعلمه من نفسي. ص ٤٦ - ٤٧

١٥- وقال إبراهيم بن أدهم: أنا منذ عشرين سنة في طلب أخٍ إذا غضب لم

يقل إلا الحق فما أجده. ص ٤٧

- ١٦- قال بعض السلف: عليك بالإخوان، ألم تسمع قوله - تعالى - : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الشعراء: ١٠٠ - ١٠١. ص ٤٨
- ١٧- قال رجل لأبي مجنب: إني لأؤدُّك، فقال: إني لأجد رائد ذلك. ص ٤٩
- ١٨- قال ابن عائشة: جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك. ص ٥١
- ١٩- قال أبو جعفر المنصور: مَنْ أعطى إخوانه النِّصْفَةَ، وعاشرهم بجميل العِشْرَةِ قَوِيَ بهم عضده، وزاد بهم جلده، وبذلوا دونه المهج، وخاضوا في رضاه اللُّجج. ص ٥١
- ٢٠- قال الشعبي: تعايش الناس بالدين زماناً حتى ذهب الدين، ثم تعايشوا بالمرءة حتى ذهبت المرءة، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرغبة، وسيتعايشون بالجهالة زماناً طويلاً. ص ٥٣
- ٢١- قال الأحنف: من حق الصديق أن يحتمل له ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة. ص ٥٤
- ٢٢- وقال أبو بكر: قارب إخوانك في خلائقهم تسلم من بوائقهم، وترتع في حدائقهم. ص ٥٤
- ٢٣- قال عثمان بن عفان: ما ملك رفيقاً من لم يتجرَّع بغيظٍ ريقاً. ص ٥٥
- ٢٤- قال الأصمعي فيما روى لنا المرزباني، عن ابن دريد، عن عبدالرحمن، عن الأصمعي، قال أعرابي: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز

منه من ضيِّع من ظفر به منهم. ص ٥٥

٢٥- قيل لمسور بن مخرمة الزهري: أيُّ الندماء أحبُّ إليك؟ قال: لم أجد نديماً كالحائط، إن بصقتُ في وجهه لم يغضب عليَّ، وإن أسررتُ إليه شيئاً لم يفشه عني. ص ٥٥

٢٦- قال ابن مناذر: كنت أمشي مع الخليل فانقطع شسعٌ نعلي فخلع نعله، فقلت له: ما تصنع؟ قال: أواسيك بالحفاء. ص ٥٥

٢٧- قال بعض السلف: ابذل لصديقك دَمَكَ ومالكَ، ولمعرفتك رِفْدَكَ ومحضركَ، ولعدوك عدلكَ وإنصافك. ص ٥٧

٢٨- مرَّ بخالد بن صفوان صديقان، فعرجَّ عليه أحدهما وطواه الآخر، ف قيل له في ذلك، فقال: عرج علينا هذا الفضله، وطوانا ذاك لثقتته. ص ٥٨

٢٩- قال العوامي: الصديق يرتفع عن الإنصاف، ويجلُّ -أيضاً- عن الهجران؛ لأن الإنصاف ينبغي أن يكون عاماً مع الناس كلهم، وأما الهجران فالعاقل لا يسرع إليه لعدم الإنصاف بل يستأنى، ويقف، ويكظم، ويتوقع، ويرى أن العارض في الأمر لا يزال به الأمرُ الثابت، والعرقُ النابت. ص ٥٨

٣٠- وكان بين القاضي أبي حامد المرؤذي وبين ابن نصرويه العداوة الفاشية، والشحناء الظاهرة<sup>(١)</sup> فكان إذا جرى ذكر ابن نصرويه أنشد:

وأبى ظاهراً العداوة إلا طغياناً وقولاً لا يقال

وكان يقول: والله إنني بباطنه في عداوته أوثقُ مني بظاهر صداقة غيره، وذاك

١- هذه قصة عجيبة تؤكد الحكمة القائلة: إن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل.

لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مساءتي، إلا فيما يدخل في باب المنافسة؛ ولهذا استمر أمرنا أربعين سنة، من غير فحاشة ولا شناعة، ولقد دعيتُ إلى الصلح فأبيتُ، فقلت: لا نحرك الساكن منا، فَلَقْدِيمِ العداوة بالعقل، والحفاظ من الدمام والحرمة ما ليس لحديث الصداقة بالتكلف والملق.

ولقد وقفني مرة على ضربة تأتت له عليّ كان فيها البوار، كفَّ عنها، وأخذ بالحسنى، فأريته أختها، وكانت خافيةً عنده، فقال: لولا علمي بأنك تسبق إلى مثل هذه ما قابلتك بتلك، فقلت: هو والله ذاك.

ووالله لقد ضرني ناس كانوا ينتحلون مودتي، ويتبارون في صداقتي؛ لضعف نحائزهم<sup>(١)</sup> ولؤم غرائزهم، ولقد ثبت لي هو في عداوته على عقل وتذمم، أفضيا بهما إلى سلامة الدين، والنفس، والحال.

وورد معز الدولة هذا المِصر، فسأله عني سراً، فأثنى خيراً، وقال: ما قطنَ مصرنا غريب أعظم بركة منه، وإنه لَجَمَالُنا عند المباهاة، ومَفْزَعُنا عند الخلاف! ولقد سألني معز الدولة عنه سراً، فأثنت خيراً، وقلت: أيها الأمير، والله ما نشأت فتنةً في هذا المِصر إلا وهو كان سبب زوالها، وإطفاء ثائرتها، وإعادة الحال إلى غضارتها ونضارتها!

فقال معز الدولة لأبي مَخلد سراً: كيف الحال بينهما؟ - يعنيا - فقال: بينهما نُبوُّ لا ينادى وليدُه، وتعادٍ لا يلين أبداً شديدهُ.

فقال: لئن كان كما تقول فإنهما ركننا هذا البلد، وعدتنا هذا السواد، اجعلهما

١- نحائز: جمع نخيزة، وهي الطبيعة.



عينَيَّ أبصر بهما أحوال الناس في هذا المكان، وأعوّل عليهما في ما يريان ويشيران، فخلا بي أبو مخلد وبصاحبي، وتقدم إلينا عن صاحبه بما زادنا بصيرةً وتألّفاً إلى هذه الغاية.

ثم قال أبو حامد: والله إن عداوة العاقل لألدُّ وأحلى من صداقة الجاهل؛ لأن الصديق الجاهل يتحاماك بعداوته، ويهدي إليك فضل عقله ورأيه، ومن فضل عداوة الجاهل أنك لا تستطيع مكاشفته حياءً منه، وإيثاراً للإرعاء عليه، ومن فضل عداوة العاقل أنك تقدر على مغالبتة بكل ما يكون منه إليك.

ثم قال: وما أظن أنه كان فيما مضى إلى وقتنا هذا متصادقان على العقل والدين، مثل أبي بكر وعمر، ومن يتحرى أخبارهما، ويقفو آثارهما وقف على غور بعيد، هذا مع العُنْجَية المصحوبة أيام الجاهلية، والعَجْرفية المعتادة أوان الكفر، فلما أنار الله قلوبهما بالإيمان رجعا إلى عقل نصيح، ودين صحيح، وعرفان بالعرف والنكر، ونهوض بكل ثقل وخِف، وإني لأرحم الطاعن فيهما، والنائل منهما؛ لضعف عقله ودينه، وذهابه عما خصا به، وعمّا فيه، وميزا عنه، ورقيا إليه، واندفع في هذا وشبهه، وكان والله بليل الريق، يستحضر كيف شاء بالطويل والعريض، والجليل والدقيق. ص ٥٩ - ٦١

٣١- قال محمد بن الحنفية: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بُدّاً من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجاً. ص ٦٢

٣٢- قال أبو بكر: حقُّ المجلس إذا دنا أن يُرحب به، وإذا جلس أن يوسع له، وإذا حدث أن يُقبَل عليه، وإذا عثر أن يقال، وإذا أنقص أن ينال، وإذا جهل أن يُعَلَّم. ص ٦٢

٣٣- قال عبد الملك بن صالح: مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان، وألذ من نيل الأمان، وأحلى من رضا السلطان. ص ٦٤

٣٤- إن الزمان على اختلاف مروره ما زال يخلطُ حزنه بسروره  
 لم يُصَفْ عيشاً منذ كان لعشر إلا وعاد يَجُدُّ في تكديره  
 فالعاقل النحرير يُلْزَم نفسه صبراً عليه في جميع أموره  
 وأحقُّ ما صبر امرؤ من أجله ما لا سبيل له إلى تغييره

ص ٦٥

٣٥- قيل لديوجانس<sup>(١)</sup>: ما الذي ينبغي للرجل أن يتحفظ منه؟ قال: من حسد أصدقائه، ومكر أعدائه. ص ٧١

٣٦- قال انكساغورس: كيف تريد من صديقك خلقاً واحداً وهو ذو طبائع أربع<sup>(٢)</sup>؟  
 وفي مثله قول الشاعر:

وأنتى له خُلُق واحد وفيه طبائعه الأربع

ص ٧١

٣٧- سمعت برهان الصوفي الدينوري يقول: سمعت الجنيد يقول: لو صحبني فاجر حسن الخلق كان أحبَّ إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق.  
 قال برهان: لأن الفاجر الحسن الخلق يُصلحني بحسن خلقه، ولا يضرني فجوره، والعابد السيئ الخلق يفسدني بسوء خلقه، ولا ينفعني بعبادته؛ لأن عبادة العابد له، وسوء خلقه عليّ، وفجور الفاجر عليه، وحسن خلقه لي. ص ٧٢

١- هو ديوجانس، أو ديوجينيس الكلبي من حكماء اليونان.

٢- يعني: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة.

٣٨- إذا أنت صاحبت الرجال فكن      كأنك مملوك لكل رفيق  
وكن مثل طعم الماء عذباً وبارداً      على كبدٍ حرى لكل صديق

ص ٧٣

٣٩- قيل للجنيدي: ابن عطاء يدعي صداقتك فهل هو كما يقول؟  
قال: هو فوق ما يقول، وأجدُ ذلك له من قلبي بشواهد لا تكذبني عنه، ولا  
تكذبني عني. ص ٨٧

٤٠- توفي ابنُ ليونس بن عبيد ف قيل له: إن ابن عون لم يأتك.  
فقال: إنا إذا وثقنا بمودة أخٍ لا يضرنا أن لا يأتينا. ص ٩٥  
٤١- قال بلال بن سعيد: أخ لك كلما لقيك ذكرك برؤيته ربك خير لك من  
أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً. ص ٩٩  
٤٢- قال يحيى بن معاذ: واشوقاه إلى حبيب إذا غضب عفا، وإذا رضي  
كفى. ص ١٠٠

٤٣- أخبرني المُرزباني، حدثنا الصُّولي، حدثنا المبرِّد، حدثنا أبو عمر، قال  
الأصمعي: دخلتُ على الخليل وهو جالس على حصير صغير فقال: تعال  
واجلس، فقلت: أضيقُ عليك.  
فقال: مه، فإن الدنيا بأسرها لا تسعُ متباغضين، وإن شبراً في شبر يسع  
متحابين. ص ١٠٤ - ١٠٥

٤٤- ما ودَّني أحدٌ إلا بذلتُ له      صفوا المودة مني آخر الأبد  
ولا قلاني وإن كنت المحبَّ له      إلا دعوت له الرحمن بالرشد  
ولا انثمننتُ على سرِّ فبحتُ به      ولا مددت إلى غير الجميل يدي

ولا أقول نعم يوماً فأتبعها      منعاً ولو ذهبتُ بأمال والولد  
ولا أخون خليلي في حليته      حتى أُغيب في الأكفان واللحد

ص ١٠٨ - ١٠٩

٤٥- سمعت أحمد بن محمد الكاتب يحكي: قال العتّابي: لا أحبُّ رجلاً نُقل إلي ما كرهتُ عن صديقي فغيرني له، ولا عن عدوٍّ فحملني على طلب الانتصار منه، ومع ذلك فلم يستحي بأن واجهني بما ساءني سماعه. ص ١١٠  
٤٦- بعث النضر بن الحارث إلى صديق له بعبّادان نعلين مخصوفتين وكتب إليه: إني بعثت بهما إليك، وأنا أعلم أنك عنهما غني، لكنني أحببت أن تعلم أنك مني على بال، والسلام.

فأجابه: ما أنا بغني عن برّك الذي يحثني على شكرك، ويخرطني في سلكك، ويزيدني بصيرةً بزيادة الله عندك، ومحبتك - لأنّ أعلم أنني منك على بال؛ لأن يقيني بذلك راسخ، وحمدي عليه غادٍ ورائح، لا عدمتك لي أخاً باراً، ولا عدمتني لك قائلاً ساراً. ص ١١٣

٤٧- قال أبو غسان غناة بن كليب: اجتمعت أنا ومحمد بن النضر الحارثي وعبدالله بن المبارك والفضيل ورجل آخر، فصنعت لهم طعاماً، فلم يخالف محمد بن النضر علينا في شيء، فقال له ابن المبارك: ما أقلّ خلافك، فأنشد:  
وإذا صاحبتَ فاصحبْ ما جداً      ذا حياءٍ وعفافٍ وكرمٍ  
قوله للشيء لا إن قلت لا      وإذا قلت نعم قال نعم

ص ١١٣ - ١١٤

٤٨- كتب أبو بكر لرجلٍ كتاباً في شيء جعله قطيعة له ، فحمله الرجل إلى عمر بن الخطاب ليمضيه ، فلما نظر عمر فيه بزق عليه ومحاه ، فعاد الرجل مستعراً إلى أبي بكر فقال : فعل عمر كذا وكذا ، والله ما أدري أأنت الخليفة أو عمر؟ فقال أبو بكر : هو ، إلا أنه أنا!.

وكان الزهري يرويه : إلا أنه أبي ، وعلى الوجهين المراد صحيح ، والمرمى عال ، والغاية بعيدة. ص ١١٩

٤٩- قيل لأعرابي : أبالصديق أنت أنس أم بالعشيق؟ فقال : يا هذا الصديق لكل شيء ، للجد والهزل ، وللقليل والكثير ، ولا عاذل عليه ، ولا قادح فيه ، وهو روضة العقل ، وغدير الروح.

فأما العشيق فإنما هو للعين ، وبعض الريبة ، والعدل إليه من أجله سريع ، وفي الوُلوغ به إفراط مزجور عنه ، وحد موقوف دونه ، فأين هذا من ذاك؟! ص ١١٩

٥٠- إذا كثرت ذنوبٌ من خليل	فَقَفْهُ بَيْنَ وَصْلٍ وَاجْتِنَابِ
وَأَنْظِرْهُ فَلَأَيَّامَ حَكَمٍ	بِذَلِكَ كُلُّ مَاضِي الْعَزْمِ أَبِ
وَعَاتِبْهُ فَكَمْ أَبَدَى عِتَابٌ	جَلِيَّةٌ مَشْكَلٌ بَعْدَ ارْتِيَابِ
وَرَجَّ النَّفْعَ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ	إِذَا أَخْفَقْتَ مِنْ نَفْعِ الْعِتَابِ
وَرَاجِعْهُ بَعْضُوكَ حِينَ يَثْنِي	عِنَاناً لِلرَّجُوعِ أَوْ الْإِيَابِ
فَإِنَّ الْعَضُوَّ عَنْ ذِي الْحَزْمِ أَوْلَى	إِذَا قَدَرْتَ يَدَاكَ عَلَى الْعِتَابِ
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ لِلْحَيِّ ذَنْباً	وَتَعْدَمُ ذَنْباً مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ

ص ١٢٢

٥١- وقال بعض العلماء : التمس ودَّ الرجل العاقل في كل حين ، وودَّ الرجل

ذي النُكر في بعض الأحياء ، ولا تلتمس ودَّ الرجل الجاهل في حين. ص ١٣٢  
 ٥٢- ويلقونني بالبشر ما دمت فيهمُ      فإن غِبْتُ عنهم قطعوا الجُلْدَ بالسبِّ  
 وأغضي على أشياء منك تُريبني      ولولا اصطباري فاضَ عن عَظْمها قلبي  
 وما ذاك من ضَعْفٍ ولا سوء مَحْتَدٍ      ولكن تناسي الذنب أقطعُ للذنبِ

ص ١٣٦ - ١٣٧

٥٣- إذا ما امرؤ ساءتك منه خليقةٌ      ففي الصَّفْح طيٌّ للذنوب جميلٌ  
 وإنِّي لأعطي المالَ من ليس سائلاً      حفاظاً وإخواناً الحِفاظ قليلٌ

ص ١٣٨

٥٤- وسمعت أبا دُلْف الخزرجي يقول : أنا أستجفي الشاعر الذي يقول :  
 والله لا كنت في حسابي      إلا إذا كنت في حسابكُ  
 فإن تزرني أزرِك أو إن      تقف بيابي أقف بيبابكُ  
 وكان يقول : ما هذه الغلظة ، والفظاظة؟! وما هذه المكايسة والمصادقة؟!  
 أفليس لو قابلك صاحبك بمثل هذا الأمر وقف الأمر بينكما؟ وانتكت جبل المودة  
 عنكما؟ ودبت الشحاء في طي حالكما؟ ص ١٤٢

٥٥- تُبدي لك العينُ ما في نفس صاحبها      من الشَّناءة أو ودٍّ إذا كانا  
 إنَّ البغيضَ له عَيْنٌ يَصْدُ بها      لا يستطيعُ لما في الصدر كِثْمَانا  
 وعينُ ذي الوُدِّ ما تنفكُ مُقبلةً      ترى لها مَحْجَراً بشاً وإنسانا  
 والعينُ تَنطِقُ والأفواه صامتةٌ      حتى ترى من ضمير القلب تبياناً

ص ١٤٨

٥٦- قال أبو هاشم الحرَّاني : ومن طباع الكريم وسجاياه رعاية اللقاء

الواحدة، وشكر الكلمة الحسنة الطيبة، والمكافأة بجزيل الفائدة، وأن لا يوجد عند عرض الحاجة مستعملاً سَوْمَ عَالَةٍ<sup>(١)</sup> ص ١٤٨

٥٧- وقال أبو إسحاق السبيعي: ثلاث يصفين لك ود أخيك: السلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب أسمائه، وأن لا تماريه. ص ١٥٨

٥٨- سمعت العوّامي يقول لعلي بن عيسى الوزير: إن الحال بينك وبين ابن مجاهد صفيقة، فما الذي قر به منك، ونفقه عليك، وأولعك به؟ قال: وجدته متواضعاً في علمه، هشاً في نسكه، كتوماً لسره، حافظاً لمروءته، شفيقاً على خليطه، حسن الحديث في حينه، محمود الصمت في وقته، بعيد القرين في عصره، والله لو لم يكن فيه من هذه الأخلاق إلا واحدة لكان محبوباً، ومقبولاً. ص ١٥٨

٥٩- تَوَقَّ مِنْ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُمَازِحٍ      يَزُولُ مَعَ الْأَفْنَاءِ حَيْثُ تَزُولُ  
فَلَا تَصْحَبَنَّ مُسْتَطْرِفًا ذَا مَلَالَةٍ      فَلَيْسَ عَلَى عَهْدٍ يَدُومُ مَلُولُ

ص ١٦٤

١- عرض عليّ سَوْمَ عَالَةٍ: وهو بمعنى قول العامة عرض سابريّ يضرب هذا مثلاً لمن يعرض عليك ما أنت عنه غني كالرجل يعلم أنك نزلت دار رجل ضيفاً، فيعرض عليك القرى. وفي أساس البلاغة للزمخشري ص ٢٢٦: (عرض عليّ الأمر سوم عالة) أي: عرضاً سابرياً كما تسامُ العالة على الشرب لا يستقصى في ذلك لأنها رويت بالنهل.

السابري: نسبة إلى سابور وهي كورة بفارس، قال الشاعر:

❖ وعيش كمسّ السابري

ومنه المثل: (عرض سابري) يقوله من يعرض عليه شيء عرضاً لا يبالغ فيه لأن السابري من أجود الثياب يرغب فيه بأدنى عرض.

العلل: الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول.

٦٠- تَمَلَّقْتُهُ جَهْدِي فَلَمَّا رَأَيْتُهُ      إِذَا لَانَ مِنِّي جَانِبٌ عَزَّ جَانِبُهُ  
جَرِيتُ لَهُ فِي الصَّدْرِ مِنِّي مَوْدَةً      وَخَلَيْتُ عَنْهُ مُهْمَلًا لَا أُعَاتِبُهُ

ص ١٦٥

٦١- قال رجل لمحمد بن واسع: إني لأحبك في الله، قال: فأطع من تحبني

فيه. ص ١٧٠

٦٢- قال أبو حازم المدني<sup>(١)</sup> لسلمة بن دينار: لأن ييغضك عدوك المسلم خير

من أن يحبك عدوك الفاجر. ص ١٧١

٦٣- قال أعرابي: البَشْرُ سِحْرٌ، والهدية سحر، والمساعدة سحر. ص ١٨١

٦٤- وقال فيلسوف: اجتنب مصاحبة الكذاب، فإن اضطرت إليها فلا

تصدق، ولا تُعَلِّمُهُ أنك تكذبه؛ فينتقل عن ودك، ولا ينتقل عن طبعه. ص ١٨٣

٦٥- وقال فيلسوف: لا تقطع أحداً إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولا

تتبعه بعد القطيعة وقيعة؛ فينسد طريقه عن الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده

إليك، وتصلحه لك. ص ١٨٣

٦٦- قال سقراط: لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، فكيف بك إذا كنت لا

يأمنك صديقك؟! ص ١٨٤

٦٧- وقال الأحنف: ما عاتبت أحداً إلا وما ائثال عليّ منه أكثر مما عاتبته

عليه. ص ١٨٥

٦٨- قالت امرأة عبدالله بن مطيع لعبدالله: ما رأيت ألام من أصحابك، إذا

١- لعلها: قال أبو حازم المدني سلمة بن دينار؛ لأن أبا حازم هو سلمة بن دينار.



أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك، فقال: هذا من كرمهم، يغشونا في حال القوة منا عليهم، ويفارقونا في حال العجز منا عنهم! ص ١٨٧

٦٩- وقلت للعباداني: مَنْ الصديق؟ قال: من شهد طرفه لك عن ضميره بالوفاء والود، فإن العين أنطق من اللسان، وأوقد من النيران. ص ١٨٧

٧٠- أحبُّ من الإخوان كلَّ مؤاتٍ	وكل غضيض الطرفِ عن عَثراتي
يساعدني في كلِّ أمرٍ أحبه	ويحفظني حياً وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت أني وجدته	فقا سمُّه مالي من الحسنات

ص ١٩٦

٧١- ولما جَفَت سَعْدُ سيدها الأضبط بن قُريع تحوَّل عنهم إلى قبيلة أخرى؛ فظلموه وآذوه فقال: «بكل واد بنو سعد». ص ٢٠٨

٧٢- وقال رجل من قريش: خالطوا الناس مخالطةً إن غبتم حنُّوا إليكم، وإن مُتُّم بكوا عليكم. ص ٢١٢

٧٣- إني لأبذلُّ للخليل إذا دنا	مالي وأتركُ ماله موفورا
وإذا أردت ثوابَ ما أعطيته	فكفى بذلك نائلاً تكديرا

ص ٢١٦

٧٤- قال الفضل بن الربيع: احلف لأخيك أنك تحبه، واجتهد في تثبيت ذلك عنده؛ فإنه يستجدُّ لك حباً، ويزداد لك وداً. ص ٢٢٣

٧٥- ولاقٍ ببشرٍ من لقيت تَكُنْ له صديقاً وإن أمسى مُغِباً على حقد

ص ٢٤٠

٧٦- وقال أعرابي: السؤال عن الصديق أحد اللقائين. ص ٢٤٣

٧٧- وقال الحسن: ما تحاب اثنان ففرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما. ص ٢٤٤

٧٨- وقال الحسن: لا تشتتر مودة ألفٍ بعداوة واحد. ص ٢٤٤

٧٩- وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال: أنشدنا ثعلب لأعرابي<sup>(١)</sup>:

وذي رحمٍ قلّمتُ أظفار ضِغْنِهِ	بحلْمِي عنه وهو ليس له حلمٌ
إذا سِمْنُهُ وصلَ القرابةَ سامني	قطعتُها تلك السفاهة والظلمُ
ويسعى إذا أبني ليهدمَ صالحِي	وليس الذي يبني كَمَنْ شأْنُه الهدمُ
يحاول رَغْمِي لا يحاول غيره	وكالموت عندي أن يسوغَ له الرَغْمُ
فإن أنتصر منه أكنُ مثل رائشٍ	سهامَ عدوٍ يُستهاضُ بها العظمُ
وإن أعفُ عنه أُغضِ عيناً على قذِيٍّ	وليس له بالصفح عن ذنبه علمُ
فما زلت في لِينٍ له وتعطفٍ	عليه كما تحنو على الولد الأمُ
لأستلّ ذاك الضَّغْنَ حتى استللتُه	وقد كان ذا ضغنٍ يضيق له الحزمُ
فداويت منه الحقدَ والمرءُ قادرٌ	على سهمه ما دام في كفه السهمُ

ص ٢٤٥

٨٠- أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُهُ كأنَّ به عن كل فاحشةٍ وقراً

١- الأبيات لمعن بن أوس المزني كما في حماسة البحري ٢٤١هـ، ومعن هذا شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله أخبار مع عمر رضي الله عنه، وكان معاوية رضي الله عنه يفضلّه ويقول: «أشعر أهل الجاهلية زهير وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب، ومعن بن أوس» راجع أخباره في الأغاني ٥٤/١٢ - ٥٦، والإصابة ٨٤٤٥، والخزانة ٢٥٨/٣.

وجاء في الأغاني ٦٠/١٢: «قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده: لِيَقُلْ كل واحد منكم أحسن شعر سمع به، فذكروا لامرئ القيس، والأعشى، وطرفة، فأكثرُوا حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبد الملك: أشعرهم - والله - الذي يقول: وذي رحم...».

سليم دواعي الصدر لا ناشطاً أذى      ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجراً  
إذا ما أتت من صاحب لك زلة      فكن أنت محتالاً لزلته عُذراً  
غنى النفس ما يكفيك من سرٍ خلة      فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

ص ٢٤٩

٨١- قال ابن المعتز: إذا صحت النية، وتوكدت الثقة سقطت مؤونة التحفظ. ص ٢٦١  
٨٢- إذا أنت شاجرت الرفيق فلن له      ومن خير من رافقت من لا تشاجرهُ

ص ٢٦٨

٨٣- قال المدائني: يقال: من رمى أخاه بذنب قد تاب منه ابتلاه الله به. ص ٢٧١  
٨٤- وقال آخر: إنما تطيب الدنيا بمساعفة الإخوان، ونفع بعضهم بعضاً في كل باب، وإلا فعلى الصداقة الدمار، وما أرجو إذا كانت تنقطع في الدنيا، ولا تتصل بما أحب في الدنيا. ص ٢٧٢

٨٥- وقال آخر: التجني رسول القطيعة، وداعي القلى، وسبب السلو، وأول التجافي، ومنزل التهاجر. ص ٢٧٤

٨٦- وقال آخر: من عاشر الناس بالمساحمة دام استمتاعه بهم. ص ٢٧٤  
٨٧- وحدثني أبو طائع الطلحي قال: كتب الجراحي إليّ مرة: الله يعلم أنك ما خطرت ببالي في وقت من الأوقات إلا مثل الذكر منك لي محاسن تزيدني صباة إليك، وضناً بك، واغتراباً بإخائك. ص ٢٧٦

٨٨- قال أعرابي لآخر: ودك لا ينضى ملبوسه، ولا يتوى محروسه، ولا يذوي مغروسه<sup>(١)</sup>. ص ٢٨٠

١- لا ينضى: أي لا يخلق، وقوله: لا يتوى: أي لا يضع ولا يخسر، وقوله: لا يذوي: أي لا يذبل.

٨٩- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مما يصفى لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الكنى إليه. ص ٢٨٤

٩٠- قال حاتم الأصم: أربعة تُذهب الحقد بين الإخوان: المعاونة بالبدن، واللفظ باللسان، والمواساة بالمال، والدعاء في الغيب. ص ٢٨٥

٩١- قال أرسطو طاليس في رسالة أفدناها<sup>(١)</sup> أبو سليمان: تعهد الإخوان بإحياء الملاطفة؛ فإن التارك متروك، ثم تعهد إخوان الإخوان؛ فإن إخوان الإخوان من الإخوان، وهم منزلة العلم المستدل به على الوفاء.

ثم تعهد أهل المكاشرة المتشبهين بالإخوان بالصبر عليهم؛ إما طمعاً في تحويل ذلك منهم صدقاً، وإما اتقاء كلمة فاجر وقعت في سمع مائق ذي دولة. ص ٢٨٦-٢٨٧

٩٢- قال لنا المرزباني: حدثنا القراطيسي قال: أنشدنا أبو العيناء قال: أنشدنا السدري:

وإني لأهوى ثم لا أتبع الهوى      وأكرم خلاني وفي صدود  
وفي الناس عن بعض التضرع غلظة      وفي العين عن بعض البكاء جمود

ص ٢٩٠

٩٣- قال يونس النحوي: لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدن في صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك؛ فإنك لا تدري متى تخاف عدوك، وترجو صديقك.

ولا يعتذر أحد إليك إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب، وليقل عتبُ الناس على لسانك. ص ٢٩١ - ٢٩٢

١- لعلها: أفدناها من أبي...أو أفادناها أبو سليمان...

٩٤- وقال أعرابي: خير الجلساء من إذا عَجَبَتْهُ عجب، وإذا فَكَّهَتْهُ طرب،  
وإذا أَمْسَكَتْ تحدث، وإذا فَكَّرْتَ لم يلمك. ص ٢٩٢

٩٥- شاعر:

لَبِسَ الشَّفِيقِ عَلَى الْعَتِيقِ الْمُخْلِقِ	إِنِّي لِأُلْبِسْكُمْ عَلَى عِلَاتِكُمْ
وَأَصْدُ عَنْهُ بِبُغْيَتِي وَتَرْفَقِي	وَلَقَدْ أَرَى مَا لَوْ أَشَاءَ عَتَبْتُهُ
وَيَكُونُ ذَاكَ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ	لِيرَى الْعَدُوَّ قَنَاتَنَا لَمْ تَنْصَدُ
ذَنْباً قَطَعَتْ قَوَى الْقَرِينِ الْمُشْفَقِ	وَإِذَا تُتْبِعْتَ الذَّنُوبُ فَلَمْ تَدْعُ
عَوْرَاءُ نُطَقَتْهَا صَمُوتُ الْمَنْطِقِ	وَسَمِعْتَ أَوْ نُقِلَتْ إِلَيْكَ مَقَالَةٌ

ص ٢٩٣

٩٦- وقال ابن عائشة: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب،  
ومجالسة أهل المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تزكي النفوس.

ص ٢٩٣

٩٧- وقال كعب الأحبار لرجل أراد سفراً: إن لكل رفقة كلباً فلا تكن كلب  
أصحابك. ص ٢٩٥

٩٨- وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: من وجد دون أخيه سترًا فلا يكشفه.

ص ٣٠٠

٩٩- وقال: اصحب الناس بما شئت، يصحبوك بمثله. ص ٣٠٠

١٠٠- كاتب: لا تجمعنَّ دعوى السَّراة، وتكبر الولاية، وتحكم القضاة. ص ٣٣٣

١٠١- كاتب: لو اعتصم شوقي بمثل سُلُوكٍ عن صِلَتِي لم أبتذل لك وجه الرغبة  
فيك، ولا تحسَّيت مرارة تماديك، ولكن استخفَّيتني صباية إليك؛ فاحتملت صعب

قسوتك؛ لعظيم قدر مودتك ، وأنت أحقُّ من انتصر لصلتي من جفائه ، ولشوقي من إبطائه. ص ٣٣٧

١٠٢- قال أبو العيـنـاء : مودة الكـريـم غراس ، وشكر الشـريـف أحسن لباس. ص ٣٥١

١٠٣- قال ابن عباس : إن الذباب ليقع على صديقي فيشـق عليّ. ص ٣٥٢

## لباب الآداب تأليف الأمير أسامة بن منقذ ٤٨٨-٥٨٤هـ

### تعريف بالمؤلف:

وقد مرت ترجمته في المجموعة الثانية من هذا المنتقى.

### تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب ألفه أسامة بن منقذ وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وقد طبعته دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وهي الطبعة التي أخذت منها النقول في هذا المنتقى.

ويقع هذا الكتاب في مجلد يحوي ٥٢٠ صفحة.

وقد تضمن أبواباً وفصولاً في الوصايا والسياسة، والكرم، والشجاعة، والآداب، وكتمان السر، وأداء الأمانة، والتواضع، وحسن الجوار، والصمت، وحفظ اللسان، والقناعة، والحياء، والصبر، والنهي عن الرياء، والإصلاح بين الناس، والتعفف، والتحذير من الظلم، والإحسان وفعل الخير، والصبر على الأذى، ومدارة الناس، وحفظ التجارب، وغلبة العادة.

ومما تضمنه الكتاب، باب البلاغة، ومن محاسن الشعر، ومن محاسن المديح، ومن بليغ التشبيه، والشيب، والاعتذار، والعتاب والمراثي، وباب الحكمة، وفصل في كلام الحكماء إلى غير ذلك.

وكان في الغالب يبدأ الباب أو الفصل أو العنوان بعدد من الآيات القرآنية، ثم يثني بالأحاديث الشريفة، ثم بكلام العلماء والحكماء، والشعراء وهكذا.

والكتاب مليء بالحكم والمواعظ، والتجارب، والقصائد الرائعة، والأبيات الشاردة، والأمثال السائرة إلى غير ذلك لما هو جالب للفائدة والمتعة.

كيف إذا كان عن مجرب قد عرَّكتهُ السنون، ووسمتهُ الأيام بميسمها؟

كيف إذا كان قد كتبه وهو في الحادية والتسعين من عمره؟

### النقولات المنتقاة:

قال أسامة بن منقذ في كتاب لباب الآداب:

#### ١- باب الوصايا

- الوصية وصيتان: وصية الأحياء للأحياء، وهي أدب، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتحذير من زَلَل، وتبصيرةً بصالح عمل، ووصية الأموات للأحياء عند الموت - بحق يجب عليهم أدائه، ودين يجب عليهم قضاؤه. ص ١

- وقال محمد بن علي - رضوان الله عليهما - لابنه: يا بُني، لا تَكْسَل؛ فإنك إن كَسَلْتَ لم تُؤدِّ حقاً ولا تَضَجِرْ؛ فإنك إن ضَجَرْتَ لم تصبر على حق ولا تمتنع من حق؛ فإنه ما من عبد يمتنع من حق إلا فتح الله عليه باب باطل؛ فأنفق فيه أمثاله. ص ١٢

- قال عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه -: «من عرَّض نفسه للتهمة فلا يُلومَنَّ من أساء به الظنُّ؛ ومن كتم سرَّه كانت الخيرةُ بيده، وَضَعُ أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه، ولا تَظُنَنَّ بكلمة خرجت من امرئٍ مُسلم شراً وأنت تجد لها في الخير مَخْرَجاً؛ وعليك بإخوان الصدق فكس<sup>(١)</sup> في اكتسابهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، عُدَّة في البلاء، ولا تَهَاوَنُ في الحلف بالله

١- الكيس: العقل والتوقد.



فيُهينك، وعليك بالصدق ولو قَتَلَك، ولا تَعْتَزِلْ إلى من لا يُغْنِيكَ واعتزل  
عدوَّك؛ واحذَرْ صديقك إلا الأمين: والأمين من خشي الله - تعالى - ولا تَصْحَبْ  
الفاجر فتتعلَّم من فُجُورِهِ، ولا تُطْلِعْهُ على سِرِّكَ فيفضحك، وتخشع عند القبور  
وآخ الإخوان على قدر التقوى؛ ولا تَسْتَعِنْ على حاجتك من لا يُحِبُّ نَجَاحَهَا  
لك؛ وشاورْ في أمرك الذين يخافون الله - عز وجل -». ص ١٢

- عن الشعبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي أبي: إني أرى  
أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب رضوان الله عليه - يدنيك دون أصحاب  
محمد ﷺ فاحفظ عني ثلاثاً: لا يُجَرِّبَنَّ عليك كذباً، ولا تغتابَنَّ عنده أحداً، ولا  
تُفَشِّينَ له سراً.

قال: فقلت: يا أبا عباس كل واحدة خير من ألف دينار، قال: كل واحدة  
منهن خير من عشرة آلاف دينار. ص ١٥

- قال عبدالله بن الحسن بن الحسين - رضوان الله عليهم - لابنه محمد ﷺ: يا بُنَيَّ،  
احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان عدواً؛ فيؤشك أن  
يُورطك الجاهل بمشورته في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكروه فكر العاقل.

وإياك ومعادة الرجال؛ فإنها لن تُعَدِّيك مكرَ حليم أو مفاجأة جاهل. ص ١٥  
- قال معاذ بن جبل ﷺ في وصيته: إنه لا بُدَّ لك من نصيبك من الدنيا، وأنت  
إلى نصيبك من الآخرة أحوج؛ فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذْهُ؛ فإنه سيُمرُّ على  
نصيبك من الدنيا فينتظمه انتظاماً، ويزول<sup>(١)</sup> معك حيث ما زُلْتُ. ص ١٦

- عن الشعبي قال: قلت لابن هبيرة: عليك بالتؤدة فإنك على ردِّ ما لم تفعل

١- يزول: يتحرك.

أقدر منك على ردّ ما فعلت. ص ١٨

- وقال الحكيم: من التوفيق حفظُ التجربة. ص ١٩

- وقال بعض العلماء: صُنْ عَفَّتْكَ بِالْحِلْمِ، ومروءتك بالعفاف، ونجذتك

بمجانبة الخيلاء، وجهدك بالإجمال في الطلب. ص ١٩

- وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال: أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه

النائبة فيستعير من أخيه ثوبه، ومن صديقه دابته، ولا يجد من يعيره لسانه. ص ٢٠

- قال الصُّولي: كاتبت أبا حنيفة رحمه الله <sup>(١)</sup> فأغفلت التاريخ، فكتب إليّ:

وصل كتابك مبهم الأوان، مظلم البيان، فأدّى خبراً ما القرب فيه بأولى من البعد

منه؛ فإذا كتبت - أعزك الله - فلتكن كتبك موسومة بالتاريخ، لأعرف أدنى

آثارك، وأقرب أخبارك. ص ٢٠

- كان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره، فقال له: يا قس، ما أفضل

العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه، قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند

علمه، قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما

أفضل المال؟ قال: ما قضي به الحق. ص ٢١

- قال حاتم الطائي:

١- ليس أبو حنيفة هذا الإمام المشهور، بل أرجح جداً أنه أبو حنيفة الدينوري (واسمه أحمد ابن

داود) وهو الكاتب البليغ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب، والصولي أبو بكر محمد بن يحيى

الكاتب المعروف مؤلف كتاب (أدب الكتاب)، وهو أدرك الدينوري قطعاً؛ لأنه أخذ العلم عن أبي داود

السجستاني صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥هـ والدينوري مات سنة ٢٨٢هـ أو سنة ٢٩٠هـ، وأما

الصولي فإنه مات سنة ٣٣٥هـ.

وما من شيمتي شتم ابن عمي  
وكلمة حاسد من غير جرم  
فعابوها عليه ولم تعبني  
وذو اللونين يلقياني طليقاً  
بصرت بعيبه فكففت عنه  
وما أنا مُخْلِيف من يرتجيني  
سمعتُ فقلت: مرّي فانفذيني  
ولم يَغْرِقْ لها يوماً جبيني  
وليس إذا تغيب يأتليني  
محافضة على حسبي وديني

ص ٢٤

- وقال آخر:

نظيرك لا تُظهر عليه تطاولاً  
ولكن له لِنٌ، وارعَ - إن كنت راعياً -  
فتملاً ضِغناً صدره بالتطاول  
له الحق وارمم حاله بالنوافل<sup>(١)</sup>

ص ٣١-٣٢

- وقال آخر:

ولا تَهْدِمَنَّ بُنيانَ من قد وجدته  
بنى لك بُنياناً وكن أنت بانيا

ص ٣٢

## ٢- باب السياسة

- قال كسرى: إني ضبطت مُلكي بأني لم أهزل في أمر ولا نهى قط؛ وأعطيت  
للغناء لا للرضى، وعاقبتُ للأدب لا للغضب، وصدقتهم الوعد والوعيد،  
وعممتُ بالعدل والإنصاف، وكففتُ يدي عن دمائهم وأموالهم إلا بحقها. ص ٣٧  
- وغضب كسرى على رجل من أصحابه فأمر بحسبه وقطع ما كان جارياً عليه،  
فقال له بزرجمهر: إن الملوك تُؤدّب بالهجران، ولا تعاقب بالحرمان. ص ٣٧

١- النوافل: جمع نافلة، وهي العطية.

- وقع بعض العمال إلى كسرى قُبَاز في أنطاكية: للملك، جماعة قد فسدت نياتهم، وخبثت ضمائرهم، وقد هموا بما لم يفعلوا، وهم غير مأمونين على المملكة؛ وهم: فلان وفلان وفلان، فإن رأى الملك أن يعاجلهم فعل.
- فوقع في رقعته: إنما أملك الأجساد لا النيات، بالعدل لا بالرضى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر. ص ٣٧-٣٨
- روي أن الموبذ سمع ضحك الخدم في مجلس أنوشروان، فقال له: أما تمنع هؤلاء الغلمان؟ فقال له أنوشروان: إنما يهابنا أعداؤنا. ص ٣٨
- وقال قتيبة بن مسلم: ملاك السلطان الشدة على المريب، والإغضاء عن المحسن، ولين القول لأهل الفضل. ص ٣٨
- وقيل لملك قد زال عنه ملكه: ما الذي سلبك ما كنت فيه؟ قال: دفع عمل يوم إلى غد، والتماس عذر بتضييع عمل. ص ٣٩
- وقالوا: إن اللئيم الجاهل لا يزال ناصحاً حتى يُرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل، فإذا بُلِّغها التمس ما فوقها بالغش والخيانة. ص ٤٢
- وقالوا: من أخذ بالحزم وقدم الحذر وجاءت المقادير بخلاف مراده. كان أحمد رأياً، وأظهر عذراً ممن عمل بالتفريط، وإن اتفقت له الأمور على ما يريد. ص ٤٥
- فليس على العاقل النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه، وما ينصرف عنه؛ ولكن عليه العمل بالحزم في أمره، ومحاسبة نفسه في ذلك. ص ٤٦
- وقال الحكماء: الحاكم من لا يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهمُّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها. ص ٤٦

- وقالت الحكماء: من كانت فيه ثلاث خلال لم يستقم له أمر: التواني في العمل، والتضييع للفرص، والتصديق لكل مخبر. ص ٤٦
- وقد قيل: أربعة أشياء لا يُستَقَلُّ قليلها: المرض، والنار، والدَّيْن، والعداوة. ص ٤٦
- وقالوا إن العاقل - وإن كان واثقاً بقوته وعقله - فليس ينبغي أن يحمله ذلك على أن يجني على نفسه العداوة والبغضاء اتكالاً على ما عنده من الرأي والقوة، كما أن العاقل إذا كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالاً على ما عنده. ص ٤٦
- وقالوا: احذر معاداة الذليل، فرما شَرَقَ العزيز بالذبابة. ص ٤٧
- وقال بعض الحكماء: لا تُصَغِّرْ أمر عدو تحاربه؛ فإنك إن ظفرت به لم تُحمد، وإن عجزت عنه لم تُعذر. ص ٥٣
- وقال الحكيم: يجب على السلطان أن يعمل بثلاث خصال: تأخير العقوبة في سلطان الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن، والعمل بالأناة فيما يحدث؛ فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة في الطاعة من الرعية، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب. ص ٥٣
- وقال الحكيم: ما استُعين على العزم بمثل مجانبة الهوى. ص ٥٤
- وقال آخر: من جعل مُلْكَه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان، ومن جعل دينه خادماً لِمُلْكِهِ طمع فيه كل إنسان. ص ٥٤
- وقال آخر: من تمام الكرم أن تذكر الخدمة لك، وتنسى النعمة منك، وتفطن للرغبة إليك، وتتغابى عن الجناية عليك. ص ٥٤

- وقال آخر: كُنْ بعيد الهمم إذا طلبت، كريم الظفر إذا غلبت، جميل العفو إذا قدرت، كثير الشكر إذا ظهرت. ص ٥٤
- وقال الحكيم: ليكن مَرَجِعُكَ إلى الحق، وَمَنْزَعُكَ إلى الصدق، فالحق أقوى مُعِين، والصدق أفضل قرين.
- وقال: استعن على العدل بَخْلَتَيْنِ: قلة الطمع، وشدة الورع. ص ٥٥
- وقال آخر: لا تُعوِّدَنَّ نفسك إلا ما يُكتب لك أجره، ويحسن عنك نشره. ص ٥٥
- وقال آخر: ارفق بإخوانك، واكفهم غَرَبَ لسانك؛ فطعن اللسان أشد من طعن السنن، وجرح الكلام أصعب من جرح الحسام. ص ٥٥
- قال العتابي: مما يُعين على العدل اصطناع من يُؤثر التقى، واطراح من يقبل الرُّشا، واستكفاء من يعدل في القضية، واستخلاف من يُشفق على الرعية. ص ٥٥
- وقال أفلاطون: بالعدل ثبات الأشياء، وبالجور زوالها؛ لأن المعتدل هو الذي لا يزول. ص ٥٧
- وقال الإسكندر: لا ينبغي لمن تمسَّك بالعدل أن يخاف أحداً. ص ٥٧
- وقال أفلاطون: من بدأ بنفسه أدرك سياسة الناس. ص ٥٧
- وقال الحكيم: من عدل في سلطانه، استغنى عن أعوانه. ص ٥٨
- وقال: لأن تُحسن وتُكفِّرَ، خير من أن تسيء وتُشكر؛ فمن أحسن فبنفسه بدا، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى. ص ٥٨
- وقال: من أبلى جِدَّتَهُ في خدمتك، وأفنى مدته في طاعتك- فارع ذِمَّامه في حياته، وتكفل أيتامه بعد وفاته؛ فإن الوفاء لك بقدر الرجاء فيك. ص ٥٩

- وقال الحكيم: الصبر على ما تكرهه وتجتويه<sup>(١)</sup>، يُؤدبك إلى ما تحبه وتشتهيه. ص ٦٠

- وقال: من أعجبه آراؤه، غلبته أعداؤه، ومن ساء تدبيره، كذب تقديره، ومن جهل مواطئ قدمه، عثر بدواعي ندمه. ص ٦٠

- وقال: من أتم النصيحة بالإشارة بالصلح، ومن أضر الغدر بالإشارة بالشر. ص ٦٠

- وقال: من استصلح عدوه زاد في عدده، ومن استفسد صديقه نقص من عدده. ص ٦٠

- وقال الشاعر:

إذا الأمر أشكل إنفاذه	ولم ترم منه سبيلاً فسيحاً
فشاور بأمرك في ستره	أخاك أخاك اللبيب النصيحاً
فرئتم ما فرج الناصحون	وأبدوا من الرأي رأياً صحيحاً
ولا يلبث المستشير الرجال	إذا هو شاور أن يستريحاً

ص ٧٥

وقال آخر:

تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت	فإن تولت فبالإشرار تنقاد
لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم	ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

ص ٧٥

### ٣- باب الكرم

- قال الله - عز وجل - في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ

١- أي تكرهه.

الظَّالِمُونَ (٢٥٤) ﴿ص ٧٦﴾

- ومنها: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢) ﴿ص ٧٦﴾
- ومن سورة إبراهيم: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (٣١) ﴿ص ٧٧﴾
- ومن سورة بني إسرائيل: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (١٠٠) ﴿ص ٧٧﴾
- قال أبو الحسن المدائني: كان عبيدالله بن قيس الرقيات<sup>(١)</sup> منقطعاً إلى عبدالله ابن جعفر -رضي الله عنهما- فكان يصله ويقضي دينه، فجاءت صلة عبدالله ابن جعفر في بعض ما كانت تجيء، وعبيدالله بن قيس الرقيات غائب، وكان معاوية رضي الله عنه يصل عبدالله بن جعفر في كل سنة بمائة ألف، فأمر عبدالله بديحاً<sup>(٢)</sup> غلامه غلامه فخبأ لعبيدالله بن قيس صلته، فلما قدم أخذها، وقال:

إذا زرت عبدالله -نفسى فداؤم- رجعت بفضل من يده<sup>(٣)</sup> ونائل  
وإن غبت عنه كان للود حافظاً ولم يك عني بالمغيب بغافل

١- عبيدالله، بالتصغير، وفي الأصل «عبدالله» بالتكبير، وهو خلاف الصحيح كما نص عليه الفيروزبادي في القاموس. وقيس الرقيات سمي هكذا لأنه تزوج عدة نسوة وافق أسماؤهن كلهن «رقية» فنسب إليهن، هذا قول الأصمعي، وقيل: إنه كان يشب بعدة نساء بهذا الاسم، وقيل: كانت له عدة جدات أسماؤهن كذلك، ولعبيدالله هذا ترجمة حافلة في الأغاني (١٥٤/٤-١٦٦).

٢- بديح -بالدال والحاء المهملتين بوزن زير- وكان يقال له «بديح المليح» وهو مولى عبدالله ابن جعفر، وله ترجمة في الأغاني (٩/١٤-١٠).

٣- هكذا في الأصل، وهو جائز على لغة من يلزم المثنى الألف.



تداركني عبدالإله وقد بدت      لذني الحقد والشنآن مني مقاتلي  
حباني لما جئته بعطية      وجارية حسناء ذات خلاخل

ص ١٠٧

- قيل اشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بسبعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قال: سيكون من أجل دارهم، قال: يا غلام، إئتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً. ص ١٢٧

- قال الشافعي رحمه الله: لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان، لشيء بلغني عنه: أنه كان يوماً راكباً حماراً له، فحركه، فانقطع زرُّه له، فمر على خياط، فأراد أن ينزل، فسوى زره، فأخرج له صرة فيها عشرة دنانير، فسلمها إلى الخياط، واعتذر إليه من قتلها. ص ١٤٥

- قال الحميدي: قدم الشافعي رحمه الله من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار، فضرب خبائه في موضع خارج عن مكة، ونثر الدنانير على ثوب، ثم أقبل على كل من دخل عليه، يقبض قبضة ويعطيه، حتى صلى الظهر، ونفض الثوب وليس عليه شيء. ص ١٤٥

#### ٤- باب الشجاعة:

- قال الله - عز وجل - في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ

الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴿ص ١٤٨﴾

- ومنها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ ﴿ص ١٤٨﴾

- ومن سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَكِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾ ﴿ص ١٤٩﴾

- ومنها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ ﴿ص ١٤٩﴾

- عن هشام عن الحسن رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لغدوة أو روحة في سبيل الله - تعالى- أفضل من الأرض وما عليها، ولموقف رجل في الصف أفضل من عبادة ستين سنة» ﴿ص ١٥٥﴾

- وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لوددت أني أقاتل في سبيل

الله فأقتل ، ثم أحيا فأقتل ، ثم أحيا فأقتل . ص ١٥٧  
 - قال أبو زيد : يقال : رجل « شُجَاعٌ » <sup>(١)</sup> من قوم « شُجْعَةٌ » <sup>(٢)</sup> .  
 ويقال : « شجاع » و « شجاعٌ » بمعنى واحد .  
 و « الشُّجاع » <sup>(٣)</sup> : ضرب من الحيات . ص ١٦٥  
 - قال أبو بكر بن دريد : « رجل شُجاع : أي جريء ، والأشجع من الرجال :  
 بين الشجاعة ، وهو الذي كأن به جنوناً » . ص ١٦٥

#### ٥- من اشتهر بالفتك في الجاهلية

- عبيد بن نشبة بن مرة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان ، والحارث بن ظالم  
 المري ، والبراض بن قيس الكناني ، وتأبط شراً ، وهو : ثابت بن جابر بن سفيان  
 الفهمي ، وحنظلة بن قايد : أحد بني عمرو بن أسد بن خزيمه . ص ١٧١

#### ٦- ومن شهّر بالفتك في الإسلام

- أبو حردبة ، ومالك بن الربيع المازني ، وعبيد الله بن الحر الجعفي ، وعقبة ابن  
 هبيرة الأسدي ، وعبد الله بن سبرة الحرشي ، وعبد الله بن خازم السلمي ، والقَتَّال  
 الكلابي ، وقران بن بشار الفقعسي ، وعبد الله بن حجاج الثعلبي ، وعبيد الله بن زياد  
 ابن ظبيان أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة . ص ١٧١  
 - وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه : ما ليلة أقر لعيني من ليلة يهدى إلي فيها  
 عروس ، اللهم إلا ليلة أغدو فيها لقتال العدو . ص ١٨٩

١- الشين في الكلمتين يجوز فيها الحركات الثلاث .

٢- بضم الشين أو كسرها .

- عن المدائني قال: كانت قريش تقول: ما استوسق أمر الجاهلية والإسلام لأحد غير خالد بن الوليد فإنه لم يهزم قط ﷺ. ص ١٨٩
- وعن المدائني قال: كان سعيد بن الأوس بن أبي البختري من أجمل الناس وأشجعهم، وكان يختال في مشيته، فنظر إليه عبدالله بن الزبير ﷺ يوماً وهو يتبخر بين الصفين، فقال: كنت أظن أن مشيته تخلق فإذا هي سجية. ص ١٨٩
- قال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد - رضي الله عنهما - يوم صفين لمعاوية: ما رأيت أعجب منك يا أمير المؤمنين! إن كنت لتتقدم حتى أقول: أحب الموت، ثم تستأخر حتى أقول: أراد الهرب!!
- قال: يا عبدالرحمن: إني والله ما أتقدم لأقتل، ولا أتأخر لأهرب، ولكن أتقدم إذا كان التقدم غنماً، وتأخر إذا كان التأخر حزماً، كما قال الكناني: شجاع إذا ما أمكنتني فرصة فإن لم تكن لي فرصة فجبان
- قلت: هذا كلام خبير بالحرب، وهو الذريعة إلى الظفر أو السلامة، إلا مع الاضطرار؛ فإن المضطر لا يليق به إلا الإقدام، فإن كان في الأجل فسحة فهو ينجو مشطوراً، وإن انتهت المدة فموت المقدم أكرم من موت المؤلّي. ص ١٩٣-١٩٤
- وقال أفلاطون: الشجاعة من أقوى فضائل العالم؛ لأنها تبرز ما حوله من القول أو الفعل. ص ١٩٥
- والشجاعة تكون في الضعيف البدن، الخلو من العمل بشيء من السلاح؛ فيسمى صاحبها شجاعاً. ص ١٩٥

- نقلت من خط النجيري قال : كان الفندُ من الفرسان الشجعان القدماء ، وهو شهل بن شيان بن ربيعة بن زَمَّان ، وإنما سمي « الفند » لأنه شبه بالقطعة من الجبل ، وكان عظيماً ، وأمدت بنو حنيفة يوم قِصَّة بكر بن وائل بالفند ، وقالوا : قد أمددناكم بألف رجل ، وكان شيخاً كبيراً يومئذ ، فطعن مالك بن عوف بن الحارث ابن زهير بن جشم وخلفه رديف له يقال له الثريار بن مازن بن جشم بن عوف ابن وائل بن الأوس ، فانتظمهما برمحه وقال :

أيا طعنة ما شيخ      كبير يفن بال<sup>(١)</sup>  
كجيب الدفنس الورها      ريعت بعد إجمال<sup>(٢)</sup>  
تفتيت بها إذ كـ      ره الشكة أمثالي<sup>(٣)</sup>

وشهد الفندُ الزمانيُّ حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة ، فأبلى بلاء حسناً ، وكان يوم التحالق الذي يقول فيه طرفه بن العبد :

سائلوا عنا الذي يعرفنا      بقوانا يوم تحلاق اللمم  
يوم تبدي البيض عن أسوقها      وتلف الخيل أعراج النعم

ص ٢٠٥-٢٠٧

- وعن أبي حاتم الرازي قال : سمعت عبدة بن سليمان المروزي يقول : كنا في سرية مع عبدالله بن المبارك رحمه الله في بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقا الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فقتله ، ثم خرج رجل

١- اليفن : الشيخ الهرم.

٢- الدفنس : الحمقاء ، الورهاء : المتساقطة العقل.

٣- تفتيت : أي تخلقت بأخلاق الفتیان ، الشكة : هي ما يلبس من السلاح.

آخر منهم فقتله، ثم آخر فقتله، ثم خرج إليه آخر فطارده فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فإذا هو يلثم وجهه بكُمِّه، فأخذت بطرف كمه، فممدته فإذا هو عبدالله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنُّ علينا؟! ص ٢٢٣

#### ٧- باب الآداب

- قال الله - عز وجل - في سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)﴾.

فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد، والشريعة موجبة للأدب، فمن لا أدب له لا شريعة له، ولا إيمان، ولا توحيد. ص ٢٢٧

- وقال ابن عطاء رحمه الله: الأدب الوقوف مع المستحسنات، فقليل: وما معناه؟ قال: أن تعامل الله - تعالى - بالأدب سرّاً وإعلاناً، فإذا كنت كذلك كنت أديباً وإن كنت أعجمياً. ص ٢٢٧

- وكان يقال: من حسن الأدب أن لا تنازع من فوقك، ولا تقول ما لا تعلم، ولا تتعاطى ما لا تنال، ولا يخالف لسانك ما في قلبك، ولا قولك فعلك، ولا تدع الأمر إذا أقبل، وتطلبه إذا أدبر. ص ٢٢٨

- ويقال: من أدب صغيراً قرت عينه كبيراً، ومن أدب ابنه أرغم أنف عدوه. ص ٢٢٨

- قال سقراط الحكيم: العقول مواهب، والآداب مكاسب. ص ٢٣٦

- وقال: متواضع العلماء أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً. ص ٢٣٦

- وقال: لست تُعرّض المسيء لمقت الله بمثل الإحسان إليه مع الإساءة منه

إليك.ص٢٣٦

- وقالوا: الصبر على كتمان السر أيسر من الندامة على إفشائه.ص٢٤٢
- وقالوا: لا تفش سرّك إلا عند من يضره نشره كما يضرّك، وينفعه ستره كما ينفعك.ص٢٤٢
- وقالوا: كل سر تكتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك.ص٢٤٢
- وقالوا: أصبر الناس من صبر على كتمان سره، فلم يده لصديقه؛ خوفاً من أن يصير عدواً، فيذيعه.ص٢٤٢
- وقال السري بن المغلس رحمه الله: أربع من أعطين فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وعفاف الطعمة، وحسن الخليفة.ص٢٤٩

#### ٨- فصل في حسن الجوار

- قال الله - عز وجل- في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦). ص٢٥٨
- وعن مجاهد: أن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أمر بشاة فذبحت، فقال لقيّمه: هل أهديت لجارنا اليهودي شيئاً؟ مرتين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه». ص٢٥٨-٢٥٩

#### ٩- فصل في الصمت وحفظ اللسان

- قال الله -تبارك وتعالى- في سورة النساء: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةٍ

اللَّهُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴿ص ٢٦٩﴾

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، وليكرم ضيفه، وليقل خيراً أو ليسكت». ص ٢٧١

#### ١٠- فصل في التعفف

- قال الشاعر:

أقسم بالله لَرَضُخُ النوى	وشربُ ماءِ القلبِ المالحه
أعز للإنسان من حرصه	ومن سؤال الأوجه الكالحه
فاستشعر الصبر تُعِشْ ذا غنى	مغتبطاً بالصفقة الرابعه

ص ٣٠٧

- وقال آخر:

صن بعز اليأس عنهم أبداً	ماء ديباجك عن بذل النوال
ليس شيء من نوال تبتغي	قيمة للوجه من ذل السؤال

ص ٣٠٨

#### ١١- فصل في الصبر على الأذى ومداراة الناس

- قال الله -تبارك وتعالى- في سورة آل عمران: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٨٦) ﴿ص ٣١٨﴾

- وعن مجاهد في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

الفرقان: ٧٢ قال: إذا أودوا صفحوا. ص ٣١٩

- وقال حاتم الطائي:



تَحَلَّمْ عَنِ الْأَدْنَيْنِ وَاسْتَبِقْ وَدَّهَمْ      وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

ص ٣٢١

- وقال آخر :

لَقَدْ أَسْمَعَ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كَلِمَا      تُذَكِّرُنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَدِّعُ

فَأُبْدِي - مَنْ أَبْدَاه - مَنِي بِشَاشَةِ      كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ

وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرَ أَنَّنِي      أَرَى أَنْ تَرَكَ الشَّرَّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ

ص ٣٢٢

## ١٢- فصل في حفظ التجارب وغلبة العادة

- قالت الحكماء : التجارب عقل ثان ، ودليل هاد ، وأدب للدهر ؛ فافهم عن الأيام أخبارها ، فقد أوضحت لك آثارها ، واتعظ بما وعظك منها ، وتأمل ما ورد عليك من أحوالها تأمل ذي فكرة منها ؛ فإن الفكرة تدرأ عنك عمى الغفلة ، وتكشف لك عن مستخفيات الأمور. ص ٣٢٥

- وقالوا : الدهر أفصح المؤدبين ؛ وكفاك من كل يوم خبر يورده عليك ، وإنما الأيام مراقي الأدب ، ودرجات إلى العلم الأكبر ، فمن فهم عنها أورث زيادة ، وسطع نور علمه ، ولم يفتقر إلى غير نفسه ، ولو صحب ذو الغفلة أيام الدنيا بعجائب ما تصرفت به على القرون لم يزل جذعاً في الغرة ، ومتدلهاً فيما يحدث ؛ لأن الغفلة ظلمة راكدة ، والمعرفة مصباح الخلقة. ص ٣٢٥

- وقد قيل : إذا رأيت ذا العمر الطويل والسن القديم يكثر التعجب مما يرى ويسمع - فذلك لقلة حفظه للتجارب ، ولسهوه عما مرت به عليه الليالي .

- وقالوا : الفهم خزانة العقل ؛ ونور يبصر به ما أمامه ، وإنما نكص على عقبيه

من خانه فهمه ، وخذله عقله ، وضع ما استودعته الأيام ، فكأنه ابن يومه ، أو  
نتيج ساعته ، وحسبك مؤدباً لخصالك ، ومثقفاً لعقلك - ما رأيته من غيرك : من  
حسن تغبط به ، أو قبيح تدم عليه.ص ٣٢٥-٣٢٦

- وقد قيل : نفسك تقتضيك ما عودتها من خير أو شر.ص ٣٢٦

- وقيل : لسانك يقتضيك ما عودته.ص ٣٢٦

### ١٣- باب البلاغة

- قلت -وبالله التوفيق-: كلام المخلوقين تتميز فيه البلاغة من العي ، والفصاحة  
من اللكن ، وأما كلام الخالق -تبارك وتعالى- فعقول البلغاء تعجز عن تدبر بلاغته ،  
وتحار في اطراد فصاحته ، فماذا يورد المورد منه؟! وبماذا يترجم عنه؟!

وقد تحدى الله -سبحانه- به خلقه أجمعين ، فقال -وهو أصدق القائلين- في  
سورة يونس : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي  
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ  
قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾ .  
ص ٣٢٨

- وقال -عز وجل- في سورة الطور : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)  
فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) ﴾ .  
وما يعجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله؛ فماذا ينتزع منه وماذا  
ينتخب؟.ص ٣٢٩

- وقد روي عن الأصمعي رحمته الله قال : اجتزت ببعض أحياء العرب ، فرأيت

صبية معها قربة فيها ماء وقد انحلَّ وكاءُ فَمِها؛ فقالت : يا عم ، أدرك فاهها ، غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها؛ فأعنتها ، وقلت : يا جارية ، ما أفصحك! فقالت يا عم ، وهل ترك القرآن لأحد فصاحة؟ وفيه آية فيها خبران وأمران ونهيان وبشارتان! قلت : وما هي؟ قالت : قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧

قال : فرجعت بفائدة ، وكأن تلك الآية ما مرت بمسامعي!! ص ٣٢٩  
 - وقال يحيى بن معاذ رحمته الله : طلب الخير شديد ، وترك الشر أشد منه؛ لأن ليس كل الخير يلزمك عمله ، والشر كله يلزمك تركه. ص ٣٣٩  
 - وحذر رجل من الحكماء صديقاً له صحبه آخر ، فقال : يا فلان ، احذر فلاناً؛ فإنه كثير المسألة ، حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أخرت بما قدمت؛ فلا تظهرن له المخافة ، فيرى أنك قد تحرزت وتحفظت.

واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر ، فباتت مباتة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يظهر الخفي ، ويبيد المستتر الكامن. ص ٣٤٢

- قال سويد بن أبي كاهل :

إني إذا ما الأمر بين شكٍّ      وبدت بصائره لمن يتأمل  
 أدعُ التي هي أرفق الحالات بي      عند الحفيظة للتي هي أجمل

ص ٣٥٥-٣٥٦

وقال أحيحة بن الجلاح :

استغن عن كل ذي قربي وذي رحم      إن الغني من استغنى عن الناس  
والبس عدوك في رفق وفي دعة      لباس ذي إربة للناس لباس  
ص ٣٥٦

#### ١٤- باب في الحكمة

- قال الله -تبارك وتعالى- في سورة البقرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢٦٩). ص ٤٢٠  
- وقال البعيث:  
فلا تكثرن في إثر شيء ندامة      إذا نزعته من يديك النوازع  
ص ٤٢٤

- قيل: سمع كعب الأحبار رضي الله عنه رجلاً ينشد قول الخطيئة:  
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه      لا يذهب العرف بين الله والناس  
فقال: والذي نفسي بيده إن هذا مكتوب في التوراة. ص ٥٢٤  
- وقال الحكيم: المخذول من كانت له إلى الناس حاجة. ص ٤٢٩  
- وقال أرسطاطاليس الحكيم لصديق له وقد رآه ظالماً: هبنا نقدر على محاباتك في أن لا نقول: «إنك ظالم» هل تقدر أنت على أن لا تعلم أنك ظالم؟!  
وقليل الحق أجدى عليك من كثير الظلم. ص ٤٢٩-٤٣٠  
- وقال: ما أكثر ما نعاتب غيرنا على الظنون، ونترك عتاب أنفسنا على اليقين. ص ٤٣٠  
- وقال: ما أحرصنا على ستر أفعالنا الردية عن غيرنا وهي لنا منكشفة، فغيرنا أفضل عندنا من أنفسنا. ص ٤٣٠

- وقال: القوة على الامتناع عن اتباع الشهوات أحدُ أشْفِيَةِ أسقامِ النفس. ص ٤٣٢
- وقال بعض الحكماء: ما أعجب من يطلب العفو ممن هو فوقه، ويمنعه من هو دونه. ص ٤٣٢
- وقال سقراط: أمّا على الكلام فكثيراً ما ندمت، وأمّا على السكوت فلا. ص ٤٣٣
- وقال أوجانس: كفّاك موجحاً على الكذب علمك أنك كذاب. ص ٤٣٣
- وقال: لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف. ص ٤٣٣



## خامساً: المنتقى من كتاب

## الوصية المباركة لابن قدامة المقدسي ٥٤١ - ٦٢٠ هـ

## تعريف بالمؤلف:

هو الشيخ الزاهد الفقيه الإمام القدوة العلامة شيخ الإسلام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجَمَاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب المغني أبو محمد.

ولد في شعبان بجماعيل - قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين --.

كان والده من أهل العلم والفضل والصلاح والزهد.

ونشأ ابن قدامة محباً للعلم مجتهداً في طلبه، حيث أخذ عن علماء الشام، وسافر إلى بغداد، وله مصنفات عديدة منها: الاعتقاد والبرهان في مسألة القرآن، وكتاب التوابين، وذم الوسواس، والروضة في أصول الفقه، والعمدة، والمقنع، والمغني، وغيرها.

جاء في ترجمته: أنه كان رحمته الله إماماً في فنون كثيرة، وكان كثير الحياء، عزوفاً عن الدنيا، هيناً، ليناً، متواضعاً، محباً للمساكين، حسن الأخلاق، جواداً سخياً من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكأن النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ كل يوم ليلة سُبْعاً من القرآن، وكان إذا فرغ من صلاة العشاء يمضي إلى منزله، ويمضي معه من فقراء الحلقة مَنْ قَدَّرَهُ الله - تعالى - فيقدم لهم ما تيسر؛ ليأكلوه. وكان شجاعاً مقداماً مجاهداً في سبيل الله.

وكان مع تبحره في العلوم زاهداً تقياً ربانياً عليه هيبة ووقار، وفيه حلم وتؤدة.  
وكان يفحم الخصوم بالحجج والبراهين، ولا يتحرج ولا ينزعج، وخصمه  
يصيح ويحترق.

وكان -أيضاً- لا يكاد يناظر أحداً إلا وهو يتسم، حتى قال بعض الناس: هذا  
الشيخ يقتل خصمه بتسمه.

ولقد أثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً، قال عنه ابن الصلاح رحمته الله: «ما رأيت  
مثل الشيخ الموفق».

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه  
من الشيخ الموفق».

كانت وفاته رحمته الله يوم السبت يوم عيد الفطر أول شوال بدمشق سنة ٦٢٠هـ.

### تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب وصية كتبها ابن قدامة؛ استجابة لطلب بعض الصالحين؛ ليستفيد  
منها، فاعتذر الموفق؛ تواضعاً منه، ولكن بداله أن يجيب؛ رجاء النفع بالوصية.  
وقد ضمَّنها الوصاية بفعل الطاعات، واغتنام الأوقات، وبيّن من خلالها بعض  
مفسدات الأعمال، ومثّل على ذلك بالأمثلة، وبقصص وحكايات الصالحين.

والكتاب من القطع الصغير، ويقع في ١٦٠ صفحة، تحقيق د.محمد يوسف  
الشربجي، ومراجعة الأستاذ سعدي أبو حبيب، وتقديم الشيخ عبد القادر  
الأرنؤوط، ط. دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت، ط ١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.



## النقول المنتقاة: قال رحمه الله:

- ١- أما بعد: فقد سألتني بعض إخواني الصالحين أن أكتب له وصية، فامتنعت من ذلك؛ لعلمي أنني غير مستوصٍ في نفسي، ولا عاملٍ بما ينبغي، ثم بدا لي أن أجيبه إلى مسألته؛ رجاء ثواب قضاء حاجة الأخ المسلم، ودعائه لي، وأن يجري لي أجراً إذا عمل بوصيتي، وأن أكون من الدالين على الخير حين عجزت عن عمله؛ لأكون بدالتي عليه كفاعله، والأعمال بالنيات، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، فأقول وحسبنا الله ونعم الوكيل. ص ٧١ - ٧٢
- ٢- وألزم قلبك التفكير في نعم الله؛ لشكرها، وفي ذنوبك؛ لتستغفرها، وفي تفريطك؛ لتندم، وفي مخلوقات الله وحكمه؛ لتعرف عظمتها، وفيما بين يديك؛ لتستعد له، أو في حكم شيء تحتاج إليه؛ لتعليمه. ص ٨٧
- ٣- وألزم لسانك ذكر الله - تعالى - ودعائه، واستغفاره، أو قراءة قرآن، أو علماً، أو تعليماً، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو إصلاحاً بين الناس. ص ٨٧
- ٤- وأشغل جوارحك بالطاعات، وليكن من أهمها الفرائض في أوقاتها على أكمل أحوالها، ثم ما يتعدى نفعه إلى الخلق، وأفضل ذلك ما نفعهم في دينهم كتعليمهم الدين، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم. ص ٨٧ - ٨٨
- ٥- واحترز من مفسدات الأعمال؛ لئلا يفسد عملك، ويخيب سعيك، فلا تحصل على أجر العاملين، ولا راحة البطالين، وتفوتك الدنيا والآخرة، فمن ذلك الرياء والعمل لمحمدة الناس؛ فإن هذا شرك، وقد روي عن الله - تعالى - أنه قال: ﴿مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ﴾.

وقد لا يحصل للمرائي ما قصده؛ فيخيب بالكلية، فقد روينّا: أن رجلاً كان يرائي بعمله، فإذا مرّ بالناس قالوا: هذا مرّاءٍ، فقال يوماً في نفسه: والله ما حصلت على شيءٍ، فلو جعلت عملي لله، فما زاد على أن قلب نيته، فكان إذا مرّ بهم بعد قالوا: هذا رجل صالح. ص ٨٨ - ٨٩

٦- ولا تحقرنّ مسلماً، ولا تظنن أنك خيرٌ منه، فإن ذلك ربما أحبط عملك، وقد روينّا أن عيسى -عليه السلام- خرج في سياحته معه حواريه، فمرا بقلعة فيها لص، فلما رآهما قال لنفسه: هذا عيسى نبي الله، وهذا حواريه، ومن أنت يا شقي؟ لص تقطع الطريق، وتخيف السبيل، وتقتل النفس التي حرم الله، فنزل إليهما تائباً نادماً، فلما أراد أن يمشي معهما قال لنفسه: ما أنا بأهل أن أمشي معهما، ولكن أمشي خلفهما كما يمشي المذنب الذليل، فمشى خلفهما، فالتفت الحواري فرآه يمشي خلفهما فعرفه، فقال في نفسه: من هذا الكلب حتى يمشي خلفنا، فاطلع الله -تعالى- على ما في أنفسهما، فأوحى إلى عيسى -عليه السلام- أن قل للحواري واللص يستأنفان العمل؛ أما اللص فقد غفرت له بتوبته وإزرائه على نفسه، وأما الحواري فقد أحبطت عمله بازدرائه اللص التائب. ص ٩١ - ٩٢

٧- وقال بعض أنبياء بني إسرائيل لقومه: إيتوني بخيركم، فأتوه برجل فقال له النبي: إيتني بشرهم، فخرج بنفسه فقال: ما وجدت فيهم شراً مني، فقال: صدقوا أنت خيرهم. ص ٩٢

٨- واعلم أن الله -تعالى- ناظر إليك، مطلع عليك، فقل لنفسك: لو كان

رجل من صالحى قومي يرانى لاستحييت منه ، فكيف لا أستحي من ربي -تبارك وتعالى- ثم لا آمن تعجيل عقوبته ، وكشف ستره؟ ص ٩٤ - ٩٥

٩- واعلم أنك لا تقدر على معصيته إلا بنعمته؛ فكم له عليك من نعمة في يدك التي مددتها إلى معصيته؟! وكم من نعمة في عينك التي نظرت بها إلى ما حرم عليك؟! وفي لسانك الذي نطقت به بما لا يحل لك؟! وليس من شكر إنعامه أن تستعين به على معاصيه. ص ٩٥

١٠- وإن ابتليت بمعصية فبادر بالتوبة والاستغفار، والندم، وابك على خطيئتك؛ فإنك لا تدري على ما أنت منها؛ فإن بعضهم يقول: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظم من عصيت».

وشكا بعض عمال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز إليه فكتب إليه: يا أخي! اذكر سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، واحذر أن يكون المنصرف بك من عند الله إلى النار، فيكون آخر العهد منك ومنقطع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا عَمَلْتُ لك، ولا لأحد بعدك. ص ٩٨ - ١٠٠

١١- واعلم -رحمك الله- أن حسن الخلق أثقل ما وضع في الميزان، وأنه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وأن من وصل رحمه وصله الله، ومن قطعها قطعته الله، وأن أفضل الأعمال الصلاة لمواقيتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله، وأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، وأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وملاك الأمر الدعاء؛ فإن الأمر كله بيد الله

يهدي من يشاء، ويستعمله، ويضل من يشاء، ويخذله؛ فينبغي لك أن ترغب إلى مَنْ الأَمْرُ بيديه، وتفوض أَمْرَكَ إلى الله، وليكن دعاؤك بخضوع، وخشوع، وبكاء، وتضرع؛ فإن بعضهم قال: إني لأعلم حين يستجيب لي ربي - عز وجل - إذا: إذا وَجَلَ قلبي، واقتشعرَ جلدي، وفاضت عيناى، وفتح لي في الدعاء. ص ١٠٦ - ١٠٩

١٢- فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم لسبب نجاته غير الله - تعالى - ص ١١٤

١٣- وعليك بالورع، واجتناب الشبهات؛ فإن من واقع الشبهات أوشك أن يقع في الحرام؛ فإن من يرتع حول الحمى أوشك أن يجسر، وعليك بالليل، فاخُلْ فيه بربك، واطلب منه حوائجك، وتضرع إليه، واخضع بين يديه. ص ١١٥ - ١١٦

١٤- واعلم أن الله - تعالى - إذا نظر إليك، وعلم أنك قد جعلته معتمدك، وملجأك، وأفردته بحوائجك دون خلقه - أعطاك أفضل مما سألته، وأكرمك بأكثر مما أردته، فإن عجل لك الإجابة فقد جمع لك بين قضاء الحاجة وخير الآخرة، وإن لم يجبك عاجلاً فقد عوضك عن ذلك خيراً كثيراً فيه؛ فأنت على خير في الحالتين. ص ١١٩ - ١٢٠

١٥- ومناجاة العباد لربهم كثيرة، ومن أحسنها: ما روي عن منصور ابن عمار رضي الله عنه قال: سمعت عابداً بالليل يناجي ربه، وهو يقول:

وعزتك وجلالك! ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولا التعرض لغضبك، ولا

أنا بِنَكَالِكَ جاهل ، ولا لعذابك متعرض ، ولا بنظرك مستخِفٌّ ، ولكن زينت لي نفسي ، وأعانتها شقوتي ، وغرّني سترك المُرْخَى عليّ ، فعصيتك بجهلي ، وخالفتك بجُهدي ، فالآن من عذابك من ينقذني ؟ وبجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني ؟ وا سوائتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمُخْفَيْنِ : جوزوا ، وللمثْقَلَيْنِ : حُطُّوا ، فمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ؟ يا سيدي ! ويلي كلما طالت أيامي ، وكثرت آثامي ، ويلي كلما كبرت سني ، وعظمت ذنوبي ، فمن كم أتوب ، وفي كم أعود ، واشباباه ! واشباباه ! ص ١٢٢ - ١٢٣



## سادساً: المنتقى من كتاب

## آداب الحرب في الإسلام تأليف العلامة محمد الخضر حسين ١٢٩٣-١٣٧٧هـ

## تعريف بالمؤلف وبالكتاب:

أما المؤلف فهو الشيخ العلامة الأديب محمد الخضر الحسين التونسي ١٢٩٣-١٣٧٧هـ.

وقد مرت ترجمته في المجموعة الأولى من هذا المنتقى.  
أما الكتاب فهو رسالة مختصرة لطيفة طريفة، تتضمن خلاصة وافية لآداب الحرب في الإسلام، وتغني عن المطولات من البحوث التي تناولت هذا الموضوع. وهذه الرسالة ظهرت للمرة الأولى في الجزأين التاسع والعاشر من المجلد الثاني عشر لمجلة الهداية الإسلامية عام ١٣٥٥ التي كان يصدرها الشيخ رحمه الله.  
وقد صدرت في رسالة مستقلة ضمن المنشورات الإسلامية التي كانت جمعية الهداية الإسلامية تقوم بنشرها، ولم تحمل تلك النشرة أي تاريخ لصدورها.  
وقد عني بجمع هذه المادة وتحقيقها الأستاذ الفاضل علي الرضا الحسيني ابن أخي الشيخ.

والطبعة التي بين أيدينا هي الثالثة عام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، طبع الدار الحسينية للكتاب، والكتاب من الحجم الصغير ويقع في ٦٤ صفحة.

### النقولات المنتقاة: قال ﷺ :

- أما بعد: فقد ذكرت ما كان للجيوش الإسلامية من قوة، وما كان لها من الوقائع المكللة بالظفر، ولم أرتب في أن لتلك القوة والظفر أسباباً أقواها نور الإيمان الذي كان يتلأل في صدورهم، وآداب الدين الذي كانوا يعتزون به في كل موطن، ونصائحه التي كانوا يرفعونها بحق، فبدا لي أن أذكر جيوشنا الإسلامية بجانب من تلك الآداب والنصائح، حتى إذا وجدت فطراً سليمة ونفوساً مشرقة بالإيمان قوي رجاؤنا في أننا سنخرج من حمأة المهانة إلى صعيد طاهر من الكرامة، وأن الزمن الذي تخفق فيه رايتنا بالنصر على من يروم السيطرة على أوطاننا غير بعيد. ص ٧

#### ١- أسباب الحرب

- طبعت نفوس على حب الاستئثار بالمنافع، وذلك ما يدعوها إلى أن تُمدَّ أيديها إلى ما يتمتع به غيرها من خير، وتتنزعه منه بقوة، كما أن في النفوس غيرة على ما بيدها من حق، وإبابة لأن يؤخذ منها هذا الحق وهي كارهة، وذلك ما يدعوها إلى أن تذود عن ساحتها، وتدافع عن حقوقها ولو كان خصمها أكثر جنداً وأتمّ سلاحاً، بل تقف هذا الموقف من الرجولة والاحتفاظ بالكرامة، ولو غلب على ظنها أنها ستُغلب على أمرها؛ تفعل هذا إثارةً لحياة العزة على حياة المهانة، وتحامياً لخزي ينقل من جيل إلى جيل.

وهاتان الطبيعتان: طبيعة حب الاستئثار بالمنافع، وطبيعة إباء الضيم هما منشأ أكثر الحروب التي تقوم بين الأمم: الحريص على منافع في يد غيره يهاجم أو يستعد متحفظاً للهجوم، ومن بيده المنافع ينهض في وجه المهاجم، أو يبادر المتحفظ للهجوم



عليه قبل أن يستوفي وسائل الهجوم، «تغذّ بالحجّاج قبل أن يتعشى بك». وربما كان قوم على حق وسيرة من الرشد، فيحمل لهم الطغاة الفجّار ضغنًا، ويرومون القبض على زمامهم ليصرفوهم عن سيرتهم الرشيدة، ولا يرضى المستقيمون على طريقة الرشد إلا أن يعيشوا أحرارًا، فإذا الحرب ناشبة: أولئك ييغون فتنة، وهؤلاء ييغون سلامًا.

وقد تنشب الحرب بين طائفتين يعتقد كل منهما في نفسه أنه المظلوم وخصمه الظالم، وهذا النوع من الحروب هو الذي يمكن تحاميه من طريق المفاوضات، وقرع الحجّة بالحجّة، ويغني فيه القلم عن النار والحديد. ص ٨-٩

## ٢- الاستعداد للحرب

- إذا كانت طبيعة حب الاستئثار بالمنافع غالبية على النفوس، وإذا كان أصحاب الأهواء يحرصون على إطفاء نور الحق، وإذا كان في إقناع أحد الخصمين بأن الحق في جانب غيره صعوبة - فمن الحزم أن تكون الأمة على استعداد كاف للدفاع من يريد الاعتداء على حق من حقوقها، بسوء قصد أو بسوء فهم.

وكذلك نرى الإسلام قد فرض على الأمة أن تنفق أقصى ما تستطيع في الاستعداد للدفاع، قال - تعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الأنفال: ٦٠؛ فاستعداد الأمة للحرب يجعلها في منعة من أن يهتضم ذو قوة حقًا من حقوقها، أو تحدّثه نفسه بأن ييسط سلطانه على قيد شبر من أوطانها. ص ١٠

- أمر الشارع الحكيم بإعداد وسائل الدفاع، وذكرها بلفظ عام وهو قوله: ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ لتتناول كل ما يُحتاج إليه في الدفاع، ويكون له أثر في الفوز على

العدو المحارب، فيدخل فيه آلات الطعن والضرب وآلات الرماية، وبناء الحصون، وتهيئة ما تحتاج إليه الجنود من نحو الملابس والمطاعم. وقول النبي ﷺ: «ألا إن القوة هي الرمي» تنبيه على أن الرمي أهم الوسائل التي تكون بها القوة، فالطيارات والبارجات والدبابات والغواصات من أدوات الرمي. ص ١٠-١١

### ٣- التدريب على الحرب

- لما كان في السباق على الخيل تدريب على خوض غمار الحروب، أذن فيه النبي ﷺ، وفعله، على الطريقة المعروفة في كتب الفقه؛ وأذن النبي ﷺ كذلك في اللعب بالسلاح، لما فيه من التمرين على الطعان بمجد إذا التقى الجمعان. ورد في الصحيح أن الحبشة كانوا يلعبون بالحرب في المسجد على مرأى من رسول الله ﷺ، ولما أنكر عليهم عمر بن الخطاب، وأهوى إلى الحصباء ليرميهم بها، قال له النبي ﷺ: «دعهم يا عمر». ص ١٢

### ٤- محاكاة العدو في وسائل الدفاع

- كان علينا استطلاع ما يهيؤه العدو من وسائل الحروب لنصنع ما يصنع، حتى نمائله في القوة، ونفضلُه بأننا ندافع عن الحق، ونرجو من الله ما لا يرجو. وفي وصية أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد: «إذا لاقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به: السهم للسهم، والرمح للرمح، والسيف للسيف». ولو ظهر في أيام أبي بكر نوع آخر من السلاح لذكره، ونقول على طراز حكمته: الطيارة للطيارة، والحرّاقة للحرّاقة، والغواصة للغواصة.

وأشار سلمان الفارسي في واقعة الأحزاب على النبي ﷺ بحفر الخندق، فأذن بحفره، وعمل فيه بنفسه، وقال أبو سفيان يومئذ: «هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها». ص ١٣

#### ٥- كتابة أسماء من يدعون إلى الحرب

- من النظم الجارية في القديم والحديث، كتابة أسماء من فيهم كفاية للجندي، حتى يعرف أولو الأمر قوة الجند من جهة عددهم، وكان هذا أمراً متبعاً في عهد النبي ﷺ.

روى ابن عباس أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني كتبت في غزوة كذا، وامرأتي حاجة، فقال: «ارجع فحج مع امرأتك». وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اكتبوا إلي من تلفظ بالإسلام من الناس» فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل.

وكان هذا عند خروجه إلى غزوة أحد، أو عندما كانوا بالحديبية. ص ١٤

#### ٦- إعلان الحرب

- يوجب الإسلام علينا الوفاء لمن بيننا وبينهم عهد أو هدنة، فإن قامت شواهد على أنهم يريدون خيانتنا، ويتهيؤون للهجوم على أوطاننا لم يحز لنا مهاجمتهم وأخذهم على غرة، ولا بد من أن نشعرهم بأن العهد بيننا وبينهم قد انتقض، قال -تعالى- في كتابه المجيد: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ الأنفال: ٥٨.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لقائد الجيش: «وقدم النذر بين يديك». ص ١٥

### ٧- رفع الرايات في الحرب

- ترفع الرايات حيث يكون قائد الجيش ، ليعلم بها مكانه ، حتى يأوي إليها الناس عند الحاجة ، واتخذ النبي ﷺ رايته مرة بيضاء ، ومرة سوداء ، ومرة صفراء ، وروى أن بعض ألويته كان مكتوباً عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .  
وقد يعطي كل قبيلة لواء يقاتلون تحته ، وعقد لوفد سليم لواء أحمر ، وعقد لسعد بن مالك راية على قومه سوداء وفيها هلال أبيض . ص ١٦

### ٨- الشعار في الحرب

- يتخذ الجنود شعاراً يتعارفون به في ظلمة الليل أو عندما يشتبك الفريقان ، وكان هذا الضرب من الاحتراس متبعاً في غزواته ﷺ وفي فتوحات الخلفاء الراشدين من بعده ، عن البراء بن عازب ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم تلقون عدوكم غداً ، فليكن شعاركم : حم لا ينصرون » .  
وكان شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق : يا منصور أمت ، وغزا أبو بكر في زمن رسول الله ﷺ وكان شعار الجيش : أمت أمت « أمر من الإماتة » . ص ١٧

### ٩- تعهد الجند بالموعظة

- قد يأخذ الجنود حظهم من الفنون الحربية كاملاً ، ولا يستغنون بعد أن تغذى نفوسهم بالموعظة الحسنة؛ فمن المثير لحماسة الجند قبل دخولهم في ملاحم الحروب إلقاء خطب تذكرهم فضل الإقدام والثبات ، وما يأتي به الثبات في مواقف الدفاع من خير ، وتنذرهم ما يجره الجبن والحرص على الحياة من خزي وشقاء . ص ١٨

### ١٠- النشيد الحماسي

- نريد من النشيد الحماسي الشعر الذي يشتمل على تذكير الجنود بمجد قومهم الماضي أو الحاضر، وبما تقتضيه العزة من نحو إياية الضيم، والاستهانة بالخطوب، وشأن هذا الشعر تقوية القلوب، وإيقاد الغيرة، فيزداد الجند إقداماً وثباتاً في مواقع القتال، وكان الصحابة -رضي الله عنهم- يقولون يوم حفر الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً      على الجهاد ما بقينا أبداً

ص ٢٠

### ١١- الزحف في صفوف منظمة

- كان العرب والبربر يحاربون على طريقة الكر والفر، وكان غيرهم من العجم والإفرنج يزحفون إلى الحرب صفوفاً، وقد جاء الإسلام باختيار طريقة الزحف، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصف: ٤.

ووجه هذا أن التقدم للقتال في صفوف منظمة أرهب للعدو، وأدعى إلى الثبات والدوام في المعترك، بخلاف قتال الكر والفر؛ فإنه لا يعطي الجيش مهابة، ويسهل فيه على ضعفاء النفوس المسارعة إلى الهزيمة.

ولو بدا لقائد الجيش في بعض المواطن أن يتخذ طائفة من الجند يحاربون على طريقة الكر والفر، ويكون من ورائهم الصفوف المنظمة يلجأون إليها عند الحاجة فقد فعل هذا ملوك المغرب؛ إذ كانوا يقدمون جنوداً تحارب على طريقة الكر والفر، ويضربون ورائها صفوفاً من المدربين على الثبات في الزحف. ص ٢٢

## ١٢- الإقدام في الدفاع

- لكثرة الجند أثر في الظفر ، وقد ينتصر الجيش وهو قليل العدد متى كان أشد بسالة ، وأثبت قدماً عند اللقاء.

وما السيف إلا بَرزُ غادٍ لزينه إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

ومن هنا نجد القرآن الكريم يُعنى بتربية الشجاعة في النفوس. ص ٢٣

- ومن وجوه تربيته للشجاعة تذكيره الأمة بأن ما ينالهم في سبيل القتال قد ينال عدوهم مثله ، قال -تعالى-: ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٠٤ وقال -تعالى-: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران: ١٤٠. ص ٢٣

- ومن هذا القبيل تذكيره الأمة بأن العدو إذا استولى على أوطانهم كانت له العزة ، وكانت عليهم الذلة ، قال -تعالى-: ﴿ إِن يَتَقَفُواْكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة: ٤. ص ٢٣

## ١٣- الثبات في مواقع الدفاع

- قد يكون الرجل مقدماً لا يهاب الموت ، ولكنه يبتلى بقلّة الصبر على المكاره ، فيسأّم ما يلاقيه في حومات الحروب من مشاق ، فيثني عنانه عن الدفاع ، وينقلب على عقبه مبتغياً -فيما يزعم- راحة الحياة ، أو جانحاً إلى صلح يضرب عليه ذلّة وصغاراً؛ فمن متمات الشجاعة الثبات في الدفاع إلى إدراك الغاية ، قال -تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ الأنفال: ٤٥

وقال ﷺ: « لا تمنّوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا؛

فإن الجنة تحت ظلّال السيوف ». ص ٢٤

#### ١٤- الإخلاص في الحرب

- نجاح كل عمل على قدر ما يقارنه من طيب السريرة وحسن القصد، وأحق ما يقصد إليه الناهضون إلى الحرب حماية أوطانهم؛ ليسلم لهم دينهم وأعراضهم وأموالهم، وتكون كلمة الحق هي العليا.

وهذا القصد أكبر باعث على الثبات في مواقف الدفاع، فالذي يحارب ليُحرز منصباً أو مالاً، أو ليتحدث الناس عن شجاعته - قد يقف في إقدامه عند حد، وما هو من الانهزام والفرار من مواقع الدفاع بعيد.

أما الذي يقاتل دفاعاً عن شيء يرى الحياة بدونه شراً من الموت، وهو العزة والحرية اللتان يرى بهما الحق في إشراق وصعود - فإنه يثبت في مواقع القتال، ولا يلوي عنقه عنه إلا أن يفوز أو يموت. ص ٢٥

#### ١٥- أثر الاستقامة في الانتصار

- جرت سنة الله بأن يكون تأييده في جانب القوم الذين يملأون قلوبهم بالثقة به، ويحافظون على واجبات شريعته ما استطاعوا.

- فصلاح حال الجيش ولا سيما من بيدهم قيادته، يستدعي تأييد الله - تعالى - لهم تأييداً مؤزراً، وقد يأتيهم النصر بعد استعدادهم من حيث لا يحتسبون، فإذا تفشت فيهم المعاصي لم يأمنوا أن يكون من عقوبة معاصيهم ابتلاؤهم بالوهن والفشل أمام سطوة عدوهم. ٢٦

#### ١٦- الدهاء في الحرب

- للشجاعة وكثرة الجند وجودة السلاح أثر في الانتصار، ولكن للدهاء أعني

- جودة الرأي - الفضل الأكبر في الفوز والغلبة. ص ٢٨

#### ١٧- اطلاع ولي الأمر على سير الحرب يوماً فيوماً

- يفوض ولي الأمر إلى قائد الجيش تدبير شؤون الدفاع ، واتخاذ وسائل قهر العدو على وفق ما تقتضيه الفنون الحربية.

وشأن ولي الأمر أن يكون على خبرة من أحوال الجند وسير الحرب ، كما يكون على خبرة من أحوال العدو: يواصله بها قائد الجيش يوماً فيوماً ، أو ساعة فساعة ، حتى يصير كأنه يراها رأي العين.

ومن كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص : « اكتب إلي في كل يوم » . وقال له في كتاب آخر : « فصف لي منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن -عاصمة بلاد الفرس- صفةً كأنني أنظر إليها ، واجعلني من أمركم على جلية » . ص ٣٠

- واطلاع ولي الأمر على حال الجيش وموقف العدو أمامهم في كل ساعة ، يدعوه إلى السهر والتفكير في وسائل سلامة الجيش ، وإمداده بما يحتاج إليه من قوة. ص ٣٠

- ولا يمنع ولي الأمر تفويضه لقائد الجيش في أمر الحرب أن يتتبع سيرته وينظر إليها بعين الناقد البصير ، حتى إذا رأى فيها مأخذاً نبهه له ، أو بدا له رأي أصوب من رأي القائد أبلغه إياه مصحوباً بالحجة . ص ٣٠-٣١

#### ١٨- الشورى في الحرب

- استطلاع الآراء نافع في كل أمر ، وهو في الحرب أحق بأن لا يستهان به؛ فإنَّ



رأي الجماعة أبعد عن الخطأ من رأي الفرد، لذا عُنِيَ القرآن المجيد بالشورى، فقال -تعالى- لرسوله الكريم وهو المؤيد بالوحي: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران: ١٥٩

والمراد من الأمر في الآية أمر الحرب ونحوها من أمور الدنيا التي يدركها الناس من طريق التجارب والممارسة، أما الأحكام الشرعية فإنما تجيء من طريق الوحي. ص ٣٢

### ١٩- كيف يكون قائد الجيش

- عرفنا قبل أن الدهاء مما يراعى في اختيار قائد الجيش، ويجب أن يكون قائد الجيش مع هذا شجاعاً قوياً الجأش؛ فإن لشجاعته أثراً كبيراً في شجاعة الجيش أو جبنه. قال أبو بكر الصديق في وصيته ليزيد بن أبي سفيان. «ولا تجبن فيجبن الناس». ص ٣٣

- وإذا كانت خصلة الثبات واحتمال المكاره مما يجب أن يغرس في نفوس الجنود. فنفس القائد أحق بأن تكون مطبوعة على هذه الخصلة المجيدة. ص ٣٣ - ولا يكفي لقيادة الجيوش عندما تلتهب نار الحرب إلا الرجل الذي كان قد خاض غمار الحرب من قبل، فذاق حرها، وثبتت قدمه لملاقاة خطوبها، قال أبو تمام:

من لم يُسَسَّ وَيُطِيرَ فِي خَيْشُومِهِ رَهْجَ الْخَمِيسِ فَلَنْ يَقُودَ خَمِيساً<sup>(١)</sup>

ص ٣٣

- وإنما يختار لقيادة الجيش من عرف بالغيرة على الحق الذي قامت الأمة

١- الخيشوم: أقصى الأنف والجمع خياشيم، والرهج: الغبار أو ما أثير منه، والخميس: الجيش.

للدفاع عنه؛ فإن هذه الغيرة تزيد شجاعته قوة، وتفتح أمامه أبواباً من التدبير الناجح لا يبصرها قائد كان حظه من الغيرة ضئيلاً. ص ٣٤

## ٢٠- استكشاف حال العدو

- إن معرفة قائد الجيش بحال عدوه المحارب، وما ينويه من أعمال حربية تدعوه إلى أن يستعد له على قدر ما يستطيع من قوة أو مكيدة، قال النبي ﷺ في واقعة الأحزاب: «من يأتيني بخبر القوم»؟ قال الزبير: أنا، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «إن لكل نبي حوارٍ وحواريّ والزبير». ص ٣٥

## ٢١- التكتّم في الحرب

- من حزم قائد الجيش أن يكون تصريحه لشؤون الحرب محوطاً بستار، وتكون آراؤه مصونة بكتمان، وربّ نكبة تأتي الجيش في اطلاع عدوّه إلى ما بيّته قائد الجيش من أمر. ص ٣٦

- بعث النبي ﷺ عبدالله بن جحش على رأس سرية وناولته كتاباً مختوماً، وقال له: لا تفتحه إلا في مكان كذا، ولما وصل إلى ذلك المكان فتحه، فإذا فيه: «امض حتى تنزل نخلة فتأتيننا من أخبار قريش». ص ٣٦

- وكان ﷺ إذا أراد المسير إلى قوم ورى بغيرهم. ص ٣٦

## ٢٢- الاحتراس في الحرب

- تقوم الحرب على المكيدة، فمن حزم قائد الجيش أن يكون على حذر من الوقوع في مكيدة ينصبها له العدو. ص ٣٧

- خرج بغاة بخراسان على قتيبة بن مسلم، ف قيل له: وجّه إليهم وكيع بن أبي

أسود فإنه يكفيهم ، فقال : إن وكيعاً رجل به كبر ، يحتقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلّت مبالاته بعدوه ، فلم يحترس منه ، فيجد عدوه فيه غرة. ص ٣٧

- وقال بعض الحكماء: «الضعيف المحترس من العدو القوي ، أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف». ص ٣٧

- ومن أهم ما يتأكد الاحتراس منه : إذاعة الأخبار التي تبعث في النفوس ضعفاً ، وفي العزائم وهناً ، ولسدّ مثل هذا الباب من الفساد نزل قوله -تعالى- : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء : ٨٣.

فالآية واردة في قوم كانوا يسمعون أراجيف المنافقين ، فيذيعونها ويكون في إذاعتها ضرر على المسلمين ، وقد أرشدتهم إلى أن يرجعوا تلك الأنباء إلى الرسول ، وإلى أولي الأمر منهم؛ حتى يعرفوا ما يذاع ، وما لا ينبغي أن يذاع. ص ٣٧-٣٨

## ٢٣- حكم الجاسوس في الإسلام

- في التجسس على شؤون الحرب ، والإفضاء بها إلى العدو شرٌّ كبير؛ فربما كان سببَ نكبة القوم وابتلائهم بالهزيمة جاسوسٌ يدل القوم على عورة من عوراتهم ، أو يطلعه على خطة مبيتة من خططهم.

وكان رسول الله ﷺ قد قتل جاسوساً من المشركين ، وأفتى طائفة من الأئمة كمالك بن أنس رحمهم الله ، بإباحة دم المسلم إذا نقل شيئاً من أسرار شؤون الحرب إلى العدو. ص ٣٩

## ٢٤- الرفق بالجنود ومعاملتهم بالعدل

- لو تتبعنا سير القُوَّاد الذين أبلى الجنود تحت رايتهم بلاءاً حسناً ، لوجدناهم القواد الذي يعاملون الجنود بالرفق والإحسان في دائرة الحزم. ص ٤٠

- وفي وصية أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان : « وإذا قدمت على جنك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير ، وعدهم إياه » .

وقال لخالد بن الوليد حين أرسله إلى المرتدين : « يا خالد عليك بتقوى الله ، والرفق بمن معك » . ص ٤٠

- وجاء فيما عهد به عمر بن عبدالعزيز إلى منصور بن غالب ، حين بعثه على قتال بعض المحاربين : « وأمره أن يرفق بمن معه في سفرهم ولا يجشمهم مسيراً يتعبهم ، ويقصر بهم عن منزل يرفه بهم حتى يلاقوا عدوهم ، والسفر لم ينقص قوتهم » . ص ٤٠

## ٢٥- تلقّيهم أوامر القائد بحسن الطاعة

- ذكرنا في وصف القائد أن يكون ذا رأي وشجاعة وإخلاص وحزم ورفق بالجنود ، ونقول هنا : إن الجيش الذي يحمي حمى الأمة ، ويبنى لها مجداً شامخ الذرى هو الجيش الذي يجمع إلى الشجاعة والمحافظة على آداب الشريعة استعداداً لتلقي أوامر القائد الأمين بحسن الطاعة ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأدب السامي في خطبة حجة الوداع ، فقال : « يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشيٍّ مجدّع فاسمعوا له ، وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله » . ص ٤١

- ومن أعظم ما يساق شاهداً على حسن الطاعة قصة خالد بن الوليد؛ إذ

عزله عمر بن الخطاب عن الإمارة العامة للجيش الفاتح للشام، ووسد الأمر إلى أبي عبيدة بن الجراح، ورأى خالد أنه إنما يجاهد في سبيل الله؛ فسلم الإمارة إلى أبي عبيدة راضياً، واستمر على القتال تحت راية أبي عبيدة بإخلاص. ص ٤١

## ٢٦- تحامي الاختلاف المؤدي إلى الشقاق

- الشقاق يُبعد ما بين النفوس، ويذهب بروح التناصر، فيفعل بالجند ما لا يفعل به عدو شاكي السلاح، وقد حذر القرآن المجيد منه، فقال -تعالى-: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦. والآية تحذر من أن يقع تنازع بين أمراء الجيش، أو بين أفراد، أو بين الجيش وأمرائه، فإن ذلك كله موقّع في فشل، وليس بعد الفشل إلا التقهقر، ثم ملاقة ما يعقب هذا التقهقر من صغار واستعباد. ص ٤٢

- ويتحامي الاختلاف الممقوت بالإغضاء عن الهفوات، ومقابلة كثير من المكروه بسعة الصدر، وطرح المسائل التي تكون منشأ الخلاف على بساط المحاورة في هدوء وسكينة، والدخول إلى بحثها من باب الإنصاف والقصد إلى معرفة وجه الصواب. ص ٤٢

- وأبعد المجاهدين عن التنازع مَنْ جعلوا نُصَبَ أعينهم ومناط هممهم رفع لواء الحجة، وسلامة الأوطان؛ فهؤلاء هم الذين يسابقون إلى كل ما يحقق هذا الغرض المجيد، ويتحامون كل ما يمكن أن يكون عثرة في سبيله. ص ٤٢

## ٢٧- التخلف عن الدفاع

- إنما ينهض الرجل للحرب دفاعاً عن قومه ووطنه ليسلم له دينه وعرضه،

وليتمتع بحياة الكرامة؛ فتخلفه عنها وهو يستطيع أن يشهدها دليل ضعف الإيمان وانحطاط الهمة، ومدعاة إلى تخاذل الأمة وانكسار شوكتها، لهذا كانت جنايته في نظر الشارع كبيرة، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة: ٣٨.

وقال -تعالى-: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة: ٨١. ص ٤٣

- والخروج إلى جهاد العدو تفرضه الشريعة الغراء على الرجل بعينه متى دعاه إلى الخروج ولي الأمر المسلم.

ومتى هجم العدو فجأة؛ ففي هذا الحال يجب على كل مستطيع أن ينضم إلى المدافعين، ولو لم تبلغه دعوة ولي الأمر. ص ٤٣

## ٢٨- الفرار من صفوف القتال

- الفرار من صفوف القتال كبير المفسدة، وخِيم العاقبة، ذلك أن الفار قد يكون كاللبنة تسقط من أسفل الجدار، فيتداعى لسقوطها الجدار كله، لهذا عد الشارع الحكيم الفرار من الزحف من أكبر الجنايات. ص ٤٤

- نهى الله المقاتلين من المؤمنين أن يولوا العدو ظهورهم، وقال: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الأنفال: ١٦. ص ٤٤

- وفي الفرار من وجه العدو عار يجعل الحياة بغیضة، قال يزيد بن المهلب: والله إني لأبغض الحياة بعد الهزيمة! ص ٤٤

## ٢٩- الوفاء بتأمين المحارب

- إذا أعطى أحد الجند الأمان لأحد المحاربين ، وجب احترام هذا التأمين ، ولا يجوز لأحد أن يتعرض لذلك المحارب بأذى.

وإلى هذا يشير قوله -صلوات الله عليه- : « ويسعى بذمتهم أدناهم » .

وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من المشركين ، وقال لها : « قد أجرنا من أمنت يا أم هانئ » .

- وحدث في عهد عمر بن الخطاب أن عبداً أَمَّنَ أهل بلد بالعراق ، فكتب قائد الجيش وهو أبو عبيدة إلى عمر يأخذ رأيه في هذا التأمين ، فكتب إليه عمر « إن الله عظم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا؛ فوفوا لهم وانصرفوا عنهم » . ص ٤٥

- ومن المعقول أن يكون لقائد الجيش رأي في تأمين غيره لأهل بلد تأميناً يقتضي الانصراف عنهم ، فإذا رأى أن مثل هذا التأمين قد يأتي بضرر فله أن يبطله ، ويجري على ما يترأى له من المصلحة.

وذهب بعض الفقهاء وهو عبدالملك بن الماجشون إلى أن تأمين أحد الجنود لبعض المحاربين ينظر فيه القائد الأعلى ، فإن لم ير في إمضائه ضرراً أمضاه ، وإلا رده. ص ٤٥

## ٣٠- مجاملة رسل العدو وعدم التعرض لهم بأذى

- رسول العدو قد يأتي في شأن الصلح أو غيره مما فيه تخفيف شر الحرب ، فمن حسن الرأي أن لا يتعرض للرسول بأذى ، وأن يكونوا في أمن حتى يعودوا إلى قومهم؛ فإن التعرض لهم بأذى يقطع صلة الرسالة بين الفريقين ، ويسد

طريق المفاوضات التي يُتوسَّل بها إلى عدم الدخول في الحرب ، أو إنهاؤها إذا كانت ناشئة.

ومكارم الأخلاق تأبى أن يُتعرَّض لرسول بأذى ولو أرسله قومه لإبلاغ ما عزموا عليه من محاربتنا ، أو صدر منه كلام في تعظيم أمر قومه بقصد الفخر أو الإرهاب. ص ٤٦

- وقد جرى نظام الإسلام في الحرب على هذا الأدب المقبول.

قدم أبو رافع بكتاب من قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله ألقى في قلبه الإسلام ، فقال : يا رسول الله : إني والله لا أرجع إليهم أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : «أما أني لا أخيس بالعهد ، ولا أحبسُ البردَ ، ولكن أرجع فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن ، فارجع» قال : فرجعت ، ثم أقبلت إلى رسول الله ﷺ ، وأسلمت. ص ٤٦

### ٣١- تجنب قتل من لا يقاتل

- يُحرَّم الإسلام قتل نساء المحاربين وصبيانهم والطاعنين في السن منهم ورهبانهم إن لم يحاربوا.

روى عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان.

وروى ابن عباس أنه -عليه الصلاة والسلام- كان إذا بعث جيوشاً ، قال : «لا تقتلوا أصحاب الصوامع» يعني الرهبان.

وقال أبو بكر الصديق في وصيته لجيش أسامة : «وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له» .



وقال: «ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة». ص ٤٧

- ومن وصايا عمر بن الخطاب لأمرء الجيش: «ولا تقتلوا هَرِمًا، ولا امرأة، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات». ص ٤٧

- ويلحق بهؤلاء في تجنب قتلهم المريض والمقعد والأعمى والمجنون.

وكذلك روي عن النبي ﷺ النهي عن قتل العسيف، وهو الأجير، وبهذا يظهر أن الإسلام إنما يقصد من الحرب دفاع من يقصدون لأن يقاتلوا، ولا يصح القصد لقتل من ليس شأنه القتال. ص ٤٧

### ٣٢- معاملة الأسرى

- إذا وقعت طائفة من العدو المحارب في أسرننا لم يجز لأحد من الجنود أو غيرهم أن يسهم بأذى، وإنما يرجع أمرهم إلى رأي ولي الأمر الواسع الخبرة بوجوه المصالح، فيعاملهم بما تقتضيه خطة الحزم، وما تمليه سماحة الأخلاق. ص ٤٨

- وذهب من علماء السلف الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح إلى أن ولي الأمر يخير في الأسرى بين أن يطلقهم على وجه المن، أو يطلقهم بفداء، وتمسكوا في هذا بقوله: ﴿ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد: ٤. ص ٤٨

### ٣٣- الدفاع في البحر

- لم يدخل المسلمون في قتال بحريٍّ إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أول من ركب البحر فاتحاً معاوية بن أبي سفيان.

وقد أخبر النبي ﷺ في حياته بما يقوم به المسلمون من فتوح على طريق البحر؛

نام رسول الله ﷺ في بيت أم حرام بنت ملحان وهي تحت عبادة بنت الصامت ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوك على الأسيرة ، أو مثل الملوك على الأسيرة» .

فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله» نحو ما قال في الأول ، قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ! قال : «أنت في الأولين» . ص ٥٠ - وقد أجاب الله دعاء النبي ﷺ لها ، وعلم أن دعاءه قد استجيب ، فقال لها : أنت في الأولين ، وركبت أم حرام البحر مع زوجها عبادة بن الصامت في زمن معاوية لفتح «قبرص» ولما خرجوا من البحر صرعت عن دابتها وتوفيت هناك . وقيل صرعت بعد عودتها إلى الشام .

- وفي قوله ﷺ «ملوك على الأسيرة» مبالغة في فضل المحاربين في البحر ، وترغيب في صرف الهمة إلى المهارة في ركوبه ، وإنشاء أساطيل تكف أيدي الأعداء الممتدة من وراء البحار . ص ٥٠ - ٥١

- وأنشأ أمراء الإسلام من بعد أساطيل ، واتخذوا لها مصانع ، كما اتخذ حسان بن النعمان عامل أفريقية بإيعاز من عبد الملك بن مروان دار صناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية ، وبلغ أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر نحو مائتي مركب . ص ٥١

### ٣٤- عقد الصلح

- قد يقتضي الحال عقد صلح بيننا وبين العدو، وقد استحب الشارع الحكيم عدم رفض الصلح متى رغب فيه المحاربون، فقال -تعالى-: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الأنفال: ٦١. ص ٥٢

- وكان النبي ﷺ عقد بينه وبين كفار قريش صلحاً أتى بخير كثير، وهو صلح الحديبية.

- وشروط الصلح تختلف باختلاف قوة الأمة وضعفها، وملاكها أن يكون في عقد الصلح مصلحة عامة، وأن لا يكون من بين الشروط إباحة ما تحرمه الشريعة. ص ٥٢

- والذي نريد التنبيه له في هذا الفصل أن الصلح الذي يلقي بالأمة في خزي، ويجعل بطن الأرض خيراً لها من ظهرها هو الصلح الذي يبعثها على السعي إليه أو على قبوله حب الحياة، وكرهة الموت؛ فتحتمل مهانته وهي تستطيع دفعه بالرجال والسلاح، قال -تعالى-: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ محمد: ٣٥.

وهذا شاعر عربي يأبى لقبيلته أن تتقبل صلحاً إلا أن يكون لها السلطان في وطنها، وتبقى منابرها التي هي مصادر الأمر والنهي في قبضتها، فقال:

ولا صلح ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

ص ٥٣

### ٣٥- تخليص الأسرى من أيدي العدو

- يقع الفرد أو الطائفة في أسر العدو، ولا يعد هذا دليلاً الجبن أو التقصير في الدفاع حتى يجر إلى صاحبه عاراً، أو يسبغ لمن يدهم الأمر أن يصرفوا عنه أنظارهم،

ويتركوه في أيدي العدو، يلاقي المهانة أو سوء العذاب. ص ٥٤

- فمن واجبات الدولة أو الأمة تخلص من يقع في أسر بالوسائل المستطاعة من مال أو غيره، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا الواجب بقوله ﷺ: «فكّوا العاني - الأسير- وأطعموا الجائع، وعودوا المريض». ص ٥٥

### ٣٦- تقدير البطولة

- البطل يقف المواقف الخطيرة، ويجود بحياته في دفاع العدو؛ لتعلو كلمة الحق، وتحيا الأمة حياة الكرامة؛ فهو جدير بأن يلاقي من الأمة التبجيل والتكريم.

وشعور البطل بأنه يعمل لخير أمة تقدر رجالها حق قدرهم مما يزيد إقباله وثباته على الدفاع قوة، وإذا شعر غيرُه بهذا التقدير فقد يقوى حرصه على أن يسلك سبيله، ويبذل كل ما يعز عليه. ص ٥٦

- ولتكريم الأبطال مظاهر: منها الاحتفال بتوديعهم عند الخروج للحرب، كما خرج الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يشيع أسامة بن زيد والجيش المسافر معه إلى الشام، وكان أبو بكر ماشياً على قدميه، وأسامة راكباً راحلته.

وخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشيع سعد بن أبي وقاص والجيش المسافر إلى فتح فارس، حتى بلغ موضعاً يقال له الأعوص، وهناك خطب فيهم خطبة أوصاهم فيها بالعدل والرحمة، إلى نحو هذا، وعاد إلى المدينة. ص ٥٦-٥٧

- وكان اليوم الذي خرج فيه أسد بن الفرات<sup>(١)</sup> من القيروان لفتح صقلية يوماً مشهوداً. ص ٥٧

١- توفي أسد في حصار سرقوسة شهيداً وهو أمير الجيش وقاضيه سنة ٢١٣هـ.

- ويضاهي هذا استقبالهم، والاحتفاء بهم عند إيابهم من حرب أبلوا فيها بلاءاً حسناً. ص ٥٧

- ومن مظاهر تقدير الأبطال المخلصين عناية ولي الأمر بأن يكون عيشهم في رخاء، وأن يكونوا في أمن على إصلاح شأن أطفالهم إذا استشهدوا.

جمع رسول الله ﷺ لسلمة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم الرجل والفارس، فأعطاه خمسة أسهم لعظم غنائه<sup>(١)</sup> في تلك الغزوة، وزاد عمر بن الخطاب في عطاء فتاة من بيت المال، وقال «إن أباهما فتح حصناً». ص ٥٧

- ومن وجوه تقدير الأبطال صوغ عبارات الشكر والثناء عليهم في نظم أو نثر، وفي الأدب العربي قسم عظيم في الثناء على الأبطال والتنويه بذكر مقاماتهم المجيدة، قال أبو تمام:

كـم بـين قـوم إنـما نـفـقـاتـهـم      مـالٌ وقـومٌ يـنـفـقـون نـفـوسـا

ص ٥٧

- وبطولة الرجل تطلق الألسنة بتمجيده، حتى ألسنة خصومه الذين تجرعوا من شدة بأسه مرارة.

خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك، فوجه لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك، وثبت يزيد بن المهلب في قتاله، وأبى أن يفر وقد تسلل عنه أعوانه، حتى قتل، وأراد أحد جلساء يزيد بن عبد الملك أن ينال من المهلب، ويحط من شأنه، فقال له يزيد بن عبد الملك: «إن يزيد طلب جسيماً، وركب عظيماً، ومات كريماً». ٥٧-٥٨

١- لعلها: عنائه.

- ومن تقدير البطولة الإغضاء عن أخطاء تصدر من البطل وهو يحارب العدو بعزم صميم ، وعدم مناقشته الحساب على مأخذ قد يشفع له فيها إخلاصه ، والإخلاص القائم بجانب البطولة شفيح أي شفيح!

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد لدعوة بني جذيمة إلى الإسلام ، فسبقت يد خالد على قتل رجال منهم باعتقاد أنهم يستحقون القتل ، وبلغ ذلك النبي ﷺ ، فأنكر ما فعل خالد ، وقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » وأرسل إلى بني جذيمة مع علي بن أبي طالب ﷺ ديات من قتلوا ، وأعطاهم قيم ما أصيب من أموالهم ، وزادهم على ما استحقوا من الديات وقيم الأموال ، ولم يعزل خالدًا عن قيادة الجيش . ص ٥٨

## سابعاً: المنتقى من كتاب

## عادات عربية تأليف محمد المكي بن الحسين

## تعريف بالمؤلف:

وقد مرت ترجمته في المجموعة الثانية من هذا المنتقى.

## تعريف بالكتاب:

كتاب (عادات عربية) ينبئ عن نفسه؛ فهو يتكلم عن عادات العرب في شتى شؤونهم وأحوالهم سواء في حربهم، أو سلمهم، أو أفراحهم، أو أتراحهم، أو غير ذلك.

ولا ريب أن البحث في هذا الباب طريف لطيف، وأنه يحتاج إلى تحرُّ ودقة، واستقصاء، وغوص.

وقد اعتنى بهذا الكتاب الأستاذ علي الرضا الحسيني ابن أخي المؤلف، وطبع في الدار الحسينية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م وجاء في ١٥٩ صفحة.

أما العادات التي تضمنها هذا الكتاب فهي كما يلي:

- عادات شعراء العرب.
- عادات العرب في الأموات والقتلى.
- ميز شجعان العرب بعلامات في الحرب.
- التصافن.

- عناية العرب بالضيف.
- عادات عربية خاصة بالأعراس.
- تنكيل العرب الجاهلية بالجناة.
- عناية السلف باللغة العربية وكتبها.
- أرخى عمامته.
- أبو الأضياف.
- تخيلات الأمة العربية في أطوار الجاهلية.
- عادات ملوك العرب في الجاهلية والإسلام.
- عادات نساء العرب في الأعصر الجاهلية.
- عادات العرب في الخيل.
- عادات العرب في الإبل.
- عادات العرب في الحروب والغزوات.
- عادات عربية خاصة بالأعراس.
- مجالس العرب في الجاهلية والإسلام.
- المثل والصيغة أو عادات عربية.
- قرع السن كناية عن الندم.
- عادة عربية.
- الأضياف والضيافة.
- عادات العرب بأمر الأضياف.
- عادات عربية.



## النقولات المنتقاة:

قال العلامة محمد المكي بن الحسين رحمته الله :

## ١- عادات شعراء العرب

- كان شعراء العرب يمتازون عن سائر الناس بعادات ، وقد مر بي في أثناء مطالعة كتب الأدب شيء منها فأفردته في هذا المقال :
- ومن عاداتهم في الجاهلية أن الواحد منهم إذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نعلًا واحدة. ص ٩
- وكانوا لا يتكسبون بالشعر ، وإنما يضع أحدهم ما يضعه فكاهة ، أو مكافأة عن يدٍ لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر ، حتى نشأ النابغة الذبياني ، فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر. ص ٩
- ومن عاداتهم عرض أشعارهم على قريش ، والاعتماد على حكمهم فيه بالرد ، أو القبول. ص ١٠
- ومن عاداتهم المساجلة ، وهي أن يتساجل الشاعران ، فيضع هذا قسيماً ، وهذا قسيماً؛ لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه ، وأكثر ما تكون بأنصاف الأبيات. ص ١٠
- وكان كثير منهم يعملون القصيدة ، ولا يظهرونها للناس حتى ينظروا فيها ، ويهذبوها ، ومن هؤلاء زهير الذي كان يعمل القصيدة ، ولا يظهرها إلا بعد حول ، وتسمى قصائده الحوليات. ص ١٠
- وكانوا إذا اجتمعوا يستنشد بعضهم بعضاً ما قاله من الشعر ، وهذا معروف عنهم ، حدثت دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص ، فقال لهم

أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم ما بعده ، فليأت كل امرئ منكم بأحسن ما قال فليشد.ص ١١

- وكان بعضهم يرى أخذ الصلة ممن دون الملوك عاراً ، فضلاً عن العامة وأطراف الناس ، قال ذو الرمة يفتخر بأنه لا يكسب المال إلا من صلوات الأمير الأعلى :

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمةً من هؤلاء وأولئك

ص ١١

- وكانوا يتعرضون بالشعر لحاجاتهم ، ويستشفعون بتقديم الأبيات بين طلباتهم.ص ١١

- وكان بعضهم يقول الشعر وهو يجود بنفسه.ص ١١

## ٢ - عادات العرب في الأموات والقتلى

- ومن عادات العرب في الأموات ما جاء في الصحاح : «عن الأصمعي ، قال : كانت العرب إذا مات منها ميت له قَدْرٌ ركب راكب فرساً ، وجعل يسير في الناس ، ويقول نعاء فلاناً ، أي أنعه ، وأظهر خبر وفاته ، وهي مبنية على الكسر مثل دراك ونزال بمعنى أدرك وأنزل».ص ١٢

- وفي (النهاية) لابن الأثير ، قال : «كانوا إذا مات منهم شريف أو قتل بعثوا راكباً إلى القبائل ينعاه إليهم».ص ١٢

- وكانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم ، ويصلون عليهم ، وطريق صلاتهم أن يحمل الميت على سريره ، ويقوم وليه ، ويذكر محاسنه ويثني عليه ، ويقول : عليك رحمة الله وبركاته.ص ١٢

- وكانوا يسودون باب الميت ، ففي اللسان : « والتجُونُ : تسويد باب الميت » .

ص ١٣

- وكانوا يحملون الموتى من ساداتهم وكبرائهم في تابوت عظيم ويسمى إراناً ، قال طرفة يصف ناقة ، والبيت من معلقته :

أمون كألواح الإران نسأتها على لاحب كأنه ظهر بُرجدٍ

قال الخطيب التبريزي : « الإران : تابوت كانوا يحملون فيه ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم » . ص ١٣

- ومن عاداتهم إذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه؛ ليعرف قاتله ، قال متمم بن نويرة في أخيه مالك :

لقد كفّن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

وكان المنهال قتل مالكا ، والرداء : السيف . ص ١٣

- وكانوا يغطون الميت قبل دفنه ، بثوب أخضر ، إلا أن هذه العادة لم أقف بعدُ على ما ثبت وجودها عندهم في الأعصر الجاهلية ، والأظهر : أنها حدثت فيهم بعد الإسلام ، قال الأصبهاني في المحاضرات : « قال أبو عمرو الشيباني : رأيت بالبصرة جنازة عليها مطرف خز أخضر ، فسألت عنها ، ف قيل جنازة الطرماح فذكرت قوله :

فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن على شرجعٍ يُعلى بخضر المطارف

ص ١٣ .

- وكانوا يضجعون الميت في قبره ، ويوسدونه إحدى يديه ، دل على ذلك كثير من أشعارهم ، قال أبو ذؤيب الهذلي يذكر قبره :

قضوا ما قضوا من رمها ثم أقبلوا إليّ بطاء المشي غُبر السواعد

فكنت ذنوب البئر حين تبسلت وسُرّبت أكفاني ووُسّدت ساعدي

ص ١٣ .

- وكانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى ، أي ينحرونها ، ويقولون : إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته؛ فنكافته بمثل صنيعه بعد وفاته.ص ١٤

- وكانت المرأة في الجاهلية إذا مات عنها زوجها اعتدت عليه سنة لا تخرج من بيتها ، فإذا تم الحول ، فمر كلب رتمته ببكرة ، ثم خرجت من بيتها ، ذكر هذا المفضل ابن سلمة في كتاب (الفاخر) وقال : وقد ذكرت الشعراء هذه الإقامة ، فمن ذلك قول لبید :

وَهُمْ رَبِيعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ      وَالْمُرْمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

ص ١٧

- وكان ذوات المصائب من نسائهم ، إذا قمن في المناحات يضربن وجوههن وصدورهن بالنعال ، قال :

وَقَامَ بَنَاتِي بِالنِّعَالِ حَوَاسِرًا      وَأَلْصَقْنَ وَقَعَ السَّبْتِ تَحْتَ الْفَلَائِدِ

ص ١٨

- وكانت المرأة منهم إذا ناحت قائمة على زوجها عُلِمَ أنها لا تريد أن تتزوج بعده.ص ٢٠

- وكانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه ، أو قبلت ديته يبقى قبره مظلماً ، ذكر هذا الخطيب التبريزي في تفسير قول كبشة أخت عمرو بن معد كرب - (من شعراء الحماسة) :

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ      إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دَمِي  
وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ أَبَلاً وَأَبْكَرًا      وَأُتْرِكَ فِي بَيْتِ بَصْعَدَةَ مَظْلَمِ

ص ٢٠

- ومن مزاعمهم في المقتول : أن الإنسان إذا قتل من غير أن يطلب بثأره خرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة ، والذكر الصدى ، فيأخذ يصيح على قبره ،

ويقول : اسقوني ، اسقوني ، قال إبراهيم بن هرمة :  
فكيف وقد صاروا عظاماً وأقبراً يصيح صداها بالعشي وهامها  
تفانوا ولم يبقوا وكل قبيلة سريع إلى ورد الفناء كرامها  
وقال بعضهم :  
ولا ترَقُون لي هامة فوق مرقب فإن زقاء الهام للمرء عاتب<sup>(١)</sup>  
تنادي ألا اسقوني وكل صدى به وتلك التي تبيضُ منها الذوائب  
وقال ذو الأصبع العدواني :  
يا عمرو إن لا تدعُ شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني  
ص ٢١

### ٣ - ميز شجعان العرب بعلامات في الحرب

- كان شجعان العرب يُعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها في الحرب ، وإلى ذلك يشير عمرو بن كلثوم في قوله :

على آثارنا بيضٌ كرامٍ نحاذرُ أن تفارقَ أو تهونا  
أخذنَ على بعولتهنَّ عهداً إذا لاقوا فوارسَ مُعلمينا  
ليسُتَلَبْنَ أبداناً وبيضا وأسرى في الحديد مقرنينا  
وقال عنتره -والبيت من معلقته- :  
ومشكٌ سابعةٌ هتكت فروعها بالسيف عن حامي الحقيقة مُعلم  
قال الزوزني في شرحه للمعلقات :

المعلم بكسر اللام : الذي أعلم نفسه ، أي شهرها بعلامة يعرف بها في الحرب حتى ينتدب الأبطال لبرازه ، والمُعلم بفتح اللام : الذي يشار إليه ، ويُدلُّ عليه بأنه

١- الزقاء : الصياح.

فارس الكتبية ، وواحد السرية.اه.ص٢٢

#### ٤ - عناية العرب بالضيف

- جاء في البيان والتبيين للجاحظ ما يأتي :

إن العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ،  
ومن تمام الإكرام ، وقالوا : تمام الضيافة : الطلاقة عند أول وهلة ، وإطالة الحديث  
عند المؤكلة ، قال :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

ولذلك قال عمرو بن الأهتم :

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق

وجاء في كتاب غرر الخصاص الواضحة للعلامة برهان الدين الوطواط ، ما نصه :  
ومن المفاخر التي لا نزاع فيها ولا خلاف ، بسط الوجه ، وبذل القرى للأضياف.اه.

ص٣٥

#### ٥ - تنكيل العرب في الجاهلية بالجناة

- كانت العرب إذا غدر منهم غادر يوقدون له بالموسم ناراً ، و ينادون عليه ،  
يقولون : ألا إن فلاناً غدر؛ ولذلك قال الغادرة الغطفاني :

أَسْمِيْ وَيْحَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِغَدْرَةِ رُفِعَ اللّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي الْمَجْمَعِ

ص٤١

- وكان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جُعِلَ له تمثال من طين ،  
ونصب ، وقيل : ألا إن فلاناً غدر فالعنوه ، كما قال عبد الله بن جعدة :

فلنقتلن بخالد سرواتكم ولنجعلن لظالم تمثالاً

يعني خالد بن جعفر، وقتل الحارث بن ظالم له. اه. ص ٤١

- وكانوا يتركون الرمح في المطعون ليكون أعنت له، قال عنتره:

وغادرن نضلة في معركٍ يجرا أسنة كالمحتطب

ص ٤٢

- وكانوا يقيدون الأسير بسير من جلد، قال أبو دهب الجمحي يمدح الأزرق

المخزومي:

ما زلت في العفو للذنوب وإطـ لاق لعان بجرمه غلق

حتى تمنى البراة أنهم عندك أسرى في القيد والحلق

ص ٤٣

- وكانوا يخلقون رؤوس الأسرى، قال نافع بن خليفة الغنوي يخاطب بني نمر:

وإن تحلقوا منا الرؤوس فإننا حلقنا رؤوساً باللحى والغلاصم

الغلاصم: جمع الغلصمة وهي رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتئ في الحلق،

وحلقنا: يريد أزلنا بالسيوف. ص ٤٣

- وكانت العرب تجز نواصي الأسرى من الفرسان إذا رامت أن تخلي سبيلها،

وتمن عليها، ولو كف العربي عن جز ناصيته لوسمه الأسير من الشعر والقوافي

الخالدات البواقى التي هي أبقي من الميسم بما هو أضر عليه من جز ناصيته،

ولعله لا يبلغ أهله حتى يستوي مع سائر شعر رأسه، ولكن ذل الجز لا يزال

يلوح في وجهه، ولا يزال له أثر في قلبه. ص ٤٣

- وكانوا إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق، وربما شدوا لسانه بنسعة كما

صنعوا بعبد يغوث بن وقاص المحاربي ، حين أسرته بني تميم يوم الكلاب ، وهو الذي يقول :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة      أمعشرتيم أطلقوا من لساني  
وتضحك مني شيخة عبشمية      كأن لم ترقبلي أسيراً يمانيا

ص ٤٤

- وجاء في أمالي أبي علي القالي ما نصه :

قوله : « وقد شدوا لساني بنسعة » قال : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا بي خيراً ينطلق لساني بشكركم ، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم. ص ٤٥

#### ٦ - عناية السلف باللغة العربية وكتبها

- كان أبو عمرو بن العلاء إماماً في القراءات والنحو واللغة ، أخذ عن جماعة من التابعين ، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ، مات سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة. ص ٤٦

- وكان للأصمعي يد غراء في اللغة لا يُعرف فيها مثله.

وكان كثير التطوف بالبوادي لاقتباس علومها ، وتلقي أخبارها ، قد استولى على الغايات في حفظ اللغات ، وضبط العلوم الأدبيات.

وقد أعانه على تبحره في العلم خزانة كتبه الواسعة التي تحدث عنها بقوله : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي : هل حملت معك شيئاً من كتبك ؟ فقلت نعم حملت منها ما خف حملته ، فقال : كم ؟ فقلت ثمانية عشر صندوقاً ، فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل ؟ فقلت أضعافها ، فجعل يعجب. ص ٤٦



- وهذا أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب أو إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه كان يقول: مات الكرخي معروف سنة مائتين، وفيها ولدت وطلبت العربية سنة ست عشرة ومائتين، وابتدأت بالنظر في حدود الفراء ولي ثمان عشرة سنة، وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقي للفراء عليّ مسألة إلا وأنا أحفظها، وأضبط موضعها من الكتاب، ولم يبق من كتب الفراء في هذا الوقت شيء إلا وأنا قد حفظته، ومات سنة إحدى وتسعين ومائتين ودفن بمقبرة باب الشام ببغداد. ص ٤٧ - ٤٨

- وكان أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي من المكثرين من نقل اللغة، والمطلعين على غريبها وحواشيها، ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر.

وكان إذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره؛ لأنه كان قد انتخبها، وأحكمها قراءة وتصحيحاً. ص ٤٨

- وهذا العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط في اللغة كان يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر، ولا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب، ويخرج أكثرها في كل منزلة، ينظر فيها، ويعيدها إذا رحل.

مات سنة ست عشرة وثمانمائة. ص ٥٢

#### ٧ - أرخى عمامته

- قولهم في الأمن المطمئن: أرخى عمامته أي أمن واطمأن؛ لأنه لا ترخى

العمائم في الشدة.

وقال جرير يخاطب عتبة بن مسعود رضي الله عنه وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز :  
يا أيها القارئ المرخي عمامته      هذا زمانك إني قد مضى زمني  
أبلغ خليفتنا إن كنت لآقيه      أني لدى الباب كالمشدود في قرن  
لا تنس حاجتنا لا قيت مغفرة      قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

ص ٥٣

#### ٨ - أبو الأضياف

- من الكنى بالأب قولهم : أبو الأضياف للمطعام ، والعرب تقول لكل من قام بشيء وتكفل به : هو أبو كذا ، وكذا ، وربما قالوا : أم كذا ، وربما قالوا : ابن كذا .  
قال العجير السلولي ، من شعراء الحماسة ، يرثي ابن عمه جالب بن يزيد :  
تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا      بمرو ومرودي كل خصم يجادله

ص ٥٥

- وجاء في كتاب الآداب الشرعية للإمام ابن مفلح ج ٣ : ٢١٢ ما نصه :  
ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط الإخوان بالحديث الطيب والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين . ص ٥٦

#### ٩ - تخيلات الأمة العربية في أطوار الجاهلية

- كثيراً ما تتوق النفوس إلى الاطلاع على ما كان للأمة العربية من التخيلات والرموز والمعتقدات في أطوار الجاهلية . ولقد جمعت منه ما انتقيته مما أوقفني عليه البحث :

- حذف السن نحو الشمس : فمن تخيلات الأمة العربية أن الغلام إذا سقطت سنُّه ،

فحذفها نحو عين الشمس ، وقال : أبدلني بها أحسن منها عادت ، قال طرفة :  
 أبدلته الشمس من منبتها **برداً أبيض مصقولاً** الأشر  
 أشر الأسنان : التحريز الذي فيها ، يكون خلقة ومستعملاً ، والجمع أشور.ص ٥٧  
 - **الاهتداء إلى الطريق** : ومنها أن المسافر إذا ضل في مفازة ، قلب ثيابه ،  
 وصاح كأنه يومئ إلى إنسان؛ ليرشده ، وصفق بيديه اهتدى إلى الطريق.ص ٥٧  
 - **الخوف على الصبي من النظرة** : ومنها إذا خيف على الصبي النظرة يعلق  
 عليه سن ثعلب أو سن هرة يسلم ، وقيل : أرادت جنية صبياً فلم تقدر عليه ،  
 فلما رجعت قيل لها في ذلك فقالت :

كانت عليه نُفْرة      ثعالب وهرة

والحيض **حيض السُمرة**

وحيض السمرة : شيء يسيل من السمرة ، وهي شجرة يزعمون أن الجن  
 يهربون منه .

والنفرة بالضم كتؤدة : شيء يعلق على الصبي لخوف النظرة.ص ٥٧ - ٥٨  
 - **تعليق التمائم** : ومنها أن تعليق التمائم مما يحفظ من الآفات ، قال أبو ذؤيب  
 الهذلي يرثي أولاده :

وإذا المنية أنشبت أظفارها      لرأيت كل تميمة لا تنفع

ص ٦٠

- **الضب والعقرب** : ومنها أنه ليس من ضب إلا وفي حجره عقرب ، فهو لا  
 يأكل ولد العقرب وهي لا تضربه ، فهي مسالمة له وهو مسالم لها ، وأنشد :  
 وأخذع من ضب إذا خاف حارثاً      أعد له عند الذنابة عقرباً

حرس الضب يحرسه، من باب ضرب: صاده، وذلك بأن يحرك يديه على باب حجره؛ ليظنه حية؛ فيخرج ذنبه؛ ليضربها؛ فيأخذه. ص ٦١ - ٦٢

#### ١٠ - عادات ملوك العرب في الجاهلية والإسلام

- من عادات ملوك العرب في الجاهلية، أن الواحد منهم كان إذا قام عن مجلس الحكم يُخَلَّف فيه من ينظر بين الناس بعده ويسمى رِدْفاً، وهو بمنزلة الوزير في الإسلام. ص ٦٤

- ومنها إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه، ويقفون به؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض. ص ٦٤

- ومن عادات ملوك اليمن قبل الإسلام: أنهم كانوا يركبون الأفراس والمركبات، وكانوا يضربون النقود، وينقشون عليها صورهم وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها.

أما بقية العرب في الجاهلية فقد كانوا يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية، حتى جاء الإسلام وافتتحوا البلاد، فكان مما عمدوا إلى إنشائه ضرب الدراهم والدنانير، وقد كان سيف الدولة ضرب دنانير عليها اسمه وصورته. ص ٦٧

- ومنها: في الجاهلية كانوا يختمون على الرسائل والصكوك بخاتم، وكان ذلك من الوظائف المملوكية المعروفة عندهم، وبعد ظهور الإسلام أصبح ذلك من شارات الملك في الدول العربية، وكانوا يستجيدون صوغه من الذهب، ويرصعونه بفصوص من الياقوت وغيره من الحجارة الكريمة. ص ٦٧

- ومنها: جلوسهم على السرير وهو أعواد منصوبة، أو أرائك منصدة

لجلوس السلطان عليها ، وكان ذلك من سنن الملوك قبل الإسلام ، وأول من اتخذ في الإسلام معاوية رضي الله عنه واستأذن الناس فيه ، وقال لهم إني قد بدنت ، فأذنوا له ، فاتخذ ، واتبعه ملوك الإسلام فيه قال البحري يمدح المتوكل على الله :  
فلك السيفُ والعمامةُ والخا      تم والبرد والعصا والسرير

ص ٦٨

#### ١١ - عادات نساء العرب في العصر الجاهلية

- طلاق الرجال: وكان أو بعضهن يطلقن الرجال ، وعلامة طلاقهن أنهن يحولن أبواب بيوتهن ، فإن كان الباب إلى المشرق جعلته إلى المغرب ، وإن كان الباب قبل اليمن جعلته قبل الشام ، فإذا رأى الرجل ذلك عرف أن امرأته طلقته. وكذلك طلقت ماوية بنت عفزر زوجها حاتماً ، حين أمعن به حب الكرم؛ فلم يبق لأبنائه ما يتبلغون به ، وفي سبيل ذلك أرسل إليها قصيدته التي يقول في مطلعها:  
هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد      كذاك الزمان بيننا يتردد

ص ٧٠

- ذيل الثياب: وكان يرسلن ذيول ثيابهن ، ولا سيما حللهن النفيسة التي يلبسنها في المواسم والأعياد. ص ٧٠

- التزين بالحناء: كن يتزين بالحناء ، فهي شائعة الاستعمال بينهن ، فيصبغن بها الأكف والأصابع والأظافر ، وأخامص القدمين ، وأصابع الأرجل. ص ٧١  
- الإثمد على الشفاه: وكان يذرن الإثمد على شفاههن ولثاتهن ، ليكون ذلك أشد للمعان أسنانهن ونقائنها. ص ٧١

- المساويك: وكان يستكن بقضبان المساويك على اختلاف أنواعها ، وذلك

كقضببان الأراك والإسحل والبشام وغيرها ، وهي أشجار عطرة الريح ، وعيدانها  
صالحة للاستياك.ص ٧٤

## ١٢ - عادات العرب في الخيل

- من عادات العرب في الخيل : أن الواحد منهم كان إذا أراد الركوب لثأر جزّ  
ناصية فرسه وذنبها ، وأول من فعل ذلك الحرث بن عباد يوم تحلاق اللمم من  
أيام حرب البسوس ، وذلك أنه لما سمع بقتل ولده «بحير» دعا بفرسه النعامة ،  
فجىء بها ، فجز ناصيتها وذنبها ، ونادى في قومه ، وأنشد قصيدته التي مطلعها :  
كل شيء مصيره للزوال      غير ربي وصالح الأعمال  
ومنها :

قرباً مربوط النعامة مني      لقحت حرب وائل عن حيالي  
لم أكن من جناتها علم الله      وإنني بحرّها اليوم صالي  
فاتخذ العرب ذلك سنة إذا أرادوا إدراك الثأر فعلوا ذلك بخيلهم ، فلما بلغ  
المهلهل فعل الحرث ، دعا بفرسه المشهرّ وفعل به ما فعل الحرث بالنعامة ، وقال  
قصيدته التي مطلعها :

هل عرفت الغداة من أطلال      رهن ریحٍ وديمةٍ مهطال  
ومنها :

قرباً مربوط المشهرّ مني      لكليب الذي أشاب قذالي  
ص ٧٦

- وكانوا يطعمون الجياد من الخيل اللبن ، قال فارس جروة شداد بن معاوية  
العبيسي :

ومن يك سائلاً عني فإني وجروة لا تباع ولا تعار  
مقربة الشتاء ولا تراها أمام الحي يتبعها المهار  
لها بالصيف جرجار وجُلُّ وست من كرائمها غزار  
قوله وست من كرائمها إلخ - أي لها من كرائم الإبل ست نوق تشرب من  
ألبانها. ص ٧٦ - ٧٧

- وكانوا يحبون الخيل ويبالغون في إكرامها، وكان الرجل منهم يبيت جائعاً  
ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وغياله وولده، قال مالك بن نويرة:  
أعلل أهلي عن قليل متاعهم وأسقيه محض الشول والحي ضائق  
ص ٧٨

- وكانوا يقلدونها أوتار القسي لئلا تصيبها العين، فنهاهم الإسلام عن  
ذلك، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد شيئاً من قضاء الله - تعالى - ورخص بتقليدها  
الحرز لأجل الزينة. ص ٧٨

- وكانوا يسمونها بنار الميسم - وهي الحديد التي يكوى بها - قال الجاحظ في  
كتابه: ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم في الإسلام على مثل صنيعة  
في الجاهلية. اهـ ص ٧٨

- وكانوا ينعلون الخيل بالحديد، وقد دل عليه قول مالك بن بلالة بن أرحب:  
أمرت بإتيان اللجام فأبدعت وأنعلت خيلي في المسير حديداً  
وأرحبُ جدي كان أحدث قبلنا ولو نطقت كانت بذاك شهوداً  
ص ٧٨

- وكانوا يجعلون في عنق السكيت من الخيل حبلاً - والسكيت اسم للعاشر  
من مراتب خيل السباق - ويجعلون عليه قرْدًا، ويعطون للقرد سوطاً، فيركضه

تنكيلاً بصاحبه وتعبيراً له ، قال الوليد بن حصين الكلبي :  
 إذا أنت لم تسبق وكنت مخلفاً      سُبقت إذا لم تدع بالقرد والحبلِ  
 وإن كنت حقاً بالسكيت مخلفاً      فتورث مولاك المذلة بالنبلِ  
 وسمي السكيت لأن صاحبه يسكت حزناً وحياءً ، وقوله فتورث مولاك إلخ :

يشير إلى ما يفعله بعضهم من رمي السكيت بالنبل. ص ٧٨ - ٧٩  
 - وكانوا إذا ساروا لمحاربة عدو يقودون خيولهم ليريحوها ويركبون إبلهم ،  
 فإذا قربوا من عدوهم نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم ، ثم أغاروا. ص ٧٩  
 - وكانت الخيل أعظم عددهم في الحروب ، وعليها مدار أمرهم ، وبها  
 يجولون في كرههم وفرهم ، قال طرفة بن العبد :

ونُكِر الخيل في أدبارها      يوم لا يعطف إلا ذو كرم

ص ٧٩

- وكانوا يستحبون إناث الخيل في الغارات والبيات ولما خفي من أمور الحرب ،  
 وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف ، والحضور ، والسير ، والعسكر ، ولما  
 ظهر من أمور الحرب ، وكانوا يستحبون خصيان الخيل في الكمين والطلائع ؛ لأنها  
 أصبر وأبقى في الجهد. ص ٧٩

- وكان أشرف العرب يخدمون الخيل بأنفسهم لا يتكلون على أحد سواهم.  
 ومن الحكم : ثلاثة لا ينبغي لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفاً أو أميراً : قيامه  
 عن مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيغه ، وقيامه على فرسه .

وكتب سليمان بن هشام بن عبد الملك إلى والده أن فرسي قد ضعف ، فإن رأى  
 أمير المؤمنين أن يأمر لي بغيره ؟ فكتب إليه والده : إن أمير المؤمنين قد فهم ما ذكرت



من ضعف فرسك ، وظن ذلك من قلة تعهدك له ، فقم عليه بنفسك.ص ٨٠

### ١٣ - عادات العرب في الإبل

#### فمن عادات العرب في الإبل :

- **تسيب الإبل :** إن البعير إذا أدرك نتاج نتاجه يُسيَّب ، أي يترك لا يركب ، وكذلك الناقة كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه ، أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سييت ، والسائية في القرآن: كان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة أو حرب ، قال : هي سائبة ، وقيل : بل كان ينزع من ظهرها فقارة فتعرف بذلك ، وكانت لا تحلأ عن ماء ولا كلاً ، ولا تركب.ص ٨١

- **الصرار والذئار :** وكانوا إذا أرسلوا الحلوبات إلى المرعى ، وخشوا أن ترضع شدوا ضروعها برباط يسمونه صراراً ، فإذا راحت عشيّاً حُلَّت تلك الأصرة ، وحلبت.ص ٨٢

- **الناقة الجرباء :** وكانوا يبعدون الناقة الجرباء ، ويفردونها عن الإبل ؛ حتى لا تُجربَها ، ولا تعديها.ص ٨٢

- وليس شيء أبغض إلى العرب من الجرب ؛ لأنه يعدي ، ومن أمثالهم : (أبغض من الطلياء) والطلياء هي الناقة الجرباء المطلية بالقطران ، ويقال : (أبغض من الجرباء ذات الهناء).ص ٨٣

- **ذبح ولد الناقة :** وكانوا إذا أرادوا ذبح ولد الناقة جعل عليه ثوب يغطى به رأسه وظهره كله ما خلا سنامه ، فيرضعها يوماً أو يومين ، ثم يوثق وتنحى عنه أمه حيث تراه ، ثم يؤخذ الثوب فيجعل على حوار آخر فترى أنه ابنها ، وينطلق

- بالآخر فيذبح ، ويقال في ذلك ناشغت لفلانة يعني الناقة.ص٨٣
- **الصدّاق من الإبل:** وكانوا يدفعون في الصدّاق إبلاً ، ومن ذلك قولهم:  
ساق إلى المرأة صدّاقها ، وتلك الإبل يقال لها النافجة قال شاعرهم:  
وليس تلادي من وراثة والدي      ولا شاد مالي مستفاد النوافج  
وكانوا يقولون: تهنيك النافجة ، فإذا كانوا يدفعون الصدّاق عيناً وورقاً فلا  
يقال ساق إليها الصدّاق.ص٨٣
- **فظ الإبل:** وكانوا يفتظون الإبل فيأخذون ما بقي في كروشها من  
الماء.ص٨٣
- **غرز الريش والخرق بأسنمة الإبل:** وكانوا إذا ظهرت دبّة بظهر بعير غرزوا  
في سنامه إما قوادم نسر أسود ، وإما خرقة سوداء؛ لتفزع الغربان فلا تسقط  
عليه ، لأن الغراب مولع بنقر القروح ، وعقرها حتى يبلغ الدأبات<sup>(١)</sup>.ص٨٥
- **الناقة العصبوب:** ومن عاداتهم أن الناقة إذا لم تدر شدّها فخذها بعصاب ،  
فعند ذلك تدر.ص٨٥
- **توسد ذراع الناقة:** وكان المسافر منهم إذا أراد النوم أناخ راحلته ، وتوسد  
أحد ذراعيها ، قال ذو الرمة:  
رمى الإدلاج أيسر مرفقيها      بأشعث مثل أشلاء اللجام  
ص٨٦
- **الضرب على ضرع الناقة:** وكانوا يضربون على ضرع الناقة ، لكي تبقى بقية من

١- الدأبات: عظام الكاهل.

لبنها في خلفها ، يريدون بذلك تغزيرها ، قال الحارث بن حلزة في مكارم الأخلاق :  
 لا تكسع الشول بأغبارها      إنك لا تدري من الناتج  
 واصبب لأضيافك ألبانها      فإن شر اللين الوالج

ص ٨٦

- **نحر الفصال:** وكانوا في سنة الجذب ينحرون الفصال؛ لئلا ترضع فتضر  
 بالأمهات. ص ٨٧

- **ترويض البكرة:** وكانوا إذا أرادوا أن يروضوا البكر الصعب حك الرائص  
 أعلى خطمه - أنفه - بحبل ، حتى يؤثر فيه كالوسم ، ثم يجعل عليه حبلاً يقوده به  
 فينقاد ، قال ذو الرمة يصف بعيراً:

كأن جلد الوجه من حرير      أملس إلا خطرة الجريـر

الجرير : الحبل. ص ٨٧ - ٨٨

- **الناقة المذكرة:** وكانوا يتفاخرون بالنوق ، ويرغبون في ركوبها أكثر من الجمال ،  
 ومن أجل ذلك كانوا يبغضون الناقة التي تلد الذكور ، وهو أفطع ما يكون من نتاج  
 العرب ، وأبغضه إليهم. ص ٨٨

- **نحر الناقة:** وكانوا إذا أرادوا نحر الناقة ، ضربوا ساقها بالسيف فخرت ، ثم  
 نحروها ، قال أبو طالب بن عبدالمطلب يمدح رجلاً بالكرم:

ضروبٌ بنصل السيف سوقَ سِمانها      إذا عـدموا زاداً فإنك عاقرُ

ص ٨٨

- **الذرع:** وكانوا يرسلون مع الوحش جملًا يرعى معها؛ حتى تأنس به ، ولا  
 تنفر منه ، فإذا أراد مريد أن يصطاد الوحش ، استتر بذلك الجمل حتى إذا دنى

الوحش رمى. ص ٨٩

- **حادي الإبل:** وكانوا إذا ساقوا الإبل ، جعلوا من يغني لها ، وهو المسمى بالحادي ، أنشد ابن بري للراجز:

يا زيد زيد اليعملات الذُّبَلُ      تطاول الليل عليك فانزل

الذبل: الضوامر ، واليعملات: النوق القوية على العمل.

وإنما أضيف زيد إليها لاشتهاره بالخداء أي الغناء لها عند سيرها ، وقال

الجوهري: الحدو: سوق الإبل ، والغناء لها. ص ٨٩

- **تنعيل الإبل:** ومن عادات العرب في الإبل: أنهم كانوا يشدون تحت خفافها قطعاً

من الجلود؛ لتقيها الحجارة ، وهو التنعيل المشار إليه في قول كعب بن زهير رضي الله عنه :

سمر العجيات يتركّن الحصا زيماً      ولا يقيها رؤوس الأكُم تنعيل

العجيات: عصب الأرساغ ، والزيم بكسر الزاي وفتح الياء: المتفرق : أي أنها

لا تحفى في سيرها ، فتفتقر إلى النعل. ص ٩٠

- **الفرسان والركبان:** وكانوا يقاتلون على النجب والهجن من الإبل. ص ٩٠

- **وسم الإبل:** وكانوا يسمون إبلهم بنار الميسم -والميسم حديدة يكوى بها-

قال الراجز:

قد سقيت آباهم بالنار      والنار قد تشفي من الأوار

يعني بالنار: السمة ، يريد أن إبلهم وردت الماء ، فلما رأى أصحابه سمته

علموا أنها لقوم أعزة؛ فسقوها لذلك. ص ٩٠

#### ١٤ - عادات العرب في الحروب والغزوات

- اشتهرت العرب بين بقية الأمم بمعالجة الحروب وأنواع المقاتلة ، وقد انتهت إليهم

القوة والشجاعة، كما يشهد بذلك تاريخهم المجيد، وآثارهم الأدبية الخالدة.  
فالعرب ليوث الحرب، وأبابة الضيم، ولم يزالوا في أيام جاهليتهم في كروفر،  
وغارات، ومحاربات، كل ذلك في طلب العزة، وإشادة صروح المجد.  
قال شاعرهم:

أدنى الفوارس من يغير لغنم فاجعل مغارك للمكارم تُكرم

ومن أراد أن يطلع على أخبار حروب العرب وغزواتهم فهو لا غنى له عن  
معرفة ما كان لهم فيها من العادات والشعائر، وإن عثر الباحث على شيء منها  
لا يخلو من فائدة يزدان بها جيد تاريخ الأمة العربية. ص ٩٢

- نار الحرب: فمن عادات العرب في الحروب: أنهم كانوا إذا أرادوا حرباً  
أوقدوا ناراً على جبل؛ ليلغ الخبر أصحابهم فيأتوهم، فإن جد الأمر أوقدوا  
نارين. ص ٩٢

- نحر الجزور: وكانوا ينحرون الجزور إذا أرادوا الغزو، ثم يطبخون لحمها،  
ثم يحشون جلد الجزور ويحملونه معهم، يستعينون على السفر، فمتى أرادوا  
لحماً أكلوا منه. ص ٩٣

- الاستكثار من النيران والذبح: وكانوا إذا نزلوا منزلاً وهم جيش يريدون محاربة  
قوم استكثروا من النيران، وأكثروا من الذبح مخافة أن يحزروهم حازره - الحزر: التقدير  
والحرص<sup>(١)</sup> - بقله ذبحهم ونيرانهم، فيستدل على العورة منهم. ص ٩٣

- لبس الدروع والأقنعة: وكانوا إذا أرادوا القتال لبسوا الدروع، وتكتموا

١ - هكذا في الأصل ولعل الصواب: الحرس.

بالأسلحة ، وتقنعوا حتى لا يعرفوا.ص٩٤

- **التخفيف بالحرب:** وكانوا يتخففون للحرب ، ويكرهون أن يقتل الرجل ،  
وتصيبه طعنة في بطنه ، أو ضربة؛ فيخرج منه الطعام؛ فَيُغَيَّرُ.ص٩٥

- **الطليعة:** وكانوا قبل مناجزة العدو يرسلون من يكشف لهم عنه ويسمى:  
طليعة.ص٩٥

- **حمل الألوية والرايات:** وكانوا يقتحمون غمار الحرب حاملين الألوية  
والرايات.ص٩٦

- **الرايات في أطراف الرماح:** وكانوا يحملون الرايات في أطراف الرماح ،  
ويتركونها حتى تصفقها الرياح.ص٩٧

- **أمير الجيش: الوازع:** وكانوا يجعلون لكل جيش منهم أميراً يأمرهم  
وينهاهم ، ويقدم فيهم ، ويؤخر ، ويسمى وازعاً.ص٩٩

- **علامات الفرسان:** وكان الفارس منهم يعلم نفسه بعلامة يعرف بها في  
الحرب.ص٩٩

- **النساء خلف المحاربين:** وكانوا إذا حاربوا جعلوا النساء خلفهم ، قال عمرو  
ابن كلثوم في معلقته :

على آثارنا بيض كرامٍ      نحاذر أن تُقَسَّمَ أو تهوننا

ص١٠١

- **الغارة في الصباح:** وكانوا لا يغيرون إلا في الصباح ، ولذلك يقولون : فتیان  
الصباح؛ ولهذا قالوا: يا صباحاه.ص١٠١

- الغارة من كل الجهات: وكانوا إذا أغاروا فرقوا أنفسهم؛ ليأتوا الأعداء من كل الجهات. ص ١٠٢

- مهاجمة يمين الأعداء: وكانوا يحبون أن يأتوا أعداءهم من شق اليمين، وذلك لعلمهم بأن طباع الإنسان داعية إلى الهرب من شق الشمال؛ ولذا قال شتيم بن خويد - بالتصغير فيهما -:

فجئناهم من أيمن الشق غدوة ويأتي الشقي الحين<sup>(١)</sup> من حيث لا يدري  
وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها، فاستمل الحضر إلا أخذ عن يساره إذا ترك عزمه، وسوم طبيعته. ص ١٠٣

- ترك الرمح في المطعون: وكانوا يتركون الرمح في المطعون؛ ليكون أعنت له. ص ١٠٣

#### ١٥ - عادات عربية خاصة بالأعراس

- يقال: العروس للرجل والمرأة - ما داما في أعراسهما.  
فَجَمَعَ المذكر عروس، وجمع الأنثى عرائس، وكل منهما عرس للآخر، ولا يسميان عروسين إلا أيام البناء. ص ١٠٥  
- ومن أمثال العرب (كاد العروس يكون ملكاً) ويراد ههنا الرجل، أي: كاد يكون ملكاً لعزته في نفسه وأهله. ص ١٠٥  
- الصداق: من عادات العرب أنهم كانوا يدفعون الصداق إبلاً، فمن ذلك قولهم: ساق إلى المرأة صداقها. ص ١٠٥

١ - الحين: الموت.

- **العجاهن:** العُجَاهُن بالضم: الماشطة إذا لم تفارق العروس حتى يُبنى بها، وتسمى -أيضاً-: (المزينة) و (المقينة) من التقين وهو التزين؛ لأنها تزين النساء، وهي التي يسميها أهل تونس (الحنانة).

ويسميها أهل مصر (البلانة) وأما أهل الشام فما يزالون يسمونها (الماشطة) ويذكرونها في أغانيهم التي يتغنون بها في أعراسهم. ص ١٠٦

- **الزفاف:** من العادات التي كانت جارية عند الأمة العربية في الأطوار الجاهلية أنهم كانوا إذا زوجوا فتاة وأرادوا زفافها، تقدم إليها وليها بوصايا تنفعها في حياتها إذا عملت بها، فمن ذلك حكي أن قيس بن مسعود زوج ابنته من لقيط بن زرارة، ومما أوصاها به، قوله:

«واغلبى أحماءك بالخير، ولا تغلبهم بالشر، وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، وتتبعني من الطيب مواقع أنفه، واعلمي أن أطيب طيب النساء: الماء». وقد أقر الإسلام هذه العادة الجاهلية ولم يغيرها؛ وذلك لأنه دين النصيحة ومكارم الأخلاق.

وقد ذكر في كتب الأدب أن أبا الأسود الدؤلي، وهو من التابعين، لما زوج ابنته وأراد تحويلها، قال لها:

«عليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء».

فقوله إسباغ الوضوء: أي إكماله، وإتمامه، والمبالغة فيه. ص ١٠٦ - ١٠٧

- **العمرة:** العمرة: أن يبنى الرجل على امرأته في أهلها، فإن نقلها إلى أهله



فذلك العرس. قاله ابن الأعرابي. ص ١٠٧

- **الدعاء للمتزوج:** ويدعى للمتزوج، فيقال له: بالرفاء والبنين أي بالالتئام، والإنفاق، وجمع الشمل، وحسن الاجتماع: وهو من رفات الثوب إذا ضممت بعضه إلى بعض، أو من رفوت الرجل: إذا سكنته.

قال أبو زيد رحمه الله: هو من المرافاة - غير مهموز-: وهي الموافقة.

وتزوج عقيل بن أبي طالب، ف قيل له: بالرفاء والبنين.

فقال: قال رسول الله ﷺ: إذا رفاً أحدكم أخاه، فليقل: على الخير والبركة،

بارك الله لك، وبارك عليك. ص ١٠٧

#### ١٦ - مجالس العرب في الجاهلية والإسلام

- لقد أعرب كثير من الشعراء عما كان في مجالس العرب من سكون، ووقار،

وحسن أدب، ومحادثات تعود على الإنسان بما فيه سعادته وصلاح أمره، فمن

ذلك ما أشار إليه زهير بن أبي سلمى في قوله يمدح آل سنان ويذكر مجالسهم:

إذا جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

يقول: هم أهل حلوم وآراء، فمن شهد مجالسهم تحلّم وإن كان جاهلاً.

وقال طرفة بن العبد يمدح قومًا:

يزعون الجهل في مجلسهم وهم أنصار ذئ الحلم الصمد

يزعون: أي يكفون، والجهل: السفه، يعني أن مجالسهم لا يتكلم فيها بالكلام

المنافي للأدب وقوله: وهم أنصار ذئ الحلم الصمد، الصمد: الذي يصمد إليه في

الحوائج، أي يقصد، يعينون ذا المروءة على مروءته. ص ١٠٨

- وقال الآخر يصف مجالس بعض الرؤساء:

إذا انتدى واحتبى بالسيف دان له شوسُ الرجال خضوعَ الجُربِ للطالي  
 كأنما الطير منهم فوق هامتهم لا خوفَ ظلمٍ ولكن خوفَ إجلالٍ  
 أراد أن مجالسهم مهيبة، وأن حاضريها يتوقرون ويسكنون، فكأن على  
 رؤوسهم الطير، وقوله: لا خوف ظلم: أي يخافونه لا خوف ظلم وانتقام،  
 ولكن خوف جلاله واحتشام. ص ١٠٨

- وقال شاعر قديم يمدح رجلاً بالكرم والاحتفاظ بكرامة جلسائه وتوقير مجلسهم:  
 فتى مثل ضوء الماء ليس بباخلٍ بخيرٍ ولا مهدي ملاماً لباخلٍ  
 ولا قائلٍ عوراء تؤذي جلسه ولا رافعٍ رأساً بعوراء قائلٍ  
 العوراء: الكلمة القبيحة، يعني أنه لا يؤذي من يجلس إليه، ولا يسمعه ما يكره:  
 ولا مظهرٍ أحوثة السوء معجباً بإعلانها في المجلس المتقابل  
 الأحوثة: بالضم ما يتحدث به، يعني أن ممدوحه إذا جلس مع قوم راعى  
 مجالسهم؛ فلا يحدثهم بحديث سيئ كغيبة أو نيمة، أو غير ذلك من الكلام المنافي  
 للآداب والحشمة. ص ١٠٩

- وقال الفرزدق يصف مجالس قومه:  
 وما حلّ من جهلٍ حبا حلمائنا ولا قائلٍ المعروفِ فينا يعنف  
 وما قام منا قائمٌ في ندينا فينطقُ إلا بالتي هي أعرف  
 أي إذا نطق منا ناطق في مجلس جماعة عُرف صواب قوله، فلم تردّ مقالته. ص ١١٠  
 - وقال أبو فراس الحمداني يصف مجلس قومه:

إذا مررتَ بوادٍ جاشَ غاربُه فاعقِلْ قلوَصَكْ وانزلْ ذاك وادينَا  
 وإن وقفتَ بنادٍ لا يطيفُ به أهلُ السفاهةِ فاجلسْ فهو نادينا

يعني أن مجالسهم لا يُلِمُّ بها أهل السفه والطيش ، ولا يقربونها. ص ١١١

- هذا ولنكتف بما أوردناه في هذا المقال من الأشعار المشتمة على أوصاف مجالس العرب في الجاهلية والإسلام ، والآن نجعل مسك ختامنا الكلام على مجلس النبي ﷺ ومجالس أصحابه -رضوان الله عليهم- .

أما مجلس النبي ﷺ فقد وصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : « مجلس حلم ، وحياء ، وصبر ، وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم : أي لا تقذف ولا تعاب ، وتنشى فلتاته : أي لا تثبت هفواته .

إذا تكلم ﷺ أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير » .

فقوله : « كأن على رؤوسهم الطير » هذه عبارة عن سكونهم وإنصاتهم ؛ لأن الطير إنما تقع على ساكن ، قال الهذلي :

إذا حَلَّتْ بنو ليثٍ عكاظاً رأيت على رؤوسهم الغرابا

وقال بعض الصحابة : « إنا كنا مع النبي ﷺ وكان الطير فوق رؤوسنا » .

أي كأن الطير وقعت فوق رؤوسنا ، فنحن نسكن ، ولا نتحرك ؛ خشية من نفار ذلك الطير .

وفي صفة الصحابة -رضوان الله عليهم- : « كأن على رؤوسهم الطير » أي ساكنون هيبة ، ووصفهم بالسكون والوقار ، وأنهم لم يكن فيهم خفة وطيش .

ويقال للقوم إذا كانوا هادئين ساكنين : كأنما على رؤوسهم الطير. ص ١١١ - ١١٢

- ومن أمثال العرب في مكارم الأخلاق قولهم في الحليم : إنه لواقع الطير وساكن الريح. ص ١١٢

- وقولهم في الحلماء : كأن على رؤوسهم الطير. ص ١١٢

وأما أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا إذا اجتمعوا، جعلوا يتحدثون بذكر ما سلف لهم من الحروب والوقائع، ويتناشدون الأشعار، ويتمازحون. وفي حديث بكر بن عبد الله: كان أصحاب محمد يتمازحون، فإذا جاءت الحقائق كانوا هم الرجال. ص ١١٢

- وفي حديث الحسن البصري، قيل له: أكان أصحاب رسول الله ﷺ يمزحون؟ قال: نعم، ويتقارضون، أي يقولون القريض وينشدونه، والقريض هو الشعر. ص ١١٢

- هذا ومن الأنسب أن نذكر هنا ما جرى في أحد مجالس أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وذلك ما رواه ابنه عبد الله، قال: كنت عند أبي يوماً وعنده نفر من الناس، فجرى ذكر الشعر، فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان، فطلع عبد الله بن عباس، فسلم وجلس، فقال عمر: قد جاءكم الخبير من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال زهير بن أبي سلمى، قال فأنشدني مما تستجيد له.

فقال: يا أمير المؤمنين إنه مدح قوماً من غطفان، يقال لهم بنو سنان، فقال:

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم	طابوا وطاب من الأنجال ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من	قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
إنس إذا أمنوا حين فزعوا	مرزؤون بها ليل إذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم	لا ينزع الله عنهم ما به حسدوا

فقال عمر: والله لقد أحسن، وما أرى هذا المديح يصح إلا لهذا البيت من هاشم لقرباتهم من رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين؛ فلم تزل موفقاً. ص ١١٢ - ١١٣

- وأما عبدالله بن عباس رضي الله عنه فقد كان يجلس يوماً للتأويل ، ويوماً للفقهِ ، ويوماً للشعر ، ويوماً لأيام العرب .

ومعنى الشعر : أن يذكرها استشهاداً للغة العربية . ص ١١٣

- وقال عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، وأعظم خشيةً ، وإن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع . ص ١١٣

#### ١٧ - قرع السن كناية عن الندم

- يقال : قرع عليه سنه : ندم .

وقال تأبط شراً ، واسمه ثابت بن جابر ، من شعراء المفضليات :  
لنتقرعنَّ عليَّ السنَّ من ندمٍ إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي  
ومن أمثال المولدين : (رب كلمة لبست عليها أذني ؛ مخافة أن أقرع لها سني) .  
ص ١١٨

#### ١٨ - الأضياف والضيافة

- هذا تحرير يشتمل على كلمات خاصة بالأضياف ، والضيافة ، وما له صلة بذلك :  
- السور : السور بالضم : الضيافة وهي كلمة فارسية ، وقد شرفها النبي صلى الله عليه وسلم  
عن القاموس وشرحه - قال الشارح : قلت : وهي إشارة إلى الحديث المروي عن  
جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « قوموا فقد صنع  
جابر سوراً » .

قال أبو العباس : وإنما يراد من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بالفارسية ، صنع سوراً

أي طعاماً دعا الناس إليه. ص ١٢٢

- **النُّدْلُ**: الندل بضمّتين: خدم الدعوة - عن ابن الأعرابي.

قال الأزهري: سموا نُدْلاً لأنهم ينقلون الطعام إلى من حضر الدعوة. ص ١٢٢

- **الصبير**: الصبير كأمير: صبير الخَوَان وهو الرقاقة العريضة تبسط تحت ما يؤكل

من الطعام.

ويقال: أكلوا صبير الخوان: وهو الرقاقة التي تبسط تحت الطعام الأساس. ص ١٢٢

- **المرجفان**: المرجفان: الطست والإبريق، لأن لهما صوتاً بنقر أحدهما في

الآخر، فكان ذلك الصوت يرجف أي يخبر بتمام الطعام والحث على القيام.

قال أبو بكر الصغار: حضر مجنون بالكوفة قوماً فجلس يأكل، فجعل الغلام

يحرك الطست والإبريق، فقال من ذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا، وفي

مقامات الحريري: «وإياك واستدناء المرجفين قبل استقلال حمول البين».

قوله استقلال حمول البين: أي إبل الفراق، ويريد بها الموائد؛ لأنها إذا

ارتفعت تفرق أهل المجلس فيقول: إياك أن تُقربها - أي الطست والإبريق - قبل أن

ترتفع الموائد؛ فيتهيأ الناس للغسل والانصراف، فإن غسّلت الأيدي - والموائد

باقية - تُوهّم أن ثمّ طعاماً يستأنف أكله. ص ١٢٢ - ١٢٣

- **الحشماء**: الحشماء: الجيران والأضياف، كأنه جمع حشيم ككريم وكرماء.

والذي في المحكم: هؤلاء أحشامي أي جيرانني وأضيافي.

إذا دعي قوم إلى طعام، فجاءوا أربعة أربعة، قيل: جاءوا وخزاً وخزاً، فإن

جاءوا عصبه، قيل: جاءوا أفاجيج.

صاحب العين: مرّ بنا فائج وليمة فلان، أي قوم مما كان في طعامه. ص ١٢٣

- **الوضيمة**: الوضيمة: القوم ينزلون على القوم وهم قليل، فيحسنون إليهم ويكرمونهم. ص ١٢٣

- **الهفيفة، الدافة**: قال: وردت هفيفة من الناس للذين أقحمتهم السنة. ١٢٤

- **الصرّم**: الصرّم بالكسر: الجماعة من الناس ليسوا بالكثير. ص ١٢٤

- **التكرمة**: التكرمة: الوسادة وما يجلس عليه الضيف. ص ١٢٤

- **النزلة**: النزلة بالكسر: الضيف - اللسان.

ويقال: كنا في نزلة فلان - بالكسر - أي ضيفته - مستدرك التاج. ص ١٢٤

- **النزل**: النزل بضم نين: ما هيئ للضيف. ص ١٢٤

- **الأحبش**: الأحبش: الذي يأكل طعام الرجل، ويجلس على مائدته، ويزينه.

ص ١٢٤

- **المرهق**: المرهق كمعظم: من يغشاه الناس كثيراً، وتنزل به الأضياف، قال

زهير: يمدح هرم بن سنان:

ومُرْهَقُ النيرانِ يطعم في الـ لأواء غير مُلْعَنِ القدر

وقال ابن هرمة:

خير الرجال المرهقون كما خير تلاع البلاد أوطؤها

ص ١٢٥

- **المقراء**: المقراء: هو الرجل الكثير القرى للأضياف.

**والمهداء**: الرجل الكثير الإهداء. ص ١٢٥

## ١٩ - عادات العرب بأمر الأضياف

- وقال المقنع الكندي من شعراء الحماسة:

يعاتبني في الدّين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

أَسْدُ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضِيَعُوا      ثَغُورَ حَقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سِداً  
وفي جفنة ما يغلق الباب دونها      مكللة لحماء مدفقة تُردا  
مكللة : أي عليها من اللحم مثل الأكاليل ، والدفق : الصب ، ويقال : ثريدة  
وثرائد وتُردُّ ثم يخفف فيقال : تُرد - قاله الخطيب (ج ٣ : ١٠٠) . ص ١٢٦ - ١٢٧  
- وقالت الخنساء ترثي صخرأً :  
يذكرني طلوع الشمس صخرأً      وأذكره لكل غروب شمس  
وإنما اختصت هذين الوقتين ؛ لأن طلوع الشمس يذكرها بغاراته على  
أعدائه ، وغروبها يذكرها بإقراءه ضيفانه ، فاختصت هذين الوقتين من بين سائر  
الأوقات لهذين المعنيين - المشوق لابن قيم الجوزية ص ١٥٤ - ص ١٢٧  
- وكانوا ينحرون الإبل للأضياف ، قال ذو الرمة :  
وإن تعتذر بالمحل من ذي ضروعها      إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي  
ص ١٢٧

## ٢٠ - عادات عربية

- نار القرى : ومنها : أنهم كانوا يوقدون ناراً ترفع للسفر ، ولمن يلتمس القرى ،  
وربما أوقدوها بالعود ونحوه مما يتبخر به ؛ ليهتدي إليها العميان .  
وهذه النار من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرهم .  
والأشعار فيها كثيرة ، منها قول الأعشى :  
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة      إلى ضوء نارٍ في يفاعٍ يحرقُ  
تَشُبُّ لمقرورين يسطليانها      ويات على النار الهدى والمحلّق  
قال العسكري : كان هذا البيت يستحسن في صفة نار القرى حتى قال الحطيئة :



متى تأتبه تعشوا إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد  
فعفى عن الأول، هكذا قالوا، قال: وعندي أن الأول أحسن وأعرب.  
١-هـ. ص ١٢٩

- وقد جمع ابن الرومي نار القرى ونار الحرب في قوله لعبيد الله بن عبد الله ابن  
طاهر، حيث قال:

له ناران نار قرى وحرب تُرى كلتا هما ذات التهاب  
ص ١٢٧

- لعب البنات بالتمثيل: ومن عاداتهم تمكين بناتهم من اللعب بالتمثيل  
الصغار، وإلى ذلك يشير امرؤ القيس بقوله:

وهي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

ومن حديث عائشة - رضي الله عنها -: كنت ألعب مع الجواري بالبنات.

والبنات: التمثيل الصغار يلعب بها الجواري.

ونظراً لما ينتج عن هذه اللعبة من فائدة تعويد البنات وتدريبهن على مباشرة

أعمال البيت وإدارة شؤونه - فقد أقرها الإسلام وأباحها لنا. ص ١٣٠

- عادة البيع والشراء: ومن عاداتهم في البيع والشراء: أن المشتري ييسط يده،  
ويصفق براحته على راحة بائعه إذ اشترى منه شيئاً نفيساً.

قال ذو الرمة:

ودو ككف المشتري غير أنه بساطاً لأخماس المراسيل أوسع

الدو: المستوي من الأرض، والبساط: الأرض الواسعة، لأخماس: أي لسير

الأخماس وهو جمع خمس بالكسر، والخمس: ورد الماء في الخامس. ص ١٣٠

- السانح والبارح من الطير: ومنها: أنهم كانوا يتيمنون بالسانح من الطير، وهو ما مر من مياسرك إلى ميامنك.

ويتشاءمون بالبارح وهو بعكس السانح.

ومن أمثالهم: (من لي بالسانح بعد البارح) أي: بالمبارك بعد المشؤوم.  
قال الكميت:

ولا أنا ممن يزجر الطير همه      أصاح غراب أم تعرض ثعلب  
ولا السانحات البارحات عشية      أمر سليم القرن أم مرأعضب  
سليم القرن: الذي يُتَمَنُّ به، والأعضب: المكسور أحد القرنين، وهو مما يتشاءم به. ص ١٣١

- البناء بالطين والتبن: ومن عاداتهم أنهم يخلطون الطين بالتبن، ويطينون به الجدران. ص ١٣٣

- الجبيرة: ومن عاداتهم مداواة الساق الكسيرة بالجبيرة، وهي العيدان التي تجبر بها العظام.

وقد دل عليه قول أحد شعراء الحماسة:

ضممناكم من غير فقر إليكم      كما ضمت الساق الكسير الجبائر  
ص ١٣٥

- مد الحاجبين: مد الحاجبين: فعل الإنسان إذا تعجب من شيء.

ومن عاداتهم ذلك يدل عليه قول عبيد بن الأبرص:

ومطت حاجبيها أن رأتنني      كبرت وأن قد ابيضت قروني  
ص ١٣٥

- **التوقي من المطر:** ومن عاداتهم توقيهم المطر بثوب من صوف يسمونه «مِمْطراً». ص ١٣٥

**التشاؤم بالعطاس:** ومنها: تشاؤمهم بالعطاس، قال المسيب بن علس:  
أَرْحَلْتَ مِنْ سَلْمَى بِغَيْرِ مَتَاعٍ      قَبْلَ الْعَطَاسِ وَدَعَتْهَا بَوْدَاعٍ

وقوله: قبل العطاس؛ لأنهم كانوا يتشاءمون منه. ص ١٣٥

- **الحمد لله وحده:** ومما كان جارياً عند الموحدين هو أن السلطان كان يكتب بيده بخط غليظ في رأس المنشور «الحمد لله وحده». ص ١٣٦

- **عافي القدر:** ومن عاداتهم في الجذب أن أحدهم إذا استعار قِدرًا رد فيها شيئاً من طيبخ، قال مضر بن ربيعي الأسدي:

فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي      إِذَا رَدَّ عَافِي الْقِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا

وعافي القدر: ما يبقى المستعير فيها لمعيرها. ص ١٣٨

- **الإشارة باليد للسلام:** ومما كان جارياً بينهم الإشارة باليد للسلام، كما هو مستعمل بين الناس في عصرنا هذا. ص ١٣٨

- **بيع الحصاة:** ومن عاداتهم في الجاهلية أن أحد المتبايعين كان يقول لصاحبه:

بِعْتِكَ مِنَ السِّلْعِ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ حَصَاتُكَ إِذَا رَمَيْتَ بِهَا، أَوْ بِعْتِكَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى حَيْثُ

تَنْتَهِي حَصَاتُكَ، وقد نهى الإسلام عن ذلك لما فيه من الغرر والجهالة. ص ١٣٩

- **بيع الفرس نقداً:** وكانوا لكرامة الفرس عندهم ونفاستهم بها، لا يبيعونها إلا بضمن معجل.

ومن أمثالهم في ذلك قولهم: (النقد عند الحافر) أي عند بيع ذات الحافر. ص ١٣٩

- **أهل الله:** وكانوا يترافدون فيشترون الجزر والكعك والسويق، ويطعمون الحاج

ويقولون: نحن أهل الله وجيران بيته، والحاج وفد الله وضيفانه، فنحن أولى بقراهم. ص ١٣٩

- **دية القتيل:** ومن عاداتهم في الجاهلية إذا يقتل الرجل من القبيلة، فيطالب القاتل بدمه، فتجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية، فإن كان أولياؤه ذوي قوة أبوا ذلك، وإلا قالوا لهم: إن بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي، فيقول الآخرون: ما علامتكم؟ فيقولون: نأخذ سهماً فنرمي به نحو السماء، فإن رجع إلينا مضرجاً دماً فقد نهينا عن أخذ الدية وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها.

قال أبو المكارم وغيره: فما رجع هذا السهم قط إلا نقياً، ولكنهم لهم في هذا المقال عذراً عند الجهال.

وقال الصاغانى في العباب: إن أولياء المقتول يمسخون لحاهم، إذا رجع السهم نقياً، ويصالحون على الدية، وكان مسح اللحي علامة على الصلح. وقال الشاعر:

يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحي .....

ص ١٣٩-١٤٠

- **سمر الليل:** وكانوا يسمرون بالليل، أي يتحدثون، فإذا صاحت الديكة تفرقوا ولذلك قالوا في أمثالهم: (أثقل من الزواقي).

ذو الزواقي: الديكة، لأنها إذا صاحت بسحر تصرف السمار والأحباب.

ص ١٤٠

- **الشهر الأصم:** ومن عاداتهم أنهم كانوا يكفون عن الحرب في شهر رجب؛

تعظيماً له ويسمونه الشهر الأصم؛ لأنه لا ينادى فيه بالثارات، ولا يسمع فيه صهيل الخيل، وصليل السيوف.

وكانوا إذا دخل رجب، نزعوا أسنة الرماح ونصال السهام؛ إبطالاً للقتال فيه، وقطعاً لأسباب الفتن لحرمته. ص ١٤٠ - ١٤١

- **الحض على الصلح والخير:** ومن عاداتهم أن الرجل منهم كان يقوم في المجلس فيحض على الخير ويصلح بين الناس. ص ١٤١

- **ثالثة الأثافي:** وكانوا إذا نزلوا بإزاء جبل جعلوا للقدر حجرين، وجعلوا أصل الجبل الحجر الثالث. ص ١٤١

- **وضع العمامة:** وكان العرب يتلثمون من العمامة؛ لأجل حر الشمس، وإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا للثام، قال شاعرهم:

أنا ابنُ جلا وطلاغِ الشايبا      متى أضع العمامة تعرفوني

أي متى يزيل فضلها عن وجهه. ص ١٤١

- **الطلاق في الجاهلية:** من عاداتهم أن الطلاق كان عندهم في الجاهلية ثلاثاً، دل عليه قول الأعشى الأكبر، وقد تزوج امرأة فلم يرضها، ولم يستحسن خلقها، فطلقها، وقال:

أيا جارتني بيني فإنك طالقة	كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقة
وبيني فإن البين خيرٌ من العصا	وألا تري لي فوق رأسك بارقة
وما ذاك من جُرمٍ عظيمٍ جَنَيْتِهِ	ولا أن تكوني جُنْتُ فينا ببائقة
وبيني حصانُ الجسم غيرُ ذميمة	وموموقة فينا كذاك ووامقة

البائقة: الجريمة. موموقة: معزوزة ومحبوبة.

فبهذه الأبيات استدلل بعضهم على أن الطلاق في الجاهلية كان ثلاثاً؛ وذلك لأن الشاعر كرر لفظ «بيني» في ثلاثة أبيات. ص ١٤٣

- **الاحتباء:** ومن عاداتهم الاحتباء: وهو أن يضم الإنسان رجله على بطنه بثوب ويجمعهما به مع ظهره، ويشده عليهما، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب. ص ١٤٣

## ثامناً: المنتقى من كتاب

## الحديقة تأليف العلامة محب الدين الخطيب ١٣٠٣-١٣٨٩هـ

## تعريف بالمؤلف:

هو الأديب الكبير والكاتب الإسلامي الشهير الشيخ العلامة محب الدين الخطيب بن أبي الفتح محمد عبد القادر صالح الخطيب.

ولد بدمشق عام ١٣٠٣هـ، وتعلم بالإستانة، وحضر إلى القاهرة، وعمل في جريدة المؤيد، ثم قصد العراق، فاعتقله الإنجليز سبعة أشهر، ثم ذهب إلى مكة المكرمة عند إعلان الثورة العربية ١٩١٦م، فحكم عليه الأتراك بالإعدام غيائياً، ثم استقر في مصر سنة ١٩٢٠م، وعمل محرراً للأهرام، وأنشأ مجلتي الزهراء، والفتح، وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها.

وقد عرف بغيرته الإسلامية، وكتاباته البارة، ومعالجته لكثير من القضايا الأخلاقية، والعقدية، واللغوية وغيرها.

كان من أكابر الكتاب الإسلاميين في القرن الرابع عشر، حيث مارس الكتابة في سن مبكرة، وحرص على نشر الفضيلة، ومقاومة دعاة التغريب والرديلة.

له مؤلفات عديدة، منها كتاب «الخطوط العريضة» وكتاب «مع الرعيل الأول».

ومن كتبه، ما نحن بصددده وهو كتاب الحديقة.

وكان رحمته الله ذا علاقات كثيرة، وصدقات متينة مع أكثر علماء وأدباء عصره.

توفي رحمته الله عام ١٣٨٩ هـ عن ست وثمانين سنة.

### تعريف بالكتاب:

كتاب الحديقة يعرف من مسماه ، وهو كما قال مؤلفه :«مجموعة أدب بارع ، وحكمة بليغة ، وتهذيب قوي» .

وقد قامت فكرة هذا الكتاب لدى المؤلف عام ١٣٤٠ هـ حيث كان يجمع ما يروقه من مقالات ، أو حكم ، أو قصائد ، أو مواقف سواء مما يقرؤه في الصحف ، أو في كتب التراث أو في غيرها.

كما أن الكتاب يحتوي على مقالات للمؤلف.

وكان يُخرج ما يجتمع لديه من ذلك ما بين الفينة والأخرى حتى بلغت أجزاء الكتاب أربعة عشر جزءاً أولها عام ١٣٤٠ هـ ، وآخرها طبع بعد وفاته بعدة أشهر. وهذه الأجزاء حديقة وارفة الظلال ، دانية القطوف ، تجد فيها الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والطرفة النادرة والساخرة ، والقصيدة الرائعة ، والمقالة الرائقة ، وفيها حديث عن عزة الإسلام ، وأقوال المنصفين فيه من غير أهله ، وفيه تطرق لقضايا المرأة وما يحاك حولها ، وفيه تمجيد لهذه الأمة وسلفها ، ولغتها. وبالجمللة فهو كاسمه حديقة مليئة بما لذ وطاب.

### النقولات المنتقاة:

#### ١- هدية

إلى الرجل المجهول

إلى الرجل الهادئ الثابت البصير ، الذي لا يؤلمه الفشل ، ولا يبطره الفوز.  
إلى الرجل النزيه العزيز المتواضع ، الذي لا يغره المجد العاجل ، ولا يفتنه



التنافس في سبيل الظهور.

إلى الرجل الذي يستطيع أن يذيب شهوته في مصلحة جامعته<sup>(١)</sup>، وأن يحتفظ بقواه لساعات الشدائد.

إلى الرجل الذي يحسن الوقوف في مواقف الشجاعة والإقدام، كما يحسن الوقوف في مواقف الحذر والحيلة.

إلى الرجل كبير النفس الذي - إذا وجه وجهه نحو المطمح - يمر بالصغائر فلا تعوقه عن مواصلة السير حتى يبلغ الغاية.

إلى هذا الرجل المجهول أهدي هذا الجزء من الحديقة. ١٠/٧.

## ٢- مرض حب الشهرة

إن الذي يَكل إلى الناس تقدير قيمته يجعلونه سلعة يتراوح سعرها بتراوحهم بين الحاجة إليها والاستغناء عنها.

والطريقة المثلى أن يقوم لنفسه قيمتها، فإن المرء - كما يقول بعضهم - يساوي القيمة التي يضعها لنفسه، ذلك خيرٌ من أن يطرحها في المزاد على ألسنة الناس.

عباس العقاد. ١٠/٧.

## ٣- الزوجة

قال أميلو: إن القلب يدفع طالب الزواج إلى الحسناء، والمصلحة تدفعه إلى الدميمة، والعقل وحده يسوقه إلى المرأة الفاضلة. ٧١/٧.

## ٤- السفور بعد الحجاب

أبْهَذَا يَأْمُرُ الْغَيْدَ الشَّرْفُ؟	قُلْ لِمَنْ بَعْدَ حِجَابٍ سَفَرْتُ
وَتُقَى اللَّهُ وَآدَابُ السُّلْطَانِ؟	أَسْفُوراً وَالْحَيَا يَحْظُرُهُ

١ - يعني: أمته.

ليست المرأة إلا درّة أيكون الدرُّ إلا في الصدف؟

أمين ناصر الدين. ٧٤./٧

##### ٥- الرجولة في نظر المتنبّي

وما العشق إلا غرّة وطماعة  
وللخود منّي ساعة ثم بيننا  
وللسّر مني موضع لا يناله  
وغير فؤادي للغواني رمية  
يُعرض قلب نفسه فيصاب  
فلاة إلى غير اللقاء تُجاب  
صديق ولا يُفضي إليه شراب  
وغير بناني للرخاخ ركاب  
أعز مكان في الدُّنى سرج ساج  
وخير جليس في الزمان كتاب

١٩٧./٧

##### ٦- الاعتدال والبساطة

قال شارل وانير: من شاء أن يربي أبنائه على مبادئ الحرية فلينفث فيهم من روح الاعتدال والبساطة، ولا يخش تأثير ذلك في السعادة؛ فإن الاعتدال من أسباب الحصول عليها لا من الوسائل المؤدية إلى الشقاء والنكد. ٢٤./٨

##### ٧- الصابر العظيم

الأشقياء في الدنيا كثير، وأعظمهم شقاءً ذلك الحزين الصابر الذي قضت عليه ضرورة من ضرورات الحياة أن يهبط بالآلامه وأحزانه إلى قرارة نفسه، فيودعها هناك، ثم يغلق دونها باباً من الصمت والكتمان، ثم يصعد إلى الناس بأشّ الوجه، باسم الثغر، متطلقاً متهللاً، كأنه لا يحمل بين جنبيه همّاً ولا كمداً<sup>(١)</sup>.

١- ينطبق على هذا قول الحكيم الذي قيل: إنه أحكم بيت قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفؤاده من حرّه يتأوه

مصطفى لطفي المنفلوطي. ٣٧./٨

#### ٨- من اعترافاتهم

- يقول القس إسحاق تيلر رئيس الكنيسة الإنجليزىة: «الإسلام ينشر المدينة التي تعلم الإنسان ما لم يعلم، والتي تقول بالاحتشام في الملبس، وتأمر بالنظافة، والاستقامة، وعزة النفس؛ فمنافع الإسلام لا ريب فيها، وفوائده من أعظم أركان المدينة ومبانيها».

- قال واشنطنون أرفنج: «القرآن قوانين زكية سنية».

- قال جيبون: «القرآن مسلّم به من حدود الايفانوس الاطلانطيكي إلى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط، بل للأحكام الجنائية والمدينة، وللشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الإنساني وترتيب شؤونه».

- قال غوستاف لوبون: «إن العرب هم سبب انتشار المدينة ببلاد أوروبا». ٨٠/٨.

#### ٩- ملك القلوب

قدم هارون الرشيد الرقة؛ فانجفل الناس خلف عبدالله بن المبارك، فقالت أم ولدٍ لهارون كانت مشرفة على ذلك: من هذا؟ فقالوا لها: عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبدالله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك! لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان. ١٢٩./٨

#### ١٠- السعادة قريبة التناول

قال السر تشارلس ويفلد، الذي كان محافظ لندن:

- انشد راحة البال، وتذكر أن أثنى الأشياء في العالم لا ثمن له.

- ادرسْ صحتك واعنْ بها: بالرياضة، والهواء الطلق، والنور، والطعام البسيط، وكلُّ هذه أشياء في متناول يدك.
- لا تتأخر في الزواج.
- الإفراط في الحذر يزيل من الحياة بهجتها.
- احتفظ بصداقة أحبائك وأعزائك، وتذكر قيمتها على الدوام.
- لا تستصغرْ دخلك، وتذكر أنَّ آلافاً من الناس يعدُّون دخلك ثروة.
- ادفع ثمنَ كل ما تشتريه، ولا تستدِنْ فإنَّ الدين شقاء.
- تذكر في عملك أن للدرس والاجتهاد قيمة.
- اتقنْ عملك واعرفْ تفاصيله.
- إذا كانت لك هموم خاصة بعملك فأقصرْها على ساعات العمل، واجعل عقلك طليقاً من قيودها وقت الفراغ.
- لا تسأل نفسك «هل أنت سعيد» بل اعمل، وروِّح عن نفسك، وأحبَّ أصدقاءك، واعمل عملك جهداً طاقتك في نزاهة. ١٧١/٩-١٧٢.

#### ١١- سبيل النجاح في نظر فوردي

- النظافة.
- الثُّبُت، والتدقيق.
- استخدام المرء كل ما لديه من القوى.
- ثقة المرء بمقدرته على إنجاز ما تصدَّى له.
- أن لا ينفق المال إلا في الوجوه المجدية والصالحة. ١٧٢/٩.

## ١٢- العمل رياضة العقل

من تفكير آرثر برزباين :

إن أعظم خطر ترتكبه هو إهمالك العمل المفروض عليك لمجرد تصوّر (أنك تعمل لمصلحة سواك فلا يجب أن تعمل كثيراً).

ولكن اذكر أنّ كلّ أمانة تبديها في عملك هي خدمة لذاتك، أنت تعمل لنفسك، إنّك إذا كنت أميناً في عملك المأجور فإنما تخدم نفسك قبل أن تخدم رئيسك، يوجد شيء واحد فقط يفيدك، ويحسن حالك ويعليك ويرفع مقامك، وذلك الشيء الوحيد هو سعيك واجتهادك.

أنت تبدأ حياتك ولك قوى عقلية معلومة، وقوى جسدية معيّنة، تلك القوى العقلية والجسدية لا بد لها من المصير إلى إحدى الحالتين :

إما أن ترتقي وتزداد، وإما أن تنحط وتضعف، ومصير قواك هذه متوقف عليك، فإما إلى الارتقاء، وإما إلى الانحطاط.

كل عمل تعمله يفيد مهما كان تافهاً، ولا يفيدك أن تهمل أي عمل توليته؛ فإنك إما أن لا تتولاه، وإما أن تتولاه فتحسن عمله.

قد تعتمد إلى التكاسل ظناً منك أنك تتمتع براحة الكسل على حساب الرجل الذي يستخدمك، وهذا الظن يدل على قلة أمانتك، وهو في الوقت نفسه دليل الحماقة. ٢١٣-٢١٢/٩.

- مرّن عقلك بواسطة العمل مهما كان نوع ذلك العمل، راجع تواريخ الرجال الذين نجحوا من قبل تجد أنهم أحسنوا كل عمل وسد إليهم. ٢١٥/٩.

- اعمل بقدر ما تستطيع الآن ، ولا تحمل نفسك ما لا تطيق. ٢١٦/٩.
- العمل وحده لا يكفي ، بل لابد معه من الاجتهاد والأمانة. ٢١٦/٩.
- قد لا تدرك منزلة سامية ، ولكن ما دمت أميناً في عملك فأنت ضامنٌ لنفسك النجاة من الفشل ، والبعد عن السقوط في الخمول. ٢١٦/٩-٢١٧.
- إذا شئت أن تصلح العالم فابدأ بإصلاح نفسك؛ لأن العالم مؤلف من أفراد أنت واحد منهم. ٢١٧/٩.

### ١٣- من أقوال شوقي

- جنني بالنمير العاقل أجئك بالمستبد العادل. ١٢٨/١١.
- ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر. ١٢٨/١١.
- من أخلّ بنفسه في السر أخلّت به في العلانية. ١٢٨/١١.
- الإنسان لولا العقل عجماء ، ولولا القلب صخرة صماء. ١٢٨/١١.
- اثنان في النار دنيا وأخرى : الحاقد والحاسد. ١٢٨/١١.
- بين الحلم والخور جسر أدق من الصراط. ١٢٨/١١.
- يستريح النائم من قيود الحياة ، كما يتروح السجين ساعة في فناء السجن. ١٢٨/١١.
- هلك أمة تحيا بفرد ، وتموت بفرد. ١٢٨/١١.
- الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات. ١٢٩/١١.
- يهدم الصدر الضيق ما يبني العقل الواسع. ١٢٩/١١.
- القوي من قوي على نفسه. ١٢٩/١١.
- جلائل الرغائب مخبوءة في كبار الهمم. ١٢٩/١١.

## ١٤- كلمات للإمام أحمد بن حنبل

- ما شَبَّهْتُ سَنَّ الشباب إلا بشيء كان في كمِّي فسقط. ١٣٠/١١.
- ما قُلَّ من الدنيا كان أقلَّ للحساب. ١٣٠/١١.
- التوكل قطع الاستشراف باليأس من الناس. ١٣٠/١١.
- الفُتُوَّة ترك ما تهوى لما تخشى. ١٣٠/١١.
- كلُّ شيءٍ من الخير تهتمُّ به فبادر به قبل أن يُحال بينك وبينه. ١٣٠/١١.
- لا تزال بخير ما نويت الخير. ١٣٠/١١.
- يؤكل الطعام بثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمرءة. ١٣٠/١١.
- لو أنَّ الدنيا اجتمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفاً. ١٣٠/١١.

## ١٥- ذكاء الأعراب

قال أحد عمال الدولة لأعرابي: ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة، فقال له الأعرابي: إن أنبأتك بذلك تجعل لي عليك مسألة؟ قال: نعم، فقال الأعرابي:

إن الصلاة أربعٌ وأربعٌ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربعٌ

ثم صلاة الفجر لا تضيّع

قال: صدقت، فسل، قال: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدري: قال: أفتحكم

بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟. ٢٠٩/١١

## ١٦- شمم العرب

دخل عمارة بن حمزة على أمير المؤمنين المنصور وقعد في مجلسه - وكان ذا عزّة وثروة

ونفس أئبة - فقام رجل ، وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، فقال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي ، فقال المنصور : يا عمارة قم فاقعد مع خصمك ، فقال : يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أنزل عن مقام شرفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة. ١٩/١٢

### ١٧- من كلام الأحنف بن قيس

- الإنصاف يثبت المودة. ١٠٤/١٢.
- الرفق والأناة محبوبة إلا في ثلاث : تبادر في العمل الصالح ، وتعجل إخراج ميتك ، وتنكح الكفء أيّمك. ١٠٤/١٢.
- أنصف من نفسك قبل أن يُنتصف منك. ١٠٤/١٢.
- لا تكوننَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان. ١٠٥/١٢.
- قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل. ١٠٥/١٢.
- العتاب خير من الحقد. ١٠٥/١٢.
- لأفعى تحكك في جوانب بيتي أحبُّ إليَّ من أيّم قد رددتُ عنها كفواً. ١٠٦/١٢.
- لو جلس إليّ مائة ، لأحببتُ أن ألتمس رضا كل واحد بما يسره. ١٠٧/١٢.
- جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام؛ فإنني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لفرجه وبطنه. ١٠٧/١٢.
- إياك والغضب ، فإنه ممحقة لفؤاد الحكيم. ١٠٧/١٢.

### ١٨- الرجل

- الرجل بصراحته في القول ، وإخلاصه في العمل. سعد زغلول ١٣٠/١٤.



- الرجل بأعماله فكلما عظمت كبر مقامه في أعين غيره، وزادته قيمة.  
مصطفى كامل. ١٣٠/١٤.

- الرجل إذا تكلم كثيراً لا يعمل إلا قليلاً. فيكتور هيكتور. ١٣٠/١٤.
- الرجل الشجاع هو الذي يعرف أن يصفح. سترين. ١٣٠/١٤.
- الرجل الذي يعمل لمصلحته فقط لا يستحق الاحترام. ميرابو. ١٣٠/١٤.
- الرجل الذي لا يرضى بالقليل لا يرضيه شيء. ابيقورس. ١٣٠/١٤.

#### ١٩- المرأة

- الحياء والصمت أجمل زينات المرأة. ١٣١/١٤.
- إن امرأتي هي التي جعلتني من أنا. بسمارك. ١٣١/١٤.
- امش وراء الأسد ولا تمس وراء المرأة. سليمان الحكيم. ١٣١/١٤.

#### ٢٠- من كلام سعيد بن المسيب سيد التابعين

- ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيبه. ١٥٣/١٤.
- من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله. ١٥٣/١٤.
- من استغنى بالله افتقر الناس إليه. ١٥٣/١٤.
- ما يؤس الشيطان من شيء إلا أتاها من قبل النساء. ١٥٣/١٤.

#### ٢١- من كلام طاووس

- كان طاووس بن كيسان من سادة التابعين في اليمن، مات بمكة حاجاً فحمل نعشه عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وبعث هشام بن عبد الملك ولي عهده حرساً في موكب جنازته، ولم يعلم بموته أحد من الحجاج إلا سار في

موكبهِ، حتى لقد سقطت قلنسوة عبدالله بن الحسن، وتقطع رداؤه وهو يحمل النعش؛ لشدة الزحام.

ومن أقوال طاووس:

- لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن عقله. ١٨٠/١٤.

- لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج. ١٨٠/١٤.

- حج طاووس فخرج على القافلة التي هو فيها أسد أزعجها طول الليل فلم ينم من أهلها أحد، فلما زال عنهم الخطر ساعة الفجر ناموا كلهم وقام طاووس يصلي ويتهجّد، فقليل له لقد بت الليلة متعباً فهلاًّ تنام؟ فقال: هذه ساعة ما كنت أحسب أن أحداً ينام عنها ولو أوتي بها مثل جبل أبي قبيس ذهباً. ١٨٣/١٤

## ٢٢- خصومة العظماء

قام رجل في أيام صفين إلى معاوية رضي الله عنه وقال له: اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وأكثهم.

فقال معاوية: من الذي تعنيه؟

فقال الرجل: علي بن أبي طالب.

فقال معاوية: كذبت يا فاجر، أمّا الجبن فلم يك قط فيه، وأمّا البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبّن لأنفق تبره قبل تبّنه، وأمّا اللكن فما رأيت أحداً يخطب أحسن من عليّ إذا خطب، قم قبحك الله.

ومحا معاوية اسم الرجل من ديوانه. ٢١٠/١٤.

## تاسعاً: المنتقى من كتاب

## مقام إبراهيم تأليف محمد طاهر الكردي المكي

**نقولات من كتاب: مقام إبراهيم - عليه السلام - ونبذة عن ترجمة إبراهيم الخليل وتاريخ الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وفضل مكة.**  
**تعريف بالمؤلف:**

هو محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي الخطاط بالمعارف العامة بمكة المكرمة ، وكاتب مصحف مكة المكرمة رحمته الله .

هذا وإن له عدداً من المؤلفات منها ما ذكره في خاتمة الكتاب المذكور حيث ذكر في آخر صفحة من الكتاب عشرين كتاباً من مؤلفاته ، ومنها :

- ١- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه.
- ٢- مقام إبراهيم - عليه السلام -.
- ٣- تاريخ الخط العربي وآدابه.
- ٤- تحفة العباد في حقوق الزوجين والوالدين والأولاد.
- ٥- حسن الدعاية فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة.
- ٦- كراسة الحرمين في تعليم خط الرقعة (سبعة أجزاء).
- ٧- مجموعة الحرمين في تعليم خط النسخ (جزءان).
- ٨- رسالة في الدفاع عن الكتابة العربية في الحروف والحركات.
- ٩- منظومة في صفة بناء الكعبة المعظمة.

- ١٠- إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة (شافعي).
- ١١- مختصر المصباح والمختار (في اللغة العربية).
- ١٢- الهندسة المدرسية.
- ١٣- بدائع الشعر ولطائف الفن.
- ١٤- المحفوظات الأدبية الممتازة.
- ١٥- الموعدة الحسنة في عدم اليأس وفي الصبر والتفويض.
- ١٦- تحفة الحرمين في بدائع الخطوط العربية.
- ١٧- نفحة الحرمين في تعليم خطي النسخ والثلث.
- ١٨- عجائب ما رواه التاريخ.
- ١٩- تراجم من لهم قوة الحافظة.

#### تعريف بالكتاب:

هذا الكتاب من الكتب النادرة، وعدد صفحاته ١٦٤ صفحة، وقد طبع طبعته الأولى وهي التي بين أيدينا عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م. وقد طبعته شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر. وهذا الكتاب واضح من عنوانه، ومع ذلك فقد زاد على ما في العنوان لطائف وملح؛ ولهذا قال في خاتمة الكتاب ص ١٥٣: «لقد فرغت من تأليف هذا الكتاب الوحيد القيم النفيس الفريد في اليوم الثامن من ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين هجرية. وذلك بمكة المكرمة بحارة الشامية- زادها الله أمناً وأماناً، ورزقاً ورخصاً وعمراناً.

فكان اشتغالي به مدة أربعة أشهر وبضعة أيام، وقد سميته (مقام إبراهيم - عليه السلام-) مع أن شطره الأول يتعلق بالكعبة والمسجد الحرام، والشطر الثاني يتعلق بالمقام، لكن لا تعاب الزيادة على العنوان، وإنما يعاب فيه النقصان. ومن حسن المصادفات أن يتلو طبع هذا الكتاب طبعُ مصحف مكة المكرمة الذي هو أول مصحف يطبع بها، والذي هو أول مصحف كتبه بيدي -بتوفيق الله وفضله- . ا.هـ.

ومع صغر حجم الكتاب وأن صفحاته ليست بتلك الكثرة إلا أنه احتوى على مباحث كثيرة نفيسة، يتضح ذلك من خلال استعراض فهرس الكتاب، فضلاً عما احتواه، وهذا سرد لما جاء في فهرس الكتاب:

- مقدمة الكتاب.
- صورة المسجد الحرام.
- ما ورد في القرآن في فضل البيت الحرام ومقام إبراهيم -عليه السلام-.
- أسماء السور وأرقام الآيات التي ورد فيها ذكر سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.
- صورة كتابة بخط المؤلف.
- نبذة من ترجمة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.
- وفاته ومكان قبره.
- الأنبياء الذين ليسوا من ذريته -عليه السلام-.
- صورة للكعبة المشرفة وحجر إسماعيل -عليه السلام-.
- تمة في ترجمة إبراهيم -عليه السلام- أيضاً.

- قصة من نزل إلى قبره الشريف وشاهده مع بعض الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.
- بناء السور حول قبره الشريف وصفته.
- هجرة إبراهيم إلى مكة بابنه إسماعيل وأمه هاجر.
- بناء إبراهيم الكعبة المعظمة.
- سبب ارتفاع الشوارع عن أرض المسجد الحرام ، وذكر ما دفن من درجاته.
- فضل الطواف.
- عدد مرّات بناء الكعبة المشرفة.
- شعر في مدح البيت الحرام «لأمر الشعراء شوقي بك» .
- صفة بناء الكعبة المعظمة.
- كيفية بناء إبراهيم -عليه السلام-.
- كيفية بناء قريش وسببه.
- كيفية بناء عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- وسببه.
- كيفية بناء الحجاج بن يوسف الثقفي.
- مقدار حجر إسماعيل -عليه السلام-.
- سبب بناء الحجاج الكعبة.
- كيفية عمارة السلطان مراد الرابع.
- بيان ما مرّ من السنين بين كل بناء وبناء.
- رسم الكعبة المعظمة على صفة كل بناء «للمؤلف» .

- منظومة في صفة بناء الكعبة المعظمة « للمؤلف » .
- مقاييس الكعبة وحدود المطاف بالأمتار.
- تراجم بُناة الكعبة في أدوارها الأربعة.
- ترجمة قريش.
- ترجمة عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما-.
- ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي.
- ترجمة السلطان مراد الرابع.
- اختلاف بنايات الكعبة وتعميرها.
- منع مالك بن أنس هارونَ الرشيدَ من هدم الكعبة وبنائها ثانياً ، ومنع العلماء السلطان أحمد من ذلك -أيضاً-.
- وجوب تعمير الكعبة إن حدث فيها خراب.
- بقاء الكعبة إلى قيام الساعة.
- خزانة الكعبة.
- وصف أمير الشعراء للكعبة والمسجد الحرام.
- صورة للحجاج وهم في انتظار الصلاة بالمسجد الحرام.
- الحوادث الواقعة في الكعبة والمطاف.
- قصة حكيم بن حزام الذي ولد في الكعبة.
- الثعبان الذي سكن في الكعبة خمسمائة سنة.
- الحية التي طافت بالكعبة.

- الطائر الذي أتى للطواف.
- الجان الذي طاف بالكعبة.
- الجمل الذي طاف بالكعبة.
- الجمل الذي هرب من صاحبه وجعل يطوف بالكعبة.
- الرجل الذي التصق عضده بعضد امرأة في الطواف.
- من مات في جوف الكعبة من الزحام.
- قصة الصنمين : إساف ونائلة.
- قتل الرجل الذي ضرب الحجر الأسود.
- قتل الشريف أحمد بن محمد في المطاف.
- عدد من قتلهم القرامطة في المسجد الحرام.
- الحادثة التي وقعت في المطاف لحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية.
- بعض ما كان معلقاً في جوف الكعبة.
- حدود الحرم وأنصابه.
- مكة في الجاهلية.
- موضع دار الندوة.
- سور مكة.
- صورة جزء من المسجد الحرام وبعض بيوت مكة وجبالها.
- الطواف في الجاهلية.
- الجلوس في الحجر وفي المطاف.



- ترجمة حرب بن أمية.
- حرمة مكة المشرفة.
- فضائل الحرم المكي.
- فضائل الصلاة في المسجد الحرام.
- المراد بالمسجد الحرام.
- صورة للمسجد الحرام والناس فيه ساجدون في الصلاة.
- حدود المسجد الحرام وذرعه بالأمتار.
- رسم المسجد الحرام.
- الزيادات التي حصلت في المسجد الحرام.
- ما أنفقته المهدي العباسي في عمارته للمسجد الحرام.
- عمارة باب الزيادة وباب القطبي.
- عمارة باب إبراهيم.
- رسم يبين تلك الزيادات التي وقعت في المسجد «للمؤلف».
- نادرة ظريفة في المحاورة التي وقعت بين أهل مكة وأهل المدينة.
- حمام الحرم المكي.
- صورة لوقوف الحمام بالمسجد الحرام.
- وقوف الحمام على الكعبة المعظمة والكلام في ذلك.
- تنظيف المسجد الحرام من الحمام.
- صورة أخرى للحمام بالمسجد الحرام.
- اقتراح المؤلف في ترحيل الحمام من المسجد.

- مقام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -.
- سنية الصلاة خلف المقام.
- الحجر الأسود وحجر المقام من أقدم الآثار الإسلامية.
- صفة المقام.
- عبارة الأزرق في ذلك.
- عبارة ابن جبير الأندلسي في رحلته عن المقام.
- عبارة الفاسي في شفاء الغرام.
- عبارة الشيخ عبدالله باسلامة.
- فتح مقصورة مقام إبراهيم - عليه السلام - لمؤلف هذا الكتاب بأمر الحكومة.
- صورة مقصورة مقام سيدنا إبراهيم.
- وصف المؤلف للمقام بالتفصيل والتوضيح.
- حجم المقام وقياسه بالسنتيمتر.
- مقدار غوص قدمي سيدنا إبراهيم - عليه السلام - في حجر المقام.
- قياس قدمي سيدنا إبراهيم بالسنتيمتر.
- ما كتب على الفضة المحيطة بالمقام.
- صورة مقام سيدنا إبراهيم ورسم قدميه الشريفين « للمؤلف » .
- مقدار طول سيدنا إبراهيم - عليه السلام -.
- ترجمة أبي جهم القرشي الذي حضر بناء الكعبة مرتين.
- موضع المقام.
- أرجح الأقوال في موضع المقام.
- فضل الحجر الأسود.

- وضع المقام في مكانه الحالي.
- سيل أم نهشل أيام عمر؛ وسيل عام ١٣٦٠هـ.
- فضل عمر بن الخطاب وحسن رأيه في تأخير المقام.
- زيادة عمر عليه السلام في المسجد الحرام.
- أول من وضع الحصى وعمل المماشي في المسجد الحرام.
- ردم عمر بن الخطاب عليه السلام لأعلى مكة جهة المدعى.
- تطويق الحجر الأسود بالذهب والفضة.
- صورة الحجر الأسود وهو مطوق بالفضة وهو عدة قطع.
- صورة المؤلف واضعاً يده على الطوق الفضي للحجر الأسود.
- تطويق المقام بالذهب والفضة.
- وضع المقام في مقصورة.
- عمارة وتجديد مقصورة المقام وسقفها.
- هدم سعود بن عبدالعزيز قبة المقام سنة ١٢٢٥ هجرية.
- كسوة المقام.
- اقتراح المؤلف رفع ستارة المقام ليراه جميع الناس.
- منبر المسجد الحرام.
- ظهور رجلين مدفونين تحت المنبر.
- صورة منبر المسجد الحرام.
- أول من خطب فوق منبر بمكة.
- وجوب صون المقام والمحافظة عليه.
- فوائد وضع المقام في مقصورة.

- سنية استلام الركنين بشرط عدم الأذية.
  - حجر إسماعيل وقبره -عليه السلام-.
  - رأي المؤلف في دفن إسماعيل بالحجر.
  - الرخامة الخضراء التي بداخل الحجر.
  - علة وضع الرخامة الخضراء بداخل الحجر وتحت الميزاب.
  - الرخامات الصُّفْر التي فوق الحفرة التي عند باب الكعبة.
  - تقدير تلك الرخامات وأنها من أبرك الآثار القديمة وأندرها.
  - أثنى هدايا الكعبة المعظمة.
  - فرش الحجر بالبلاط.
  - وضع كسوة على جدار الحجر.
  - الحفرة التي عند باب الكعبة.
  - أول من غسل الكعبة.
  - الرد على من يقول إن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود.
  - الرد على من يقول إن الحجر الأسود من النيازك.
  - فضل إبراهيم وموسى على الأمة المحمدية.
  - كلمة ختامية للمؤلف.
  - من أقوال مؤلف الكتاب في الحكم والأمثال.
  - بعض قصائد من منظوماته.
- والكتاب -في الجملة- نفيس في بابه ، لطيف في وفرة مادته ، وإن كان لا يخلو من إيراد الأحاديث الضعيفة ، والروايات الواهية وما إلى ذلك من الملاحظات خصوصاً في شأن الخليل -عليه السلام-.

## النقول المنتقاة: قال ﷺ :

١- ولقد أحصى الشيخ عبد الوهاب النجار ﷺ سور القرآن التي ورد فيها ذكر سيدنا إبراهيم -عليه السلام- والآيات الكريمة، وفيما يلي هذا الإحصاء، نقلناه من كتاب أبي الأنبياء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

رقم مسلسل	السورة	رقم السورة	رقم الآيات
١	البقرة	٢	١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٥٨
٢	آل عمران	٣	٣٣ ، ٣٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ٩٧
٣	النساء	٤	١٦٣ ، ١٢٥ ، ٥٤
٤	الأنعام	٦	١٥١ ، ٨٣ ، ٧٥ ، ٧٤
٥	التوبة	٩	١١٤ ، ٧٠
٦	هود	١١	٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٦٩
٧	يوسف	١٢	٣٨ ، ٦
٨	إبراهيم	١٤	٣٦
٩	الحجر	١٥	٥١
١٠	النحل	١٦	١٢٣ ، ١٢٠
١١	مريم	١٩	٥٨ ، ٤٦ ، ٤١
١٢	الأنبياء	٢١	٦٩ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥١

١٣	الحج	٢٢	٧٨ ، ٤٣ ، ٢٦
١٤	الشعراء	٢٦	٦٩
١٥	العنكبوت	٢٩	٣١ ، ١٦
١٦	الأحزاب	٣٣	٧
١٧	الصفات	٣٧	١٠٩ ، ١٠٤ ، ٨٣
١٨	ص	٣٨	٤٥
١٩	الشورى	٤٢	١٣
٢٠	الزخرف	٤٣	٢٦
٢١	الذاريات	٥١	٢٤
٢٢	النجم	٥٣	٢٧
٢٣	الحديد	٥٧	٢٦
٢٤	المتحنة	٦٠	٤
٢٥	الأعلى	٨٧	١٩

ص ٨-٩

٢- ويكنى إبراهيم -عليه السلام- أبا الضيفان ، قيل إنه ولد بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون ، والصحيح أنه ولد ببابل من أرض الكلدانيين ، وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء مُعيناً لابن أخيه لوط -عليه السلام-. ص ١٢

٣- ثم إن إبراهيم -عليه السلام- رجع إلى الأرض المقدسة التي كان فيها ومعه أنعام وعبيد ومال كثير، وصحبته هاجر القبطية المصرية ، وكانت زوجته سارة

عاقراً لا يولد لها فقالت لإبراهيم: إن الله قد أحرمني الولد؛ فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقك منها ولداً، فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم -عليه السلام- فحملت منه ثم وضعت إسماعيل -عليه السلام- ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، وذلك قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة، ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة فخرّ لله ساجداً. ص ١٣

٤- ولقد ابتلى إبراهيم -صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين- بثلاث مصائب كل واحدة أكبر من أختها:

**الأولى:** أراد ذلك الجبار الكافر اغتصاب زوجته سارة، فعصمها الله -تعالى- منه فرجعت إليه طاهرة نقية منصورّة إكراماً له -عليه السلام- فإنه كان يحبها حباً شديداً لدينها، وقرابتها منه، وحسنها الباهر.

**الثانية:** أمره الله -عز وجل- بذبح ولده فاستسلم لأمر الله هو وابنه، فحين أضجعه كما تضجع الذبائح، وأمر السكين على حلقه لم تقطع شيئاً، فعند ذلك فداه الله -تعالى- برحمته بكبش أبيض أعين أقرن قد رعى في الجنة أربعين خريفاً هبط عليه من ثبير وله ثغاء<sup>(١)</sup> فذبحه بمنى؛ فهذا البلاء المبين، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم.

**الثالثة:** إلقاءه في النار بسبب مناظرته لأهل بابل الذين كانوا يعبدون الأصنام، وقد كانت مناظرة عقلية مفحمة انتصر بها عليهم حتى رجعوا إلى أنفسهم، وقالوا:

١- الثغاء: صوت الشاة والمعز وما شاكلهما، والثاغية: الشاة، والراغية: البعير.

قال في مختار الصحاح، وثبير: جبل بين مكة ومنى، ويرى من منى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة، قاله في المصباح المنير.

إنكم أنتم الظالمون، ثم انقلبوا فقالوا: إنا وجدنا آباءنا لها عابدين، ثم أجمعوا على إحراقه بالنار فرموه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً لم يمسه سوء، بل كان على أحسن حال مدة إقامته فيها، والقصة المذكورة في القرآن العظيم. ص ١٣-١٤

٥- وكذلك وقع لإبراهيم -عليه السلام- كثير من الأمور العظيمة المدهشة، منها:

أ- مناظرته مع نمرود المذكورة في القرآن حيث يقول الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾ البقرة: ٢٥٨.

ب- طلبه من الله -تعالى- أن يريه كيف يحيي الموتى كما هو صريح في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ البقرة: ٢٦٠.

ج- أنه أول من عمر مكة، وأسكن فيها من ذريته، وبنى بها الكعبة المعظمة؛ قال الله -عز شأنه-: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٦-٢٧. ص ١٤-١٥

٦- توفي إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- عن مائة وخمس وسبعين سنة، وقيل: وتسعين سنة، وقيل: عاش مائتي سنة، وتولى دفنه إسماعيل وإسحاق -عليهم الصلاة والسلام- ودفن عند امرأته سارة، وكانت توفيت قبله بقرية (حبرون) بفتح الحاء المهملة ثم موحدة ساكنة، وهي البلدة المعروفة بالخليل اليوم، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة، فحزن عليها إبراهيم



واشترى من رجل من بني حيث، يقال له عفرون بن صخر مغارة بأربعمائة مثقال ودفن فيها سارة هنالك. ص ١٥

٧- وكان إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يشبه نبينا محمداً ﷺ كما ورد ذلك صريحاً في بعض الأحاديث المذكورة في صحيح مسلم، وأن إبراهيم -عليه السلام- أول من أضاف الضيف، وأول من رأى الشيب، وأول من قص شاربه، وأول من اختتن، وأول من استحدّ، وأول من لبس السراويل.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: الإسلام ثلاثون سهماً، وما ابتلي أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، قال الله -تعالى-: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: ٣٧) فكتب الله له براءة من النار.

وعن ابن عباس -أيضاً- في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (البقرة: ١٢٤) قال ابتلاه الله -عز وجل- بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد: في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس؛ وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، والحُتَن، وتنف الإبط، وغسل أثر الغائط، والبول بالماء. -هـ من تاريخ الطبري. ص ١٥-١٦

٨- كانت صحف إبراهيم أمثالاً، ولم نعثر مع الأسف الشديد في المراجع التي اطلعنا عليها، والمؤلفات التي رجعنا إليها، واقتبسنا منها على هذه الأمثال كلها؛ وكم كنا نود أن نقرأ ويقرأ الناس صحف إبراهيم، لكن شاء الله أن تحتفي تلك الصحف عن الأنظار؛ لتقادم العهد، وأن تصبح في غير متناول الأيدي. ص ١٨

٩- ولم يرو الرواة من هذه الصحف غير مثالين فقط من تلك الأمثال، وما

أظن مؤرخاً أو راوياً جاء بالأمثال كلها وفي ما يلي نص المثالين :

أ- أيها الملك المغرور المبتلى إني لم أبعثك لتجمع بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم؛ فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

ب- على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، ويتفكر في صنع الله ، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال لا من الحرام في المطعوم والمشروب وغيرهما . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه ، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . ص ١٨

١٠- بُنيت الكعبة المعظمة إحدى عشرة مرة : بنتها . (١) الملائكة . (٢) ثم آدم . (٣) ثم شيث . (٤) ثم إبراهيم . (٥) ثم العمالقة . (٦) ثم جرهم . (٧) ثم قصي . (٨) ثم قريش . (٩) ثم عبدالله بن الزبير . (١٠) ثم الحجاج . (١١) ثم السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان ، وذلك سنة أربعين وألف هجرية ، وقد نظم بعضهم أسماء هؤلاء فقال :

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم	ورثتهم حسب الذي أخبر الثقه
ملائكة الرحمن، آدم، ابنه	كذلك خليل الله، ثم العمالقه
وجرهم، يتلوهم قصي، قريشهم	كذا ابن الزبير، ثم حجاج لاحقته
ومن بعدهم من آل عثمان قد بنى	«مراد» حماه الله من كل طارقه

ص ٣٣

١١- مقاييس الكعبة وحدود المطاف :

لقد قمنا في شهر رجب عام ١٣٦٧هـ بأخذ أقيسة الكعبة ، وما حولها من

المطاف ما عدا ارتفاعها من سطحها للأرض؛ فإننا لم نتمكن من أخذ قياسه، وإنما ذكره إبراهيم رفعت باشا رحمه الله في كتابه مرآة الحرمين، ولم نر من تعرض قبلنا لحدود المطاف بالمتراً، وإليك بيان كل ذلك في هذا الجدول:

بيان بارتفاع الكعبة وطولها، وحدود المطاف	٢	٤
مقدار ارتفاع الكعبة من الأرض للسماء «كما ذكره صاحب مرآة الحرمين»	١٥	٠٠
مقدار طول الكعبة المعظمة من الجهة الشرقية التي بها الباب «من غير الشاذروان».	١١	٥٨
مقدار طولها من الجهة الغربية «من غير الشاذروان».	١١	٩٣
مقدار طولها من الجهة الشامية أي من جهة حجر إسماعيل «من غير الشاذروان».	١٠	٢٢
مقدار طولها من الجهة اليمانية أي ما بين الركنين «من غير الشاذروان».	١٠	١٣
مقدار ارتفاع الحجر الأسود عن الأرض (بحيث يمكن لكل إنسان تقبيله بسهولة).	١	٥٠
مقدار ارتفاع باب الكعبة عن الأرض.	٢	٠٠
مقدار طول بابها.	٢	٠٠
مقدار فتحة حجر إسماعيل من الجهة الشرقية.	٢	٦٥
مقدار فتحة حجر إسماعيل من الجهة الغربية.	٢	٥٨

طول ما بين ميزاب الكعبة إلى وسط جدار حجر إسماعيل .	٨	٣٦
طول ما بين شاذروان الكعبة من الجهة الشرقية إلى شبك مقام إبراهيم .	١١	١٠
طول ما بين جدار حجر إسماعيل من وسطه من الجهة الشامية إلى دائر المطاف الذي أمام المقام الحنفي .	١٢	٠٠
طول ما بين شاذروان الكعبة من وسط جدار الجهة اليمانية إلى دائر المطاف الذي أمام المقام الحنبلي .	١٥	٨٠
طول ما بين شاذروان الكعبة من وسط جدار الجهة الغربية إلى دائر المطاف الذي أمام المقام المالكي .	١٥	٨٠

ص ٤٩

١٢- وكان السلطان مراد رحمه الله كثير الإحسان لأهل الحرمين ، وأمر مصر وغيرها من الجهات بإجراء حبوبهم ، وإرسال غلات أوقافهم ، وكان يحثهم بذلك على الدوام .

وكان -أيضاً- كثير الالتفات إلى أخبار الرعية مطلقاً ، وكان كثير البحث عن أحوال ولاية البلدان لا يغفل عنهم بحيث صار الولاية لا يجاوزون حداً .

وفي زمانه وقع السيل العظيم بمكة المشرفة سنة تسع وثلاثين وألف ودخل المسجد الحرام ، وبسببه انهدمت الكعبة المعظمة ، فقام بتعميرها وبنائها السلطان مراد ، وهذا من أعظم مناقبه وأفخر أعماله ، وهو الذي أمر بإبطال القهاوي في جميع ممالكه ، ومنع شرب الدخان ، واستعمال النشوق ، وكان يجازي على ذلك ٥٦-٥٧

١٣- ولقد خصَّ الله -تعالى- بيته الحرام بالمهابة والتعظيم ، والإجلال والتكريم ، وأحاطه بالأسرار القدسية ، والأنوار الإلهية ، يقف عنده الزائر خاشعاً خاضعاً ، ويطوف به الجبار ذليلاً متواضعاً ، ويقوم لديه المذنب منكسراً باكياً ، ويبتهل المضطر إلى الله أمامه راجياً داعياً ، فعندها تستجاب الدعوات ، وتقال العثرات ، وتسكب العبرات. ص ٦١

١٤- بمكة حَمَامٌ مملوكٌ ، وَحَمَامٌ غير مملوك: أما الأول فأجناس مختلفة وأشكال متباينة يقتنيه الناس كما في البلدان الأخرى.

وأما الثاني فهو حمام الحرم الذي نعقد له هذا الفصل ، وله شكل خاص ، وخلقة لا تتغير ولا تتبدل ، ولونه واحد لا يختلف ، فمن رأسه إلى رقبته شديد الزرقة والبروق ، وطرف جناحيه وذنبه أسود ، وباقيه أزرق يضرب إلى البياض ، وفي جناحيه مما يلي ذنبه خطان أسودان لا يوجدان في غير حمام الحرم فهما له بمثابة (ماركة مسجلة) وشارة خاصة ، ويقال لحمام الحرم حمام مكة ، وحمام رب البيت ، وهو منتشر بالحجاز ، وبالأخص بمكة المشرفة؛ فإنها تكاد تكون موطنه ومنبعه.

أما في غير الحجاز فقد يوجد بها نادراً ، فقد رأينا منه بمصر قليلاً يسمونه الحمام البري ، ورأينا منه في بلد الموصل بالعراق ، وهو في غير مكة لا يأوي كثيراً إلى المساجد ، وإنما يكون مملوكاً ، ويقال: إنه يوجد في بعض جهات الهند من هذا الحمام بعضه مملوك ، وبعضه وحشي يصاد. ص ٩٨

١٥- ولقد تكلم بعضهم عن بدء وجود هذا الحمام بمكة ، ولكن نرى أن كل ما ذكره إنما هو من باب الخدس والتخمين؛ فإن الكلام عن بدء وجود أي

حيوان لا بدّ من استناده إلى دليل قاطع ، وبرهان ساطع؛ حتى لا يتطرق الشك والاحتمال إليه.

نعم يمكننا أن نقول: إن الحمام مطلقاً كان موجوداً بمكة أيام الجاهلية. أما كون حمام الحرم متى نشأ بمكة؟ أو متى جاء إليها؟ وهل هو من نسل الحمامتين التي عشّشتا على غار ثور حينما اختبأ فيه رسول الله ﷺ مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟ فكل ذلك لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى -.

ولما كان الدين الإسلامي الحنيف منع الصيد في الحرم صار هذا الحمام لا يخاف من الناس بل يقرب منهم ، وربما وقع على رأس بعضهم أو كتفه إذا كان في يديه حبّ يلقيه إليه ، وكان ابن عمر يغشاه الحمام على رحله وطعامه وثيابه ما يطرده ، وإن رجلاً قال لعطاء : أجعل بيضة دجاجة تحت حمام مكة؟ قال : لا؛ أخشى أن يضر ذلك بيضها ، وقتل غلام من قريش حمامة من حمام الحرم فقال ابن عباس : فيها شاة.

فهذا مما جعل حمام مكة لا يستوحش من الناس ، ويا ليتته ابتعد عنهم بُعد الصقر والغراب؛ فقد تضرروا منه ضرراً بليغاً؛ فإنه يدخل عليهم في منازلهم ، ويقع على طعامهم ، ويلوث بذرقه الأرض والفراش ، وكلما طرده رجع إليهم ما دام يرى عندهم ما يؤكل ، وهو يرى كثيراً في طريق مكة وجدة ، حيث يركب فوق الجمال المحملة بالحنطة والحبوب ، ويحرق أكياسها بمنقاره القوي ، ولا يطير من فوقها حتى يشبع. ص ٩٨-٩٩

١٦- وقد لاحظنا على حمام الحرم بمكة فقط ، جملة أمور ، منها :

أ- أن حمام الحرم لا يألف حماماً من غير جنسه، ولا يتزاوج منه إلا إذا حبس شخص حمامة من حمام الحرم وحمامة من غيره في قفص مدة طويلة، وهذا نادر جداً.

ب- حمام الحرم يشارك الحمام المملوك في أكله وشربه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً، بخلاف العكس.

ج- حمام الحرم أشد نهماً، وأكثر أكلاً من الحمام الآخر، وإذا طرد حين يأكل فلا يطير سريعاً، ويرجع حالاً إذا طار.

د- حمام الحرم أعظم نشاطاً، وأسرع حركة من الحمام المملوك سواء في طيرانه، وحدة نظره، وخصامه مع جنسه، وانقضاضه لالتقاط الحبوب؛ فلا تفوته الفرصة قط.

هـ- إذا نثر أحد حبوباً في المسجد الحرام أو في أي مكان تجد حمام الحرم يسقط لالتقاطها بالآلاف من غير عدد، ولا تجد بينها حمامة واحدة من غير جنسه.

و- إذا نثر شخص حبوباً أياماً متوالية في مكان مخصوص وفي وقت معلوم فإن حمام الحرم يأتي إلى ذلك المكان في نفس الوقت المحدد على الدوام.

ز- حمام الحرم إذا بنى عشه لبيضه وفراخه لا يبنيه في الخرابات والجبال، وإنما يبنيه في وسط العمران ومنازل الناس، وفوق الأبواب والطاقت وبين الفجوات.

ح- حمام الحرم له شكل خاص، وخلقة ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل على مر السنين والأعوام، كما ذكرنا ذلك في أول الكلام.

ط- بهذه الأمور يمتاز حمام الحرم عن غيره، ويشترك معه في الصفات الخاصة

بمطلق الحمام، كاتخاذ زوجة واحدة، وغيرته على أنثاه، وهيامه بها، وشوقه وحنينه إليها،... إلخ. ص ٩٩

١٧- غالب الناس يظن أن حمام مكة لا يعلو الكعبة المشرفة حرمة لها، وإن وقع عليها فإنما ذلك للاستشفاء من مرض أصابه.

فهذا الظن في غير محله؛ لأن حمام الحرم قد يقع على الكعبة في النادر كما نشاهده؛ أما غيره من الحمام الأبيض فلا يقع على الكعبة مطلقاً، بل لا يأتي المسجد الحرام على سعته.

والسبب في عدم وقوع الحمام على الكعبة المعظمة بكثرة ما يأتي :

أ- أن الحمام يتطلب العلو، والكعبة المشرفة بالنسبة لما حولها من البيوت قصيرة.

ب- جميع الطيور من حمام أو غيره لا يحب الجلوس على سطح مستو ناعم مفروش بالرخام إلا إذا كان فوقه حب فيأكله ويطير، وإنما يحب الجلوس على ما برز من الأخشاب، والأعواد، والحجارة، والشرفات، والأغصان، والحبال الممدودة، وغيرها من كل ما يمكنه أن يستمسك عليه بمخلبه كما يحب المشي والوقوف على التراب.

والكعبة ليس بها شيء بارز يستمسك عليه، بل إنها مغطاة بالكسوة الحريرية، وسطحها صغير مفروش بالرخام الأملس معرض لحرارة الشمس المحرقة، وليس عليه حبوب، حتى يلتقطها الحمام أما ميزابها فالحمام يقع عليه أحياناً لبروزه.

ج - الحمام من طبعه أن يدخل في كل فجوة وفي كل خرق بين الشبايك



والجدران ، وليس في الكعبة شيء من ذلك يجلب الحمام. ص ١٠٠-١٠١  
 ١٨- وأما قولهم إذا شاهدوا حمامة فوق الكعبة : إنها ما وقعت عليها إلا للاستشفاء فهو غير صحيح وغير معقول لما يأتي :

أ- أن جميع الحيوانات لا يعقلون ، فكيف نسند إليهم طلب الاستشفاء؟  
 وأيضاً إنهم غير مكلفين ، فكيف نقول : إن الحمام لا يعلو الكعبة حرمة لها؟  
 ثم من أين لنا أن نحكم بذلك ، ونحن لا نفهم لغتها ، وهي لا تفهم لغتنا.  
 ب- لو كان وقوع الحمامة فوق الكعبة للاستشفاء يكون معناه أنها عرفت قدسية الكعبة ، وشرف المكان؛ فكيف إذن ترمي ذرقها عليها وعلى كسوتها وعلى أرض المسجد الحرام؟

ج- لو كانت الحيوانات تعرف حرمة الكعبة فكيف إذن كانت القطط تصيد الحمام من المسجد ، ثم تدخل في جوف الكعبة فتأكله ، وتتلوث أرضيتها الطاهرة بدمه وريشه ، وذلك حينما هدمها السيل سنة ١٠٣٩ هجرية ، وقبل أن يشرع السلطان مراد في عمارتها ، وقبل أن يجعل أمير مكة يومئذ ستارة من الخشب وغيره حول ما سقط من البيت الشريف مؤقتاً إلى أن تتم عمارته ، كما ذكره الغازي في تاريخ إفادة الأنام نقلاً عن رسالة للشيخ محمد علي بن علان الصديقي الشافعي في عمارة البيت الحرام؟

ولقد روى الإمام الأزرقى : أن الحمام كان يقع على الكعبة فتتناثر حجارتها ، وذلك حينما احترقت أيام ابن الزبير-رضي الله عنهما-.

فعلم مما ذكرناه أن ما يشاع لدى الناس : بأن حمام الحرم لا يعلو الكعبة

المشرفة، وإن علاها فإنما هو للاستشفاء وهُمْ لا حقيقة له، ودعوى لا دليل عليها. ص ١٠١

١٩- لم يتخذ الحمام المسجد الحرام مسكنه ومأواه في صدر الإسلام؛ حيث كان صغيراً، ولم يكن له سور ولا سقف، أما الآن ففي المسجد الحرام من الحمام ما لا يحصى ولا يعد؛ لاتساعه العظيم، ولكثرة ما فيه من الأروقة، والشرفات البارزة، والأعواد الممدودة، والفجوات العديدة.

والذي يغلب على الظن أن الحمام لم يستوطن المسجد الحرام إلا في عهد الدولة العثمانية حيث إنها خصصت له كل عام كمية كبيرة من الحبوب تنثره في أرض المسجد، ولا يزال الناس إلى اليوم يرمون له الحبوب فيه خصوصاً الحجاج، فأصبح المسجد الحرام مرعى خصباً للحمام فيه الأمن، والطعام، والماء، والسكن.

ومن المؤلم حقاً أن نرى هذا المسجد الأعظم الذي هو أفضل المساجد على الإطلاق، والذي فيه أول بيت وضع للناس، وفيه آيات بينات مقام إبراهيم - ملوثاً بذرق هذا الحمام، ومستقذراً بخرئه النجس في بعض المذاهب، حتى كاد أن يتعذر فيه المشي والصلاة، فتضايق منه الناس، وقد ينبعث من المسجد رائحة كريهة بسبب خرئه إذا جاء مطر قليل. ص ١٠١-١٠٢

٢٠- قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة: ١٢٥، قال بعضهم عند هذه الآية: يحتمل أن تكون من تبعية أو زائدة في الإثبات على مذهب الأخفش، أو بمعنى في،

وكل بعيد؛ والأقرب أنها بمعنى عند الله.

والمقام هو بفتح الميم من قام يقوم: موضع القيام، وأما المقام بالضم فهو من أقام يقيم.

واختلفوا في المراد بالمقام فقليل: المسجد كله مقام إبراهيم، وقيل الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: جميع مشاهد الحج كمنى ومزدلفة وعرفة، وقيل: المقام هو الحجر الذي وضعت زوجته إسماعيل تحت قدم إبراهيم -عليه السلام- حين غسلت رأسه،

وقيل: مقام إبراهيم هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم -عليه السلام- عند بناء الكعبة، وكان يرتفع به كلما ارتفع البناء<sup>(١)</sup> وإلى هذا أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله:

وكلما طال البناء ارتفعوا	به المقام في الهوا ورفعا
به القواعد وفيه قدم	تشبهها للهاشمي قدم
وحين بالحج الخليل أذنا	وفي كلاً أذنيه أصبعا ثنى
أيضاً كأطوال الجبال ارتفعوا	به وكل من يحج أسمعا

فهذا القول الأخير هو الصحيح المعول عليه؛ حيث يفهم من الآية أنه مقام مخصوص، وذلك بالنظر إلى الأمر بالصلاة عنده؛ أما بالنظر إلى معناه اللغوي فإنه يصدق بجميع الأماكن التي قام عليها إبراهيم -عليه السلام- ومن تأمل قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ

١- ارتفاع المقام بإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- عند بناء الكعبة وحين أذانه بالحج كان من معجزاته ﷺ فلا غرابة في ذلك.

آيَاتُ بَيِّنَاتٍ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴿ آل عمران : ٩٦-٩٧ وقوله -تعالى- : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة : ١٢٥ ظهر له ذلك جلياً .

ويؤيد صحة هذا القول الأخير : ما حدث جابر عن حجة النبي ﷺ قال : « لما طاف النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له عمر : هذا مقام أبينا؟ قال : نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلي؟ فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . » .  
وفي رواية : « أن رسول الله ﷺ مرّ بالمقام ومعه عمر ، فقال : يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال : بلى ؛ قال : أفلا نتخذه مصلي؟ قال : لم أؤمر بذلك ، فلم تغب الشمس حتى نزلت الآية » .

وفي البخاري عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : « وافقت ربي في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلي ، فنزلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ... إلخ » الحديث .  
وعن جابر أنه قال : « استلم رسول الله ﷺ الركن ، فرمل ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين » .

قال ابن كثير في تفسيره : وهذه قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن إسماعيل . ص ١٠٥-١٠٦

٢١- فالخلاصة : أن مقام إبراهيم -عليه السلام- هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء البيت الحرام لما ارتفع جداره ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة؛ فيضعها بيده وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف

عليه حتى انتهى إلى وجه البيت. ص ١٠٦

٢٢- ولقد كان من معجزات إبراهيم -عليه السلام- أن صار الحجر تحت قدميه رطباً فغاصت فيه قدماه ، وقد بقي أثر قدميه ظاهراً فيه من ذلك العصر إلى يومنا هذا وإن تغير عن هيئته الأصلية بمسح الناس بأيديهم قبل وضع الحجر في المقصورة النحاسية ، والعرب تعرف ذلك في جاهليتها ، قال أبو طالب<sup>(١)</sup> في قصيدته اللامية المشهورة :

وراق لبرّ في حراء ونازل	وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه
وبالله إن الله ليس بغافل	وبالبيت حق البيت من بطن مكة
إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل	وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه
على قدميه حافياً غير ناعل	وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة

ص ١٠٦-١٠٧

٢٣- ومما هو جدير بالذكر والالتفات : أن العرب في جاهليتها مع عبادتهم الأحجار ، وبالأخص حجارة مكة والحرم - لم يسمع عنهم أن أحداً عبد الحجر الأسود ، أو حجر المقام مع عظيم احترامهم لهما ، ومحافظتهم عليهما . ولقد تأملنا في سر ذلك وسببه ، فظهر لنا أن ذلك من عصمة الله -تعالى- فإنهما لو عبدا من دون الله في الجاهلية ، ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود ، والصلاة خلف المقام - لقال المنافقون وأعداء الدين : إن الإسلام

١- أبو طالب : هو عم النبي ﷺ ، وله قصيدة لامية مشهورة قالها حين تحالفت قريش على بني

هاشم في أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- وأول هذه القصيدة :

ولما رأيت القوم لا ودّ عندهم      وقد قطعوا كل العرى والوصائل

أقر احترام بعض الأصنام ، وأنه لم يخلص من شائبة الشرك ، ولتمسك بعبادتهما من كان يعبد أحدهما من قبل؛ فلهذا حفظ الله -تعالى- هذين الحجريين الكريمين من أيام إبراهيم -عليه السلام- إلى يوم القيامة من عبادة أهل الجاهلية لهما ، كما حفظ بيته الحرام من عبادتهما -أيضاً- ولا يخفى أن هذه نقطة دقيقة لا يتنبه لها كل أحد. ص ١٠٧

#### ٢٤- صفة المقام :

- كنا نعتقد أن مقام إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- الموجود في باطن الصندوق الخشبي ، والمغطى بستارة حريرية مكتوبة ومنقوشة ، والذي يحيط بجوانبه الأربع شباك من الحديد المضروب باللون الأخضر المقابل لباب الكعبة المعظمة -هو حجر كبير لا يمكن أن يحمله أقل من خمسة رجال تقريباً ، وكنا نظن أن ما بقي من أثر قدمي خليل الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- شيء يسير بقدر ما يظهر أقدام الإنسان في الأرض الترابية.

ولكن جاء الأمر بعكس ما كنا نعتقد ونظنه بعد مشاهدتنا له برؤية العين في السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين هجرية كما سنين ذلك.. ص ١٠٨

- إننا لما شرعنا في تأليف كتابنا هذا عن مقام إبراهيم -عليه السلام- وما كان أحد سبقنا إلى مثله من قبل -حَصَلَتْ عندنا رغبةٌ شديدة وميل عظيم إلى مشاهدة نفس المقام الكريم ، فالتمسنا فتح مقصورة المقام لنا من حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير المعظم سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن

الفيصل - حفظه الله - ، فصدر أمر سموه الكريم بفتح مقصورة مقام إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- الذي هو أمام الكعبة المشرفة للنظر إليه ونكتب عنه الحقيقة بالتفصيل التام خدمة للدين والعلم؛ ليعرف المسلمون حقيقة المقام الكريم الذي هو مستور عن أعينهم فنقول : إنه في صباح يوم الأحد السابع والعشرين من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين هجرية جاء إلى المسجد الحرام السادن الثاني لبيت الله المعظم صاحب السعادة الشيخ عبدالله بن المرحوم الشيخ عبدالقادر الشيبني صحبة ابنه الفاضل الشيخ عبدالعزيز؛ لغسل الكعبة المشرفة حسب العادة ، ولفتح مقام إبراهيم -عليه السلام- لنا ، فدخلنا أولاً بيت الله الحرام ، وتشرفنا بغسل داخله بالزمزم بعطر ، وكان معنا صاحب السعادة الشيخ محمد صالح قزاز بن المرحوم عبدالرحمن قزاز مدير شؤون الحج ، وحضرات الأفاضل الكرام السيد هاشم نائب الحرم رئيس مجلس إدارة الحرم ، والشيخ عمر عبدالجبار رئيس شرطة الحرم ، والشيخ صالح باخظمة رئيس القسم الإداري بالأمن العام ، والسيد عبدالله ابن المرحوم السيد محمد علي الدباغ ، والشيخ عبدالله بن الشيخ أحمد الباز ، وبعض الخدمة الخاصة ، ثم بعد انتهائنا من غسل الكعبة المعظمة توجه بنا سادنها سعادة الشيخ عبدالله الشيبني المذكور إلى مقصورة مقام إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ففتحها بحضور مندوب رئاسة القضاء الشيخ عبدالعزيز العقيلي ، وحضور الشيخ عبدالله بن المرحوم الشيخ أمين ميرداد ، وحضور الجماعة المذكورين ، وحضور جمع غفير من أهل مكة والحجاج القادمين إليها .

وبعد تنظيف المقام من الأتربة والغبار دخلت أنا محمد طاهر الكردي المكي

الخطاط مؤلف هذا الكتاب إلى داخل الصندوق الذي فيه نفس حجر مقام إبراهيم -عليه السلام- لإجراء البحث الدقيق عليه ، ومكثت في داخل الصندوق نحو ساعة ونصف أي تسعين دقيقة تقريباً وحجر المقام الشريف بهيئته بين يديّ ، ثم طلبت من صديقنا الشيخ عمر عبد الجبار المذكور أن يجلس بجانبني داخل الصندوق؛ ليساعدني في مسك الأوراق وضبط القياسات ، فجلس بجواري ملتصقاً بي لضيق الصندوق ، وقد جلس أماناً جَمْعٌ كثير ومن ذكرنا أسماءهم يشاهدون أبحاثنا الدقيقة حول المقام الكريم.

وإليكم بيان ذلك بالتفصيل التام والتحقيق الكامل بتوفيق الله -تعالى- :  
لقد وجدنا حجر مقام إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- مثبتاً فوق قاعدة صغيرة من الرخام المرمر بقدر قياس نفس المقام الشريف طولاً وعرضاً.  
وأما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتيمتراً ، وقد استمسك المقام بهذه القاعدة بوساطة الفضة التي تحيط بنفس المقام مع جزء من هذه القاعدة ، حتى صار المقام ثابتاً فيها ثبوتاً قوياً بحيث لا يمكن تحريكه قط.

ثم إن هذه القاعدة الصغيرة ثابتة ثبوتاً محكماً جداً في وسط قاعدة كبيرة من الرخام المرمر -أيضاً- تشبه الدكة طول ضلعها من جميع الجهات متر واحد ، وارتفاعها من الأرض ستة وثلاثون سنتيمتراً ولون الرخامتين أبيض.

ويحيط بهذه القاعدة الكبيرة صندوق من الخشب كهيئة الهرم الرباعي ارتفاعه نحو القامة ، ليس به منافذ مطلقاً سوى الباب الذي يرى منه المقام الكريم ، وهو في الجهة الشرقية ، وهذا الصندوق ملبس كله من الظاهر بصفائح الفضة مكتوب



عليه من الجهة الشرقية فقط ما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية - إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» .  
كتبه الحافظ إسماعيل الزهدي ادرنوى خوجه ، كتبه عام ألف ومائتين وثمان وعشرين .

وباب الصندوق مصفح من الظاهر بالفضة -أيضاً- وقد كتب عليه هذه العبارة: صاحب الخيرات والحسنات سلطان البرين وفتاح الحرمين الغازي السلطان محمود خان بن عبد الحميد خان دام ملكه سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين هجرية .  
والذي يظهر لنا من هذه العبارة: أن الذي أمر بتلييس هذا الصندوق بصفائح الفضة هو السلطان محمود خان المذكور ، وأما الصندوق من الداخل فهو خشب عادي بلونه الطبيعي لا أثر فيه لكتابة أو نقش .

وهذا الصندوق مغطى كله من قمته إلى الأرض بكسوة من الحرير مكتوب فيها بعض آيات قرآنية كتبها مؤلف هذا الكتاب سنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين ، وصنعت بدار الكسوة بمكة المشرفة في السنة المذكورة ، ومن هذه السنة إلى الآن لم تغير الكسوة؛ ثم يحيط بهذا الصندوق الشباك الحديد المضروب باللون الأخضر من الجهات الأربع .

أما مقام إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: فهو حجر لونه ما بين الصفرة والحمرة ، وهو إلى البياض أقرب ، ويمكن أن يحمله أضعف الرجال وهو حجر

ليس بصوان<sup>(١)</sup>.

وأما حجم حجر المقام الكريم : فهو يشبه المكعب ، ارتفاعه عشرون سنتيمتراً ، وطول كل ضلع من أضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ستة وثلاثون سنتيمتراً وطول ضلعه الرابع ثمانية وثلاثون سنتيمتراً ، فيكون مقدار محيطه من جهة السطح مائة وستة وأربعين سنتيمتراً.

وأسفل المقام أوسع بقليل من أعلاه ، فيكون مقدار محيطه من جهة القاعدة نحو : مائة وخمسين سنتيمتراً.

وفي هذا الحجر الشريف غاصت قدما خليل الله -تعالى- سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- مقداراً كبيراً إلى نصف ارتفاع الحجر ، فعمق إحدى القدمين عشرة سنتيمترات ، وعمق الثانية تسعة سنتيمترات ، ولم نشاهد أثراً لأصابع القدمين مطلقاً ، فقد انحنى من طول الزمن ومسح الناس بأيديهم ، وأما موضع العقبين : فلا يتضح إلا لمن دقق النظر وتأمل ، وحافة القدمين الملبستين بالفضة أوسع من بطنها من كثرة مسح الناس بأيديهم.

١ - روى الإمام الأزرقي في الجزء الثاني من تاريخه صحيفة ٢٨ أن أمير المؤمنين المهدي حج سنة ستين ومائة فنزل دار الندوة ، فجاء عبيد الله بن عثمان بن إبراهيم الحجي بالمقام مقام إبراهيم في ساعة خالية نصف النهار مشتملاً عليه ، فقال للحاجب ائذن لي على أمير المؤمنين ؛ فإن معي شيئاً لم يدخل به على أحد قبله وهو يسر أمير المؤمنين فأدخله عليه ، فكشف عن المقام فسر بذلك وتمسح به ، وسكب فيه ماءً ، ثم شربه ، وقال له : اخرج وأرسل إلى بعض أهله ، فشربوا منه ، وتمسحوا به ، ثم أدخل ؛ فاحتمله وردة مكانه وأمر له بجوائز عظيمة ، وأقطعه خيفاً بنحلة يقال له ذات القوبع ، فباعه من منيرة مولاة المهدي بعد ذلك بسبعة آلاف دينار. -هـ-

وطول كل واحدة من القدمين من سطح الحجر والفضة سبعة وعشرون سنتيمتراً، وعرض كل واحدة منهما أربعة عشر سنتيمتراً، أما قياسهما من باطن القدمين من أسفل الفضة النازلة فيهما، فطول كل واحدة منهما اثنان وعشرون سنتيمتراً، وعرض كل واحدة منهما أحد عشر سنتيمتراً.

وما بين القدمين فاصل مستدق نحو سنتيمتر واحد، وقد استدق هذا الفاصل من أثر مسح الناس له بأيديهم للتبرك، وكذلك اتسع طول القدمين وعرضهما من أعلاهما بسبب المسح -أيضاً- ومع أنه قد مر على حجر المقام الشريف أكثر من أربعة آلاف سنة فإن معالمه وهيئة القدمين واضحة بينة لم تتغير ولم تبدل، وتبقى كذلك إلى يوم القيامة، مصداقاً لقوله -تعالى-: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وحجر المقام كله ملبس بالفضة الخالصة، فلا تظهر حقيقة الحجر إلا من باطن حفرة القدمين وجوانبهما، وإن باطنهما غير مستو، بل فيهما بعض نتوءات صغيرة، وقد كتب على الفضة حول القدمين من سطح المقام آية الكرسي بخط الثلث الواضح الجميل، وكتب عليه من الجوانب بخط الثلث -أيضاً- ما يأتي: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ثم كتب بعد ذلك: «أمر بتجديد صحيفة القدم الشريف ابتغاء لمرضاة الله -تعالى- ومحبة لصاحبه مولانا السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان دام عزه ونصره سنة ١١١٣ سنة ألف ومائة وثلاثة عشر».

ويوجد على الفضة شيء من النقش ، أما ما نزل من الفضة في حفرة القدمين فليس عليه شيء لا من الكتابة ولا من النقش .

ولما كان المقام الشريف ملبساً كله بالفضة ، وثابتاً ثبوتاً قوياً لا يتحرك لم يظهر لنا هل فيه شطب وكسر أم لا ؟ ونحمد الله - تعالى - أن وفق سلاطين المسلمين وملوكهم للعناية والاهتمام بهذا المقام الإبراهيمي الشريف ، ويحق للمسلمين والعرب أن يفخروا بهذا المقام الأثري القديم المقدس . ص ١١٠-١١٤

- والذي نستنتج من رؤيتنا للقدمين الشريفين أن طول سيدنا إبراهيم الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - هو كطول الرجل العادي في زماننا ، لا بالطويل ولا بالقصير ، ولذا كان نبينا محمد يشبه جده إبراهيم - صلى الله وسلم عليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين - .

فقد ورد في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق عند وصف موسى وإبراهيم -عليهما السلام- صريح قول نبينا محمد ﷺ ضمن الأحاديث مراراً ، فمنها قال : « رأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به ... إلخ » ، ومنها : « وأنا أشبه ولد إبراهيم به ... إلخ » ، ومنها : « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ... إلخ » .

ولقد ذكر بعض العلماء : أن قدم نبينا محمد يشبه قدم إبراهيم الخليل - صلوات الله وسلامه عليهما - وإلى ذلك أشار ناظم عمود النسب بقوله :

وكلمة طال البناء ارتفعاً      به المقام في الهوى ورفعا  
به القواعد وفيه القدم      تشبهها للهاشمي قدم

وهو حق لا شك فيه ؛ لما تقدم من الأحاديث الصحيحة ، ولما يدل عليه شكل القدمين اللتين على المقام الكريم .

وكان أبو جهم بن حذيفة القرشي الذي حضر بناء الكعبة المعظمة مرتين: بناء قريش، وبناء ابن الزبير- يقول: ما رأيت شياً كشبه قدم النبي ﷺ بقدم إبراهيم التي كنا نجدوها في المقام. ص ١١٦

٢٥- أرجح الأقوال في موضع المقام:

- لقد ذكرنا هذه الأقوال المتقدمة في موضع المقام بنصها ولفظها من غير تعليق عليها، ثم رأينا أن نأتي هنا بأرجح الأقوال على رأينا، وما نميل إليه، فنقول وبالله العون والتوفيق:

إذا لا حظت ما تقدم عن حدّ المسجد الحرام قديماً وأن مكان البيت كان ربوة مرتفعة عن الأرض ذات الرمال والحصى، وأن إبراهيم -عليه السلام- ما بنى الكعبة بالطين ولا بالحص ولا برصص وإنما رصصها رصصاً ولم يسقفها، وتصورت أن أهل الجاهلية كانوا يجلسون في ظل الكعبة ويقعدون حولها يتذكرون شؤونهم العامة، وأنه لم يكن حينئذ للمسجد الحرام على صغره سور ولا حائط حتى بنى عليه عمر بن الخطاب جداراً قصيراً بعد أن زاد فيه ووسعه - ظهر لك أن أرجح الأقوال المتقدمة وأقربها إلى الصواب هو ما رواه البيهقي في سننه من أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وزمن أبي بكر ماصقاً بالبيت حتى أخره عمر بن الخطاب، وما ذكره -أيضاً- ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بأن المقام كان في عهد إبراهيم -عليه السلام- لزق البيت إلى أن أخره عمر إلى المكان الذي هو فيه الآن، وما قاله -أيضاً- ابن كثير في تفسيره بأن المقام كان ماصقاً بجدار الكعبة قديماً، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر.

وكان الخليل -عليه السلام- لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة ، أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ، وأنه أخره عن جدار الكعبة ، أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ... إلخ كلامه المتقدم وهو كلام حسن جيد للغاية.

وما ذكره ابن كثير -أيضاً- في تفسيره من رواية ابن مردويه أن مقام إبراهيم كان في الكعبة فأخرجه رسول الله ﷺ فألزقه في حائط الكعبة وذلك حينما دخل الكعبة يوم فتح مكة.

ولقد رجحنا هذه الأقوال الأربعة مما تقدم؛ لأن المعقول أن إبراهيم -عليه السلام- لا بد أن يضع الحجر الذي قام عليه في بناء البيت بلزقه وجواره لا أن يضعه بعيداً عن البيت حيثما اتفق وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ومقامه الذي كان يقوم عليه -وأيضاً- لا بد أن الله -تعالى- أمره بحفظه ، وعدم التفريط فيه؛ حيث يأتي في آخر الزمان خاتم النبيين محمد ﷺ فيؤمر هو وأمته بالصلاة عنده وقبلتهم البيت المعظم.

ويؤيد كلامنا هذا ما جاء في الجزء الثاني من تاريخ الأزرقي أن إبراهيم -عليه السلام- قام على المقام حينما أذن في الناس بالحج ، فلما فرغ من التأذين أمر بالمقام فوضعه قبله؛ فكان يصلي إليه مستقبل الباب ثم كان إسماعيل بعد يصلي إليه إلى باب الكعبة... إلخ.

فلدى التأمل في هذه النقطة يظهر جلياً أن إبراهيم -عليه السلام- جعل الحجر الذي قام عليه لبناء الكعبة بلصقها ولا يبعده عنها بمسافة أذرع مخصوصة إلا لسبب وأي سبب لذلك في أيامه -وأيضاً- أن أهل الجاهلية كانوا ألصقوا المقام

بالبیت؛ خيفة السيل بل وضعوه في جوف الكعبة حتى أخرجه رسول الله ﷺ منها، فألزقه في حائطها كما تقدم بيان ذلك، فما الذي يدعو أهل الجاهلية إلى إبعاد ذلك الحجر الأثري المحترم عن الكعبة ووضعه في هذا المحل الذي هو عليه الآن كما في رواية السنجاري المتقدمة ولا أحد منهم يتعبد عنده، بل لو أبعده عن البيت لكان المعنى أنهم لم يعتبروه ولم يحترموا حيث رموه في آخر ساعته عند أبواب بيوتهم المحيطة بالبيت، وكيف يقع ذلك منهم وهم الذين يعتقدون أنه ذلك الحجر المقدس الذي عليه أثر قدمي إبراهيم الخليل -عليه السلام-؟ وقد قال أبو طالب فيه وفي الحجر الأسود.

وبالحجر المسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل  
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل  
فلما جاء الإسلام أكد احترامهما وجعل لهما مغزى خاصاً، ورمزاً تعبدياً، وإن كان الحجر الأسود أعظم حرمة من المقام؛ فإنه يمين الله في الأرض، وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بالحق كما ورد ذلك.

وقد تقدم أن الحجر الأسود والمقام هما من ياقوت الجنة، وفي الأزرقى عن مجاهد أنه قال: يأتي يوم القيامة الركن والمقام كل واحد منهما مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة ١- هـ. ص ١١٩-١٢١

٢٦- زيادة عمر ﷺ في المسجد الحرام:

- لما انتهى عمر بن الخطاب من أمر المقام رأى أن المسجد الحرام لا يسع الناس لكثرة المصلين، فاشترى الدور الملاصقة للمسجد، وأدخلها فيه، وأحاط عليه

جداراً ارتفاعه دون القامة، وجعل فيه أبواباً يدخل الناس منها، لكنه لم يسقفه، وإنما سقفه عبدالله بن الزبير لما زاد في المسجد، ولم يُعَرَفْ مقدارُ ما سقفه هل كله أم بعضه؟

ثم إن عبد الملك بن مروان رفع جدرانه، وعمره عمارة حسنة من غير أن يزيد فيه شيئاً.

ومن أراد الاطلاع على ما وقع من الزيادات في المسجد الحرام فليراجع كتب التاريخ. ص ١٢٣-١٢٤

- ومن اللطائف: أن رجلاً سأل عمر بن القيس عن الحصة يجدها الإنسان في ثوبه أو خفه أو جبهته من حصى المسجد؟ فقال: ارم بها، قال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد، فقال: دعها تصيح حتى ينشق حلقتها، فقال الرجل: سبحان الله، ولها حلق؟ قال: فمن أين تصيح؟. ص ١٢٤-١٢٥

٢٧- رأى عمر بعد فراغه من أمر المقام أن المسجد الحرام وما حوله عرضة لخطر السيول، وأنه لا بدّ من وضع حاجز في وجه الماء يمنع دخوله، فعمل في هذه السنة -أيضاً- الردم بأعلى مكة من جهة المدعى، وبناه بالصفائر<sup>(١)</sup> والصخور العظام، وكبسه بالتراب والأحجار، فلم يَعْلُهُ منها شيء كما ذكره أبو الوليد عن جده.

وفي سنة اثنتين ومائتين جاء سيل ابن حنظلة فكشف عن بعض أحجار ردم عمر، وشوهدت فيه صخور عظيمة، حتى قال بعضهم: ورأينا فيه صخوراً ما

١- الضفيرة: الحائط بينى في وجه الماء، قاله في المصباح المنير.



رأينا مثله، وكان هذا السيل في خلافة المأمون، وعلى مكة يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي، فسمي السيل سيل ابن حنظلة، وكان سيلاً عظيماً أحاط بالكعبة، وبلغ دون الركن بذراع.

فانظر -رحمك الله- إلى قوة ردم عمر رضي الله عنه، ومكته مائتي سنة لا تعلوه السيول، ولا تخربه، مع أنه كبسه بالتراب والأحجار، لا بالحصن والنورة، ولا بالأسمنت والبلاط<sup>(١)</sup> ولا بناه بالآلات الفنية والمقاييس المبتكرة الحديثة، وإنما بناه بإخلاص النية والتقوى على أيدي عمال خير القرون -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-. ص ١٢٥

٢٨- كان المقام في أرض المطاف من أيام إبراهيم -عليه السلام- إلى ما بعد الإسلام معرضاً للتلف من تأثير السيول والأمطار والمس واللمس<sup>(٢)</sup>، فلا بد بمرور هذه الأحقاب الطويلة والعصور البعيدة أن تضعف قوة صلابته، فيصبح رخواً قابلاً للتفتت والتلف خصوصاً وقد أظهر الإسلام فضله، وازدحم الناس لاستلامه، وإن لم يؤمروا بذلك ما لم يحفظ في مكان لا تصل إليه الأيدي؛ لذلك عملت له مقصورة عليها قبة، ووضعت فوق المقام؛ فبذلك صار في حرز مكين مأمون العاقبة.

١- البلاط: بفتح الباء معروف، أما الأسمنت فلم يكن ظهوره إلا في عصرنا، ويسمونه النورة الإفريقية؛ لأنه من مخترعات الإفرنج وهو أنعم من الدقيق، وإذا عجت به الحجارة والحصى، ثم وضعت في قالب فإنه يكون هذا الخليط صلباً شديداً متماسكاً مثل الحديد.

٢- المس واللمس: تقريباً بمعنى واحد إلا أن الفقهاء قالوا: المس لا يكون إلا بباطن الكف بخلاف اللمس فإنه يكون بأي جزء من البدن.

ولقد كان حجر المقام موضوعاً على كرسي ملبس بصفائح الرصاص ، ثم في سنة إحدى وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين محمد المستنصر بالله بإبدال صفائح الرصاص بصفائح فضة ، كما ذكر ذلك الإمام الأزرقي في تاريخه أخبار مكة. ص ١٢٨

٢٩- ولم يعرف بالضبط أول من وضع له تابوتاً ، غير أنه قيل : إن أقرب وقت صنع فيه ذلك سنة عشر وثمانمائة ، بمعنى أنه صنعت للمقام مقصورة ثابتة لا تنتقل ولا تتحرك ، وإلا فقد كانت للمقام قبة قبل هذا التاريخ؛ فقد ذكر ابن جبير الأندلسي في رحلته - وقد حج سنة خمس مائة وثمانية وسبعين للهجرة- صفة المقام ، ثم قال : لموضع المقام قبة مصنوعة من حديد موضوعة إلى جانب زمزم ، فإذا جاءت أشهر الحج ، وكثرت الناس رفعت القبة الخشب ، ووضعت القبة الحديد اهـ. ص ١٢٩

٣٠- أما وضع الكسوة على المقام فالذي يظهر أنه من اختراع دولة آل عثمان؛ فقد كان من عادة سلاطينهم أن يكسوا مقام إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- الذي هو بجوار الكعبة بكسوة سوداء مطرزة بأسلاك الفضة المموهة بالذهب على شكل ستارة باب الكعبة المعظمة ، وتوضع هذه الكسوة على التابوت الخشبي الذي هو داخل الشباك الحديد فوق حجر المقام.

وكانت هذه الكسوة تأتي سنوياً مع كسوة الكعبة من مصر زمن الدولة العثمانية ، وأحياناً كانت تأتي كسوة المقام في كل خمسين سنة مرة ، ثم انقطعت كسوة المقام منذ سنوات عديدة إلى اليوم ، والكسوة التي على المقام الآن هي قديمة لها أكثر من سبعة عشر سنة. ص ١٣٠-١٣١

٣١- على أنه يشترط في مسحهما وتقبيلهما عدم حصول الأذية والضرر، فقد روى الأزرقى في تاريخه أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «يا عمر إنك رجل قوي، وإنك تؤذي الضعيف؛ فإذا رأيت خلوة فاستلمه، وإلا فكبر وامض».

وروى فيه -أيضاً- عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: إذا وجدت على الركن زحاما فلا تؤذ، ولا تؤذ. ص ١٣٥

٣٢- فينبغي للمسلم أن يكون على بصيرة من أمر دينه القويم، وأن يتبع منهج السلف الصالح الذين مشوا على الصراط المستقيم؛ حتى لا يقع فيما يقع فيه العوام والجهلة.

وإذا أمكنه إرشاد أحد بالتي هي أحسن لم يُحرم من الأجر والثواب؛ فالدال على الخير كفاعله.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان باللطف واللين كان أسرع إلى القبول والامتثال، وإذا كان بالعنف والغلظة كان أدعى إلى النفور والعناد، قال الله -تعالى-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥. ص ١٣٥

٣٣- تكلم كثير من العلماء عن الحفرة التي على يمين باب الكعبة المشرفة التي يبلغ طولها ٢٠٦ سنتيمتر، وعرضها ١١٢ سنتيمتر، وعمقها ٢٧ سنتيمتراً. ونأتي هنا بخلاصة شافية نسأل الله الهداية إلى الصواب.

فقد قيل: إنها المعجن، عجن فيها إسماعيل -عليه السلام- الطين لبناء البيت الحرام، فهذا القول غير صحيح وبعيد الاحتمال لأمرين:

**الأول:** أن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- ما بنيا الكعبة المشرفة بالطين ولا بالحصّ، وإنما رضماها رضماً ولم يسقفاها، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «أما والله ما بنياه بقصّة ولا مدر<sup>(١)</sup>، ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه، ولكنهما أعلماه، فطافا به» رواه الأزرقى في تاريخه.

**الثاني:** لو فرض أن إسماعيل كان يعجن الطين للبناء للزم أن يعجنه عند كل جهة من الجهات الأربع للبيت، حتى لا يحمله ويدور حول البيت فيتعب، على أن هذا الموضع صغير لا يكفي لعجن الطين الكثير اللازم لبناء البيت الحرام. فعلم مما ذكرناه بأن ما قيل: إن الحفرة هي معجن إسماعيل -عليه السلام- غير صحيح.

**وقيل:** إن هذه الحفرة هي مصب لغسيل الكعبة قاله ابن جبير في رحلته، فهذا القول لا يطابق الحقيقة والواقع كما هو مشاهد عندنا، ولربما سأل ابن جبير عنها بعض من لا خبرة له فأفهمه ذلك، أو رأى بالمصادفة غسل الكعبة وامتلاء الحفرة من الماء فظنها كذلك، ولو كانت الحفرة لأجل تجمع ماء غسيل الكعبة لكان المعقول أن تجعل عند بابها تحت العتبة.

وبهذه المناسبة نذكر استطراداً أن أول من غسل الكعبة رسول الله ﷺ، فقد روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح أمر بلالاً فرقي على ظهر الكعبة، فأذن بالصلاة، وقام المسلمون، وتجردوا في الأزر، وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم، فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها، فلم

١- القصة بالفتح: الحصّ، والمدر بفتحيتين: الطين أو التراب المتبلد، قاله في المصباح المنير.

يدعوا أثراً من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه -هـ-.

فمن هنا جرت العادة بغسل الكعبة من ذلك التاريخ إلى اليوم ، وهي تغسل في العام مرتين بماء زمزم مضافاً إليه ماء الورد ، ثم يطيبونها بالعطر ، ويبخرونها بالعود والعنبر والند ، وغالباً يكون ذلك بحضور ولاية الأمور ، وكبار رجال الدولة .

وقد تشرفنا بغسلها - والله الحمد - عام ١٣٦٧ هـ يوم أن فتحوا لنا مقصورة المقام .  
وقيل : إن شطر الحفرة الملاصق للكعبة هو موضع مقام إبراهيم -عليه السلام- قبل أن ينقله عمر رضي الله عنه وهو -أيضاً- موضع المقام حينما أخذه سيل أم نهشل إلى أسفل مكة ، فلما جاء عمر من المدينة نقله منه إلى موضعه الآن ؛ فهذا القول غير بعيد ، بل هو الصواب ، كما علم ذلك مما سبق في تحقيق موضع المقام .

وقيل : إن الحفرة هي مصلى جبريل بالنبي ﷺ حين فرضت الصلوات الخمس ، وقد ذكر ذلك كثير من العلماء منهم الأزرقى فروى بسنده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « أمني جبريل عند باب الكعبة مرتين » .

فهذا القول أقرب إلى الصحة ، بل هو الصواب -أيضاً- ويتطابق القول المتقدم ؛ لأن مقام إبراهيم كان في شطر الحفرة الملاصق للكعبة كما ذكر ، فوافقت صلاتهما عنده قبل نزول : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » فكان صلاة جبريل بالنبي ﷺ هناك إشارة إلى أنه سيؤمر هو وأمتة بالصلاة عند المقام ، والله -سبحانه وتعالى- أعلم . ص ١٤٦-١٤٧

٣٤- من المعروف في التاريخ أن أبا طاهر القرمطي وافى مكة في سابع ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وفعل فيها هو وقومه أموراً منكراً ، وأمر أبو

طاهر جعفر ابن أبي علاج البناء بقلع الحجر الأسود ، فقلعه لأربع عشرة خلت من ذي الحجة من السنة المذكورة وذهب به معه إلى بلاد هجر ، وبقي موضعه من الكعبة المعظمة خالياً يضع الناس فيه أيديهم للتبرك.

ثم إن سنبر بن الحسن القرمطي وافى مكة بالحجر الأسود سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، فوضعه بيده إلى موضعه من الكعبة وقال : أخذناه بقدر الله ورددناه بمشيئة الله ، وذلك يوم النحر من السنة المذكورة... إلخ. ص ١٤٨

٣٥- فبعض المغفلين يظن أن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود بحجر آخر حينما رده إلى الكعبة ، فهذا الظن في غير محله. ص ١٤٨

٣٦- أما موسى الكليم -عليه السلام- : فإحسانه عظيم -أيضاً- على الأمة المحمدية قاطبة؛ حيث طلب من نبينا محمد ﷺ ليلة عرج به واجتمع معه في السماء السادسة أن يراجع ربه -عز وجل- في تخفيف الصلاة عن أمته التي فرضها الله -تعالى- عليهم أولاً ، وقال له : إن أمتك لا تطيق ذلك ، فلم يزل رسول الله يرجع بين ربه -عز وجل- وبين موسى -عليه السلام- حتى بلغ التخفيف عنا خمس صلوات كل يوم وليلة بعد أن كانت خمسين صلاة. ص ١٥٢

٣٧- فموسى -عليه السلام- قد أحسن إلى جميع المؤمنين والمؤمنات في هذه المسألة إحساناً كبيراً ، ووفق فيها أعظم توفيق ، كيف لا؟ وهو الذي رأى من أحوال بني إسرائيل العجب العجيب.

والحق أننا قد وصلنا في هذا الزمان إلى حالة من العجز والتقصير ، لا نقدر أن نقوم بأداء هذه الصلوات الخمس حق أدائها ، بل تهاون الكثير بها في غير قطرنا

حتى تركوها بتاتاً والعياذ بالله؛ فكيف لو لم يخفف الله عنا بفضلته ورحمته؟  
فجزى الله موسى وإبراهيم ونبينا عنا ما هو أهله. ص ١٥٢

٣٨- كلمة ختامية :

- هذا، ولما كنت مشغلاً بالتصنيف، مخالطاً للعلماء أرباب التأليف يمكنني أن  
أقول: إنني لم أجد أصعب، ولا أتعب، ولا أشغل للإنسان من تأليف الكتب  
مهما تنوعت واختلفت.

ولئن كان شيء يسرع في ضعف الإنسان وهرمه فذلك الشيء إنما هو الاشتغال  
بالتأليف وحده، وفي الوقت نفسه تجد المؤلف مع وهنه وضعفه قوياً في معلوماته،  
راسخاً في دراساته ومراجعاته، فكل شيء ينقص إذا أنفقت منه إلا العلم؛ فكلما  
أنفقت منه لغيرك بالإفادة زادت معرفتك مهما تكررت منك الإعادة. ص ١٥٣

- فالاشتغال بالتأليف أو بالفنون الجميلة، هو الشغل الذي لا شغل بعده،  
والعمل الذي ينقطع إليه المرء وحده، تجده يبحث عن مسألة إذا به يعثر على أخرى  
ولما يكمل الأولى بعد، تراه يحقق في بحث إذا به يصل إلى غيره؛ لتشعب الكلام،  
وارتباط بعضه ببعض، وإنه كثيراً ما تطرأ عليه المسائل، وتنكشف له الدقائق وهو  
يأكل أو يمشي، أو يريد النوم، لذلك يكون المؤلف الخبير بالأحوال لا يخلو عن  
القلم والورق أنى سار، وحيثما كان؛ ليقيد رؤوس المسائل التي تطرأ على فكره  
بغته، حتى إذا ما رجع إلى حالة الاشتغال قتلها بحثاً وأشبعها درساً، تجده يبتعد عن  
الأهل والولد خوفاً من أن يقطع أحد عليه أفكاره، ينفرد عن الناس بنفسه، وقد  
يصطفي شخصاً من شكله وجنسه، يساعده في البحث والتقيب، ويبيض له  
مسوداته بنظام وترتيب، وإلى هذا المعنى أشار بعضهم بقوله:

وأطيب أوقاتى من الدهر خلوة      يقرّ بها قلبي ويصفو بها ذهني  
ويأخذ لي من سورة الفكر نشوة      فأخرج من فنّ وأدخل في فنّ  
ويفهم ما قد قال عقلي تصوّري      فنقلني عن أذني وسمعي بها مني  
وأسمع من نجوى الدفاتر طرفة      أزيل بها همي وأجلو بها حزني  
ينادمني قوم لديّ حديثهم      فما غاب منهم غير شخصهم عني

ص ١٥٤

- ولست مبالغاً إن قلت : إنه يقضي الساعات الطوال ، ويسهر غالب الليالي  
بالاشتغال في المطالعة والكتابة ، لا يسأل عن أكل ولا شرب ، ولا يصغي لحديث  
أو خبر ، ولا تجد الراحة إلى جسمه سبيلاً ، قد يعتريه الملل ، وتتعب أعصابه ،  
وهو مع ذلك يتطلب برهاناً ، ويستنبط دليلاً ، وقد يريد النوم فيمتنع عليه لشدة  
تعبه المتواصل لإتمام ما لديه ، فهو لذلك قد يكون مقصراً عن زيارات إخوانه  
وأحبائه ؛ فإنه من لا يؤدي حقوق نفسه كيف يؤدي حقوق غيره ؟ وهو في ذلك  
معذور مأجور ، وفي عمله مغبوط مشكور. ص ١٥٤

- مسكين المؤلف ، يشغل حواسه الخمس ، ويصل يومه بالأمس ، ليربح  
طلاب العلم والفنون ، ولأن يصل في بحثه إلى نتيجة مرضية ، وخلاصة شافية ،  
وأجوبة سديدة ، أحبّ إليه من الدنيا وما فيها ، وأشد ما يكون فرحاً إذا ما  
اهتدى إلى حلّ مسألة عويصة كانت مستعصية عليه ، أو أتى ببحث لم يسبقه  
إليه أحد. ص ١٥٤

- ومن أعظم نعم الله على المؤلف ، أن يرى عند عزمه على التأليف أنه سهل



ميسور، وأنه لا تمر عليه مدة وجيزة إلا أنجزه وأتمه، فإذا ما ابتدأ فيه وظهر جزء منه، تفتق ذهنه عن مسائل لم يحلم بها، وطرأت على باله أبحاث لم يكن يتخيلها، وإذا به في وادٍ متشعب، يرى من الواجب عليه أن يسلكه ويمهده، حتى يخرج للناس بسفرهم في أمس الحاجة إليه.

فلو علم بادئ بدء ما سيلقاه من المشقة والتعب، والصعوبة والنصب لأبعد عن فكره خيال التأليف، وابتعد عن مسالك التكليف، مفضلاً الراحة والهناء على نيل الفخر بالعناء، لكنه حاز الشرف والفخر، وأتته رغماً عنه بعون الله وتوفيقه. أما ثوابه على عمله وجزاؤه فهذا موكول إلى الله - عز شأنه - فهو الذي لا يضيع عنده عمل عامل من ذكر أو أنثى، على أنه - سبحانه وتعالى - قد رفع ذكر العلماء، وأعلى شأنهم في الدارين، وحفظهم من التخريف مهما عمروا وتقدموا في سن الشيخوخة.

وأما تقديره ومكافأته في المجتمع الإنساني، فهذا راجع إلى الوسط الذي يعيش فيه، وإلى القوم الذين ينتمي إليهم؛ فعلى قدر مكانتهم في العلم والأدب، وثقافتهم في مختلف الفنون، وخلوهم من المكر والحسد يكون تقديرهم لمنزلته، ومعرفته لمكانته، وأكثر المؤلفين لا يظهر فضلهم إلا بعد الممات.

هذه بعض حالات المشتغلين بالتأليف «ولا ينبئك مثل خبير».

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها



## عاشراً: المنتقى من كتاب

## عجائب من عصور متفرقة الجزء الأول تأليف محمد بن إبراهيم الشيباني

## تعريف بالمؤلف وبالكتاب:

أما مؤلف الكتاب فهو الشيخ المحقق البحاثة محمد بن إبراهيم الشيباني-حفظه الله- فهو الذي انتقى هذه العجائب وعلق عليها.

أما الكتاب فهو صغير الحجم ، ويقع في ٩٦ صفحة.

وقد جمعه مؤلفه من كتب عديدة في السير والتواريخ وغيرها.

وقد قال في مقدمته: «وضعت لك هذا الكتاب الذي انتقيته من جملة الكتب التي تحدثت عن تواريخ الناس والبلدان والملوك والأمراء، سرائهم وضرائهم، أفراحهم وأتراحهم، فيه يطيب السمر، ويستعذب القارئ أبوابه وما فيها من لطيف الخبر، والجيد من حوادث الدهر، نوعت فيه الأخبار وشكلت فيه من المختارات، لترغب النفس في القراءة وتستمر في استعذابه، وتذكر ما كان الناس فيه من أحوال حلوة ومُرّة، وتذكر بأن الرزاق يعطي ويمهل؛ فما على من فهم المراد إلا السير بالدُّلجة<sup>(١)</sup> على مهل، والسلامة من كل خطر، ومن كل عمل غير مدروس ينتج عن العجل والخلل، ويؤدي بعد ذلك بالإنسان إلى سوء المآل والحزن.

ولقد صنعت لموضوعات الكتاب عناوين لأبوابها استنبطتها من الموضوعات نفسها حتى تكون الترجمة لصيقة بالموضوع». ص ٥-٦

والكتاب من منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق في الكويت.

١- الدلجة: الساعة المتأخرة من الليل.

## النقولات المنتقاة:

## ١- استجابة دعاء

يقول ابن الجوزي: ومن الحوادث في هذه السنة (٢٦٢هـ) ما أنبأنا به أبو بكر ابن محمد بن أبي طاهر البزار عن أبي الحسين بن المهدي قال: رأيت بخط بن الفرات حدثنا القاضي أبو الحسن الجرامي حدثني عبدالحالق بن الحسن قال: سمعت أبا عون الفرائضي يقول: خرجت إلى مجلس أحمد بن منصور الزيايدي سنة اثنتين وستين ومائتين، فلما صرت بطاق الحرائني رأيت رجلاً قد أمر بالقبض على امرأة، وأمره بجرها فقالت له: اتق الله، فأمر أن تجر، فلم تزل تناشده الله وهو يأمر بجرها إلى باب القنطرة، فلما يئست من نفسها رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الزمر: ٤٦ إن كان هذا الرجل يظلمني فخذ.

قال أبو عون؛ فوقع الرجل على ظهره ميتاً وأنا أراه فحمل على جنازة وانصرفت المرأة. المنتظم ٣٤/٥ ص ١١.

## ٢- ريح

هبّت ريح شديدة بالديار المصرية غرقت مئتي مركب، وهلك منها خلق كثير. (سنة ٦٦٧هـ). الشذرات ٣٢٤/٥ ص ١٥.

## ٣- برّدة

وقع برّدٌ، وزنوا برّدة فكانت مئة رطل بالبغدادي. (وقائع سنة ٦٢٣هـ). الشذرات ٣٣٧/٦ ص ١٥.

## ٤- سيل عظيم

في ربيع الآخر حصل بحلب سيل عظيم فساق جملة كثيرة من الوحوش والأفاعي فوجد ثعبان فمه يسع ابن آدم إذا بلعه ، وكان طوله أكثر من سبعة أذرع .  
(حوادث سنة ٧٩٥) . الشذرات ٦/٣٣٧ ص ١٥

## ٥- كسوف

واجتمع في المحرم (سنة ٢٦٩هـ) كسوف الشمس والقمر ، وغابت الشمس منكسفة . المنتظم ٥/٦٥ ص ١٨

## ٦- أكلوا بغلة الوزير

عام ٤٦٢هـ .

وفيه كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف ، والميتات ، والكلاب ؛ فكان يباع الكلب بخمسة دنانير ، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها ، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس ، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب ، ونزل الوزير يوماً عن بغلته ، فغفل الفلاح عنها ؛ لضعفه من الجوع ، فأخذها ثلاثة نفر فذبجوها ، وأكلوها ، فأخذوا ، فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ، ويدفن رؤوسهم وأطرافهم ، ويبيع لحومهم ، فقتل وأكل لحمه ، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد ، لا يتجاسرون يدخلون لثلاً يخطف ، وينهب منهم ، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهاراً ، وإنما يدفنه ليلاً خفية ؛ لثلاً ينبش فيؤكل .

المنتظم ٨/٢٥٧

البداية والنهاية ١٢/٩٩ ص ١٩

## ٧- قصة سواك

وفي سنة ٦٦٥ هـ كما قال ابن خلكان بلغنا من جماعة يوثق بهم وصلوا إلى دمشق من أهل بصرى<sup>(١)</sup> أن عندهم قرية يقال لها دير أبي سلامة كان بها رجل من العربان فيه استهتار زائد وجهل، فجرى يوماً ذكر السواك، وما فيه من الفضيلة، فقال: والله ما أستاك إلا من المخرج فأخذ سواكاً وتركه في دبره، فآله تلك الليلة ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج، ثم أصابه مثل طلق الحامل، ووضع حيواناً على هيئة الجرذون ورأسه مثل رأس السمكة، وله أربع أنياب بارزة، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع، وله دبر مثل دبر الأرنب ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات فقامت ابنة ذلك الرجل، فشجت رأسه، فمات وعاش ذلك الرجل بعده يومين ومات، وهو يقول: هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي وشاهد ذلك الحيوان جماعة من تلك الناحية وخطيب المكان. الشذرات ٣١٧/٥ ص ٢٠-١٩

## ٨- عجيبه

قال الذهبي: في نيسان مطرنا مطراً أحمر كأعكر ماء الزيادة، وبقي أثر الطين على التمر والورق نحو شهرين. (سنة ٧١٠ هـ). الشذرات ٢١/٦ ص ٢١

## ٩- العلاج لبس سروال وشرط أذن

علاء الدين علي بن نجم الدين بن عبدالواحد بن شرف الدين محمد بن صغير

١- بصرى: هي البلدة التي خرجت منها النار التي تحدث عنها رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز؛ تضيء أعناق الإبل ببصرى» رواه البخاري ومسلم. وكانت هذه النار في زمن ابن كثير الدمشقي.

رئيس الأطباء بالديار المصرية.

كان يصف الدواء للموسر<sup>(١)</sup> بأربعين ألفاً ، ويصف الدواء في ذلك الداء للمعسر بفلس.

دخل عليه شيخ شكاه ما به من السعال ، فقال : لعلك تنام بغير سراويل ؛ قال : إي والله ، قال لا تفعل نم بسرراويلك ، فمضى فصدف ذلك الشيخ بعد أيام فسألته عن حاله ، فقال : عملت بما قال ، فبرئت.

قال وكان لنا جار حدث لابنه رعا فحتى أفرط فأنحلت قوى الصغير ، فقال له : شرط آذانه ؛ فتعجب ، وتوقف ، فقال : توكل على الله وافعل ، قال : ففعل ذلك ، فبرئ ، وله من هذا النمط أشياء عجيبة. شذرات الذهب ٣٤٦/٦ ص ٢٢

#### ١٠- شيخ الوضوء

شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الصفدي (شيخ الوضوء) لأنه كان يتعاهد المطاهر ، فيعلم العوام الوضوء. الشذرات ٣٥٧/٦ ص ٢٣

#### ١١- طفل

أحضر بين يدي الظاهر طفل ميت له رأسان وأربعة أعين ، وأربعة أيدي ، وأربعة أرجل. (حوادث عام ٦٦٢هـ). شذرات ٣٠٧/٥ ص ٢٤

#### ١٢- امرأة تتحول رجلاً

قال ابن كثير: كان في طرابلس بنت تسمى نفيسة زوجت بثلاثة أزواج ولا يقدر علىها يظنون أنها رتقاء فلما بلغت خمس عشرة سنة غار ثدياها ثم

١- الموسر: الذي يملك المال.

جعل يخرج من محل الفرج شيء قليلاً إلى أن برز منه قدر إصبع وأنثيان، وكتبت ذلك في محاضر. (حوادث سنة ٧٥٤هـ). شذرات الذهب ١٧٥/٦ ص ٢٤

### ١٣- دعاء بقي بن مخلد

يقول عبدالرحمن بن أحمد: سمعت أبي يقول: جاءت امرأة إلى ابن مخلد فقالت: إن ابني قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار. فقال انصرفي حتى أنظر في أمره - إن شاء الله تعالى -.

قال وأطرق الشيخ وحرك شفتيه.

قال فلبثنا مدة فجاءت المرأة مع ابنها وأخذت تدعو له وتقول قد رجع سالماً وله حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم نخرج إلى الصحراء، ثم يردنا وعلينا قيود، فبينما نحن نجيء من العمل بعد المغرب انفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة فوافق اليوم الذي جاءت المرأة ودعاء الشيخ.

قال: فنهض إليّ الذي كان يحفظني وقال: قد كسرت القيد<sup>(١)</sup>، قلت: لا إنه سقط من رجلي، فتحيروا خبر صاحبه، وأحضر الحداد، وقيدني فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في أمري فدعوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والد؟ قلت: نعم. قالوا: قد رافق دعاءها الإجابة.

وقالوا: أطلقك الله لا يمكننا أن نقيدك، فردوني وأصبحوني إلى ناحية

المسلمين. المنتظم ١٠١/٥، ١٠٠ ص ٢٨-٢٩

١- القيد: السلاسل التي يربط بها يد ورجل الأسير.



## ١٤- قتلى أحد لم يتغيروا بعد ٤٦ عاماً

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

... فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال يا جابر ابن عبد الله والله لقد أثار أباك عمال معاوية ، فبدا فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل ، ثم ساق الإمام قصة وفاته دين أبيه كما هو ثابت في الصحيحين.

وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين عاماً استصرخناهم إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصاب المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً ، وفي رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس.

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه من كان له قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر : فحضرنا عنهم ، فوجدت أبي في قبره كأنما نائم على هيئته ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً ، ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك - رضي الله عنهم أجمعين - وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا. البداية والنهاية

٤٣/٨ ص ٣١-٣٢

## ١٥- الحاكم بأمر الله

ثم كان يركب حماره ، وينزل عند باب جامع ، الذي عند باب النصر ، ويأخذ من يختار من غلمان ، فيرقده على باب الجامع ، ويشق بطنه بيده ، ثم يخرج مصارينه بيده ، ويرميهم إلى الكلاب ، ويترك المقتول مكانه ، حتى يدفنه

أهله؛ وكان يعذب جماعة من غلمانہ بالنار. تاريخ ابن إياس ٢٠١/١/١ ص ٣٥

#### ١٦- وجدتھا عوراء عرجاء

أخبرنا أبو منصور القزار أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال أخبرني محمد بن أحمد ابن يعقوب قال حدثنا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أُمي تقول سمعت مريم امرأة أبي عثمان<sup>(١)</sup> تقول صادفت من أبي عثمان خلوة فَاغْتَنَمْتُهَا فَقُلْتُ يَا أَبَا عثمان أي عملك أرجى عندك؟ فقال يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري، وكانوا يريدونني على الزواج فَاَمْتَنَعَ جَاءَنِي امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحبتك حباً أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل إليك أن تتزوج بي، قلت: ألك والد؟ قالت: نعم فلان الخياط في موضع كذا وكذا، فراسلت أباها أن يزوجه مني، ففرح بذلك، وأحضرت الشهود، فتزوجت بها فلما دخلت وجدتھا عوراء عرجاء مشوهة الخلق فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي! وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك، فأزيدها براً وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها، فتركت حضور المجالس، إثارةً لرضاها، وحفظاً لقلبها، ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئاً من ذلك إلى أن ماتت! فما شيء أحب عندي من حفطي عليها ما كان في قلبها من جهتي. المنتظم ١٠٧/٦ ص ٣٧-٣٨

#### ١٧- أكل الناس بعضهم بعضاً

حوادث سنة ٢٨١هـ:

١- هو أبو عثمان الحيري.

فيها غارت المياه بالري<sup>(١)</sup> ، وطبرستان<sup>(٢)</sup> وأصاب الناس بعد ذلك جهد جهيد ، وقحط حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وأكل إنسان منهم ابنته .  
المنتظم ١٤٧/٥ ص ٤٢

### ١٨- ومن غرائب المنقول وعجائبه

الأمير بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب أنه قال : حكى الأمير شجاع الدين محمد الشيرازي متولي (القاهرة) في الأيام الكاملية سنة ثلاث وستمائة ، قال : بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد ، فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة ، وهو شيخ مخضر له أولاد بيض الوجوه حسان الأشكال ، فقلنا له هؤلاء أولادك؟ فقال : نعم؛ وكأنني بكم وقد أنكرتم بياضهم وسوادي فقلنا له : نعم ، قال : هؤلاء أمهم إفرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب ، فقلنا : وكيف أخذتها؟ قال : حديثي بها عجيب . قلنا : أتحننا به قال : زرعت كتناً في هذه البلدة ، وقلعته ، ونفضته ، فانصرف عليه خمسمائة دينار ، ولم الثمن إلى أكثر من ذلك ، فحملته إلى (القاهرة) فلم يصل إلى أكثر من ذلك ، فأشير عليّ بحمله إلى (الشام) فحملته ، فما زاد على تلك القيمة شيئاً ، فوصلت به إلى (عكا) فبعت بالأجل ، البعض تركته عندي

١- الرّي : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، وهي أكبر من أصبهان بناها المهدي في خلافة المنصور (معجم البلدان ١١٨/٣) ، وتسمى طهران حالياً .

٢- طَبَرَسْتَان : بفتح أوله وثانيه ، وكسر الراء ، واستان : الموضع أو الناحية ، كأنه الطبر ، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم ، وطبرستان في البلاد المعروفة بحازَنْدَرَان ، فتحت أيام عثمان ابن عفان ؓ بواسطة عبدالله بن عامر كرز بن صبيب ، وغزا سعيد بن العاص طبرستان وافتتح -أيضاً- من طبرستان الرويان ودنباوند . (معجم البلدان ١٣/٤) .

واشتريت حانوتاً أبيع فيه على مهلي إلى حيث انقضاء المدة، فبينما أنا أبيع إذ مرت بي امرأة إفريقية - ونساء الإفرنج يمشون في الأسواق بلا نقاب في الأسواق - فأنت تشتري مني كتاناً، فرأيت من جمالها ما بهرني، فبعتها، وساحتها ثم انصرفت، وعادت إليّ بعد أيام، فبعتها وساحتها أكثر من المرة الأولى، فتكررت إليّ، وعلمت أنني أحبها، فقلت للعجوز التي معها: إنني قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة، فقالت لها ذلك، فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهي، فقلت لها قد سمحت بروحي في حبها واتفق الحال أن أدفع خمسين ديناراً صورية فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك، فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول، ومشروب، وشمع وحلاوة، فجاءت الإفريقية فأكلنا، وشربنا، وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت في نفسي: أما تستحي من الله وأنت غريب تعصي الله مع نصرانية! اللهم إني أشهدك أنني قد عفت عنها في هذه الليلة؛ حياءً منك وخوفاً من عقابك، ثم نمت، ونامت إلى الصبح، وقامت في السحر وهي غضبي ومضت ومضيت أنا إلى حانوتي فجلست فيه وإذا هي قد عبرت عليّ هي والعجوز، وهي مغضبة وكأنها القمر؛ فهلكتُ فقلت في نفسي من هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت، وقلت ارجعي، فقالت..<sup>(١)</sup> ما أرجع إليك إلا بمائة دينار، فقلت: نعم رضيت، فوزنت مائة

١-٢. عبارة شطبتها من النص لأن فيها حلفاً بالمسيح، وهذا مما لا يجوز شرعاً؛ لأنه من الشرك بالله سواء من حلف بالأنبياء أو بغيرهم، يقول -عليه الصلاة والسلام-: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه مسلم. قاله المحقق الشيخ محمد الشيباني.

دينار، فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الأولى، وعففت عنها وتركتها؛ حياءً من الله - تعالى - ثم مضت، ومضيت إلى موضعي ثم عبرت بعد ذلك عليّ وكانت مستعربة، فقالت: (٢) ما بقيت تفرح بي عندك إلا بخمس مائة دينار أو تموت كمداً، فارتعدت لذلك، وعزمت أن أصرف عليها ثمن الكتان جميعه؛ فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي: معاشر المسلمين إن الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعة (٣)، فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من (عكا) وفيّ قُلبه (٤) من الإفرنجية فوصلت إلى (دمشق) وبعثت البضاعة بأوفى ثمن؛ بسبب فراغ الهدنة، ومنّ الله بكسب وافر وأخذت أتجر في الجوّاري عسى أن يذهب ما بقلبي من الإفرنجية؛ فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من (وقعة حطين) وأخذّه جميع الملوك، وفتح بلاد الساحل - بإذن الله تعالى - فطلب مني جارية للملك الناصر، فأحضرت جارية حسنة، فاشترى له مني بمائة دينار فأوصلوا إليّ تسعين ديناراً، وبقيت عشرة دنانير فلم يلتقوها في الخزانة ذلك اليوم؛ لأنه أنفق جميع الأموال فشاوروه على ذلك، فقال امضوا به إلى الخزانة التي فيها السبي من نساء الإفرنج في واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التي له، فأتيته الخيمة فعرفت غريمتي الإفرنجية، فقلت أعطوني هاتيك، فأخذتها، ومضيت إلى خيمتي وخلوت بها وقلت لها: أتعرفيني؟ قالت: لا، فقلت: أنا صاحبك

التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب، وقلت ما بقيت تبصرني إلا بخمسمائة دينار، وقد أخذتك ملكاً بعشرة دنانير، فقالت: مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأسلمت وحسن إسلامها، فقلت: والله ما وصلت إليها بأمر القاضي<sup>(١)</sup>، فرحت إلى ابن شداد وحكيت له ما جرى، فعجب، وعقد لي عليها، وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني، ثم رحل العسكر، وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيراً من الرجال والنساء، ولم يبق إلا التي عندي فسألوا عنها واتضح الخبر أنها عندي، وطلبت مني فحضرت، وقد تغير لوني وأحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان الملك الناصر والرسول حاضر، فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول: ترجعين إلى بلادك أو إلى زوجك فقد فككنا أمرك وأمر غيرك، قالت: يا مولاي السلطان أنا قد أسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه وما بقيت إلا فرنج تنتفع بي فقال لها الرسول: أيما أحب إليك هذا المسلم أو زوجك الإفرنجي فلان؟ فأعادت عبارتها الأولى، فقال الرسول لمن معه من الإفرنج: اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول: خذ زوجتك، فولعت بها فطلبني ثانياً، وقال إن أمها أرسلت معي وديعة وقالت: إن ابنتي أسيرة، وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة، فتسلمت الكسوة، ومضيت إلى الدار، وفتحت القماش فإذا هو قماش بعينه قد سيرته لها أمها، ووجدت الصرتين الذهب الخمسين ديناراً والمائة دينار كما هي

١- يقصد العقد عليها على سنة الله ورسوله، ولعل الصواب: والله ما وصلت إليها إلا بأمر...

بربطتي لم يتغير ، وهؤلاء الأولاد منها ، وهي التي صنعت لكم هذا الطعام .  
المستطرف (للابشيهي ٧٩٠-٨٥٠هـ)  
(٢٠١/١-٢٠٥) ص ٥١-٥٤

#### ١٩- مات فجأة

أبو سعيد الإسماعيلي :  
توفي فجأة بمرجان في ربيع الآخر (٣٩٦هـ) وهو قائم يصلي في المحراب ، في صلاة المغرب ، فلما قرأ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة : ٥) فاضت نفسه فمات ﷺ . البداية والنهاية ٣٣٦/١١ ص ٥٨  
٢٠- سجود

في سنة (٣٩٦هـ) :  
كانت الخطبة للحاكم العبيدي ، وتجدد في الخطبة أنه إذا ذكره الخطيب يقوم الناس كلهم ؛ إجلالاً له ، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له ، وكانوا يسجدون عند ذكره يسجد من هو في الصلاة ، ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم ، لعنه الله وقبحه .  
البداية والنهاية ٣٣٦/١١ ص ٥٨

#### ٢١- خناق النساء

عام ٢٥٧هـ  
وفيها ظفر ببغداد بموضع يقال له بركة زلزل برجل خناق قد قتل خلقاً من النساء كان يؤلف المرأة ثم يخنقها ، ويأخذ ما عليها ، فحمل إلى المعتمد ، فضرب

بين يديه بألفي سوط وأربعمائة، فلم يمت حتى ضربه الجلادون على أنثيه<sup>(١)</sup>  
 بخشب العقابين<sup>(٢)</sup> فمات ورد إلى بغداد وصلب هناك، ثم أحرقت جثته.

البداية والنهاية ٢٨/١١ ص ٦٠-٦١

## ٢٢- زلزال واسط

عام ٢٥٨هـ

وقعت زلزلة شديدة، وهدة عظيمة، تهدمت فيها بيوت ودور كثيرة،  
 ومات من الأناس نحو من عشرين ألفاً. البداية والنهاية ٣٠/١١ ص ٦١

## ٢٣- الزبير يملك خمسين مليون درهم

قال ابن قتيبة: حدثنا محمد بن عتبة، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه  
 أن الزبير ترك العروض بخمسين ألف ألف درهم، ومن العين خمسين ألف  
 درهم. (رجاله ثقات).

وقال ابن عيينة: عن هشام، عن أبيه قال: اقتسم مال الزبير على أربعين  
 ألف ألف. سير أعلام النبلاء ٦٥/١ ص ٦٣-٦٤

## ٢٤- حامل كفنه

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال بلغني المعروف بحامل كفنه - محمد ابن  
 يحيى أبو سعيد توفي، وغسل، وكفن، وصلي عليه، ودفن فلما كان في الليل  
 جاء نباش فنبش عنه فلما حل أكفانه؛ ليأخذها استوى قاعداً فخرج النباش

١- أنثيه: خصيتيه.

٢- العقابين: خشبتان يشبح الرجل بينهما للجلد. (لسان العرب ٨٣٤/٢).



هارباً منه ، فقام ، وحمل كفنّه ، وخرج من القبر ، وجاء إلى منزله وأهله  
 ليكون ، فدفن الباب عليهم ، فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا فلان ! فقالوا له : لا  
 يحل لك أن تزيدنا على ما بنا ، فقال : يا قوم افتحوا فأنا والله فلان ! فعرفوا  
 صوته ، ففتحوا ، وعاد حزنهم فرحاً ، وسمي من يومئذ حامل كفنّه ، توفي  
 محمد بن يحيى في هذه السنة (٢٩٩هـ).

ومثل هذه جرى لسعير بن الخمس الكوفي فإنه لما دلي في حفرة اضطرب ،  
 فحلت عنه أكفانه ، فقام ، ورجع إلى منزله ، وولد له بعد ذلك ابنه مالك ابن  
 سعير. ص ٧٦

## ٢٥- نهاية الظلم

حوادث سنة ٥١٦هـ

علي بن أحمد السميرمي : نسبة إلى قرية بأصبهان<sup>(١)</sup> ، كان وزير السلطان  
 محمود ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وأحدث على الناس مكوساً<sup>(٢)</sup> وجددها

١- أصبهان : منهم من يفتح الهمزة ، وهم الأكثر وكسرهما آخرون منهم السمعاني وأبو عبيد البكري  
 الأندلسي : وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها حتى  
 يتجاوزوا حدّ الاقتصاد إلى غاية الإسراف وأصبهان : اسم للإقليم بأسره (معجم البلدان ٢٠٦/١).  
 ٢- المكس : الجباية ، مَكْسُهُ يَمَكْسُهُ مَكْساً ومَكْسَتُهُ مَكْساً. والمكس : دراهم كانت تؤخذ من بائع  
 السلّع في الأسواق في الجاهلية. والمكس : الضريبة التي يأخذها المكس وأصله الجباية. (لسان العرب  
 ٥١٥/٣).

وفي الحديث : « لا يدخل صاحب مكس الجنة » حديث ضعيف رواه أحمد (١٥٠/٤) وأبو داود  
 والدارمي (٣٩٣/١) والمشكاة (٣٢٥/٢) عن عقبة بن عامر.

بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة، وكان يقول: قد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له، وكثرة ما أحدثت من السنن السيئة، ولما عزم على الخروج إلى همذان أحضر المنجمين فضربوا له تَحْتَ رملٍ لساعة خروجه ليكون أسرع لعودته، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلولة، والممالك الكثيرة بالعدد الباهرة، فما أغنى عنه ذلك شيئاً، بل جاءه باطني فضربه فقتله، ثم مات الباطني بعده، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب، حاسرات عن وجوههن، قد أبدلهن الله الذل بعد العزة، والخوف بعد الأمن، والحزن بعد السرور والفرح جزاءً وفاقاً، وذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر، وما أشبه حالهن بقول أبي العتاهية في الخيزران وجواريها حين مات المهدي:

رُحْن فِي الْوَشَى كَسِيرَا	تَ عَلِيَّيْهِنَ الْمَسُوح
كُلُّ بَطَّاحٍ مِنَ النَّا	سَ لَهُ يَوْمَ بَطُوح
لَتَمُوتَنَّ وَلَوْ عَمَّرَ	تَ مَا عُمِّرَنَّوَح
فَعَلَى نَفْسِكَ نَحْ إِنْ	كَنتَ لَا بَدَّ تَنُوح

البداية والنهاية ١٩١/١٢ ص ٧٨-٧٩

## قوة الصبر تأليف إم .. جيه .. رايان

### تعريف بالمؤلف وبالكتاب:

أما مؤلف الكتاب فهي : الكاتبة إم .. جيه .. رايان.  
وأما الكتاب فهو: (قوة الصبر) ويقع في ٢٢٤ صفحة ، وهو من مطبوعات مكتبة جرير الطبعة الخامسة ٢٠٠٩م.  
وقد قدّمتُ المؤلفة في هذا الكتاب ممارساتٍ خاصةً لأناس استغلوا قوة الصبر، وضمّنتُ كتابها اقتباساتٍ كثيرةً، وقصصاً تحفيزيةً، وتجاربَ مفيدةً من شأنها أن تنهض بفضيلة الصبر لدى الإنسان.  
وهذا الكتاب أشبه بالدورة التدريبية على الصبر، وهو من أمتع الكتابات الغربية في هذا الشأن، وإن كان يُعوّزُه ذِكرُ الاحتسابِ، والأجورِ المترتبة على الصبر، والنظرِ في المآل والمصير-كحال كثير من الكتابات الغربية في هذا الشأن-.. كما يُعوّزُه-أيضاً- ذكرُ المروءات التي تحتاج إلى صبر وشهامة خاطر.

### النقول من المنتقا:

١- الصبر يمنحنا هدوء الروح.

بالصبر تصبح تجربتنا الداخلية أشبه ببحيرة ساكنة منها بنهر ثائر، وبدلاً من أن نشعر بالغضب أو الذعر في مواجهة كل حادثة تلقي بها الحياة إلينا - خطة يتم إلغاؤها، أو موعد نهائي لا يستطيع زميل في العمل الوفاء به، أو مهمة معينة

تنسى شريك حياتك أداءها - نصبح قادرين على أن نضع الأشياء في إطارها الصحيح ، الأمر الذي يسمح لنا بالحفاظ على هدوء أعصابنا. ص ١٢

٢- بالصبر نصبح أكثر قدرة على أن نظل هادئين من الداخل ، مهما كان ما يحدث خارجنا، ونثق في قدرتنا على التعامل مع أي شيء يعترض طريقنا، وتلك الثقة تمنحنا طمأنينة رائعة. ص ١٣

٣- من خلال تَقَبُّل الآخرين على ما هم عليه ، وَتَقَبُّل الحياة كما هي عليه- نثبت قوتنا الحقيقية ، وما نَتَّسِم به كبشر من روعة ، وجمال.

من السهل أن نتقبل الأمور عندما تكون كلها على ما يرام، ولكن عندما نتحلى بالصبر في المواقف التي لا تسير الأمور فيها بالطريقة التي نريدها - نصبح أبطالاً بحق. ص ١٤

٤- إن الصبر يسمح لنا بأن نحتفظ بهدوء أعصابنا عند التعرض للضغوط ، سواء الضغوط الخارجية الناتجة عن حياتنا المليئة بالعمل والانشغال ، أو الضغوط الداخلية التي يولدها الغضب.

الصبر يخفف من الإجهاد الواقع على الجهاز العصبي ، ويقلل من السرعة التي يعمل بها ، ويجعله يستريح. ص ٣٥-٣٦

٥- بالنظر إلى أسلوب حياتنا الحالي فإنه من الممكن أن نتعرض لاستجابة المواجهة أو الهروب طوال الوقت - في إشارات المرور، وعندما نكون بصدد موعد نهائي من الصعب الوفاء به، وعندما ندخل مشاحنات مع أحبائنا، الأمر الذي يُلقِي على أجسادنا قدراً كبيراً من الإجهاد والضغط ، وهذا هو السبب في أن التحلي

بالصبر يعد أحد أفضل الأشياء التي يمكننا القيام بها من أجل صحتنا، وكلماً استطعنا بسهولة أكثر أن نصمد في مواجهة صدمات الحياة، ونسامح مع صفائر الأمور التي تصدر عن الآخرين - يقل ما نتعرض له من ضغوط وتوتر. ص ٣٦

٦- وما يثبتته الواقع لنا هو أن الصبر ذلك الثبات الداخلي الهادئ في مواجهة ما كان من الممكن أن يزعجنا ويغضبنا فيما إذا كنا لا نتحلى به - هو المدخل إلى تعلم التعاطف مع الآخرين، وإلى اكتساب القدرة على إدراك مشاعرهم. ص ٥٠

٧- عن طريق التعاطف مع الآخرين والتفكير بنفس طريقتهم - نستطيع رؤيتهم على حقيقتهم، بدلاً من محاولة تحويلهم إلى أشخاص آخرين، وبدلاً من أن تغضب - على سبيل المثال - من أن زميلك هذا في فريق العمل يعمل ببطء شديد، يمكنك أن تسأل نفسك عن الفائدة التي من الممكن تحقيقها من وراء هذه السمة، عندما تفعل ذلك سوف تجد أنه يولي اهتماماً كبيراً بكل شيء يفعله، وأن هذا هو السبب في أنه يعمل ببطء. ص ٥٠

٨- الصبر يزيد من احتمالات استمرار العلاقات مدى الحياة. ص ٥٤

٩- الصبر هو الذي يؤدي إلى تماسك المحبين، وإلى تهدئة الأجواء بينهما، وبالتالي يتمكن الحب، والتطور والنمو، من الازدهار. ص ٥٤

١٠- إن الصبر يعد أحد أروع حلفائنا في عملية التربية، تلك العملية التي تتسم بالتعقيد؛ فالصبر يسمح لنا - مثلاً - بأن نستمر في هدهدة الطفل الذي يبكي ويصرخ مدة تقرب من الساعة، وبأن نقرأ لأطفالنا نفس القصة المحبة إليهم للمرة الألف، وبأن نتعامل بهدوء لأولادنا المراهقين عندما يعودون إلى البيت في

وقت متأخر مثلاً. ص ٥٧

١١- إن أطفالنا يطالبوننا بأن نتحلى بالمزيد من الصبر، وقد أظهرت دراسة أجرتها «إيلين جالينسكي» عام ١٩٩٩م حول تحقيق التوازن في الحياة العملية أن الشيء الوحيد الذي تمناه معظم الأطفال هو أن يتغير آبائهم ليصبحوا أقل عصبية وتوتراً عند عودتهم إلى البيت من العمل. ص ٥٨

١٢- إننا لن نصبح آباءً مثاليين مهما حاولنا، وهذا أمر لا بأس به؛ فكل ما نحتاج إليه حقيقة هو أن نكون جيدين بما فيه الكفاية فقط.

والصبر يساعدنا على نكون آباءً جيدين بما فيه الكفاية حتى تكون استجابتنا، وردود أفعالنا الحكيمة والرفيعة والمفعمة بالحب اتجاه أولادنا أكثر من استجابتنا وردود أفعالنا الحادة التي نُقدِّمُ عليها بدون تفكير أو تروٍّ. ص ٥٨

١٣- فالصبر صفة تتعلق أكثر بما لا تفعله، إنها تقتضي منك أن تتراجع وتحجم عندما ترغب في التحرر والانطلاق، وأن تحتل شيئاً ما كنت لتحتمله إذا كنت لا تتحلى بها، وأن تنتظر من الأشياء أن تحدث بدلاً من أن تدفعها للحدوث. ص ٦٠

١٤- وعلى قدر ما يتحلى به الناس من صبر تظل المجتمعات متماسكة، ويظل بلايين الناس الذين يعيشون الآن على هذا الكوكب يعملون في ظل النظام.

إن مخالفة النظام تبدأ عندما نصبح فاقدي الصبر، سواءً كان الأمر يتعلق بكسب المال، أو بالانتظار في سياراتنا في طريق مزدحم. ص ٦٥

١٥- إن الصبر ليس سمة شخصية صغيرة تجعل صاحبها يشعر بمشاعر طيبة،

إنه أساس اللباقة، والكياسة، وطاعة النظام.

بدون الصبر لا يستطيع الناس العيش معاً، ولا يستطيع المجتمع أن يعمل بشكل سليم، وبه نستطيع أن نوفر إمكانية أن يحل السلام بين الأشخاص وبين الدول. ص ٦٥

١٦- لا أحد يرغب في أن يعاني من محن جسدية، أو عاطفية، ولكن عندما تأتينا هذه المحن بالفعل - وهي ستأتي على الأرجح، فلكل منا نصيبه من الأحزان - يكون أماننا خياران اثنان: إما أن نشكو ونتدمر بدون توقف مما يحدث لنا، وإما أن نشعر بمشاعر الحزن والخوف والغضب، وبعد ذلك نلجأ إلى الصبر، ونسمح للتحدي الذي نواجهه بأن يسمو بأرواحنا. ص ٦٧

١٧- أعظم اكتشاف تم التوصل إليه في جيلي هو أن الإنسان يستطيع أن يغير حياته، وذلك بأن يغير من طريقة تفكيره. ص ٦٩

١٨- وهناك فارق هائل بين الشعور بالإخفاق، والشعور بأن ثمة ما يجب أن تتعلمه؛ فالأول: يؤدي إلى اليأس وعدم التغيير، بينما يؤدي الثاني إلى إمكانية التغيير والتطور.

عندما يتم الضغط على نقاط ضعفك التي تجعلك تفقد صبرك حاول أن ترى هذا الموقف على أنه فرصة لكي تتعلم شيئاً عن نفسك. اسأل نفسك: «لماذا يصعب عليّ تحمل هذا الأمر؟».

وسوف تندهش من النتائج التي سوف تترتب على هذا الموقف الجديد من

جانبك. ص ٧٤

١٩- وكلما ازداد إدراكنا لحقيقة أننا نفتقر بشكل كامل إلى السيطرة على الآخرين نصبح أكثر صبراً؛ لأننا سوف نتوقف عن تعذيب أنفسنا بمحاولة تغييرهم ، ونبدأ في توجيه صبرنا في الاتجاه الصحيح نحو أنفسنا حتى نتمكن من احتمال أي شيء نريد منهم تغييره.

وعندما نواجه مواقف عصبية مع الآخرين لا يكون هناك أفضل من أن نتذكر الحكمة التي تقول: « اللهم امنحني القدرة على أن أتقبل الأشياء التي لا يمكنني تغييرها ، والشجاعة كي أغير الأشياء التي يمكنني تغييرها ، والحكمة حتى أفرق بين الاثنين ». ص ١١٢

٢٠- عندما نتذكر دائماً أن بعض الأشياء تستحق الانتظار فإن ذلك يساعدنا على أن نقرر ما هي هذه الأشياء ، وعلى أن نقدرها عندما نحصل عليها بالفعل. ص ١١٥

٢١- الصبر شيء يعجبك في سائق السيارة التي خلفك ، ولكنه لا يعجبك في سائق السيارة التي أمامك. ص ١٢٢

٢٢- أكثر الأشياء التي وجدتها فائدة هو أن أذكر نفسي في تلك اللحظات التي أنزع فيها إلى انتقاد الآخرين ، والحكم عليهم بأنني لست معصومة من الخطأ. ص ١٢٤

٢٣- حتى يمكنك أن تمارس الصبر ، تحتاج إلى أوغاد حقيقين لمساعدتك على ذلك؛ إذ لا حاجة إلى ممارسته مع من يتسمون بالدمائة واللطف؛ فالتعامل معهم لا يتطلب صبراً. ص ١٢٥



- ٢٤- ياله من موقف غريب! أن يكون في مقدورنا أن نرحب في حياتنا بمن نعتبرهم أكثر الناس إرهاباً لنا؛ لأنهم سوف يعلموننا الصبر. ص ١٢٦
- ٢٥- فالتحلي بالصبر لا معنى له إلا إذا كنا قادرين على استخدامه عندما نحتاج إليه. ص ١٢٧
- ٢٦- عندما نفتح قلوبنا للناس وللأشياء التي تمثل تحدياً بالنسبة لنا نصبح في حالة من الهدوء الروحي والعاطفي، كما نصبح أقل عرضة للتأثر بكل ما تلقينه إلينا الحياة من صعاب ومشكلات.
- وفي هذه الحالة يصبح الأشخاص ذوو الطباع الصعبة، والأحداث العصبية فرصاً مثيرة للاهتمام يمكن استغلالها لمزيد من النضج والنمو، بدلاً من أن يصبحوا عقبات خطيرة يتعين علينا احتمالها.
- من خلال هذه الرؤية نستطيع أن نستمتع أكثر بالحياة أياً كان ما يحدث لنا. ص ١٢٧
- ٢٧- الصبر هو أن نكون على استعداد للعيش في الحاضر كما هو تماماً، وحتى إذا كنا نريد أو نتمنى أن يتغير الحاضر في يوم ما؛ فالصبر يتيح لنا أن نحيا الآن في سعادة، ورضا بقدر الإمكان. ص ١٣٧
- ٢٨- إن التركيز على اللحظة الحالية، والصبر على الحاضر يبدوان مسألة سهلة عندما تسير الحياة على ما يرام، ولكنهما -أيضاً- يعتبران السر لمواجهة المحن وأوقات الشدة. ص ١٣٧
- ٢٩- من الأشياء العظيمة التي يمكن أن تحميك من الغضب، ومن الأفكار المتمردة، ومن كل ما قد تشعر به من نفاد الصبر، وكل ما قد تتعرض له من

مشاحنات ومشاجرات - أن يكون ذهنك مشغولاً ببعض الأعمال والاهتمامات ،  
مثل هذه الأشياء سوف تجذب انتباهك وتحريك من أن تطيل التفكير في الأشياء  
التي تثير استياءك وتغضبك. ص ١٨٣

٣٠- إن التحلي بالصبر ليس معناه أن نحبس تفكيرنا بصورة لا تنتهي في ذلك الشيء  
الذي يربكنا ويحيرنا؛ فلا بأس من أن نركز انتباهنا في وقت كهذا على شيء آخر.  
وقد كان أحد الحكماء مقتنعاً بأن الصبر في حد ذاته ليس إلا « فن العثور على  
شيء آخر تقوم بأدائه ». ص ١٨٥

٣١- إن الصبر والشفقة يعملان معاً في انسجام وتناغم كمنظومة واحدة؛  
ليدعم ويكمل كل منهما الآخر؛ فكلما تحلينا بقدر أكبر من الصبر أمكننا أن  
نكون أكثر حساسية وتأثراً بمشاعر الآخرين ، وكلما استجبنا لهم بقلوبنا وليس  
بعقولنا استفدنا أكثر من معين الصبر الكامن في أعماقنا. ص ١٩٢

٣٢- عندما ينذر الموقف بمحنة ما فكر ملياً بمجد وترو: ما أسوأ شيء يمكن أن  
يحدث؟ وبعد أن تفحص وتحلل هذه المحنة المحتملة ، امنح نفسك أسباباً منطقية  
تجعلك تفكر في أنها رغم كل شيء لن تكون كارثة رهيبية. ص ١٩٦

الفهرس

٣	- المقدمة
٧	<b>المجموعة الأولى</b>
٩	أولاً: المنتقى من كتاب (الأدب الصغير، والأدب الكبير) لابن المقفع:
٩	- تعريف موجز بالكتاب
٩	أ- ٥٠ نقلاً من الأدب الصغير
١٦	ب- ٤٦ نقلاً من الأدب الكبير
٢٥	ثانياً: المنتقى من كتاب (صيد الخاطر) لابن الجوزي:
٢٥	- تعريف موجز بالكتاب
٢٥	- ٨٣ نقلاً من كتاب صيد الخاطر
٤٩	ثالثاً: المنتقى من كتاب (الأخلاق والسير) لابن حزم:
٤٩	- تعريف بالكتاب
٤٩	- ٥٩ نقلاً من الكتاب
٥٧	رابعاً: ١٠ نقول من كتاب (العبودية) لابن تيمية
٦١	خامساً: ٥٠ نقلاً من كتاب (الاستقامة) لابن تيمية
٧٣	سادساً: ١١ نقلاً من كتاب (جامع الرسائل) لابن تيمية
٧٧	سابعاً: ٦٩ نقلاً من كتاب (الفوائد) لابن القيم
٨٥	ثامناً: ٣٢ نقلاً من كتاب (إغاثة اللهفان) لابن القيم
٩٣	تاسعاً: المنتقى من كتاب (الحرية في الإسلام) للشيخ محمد الخضر حسين:
٩٣	- نبذة من سيرة المؤلف

- ٩٤ - ٥٨ نقلاً من الكتاب
- عاشراً: المنتقى من كتاب (نقض كتاب: في الشعر الجاهلي) للشيخ  
١١٥ محمد الخضر حسين
- الحادي عشر: المنتقى من كتاب (هدى ونور) للشيخ محمد الخضر حسين  
١٢٣ بعنوان خواطر، وفيه ٤٨ خاطرة
- الثاني عشر: المنتقى من كتاب (أليس الصبح بقريب) للشيخ محمد  
١٣١ الطاهر بن عاشور:
- ١٣١ - نبذة عن المؤلف
- ١٣٢ - تعريف بالكتاب
- ١٣٤ - ٤٧ نقلاً من الكتاب
- ١٤٧ الثالث عشر: المنتقى من كتاب (وحي القلم) لمصطفى صادق الرافعي:
- ١٤٧ - نبذة في سيرة المؤلف
- ١٤٨ - تعريف بالكتاب
- ١٤٩ - ٥٥ نقلاً من الكتاب
- ١٦٣ الرابع عشر: المنتقى من كتاب (آثار الشيخ محمد الإبراهيمي):
- ١٦٣ - نبذة عن المؤلف
- ١٦٤ - ٣٣ نقلاً من الكتاب
- الخامس عشر: المنتقى من كتاب (مواعظ الإمام عمر بن عبدالعزيز)  
١٧١ للشيخ صالح الشامي
- ١٧١ - نبذة عن عمر بن عبدالعزيز
- ١٧١ - ٢٣ نقلاً من مواعظ عمر بن عبدالعزيز

السادس عشر: المنتقى من كتاب (مواعد الإمام مالك بن دينار)

- للشيخ صالح الشامي ١٧٥  
 - نبذة عن مالك بن دينار ١٧٥  
 - ٢٠ موعظة لمالك بن دينار ١٧٥

السابع عشر: المنتقى من كتاب (مواعد الإمام سلمة بن دينار)

- أبو حازم) للشيخ صالح الشامي ١٧٧  
 - نبذة عن أبي حازم ١٧٧  
 - ٢٩ موعظة لأبي حازم ١٧٧

الثامن عشر: المنتقى من كتاب (مواعد الإمام سفيان الثوري)

- للشيخ صالح الشامي ١٨١  
 - نبذة عن سفيان الثوري ١٨١  
 - ٢٧ موعظة من مواعظه ١٨١

التاسع عشر: المنتقى من كتاب (مواعد الإمام إبراهيم بن أدهم)

- للشيخ صالح الشامي ١٨٥  
 - نبذة عن إبراهيم بن أدهم ١٨٥  
 - ١٩ موعظة من مواعظه ١٨٦

العشرون: المنتقى من كتاب (مواعد الإمام عبدالله بن المبارك)

- للشيخ صالح الشامي : ١٨٩  
 - نبذة عن عبدالله بن المبارك ١٨٩  
 - ١٩ موعظة من مواعظه ١٩٢

الحادي والعشرون: المنتقى من كتاب (مواعد الإمام الفضيل ابن عياض)

- للشيخ صالح الشامي : ١٩٥

- ١٩٥ - تعريف بالفضيل بن عياض
- ١٩٦ - ٢٨ موعظة من مواعظه
- الثاني والعشرون: المنتقى من كتاب (طاقتك الكامنة) لسمير شيخاني:
- ٢٠١
- ٢٠١ - ٢١ فقرة من الكتاب
- الثالث والعشرون: المنتقى من كتاب (قوة الاعتزاز بالانفس) لسامويل أ. سيرت:
- ٢٠٣
- ٢٠٣ - تعريف بالكتاب
- ٢٠٣ - ٦٠ نقلاً من الكتاب
- ٢١١ **المجموعة الثانية**
- ٢١٣ أولاً: المنتقى من كتاب (آداب النفوس) للمحاسبي:
- ٢١٣ - تعريف بالكاتب وبالكتاب
- ٢١٣ - النقول المتقاة - ٢٥ نقلاً -
- ٢١٩ ثانياً: المنتقى من كتاب (العزلة) للخطابي:
- ٢١٩ - نبذة عن المؤلف
- ٢١٩ - تعريف بالكتاب
- ٢٢١ - النقول المتقاة - ٤٠ نقلاً -
- ٢٣٧ ثالثاً: المنتقى من كتاب (تهذيب الأخلاق) لابن مسكويه:
- ٢٣٧ - نبذة عن المؤلف
- ٢٣٧ - تعريف بالكتاب
- ٢٣٨ - النقول المتقاة - ٤١ نقلاً -

- ٢٤٥ رابعاً: المنتقى من كتاب (وصية أبي الوليد الباجي لولديه):
- ٢٤٥ - نبذة عن المؤلف
- ٢٤٦ - تعريف بالكتاب
- ٢٤٦ - النقول المتقاة - ٣٥ نقلاً -
- ٢٥٣ خامساً: المنتقى من كتاب (أيها الولد) لأبي حامد الغزالي:
- ٢٥٣ - نبذة عن المؤلف
- ٢٥٤ - التعريف بالرسالة
- ٢٥٤ - النقول المتقاة - ١٦ نقلاً -
- ٢٦١ سادساً: المنتقى من كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ:
- ٢٦١ - نبذة عن المؤلف
- ٢٦٢ - تعريف بالكتاب
- ٢٦٢ - النقول المتقاة - ٢٩ نقلاً -
- سابعاً: المنتقى من كتاب (عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة) لأبي الحسن علي بن هذيل:
- ٢٧٥ - تعريف بالمؤلف وبالكتاب
- ٢٧٥ - النقول المتقاة - ١٥٨ نقلاً -
- ٢٩٩ ثامناً: المنتقى من كتاب (أدب الطلب) للشوكاني:
- ٢٩٩ - نبذة عن المؤلف
- ٣٠٠ - تعريف بالكتاب
- ٣٠١ - النقول المتقاة - ٣٤ نقلاً -
- ٣٢٥ تاسعاً: المنتقى من كتاب (مناهج الشرف) لمحمد الخضر حسين:

- ٣٢٥ - تعريف بالكتاب
- ٣٢٦ - النقول المتقاة - ٥٤ نقلاً -
- عاشراً: المنتقى من كتاب (حكم وأخلاق عربية) لمحمد المكي ابن  
الحسين:
- ٣٤٩
- ٣٤٩ - نبذة عن المؤلف
- ٣٥١ - تعريف بالكتاب
- ٣٥٢ - النقول المتقاة:
- ٣٥٢ ١- خفة النوم المحمودة وذمة النوم
- ٣٥٤ ٢- لله درك ، لله كذا ، تبارك
- ٣٥٥ ٣- لا تفتش عن زلة صديق
- ٣٥٧ ٤- مثال العدالة
- ٣٥٧ ٥- ما يمتدح به العرب
- ٣٥٨ ٦- طيب الثناء
- ٣٥٨ ٧- قرناء السوء
- ٣٦٠ ٨- دهاء معاوية وحلمه
- ٣٦٢ ٩- زينة العلم الحلم والوقار
- ٣٦٣ ١٠- البغي والبغاة
- ٣٦٣ ١١- أسباب العزل عند أهل العدل
- ٣٦٥ ١٢- وصايا صحية عند العرب
- ٣٦٧ ١٣- قمع الشهوة
- ٣٦٨ ١٤- الرأي السديد



- ٣٦٩ ١٥- أجواد أهل الحجاز في القرن الأول الهجري
- ٣٧١ ١٦- إياك والغضب
- ٣٧١ ١٧- التخاصم والتشاتم
- ٣٧٢ ١٨- الصروع والصرعة
- ٣٧٢ ١٩- الساعي والسعاية
- ٣٧٣ ٢٠- لا تتكلف ما لا يليقك
- ٣٧٣ ٢١- عزيمة الصبر
- ٣٧٤ ٢٢- ينشدون الأشعار وهو يحتضرون
- ٣٧٦ ٢٣- العمل العمل
- ٣٧٦ ٢٤- النزاهة عن التعرض للأبواب
- ٣٧٧ ٢٥- ليس للفضيلة وطن
- ٣٧٨ ٢٦- مخالفة النفس وقدها عن هواها
- ٣٧٨ ٢٧- القناعة
- ٣٧٩ ٢٨- عصيان الهوى
- ٣٧٩ ٢٩- المتحلون بأعلام مضافة إلى اسم الله - عز وجل -
- ٣٨١ ٣٠- الصبر
- ٣٨٢ ٣١- انتهاز الفرصة
- ٣٨٢ ٣٢- ما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند موته
- ٣٨٣ ٣٣- زلة الرأي واللسان
- ٣٨٣ ٣٤- الإعراض عما يخل بالمروءة
- ٣٨٤ ٣٥- لا تهتم لرزق غدك

- ٣٨٥ - ٣٦- حلم الأحنف وقيس بن عاصم
- ٣٨٦ - ٣٧- دع عنك من كره صحبتك
- ٣٨٦ - ٣٨- كلمات للأحنف بن قيس
- ٣٨٧ - ٣٩- عزة النفس
- ٣٨٨ - ٤٠- علامات العاقل وأوصافه
- ٣٨٨ - ٤١- المتغابي
- ٣٨٩ - ٤٢- الهوى والهوان
- ٣٨٩ - ٤٣- العقل والأدب
- ٣٩٠ - ٤٤- لا تتلهف على ما فات
- ٣٩١ - ٤٥- تبادل الآراء
- ٣٩١ - ٤٦- الورع
- ٣٩١ - ٤٧- أفذاذ من أصحاب الهمم السامية
- ٣٩٢ - ٤٨- المداراة
- ٣٩٢ - ٤٩- الحج والحجيج
- ٣٩٣ - ٥٠- محاسن السفر ومعائبه
- ٣٩٤ - ٥١- معائب السفر
- ٣٩٥ - ٥٢- عز التقى
- ٣٩٥ - ٥٣- العقل والهوى
- ٣٩٦ - ٥٤- جودة سعد بن قيس بن عبادة رضي الله عنه

الحادي عشر: المنتقى من كتاب (نوادير في الأدب) لمحمد المكي ابن

- ٣٩٧ - تعريف بالكتاب
- ٣٩٧ - النقولات المنتقاة :
- ٣٩٧ ١- راحة المحزون
- ٣٩٨ ٢- أشعار كان يتمثل بها بعض السلف - رحمهم الله -
- ٤٠٠ ٣- سائحة
- ٤٠١ ٤- تعلموا العربية
- ٤٠٢ ٥- بيتان من شعر الأعشى
- ٤٠٢ ٦- تفسير بيت من الشعر
- ٤٠٢ ٧- تعليقات على أبيات من شعر أبي تمام
- ٤٠٣ ٨- لطائف الأدباء
- ٩- نواذر أدبية خاصة بأناس أحرزوا بغيتهم بإنشاد بيتين من الشعر
- ٤٠٦
- ٤٠٧ ١٠- أعرابية ترتجز
- ٤٠٨ ١١- الجارة - الضرة
- ٤٠٩ ١٢- تداول بعض الشعراء للمعنى الواحد
- ٤٠٩ ١٣- القلم
- ٤١٠ ١٤- قولهم هلمّ جرا
- ٤١١ ١٥- أبيات المعاني
- الثاني عشر: المنتقى من كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) لدليل كارنيجي :
- ٤١٣
- ٤١٣ - تعريف بالمؤلف وبالكتاب

- ٤١٧ - النقولات المنتقاة - ٤٩ نقلاً -
- الثالث عشر: المنتقى من كتاب (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس) لدليل كارنيجي :
- ٤٢٧ - تعريف بالكتاب
- ٤٢٧ - النقولات المنتقاة - ٣٣ نقلاً -
- المجموعة الثالثة**
- ٤٣٥
- ٤٣٧ أولاً: المنتقى من كتاب (أدب النفس) للحكيم الترمذي :
- ٤٣٧ - تعريف بالمؤلف وبالكتاب
- ٤٣٧ - النقولات المنتقاة - ٢٥ نقلاً -
- ثانياً: المنتقى من كتاب (الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه) لأبي هلال العسكري :
- ٤٤٧ - تعريف بالمؤلف
- ٤٤٧ - تعريف بالكتاب
- ٤٤٨ - النقولات المنتقاة - ٣٠ نقلاً -
- ٤٥٧ ثالثاً: المنتقى من كتاب (الصداقة والصدق) لأبي حيان التوحيدي :
- ٤٥٧ - تعريف بالمؤلف
- ٤٥٨ - تعريف بالكتاب
- ٤٥٩ - النقولات المنتقاة - ١٠٣ نقول -
- ٤٨١ رابعاً: المنتقى من كتاب (لباب الآداب) تأليف الأمير أسامة بن منقذ :
- ٤٨١ - تعريف بالكتاب
- ٤٨٢ - النقولات المنتقاة :

- ٤٨٢ ١- باب الوصايا
- ٤٨٥ ٢- باب السياسة
- ٤٨٩ ٣- باب الكرم
- ٤٩١ ٤- باب الشجاعة
- ٤٩٣ ٥- من اشتهر بالفتك بالجاهلية
- ٤٩٣ ٦- ومن شهر بالفتك في الإسلام
- ٤٩٦ ٧- باب الآداب
- ٤٩٧ ٨- فصل في حسن الجوار
- ٤٩٧ ٩- فصل في الصمت وحفظ اللسان
- ٤٩٨ ١٠- فصل في التعفف
- ٤٩٨ ١١- فصل في الصبر على الأذى ومداراة الناس
- ٤٩٩ ١٢- فصل في حفظ التجارب وغلبة العادة
- ٥٠٠ ١٣- باب البلاغة
- ٥٠٢ ١٤- باب في الحكمة
- ٥٠٥ **خامساً: المنتقى من كتاب (الوصية المباركة) لابن قدامة المقدسي :**
- ٥٠٥ - تعريف بالمؤلف
- ٥٠٦ - تعريف بالكتاب
- ٥٠٧ - النقول المتقاة - ١٥ نقلاً -
- سادساً: المنتقى من كتاب (آداب الحرب في الإسلام) تأليف العلامة محمد**
- الخضر حسين :**
- ٥١٣ - تعريف بالكتاب

- النقولات المنتقاة : ٥١٤
- ١- أسباب الحرب ٥١٤
- ٢- الاستعداد للحرب ٥١٥
- ٣- التدريب على الحرب ٥١٦
- ٤- محاكاة العدو في وسائل الدفاع ٥١٦
- ٥- كتابة أسماء من يدعون إلى الحرب ٥١٧
- ٦- إعلان الحرب ٥١٧
- ٧- رفع الرايات في الحرب ٥١٨
- ٨- الشعار في الحرب ٥١٨
- ٩- تعهد الجند بالموعظة ٥١٨
- ١٠- النشيد الحماسي ٥١٩
- ١١- الزحف في صفوف منظمة ٥١٩
- ١٢- الإقدام في الدفاع ٥٢٠
- ١٣- الثبات في مواقع الدفاع ٥٢٠
- ١٤- الإخلاص في الحرب ٥٢١
- ١٥- أثر الاستقامة في الانتصار ٥٢١
- ١٦- الدهاء في الحرب ٥٢١
- ١٧- اطلاع ولي الأمر على سير الحرب يوماً فيوماً ٥٢٢
- ١٨- الشورى في الحرب ٥٢٢
- ١٩- كيف يكون قائد الجيش ٥٢٣
- ٢٠- استكشاف حال العدو ٥٢٤

- ٥٢٤ - التكتم في الحرب
- ٥٢٤ - الاحتراس في الحرب
- ٥٢٥ - حكم الجاسوس في الإسلام
- ٥٢٦ - الرفق بالجند ومعاملتهم بالعدل
- ٥٢٦ - تلقيهم أوامر القائد بحسن الطاعة
- ٥٢٧ - تحامي الاختلاف المؤدي إلى الشقاق
- ٥٢٧ - التخلف عن الدفاع
- ٥٢٨ - الفرار من صفوف القتال
- ٥٢٩ - الوفاء بتأمين المحارب
- ٥٢٩ - مجاملة رسل العدو وعدم التعرض لهم بأذى
- ٥٣٠ - تجنب قتل من لا يقاتل
- ٥٣١ - معاملة الأسرى
- ٥٣١ - الدفاع في البحر
- ٥٣٣ - عقد الصالح
- ٥٣٣ - تخليص الأسرى من أيدي العدو
- ٥٣٤ - تقدير البطولة
- سابعاً: المنتقى من كتاب (عادات عربية) تأليف محمد المكي  
ابن الحسين :
- ٥٣٧ - تعريف بالمؤلف
- ٥٣٧ - تعريف بالكتاب
- ٥٣٩ - النقول المتقاة :

- ٥٣٩ ١- عادات شعراء العرب
- ٥٤٠ ٢- عادات العرب في الأموات والقتلى
- ٥٤٣ ٣- ميز شجعان العرب بعلامات في الحرب
- ٥٤٤ ٤- عناية العرب بالضيف
- ٥٤٤ ٥- تنكيل العرب في الجاهلية بالجناة
- ٥٤٦ ٦- عناية السلف باللغة العربية وكتبها
- ٥٤٧ ٧- أرخى عمامته
- ٥٤٨ ٨- أبو الأضياف
- ٥٤٨ ٩- تخيلات الأمة العربية في أطوار الجاهلية
- ٥٥٠ ١٠- عادات ملوك العرب في الجاهلية والإسلام
- ٥٥١ ١١- عادات نساء العرب في الأعصر الجاهلية
- ٥٥٢ ١٢- عادات العرب في الخيل
- ٥٥٥ ١٣- عادات العرب في الإبل
- ٥٥٨ ١٤- عادات العرب في الحروب والغزوات
- ٥٦١ ١٥- عادات عربية خاصة بالأعراس
- ٥٦٣ ١٦- مجالس العرب في الجاهلية والإسلام
- ٥٦٧ ١٧- قرع السن كناية عن الندم
- ٥٦٧ ١٨- الأضياف والضيافة
- ٥٦٩ ١٩- عادات العرب بأمر الأضياف
- ٥٧٠ ٢٠- عادات عربية
- ٥٧٧ ثامناً: المنتقى من كتاب (الحديقة) لمحّب الدين الخطيب:



- ٥٧٧ - تعريف بالمؤلف
- ٥٧٨ - تعريف بالكتاب
- ٥٧٨ - النقول المتقاة :
- ٥٧٨ ١- هدية
- ٥٧٩ ٢- مرض حب الشهرة
- ٥٧٩ ٣- الزوجة
- ٥٧٩ ٤- السفور بعد الحجاب
- ٥٨٠ ٥- الرجولة في نظر المتنبى
- ٥٨٠ ٦- الاعتدال والبساطة
- ٥٨٠ ٧- الصابر العظيم
- ٥٨١ ٨- من اعترافاتهم
- ٥٨١ ٩- ملك القلوب
- ٥٨١ ١٠- السعادة قريبة التناول
- ٥٨٢ ١١- سبيل النجاح في نظر فورد
- ٥٨٣ ١٢- العمل رياضة العقل
- ٥٨٤ ١٣- من أقوال شوقي
- ٥٨٥ ١٤- كلمات للإمام أحمد بن حنبل
- ٥٨٥ ١٥- ذكاء الأعراب
- ٥٨٥ ١٦- شمم العرب
- ٥٨٦ ١٧- من كلام الأحنف بن قيس
- ٥٨٦ ١٨- الرجل

- ٥٨٧ ١٩- المرأة
- ٥٨٧ ٢٠- من كلام سعيد بن المسيب سيد التابعين
- ٥٨٧ ٢١- من كلام طاووس
- ٥٨٨ ٢٢- خصومة العظماء
- ٥٨٩ تاسعاً: المنتقى من كتاب (مقام إبراهيم) لمحمد طاهر الكردي المكي :
- ٥٨٩ - تعريف بالمؤلف
- ٥٩٠ - تعريف بالكتاب
- ٥٩٩ - النقول المتقاة - ٣٨ نقلاً -
- عاشراً: المنتقى من كتاب (عجائب من عصور متفرقة) الجزء الأول
- ٦٣٧ لمحمد بن إبراهيم الشيباني :
- ٦٣٧ - تعريف بالمؤلف وبالكتاب
- ٦٣٨ - النقول المتقاة :
- ٦٣٨ ١- استجابة دعاء
- ٦٣٨ ٢- ربح
- ٦٣٨ ٣- بَرْدَة
- ٦٣٩ ٤- سيل عظيم
- ٦٣٩ ٥- كسوف
- ٦٣٩ ٦- أكلوا بغلة الوزير
- ٦٤٠ ٧- قصة سواك
- ٦٤٠ ٨- عجيبة
- ٦٤٠ ٩- العلاج لبس سروال وشرط أذن
- ٦٤١ ١٠- شيخ الوضوء
- ٦٤١ ١١- طفل

- ٦٤١ - ١٢ - امرأة تتحول رجلاً
- ٦٤٢ - ١٣ - دعاء بقي مخلد
- ٦٤٣ - ١٤ - قتلى أحد لم يتغيروا بعد ٤٦ عاماً
- ٦٤٣ - ١٥ - الحاكم بأمر الله
- ٦٤٤ - ١٦ - وجدتھا عوراء عرجاء
- ٦٤٤ - ١٧ - أكل الناس بعضهم بعضاً
- ٦٤٥ - ١٨ - ومن غرائب المنقول وعجائبه
- ٦٤٩ - ١٩ - مات فجأة
- ٦٤٩ - ٢٠ - سجود
- ٦٤٩ - ٢١ - خنّاق النساء
- ٦٥٠ - ٢٢ - زلزال واسط
- ٦٥٠ - ٢٣ - الزبير يملك خمسين مليون درهم
- ٦٥٠ - ٢٤ - حامل كفنه
- ٦٥١ - ٢٥ - نهاية الظلم
- ٦٥٣ - حادي عشر: المنتقى من كتاب (قوة الصبر) تأليف إم .. جيه .. رايان
- ٦٥٣ - تعريف بالمؤلف وبالكتاب
- ٦٥٣ - النقول المتقاة (٣٢) نقلاً
- ٦٦١ - الفهارس